



خطط بغداد
في العهود العباسية الأولى

د. يعقوب ليسنر

ترجمة: د. صالح أحمد العلي

دراسات في تاريخ بغداد وخططها

خطط بغداد
في العهود العباسية الأولى

تأليف
الدكتور يعقوب ليسنر
استاذ في جامعة ولاية واين

ترجمة
الدكتور صالح أحمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي

المجمع العلمي العراقي

تقديم

اذا كانت المدن هي المراكز التي تيسر استقرار الناس وتوسيع العلاقات بينهم وانماء النظم الاجتماعية والادارية والسياسية ، وبالتالي الى ازدهار الحضارة وتقدمها ، ونشاط الفكر وابداعاته ، فان بغداد تتبوأ مكانة متميزة في المدن ، لا في العالم الاسلامي ابان ازدهاره فحسب ، وانما في كافة بلدان العالم في العصور الوسطى . وترجع هذه المكانة الى ماتوفر فيها من أحوال جلبت اليها الناس للاستقرار والعمل والابداع ؛ ولا نبتعد كثيرا عن الحقيقة اذ قلنا ان الحضارة الاسلامية ظلت طوال القرون الثلاثة الاولى من تأسيسها ، يمثل قسطها الأكبر ما ابدعته وانمته ووجّهته بغداد. وان كثيرا من الدراسات عن النظم الاسلامية والفكر الاسلامي ابان تلك الحقب هو في الحقيقة دراسة ما ساد في بغداد . وقد اجمل اليعقوبي وصف عظمتها بقوله :

« هي المدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة وكثرة مياه وصحة هواء ، لأنه سكنها من أصناف الناس وأهل الكُوَر ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، وآثرها جميع أهل الآفاق على اوطانهم ، فليس من أهل بلد الا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف ،فاجتمع بها ماليس في مدينة في الدنيا . ثم يجري في حافتيها النهران الأعظمان دجلة والفرات ، فيأتيها التجارات والمير براً وبحراً بأيسر السعي ، حتى تكامل بها كل متجر يحمل من المشرق والمغرب من أرض الاسلام وغير أرض الاسلام ؛ فانه يحمل اليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة وسائر البلدان ، حتى يكون بها من تجارات البلدان

أكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها ، ويكون مع ذلك أوجد وأمكن ، حتى كأنما سيقت اليها خيرات الارض ، وجمعت فيها ذخائر الدنيا ، وتكاملت بها بركات العالم ...

وباعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت اخلاق أهلها ، ونضرت وجوههم ، وانفتقت اذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والأدب والنظر والتمييز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكل مناظرة ، واحكام كل مهنة ، واتقان كل صناعة ؛ فليس عالم أعلم من عالمهم ، ولا أروى من راويتهم ، ولا أجدل من متكلمهم ، ولا أعرب من نَحَويهم، ولا أفصح من قارئهم ، ولا أمهر من متطببهم ، ولا أحذق من مغنيهم ، ولا ألطف من صانعهم ، ولا أكتب من كاتبهم ، ولا أبين من منطيقهم ، ولا أعبد من عابدهم ، ولا أورع من زاهدهم ، ولا أفقه من حاكمهم ، ولا أخطب من خطيبهم ، ولا أشعر من شاعرهم ، ولا أفتك من ماجنهم » [1] .

ونقل الخطيب عن ابى الحسين أحمد بن جعفر المنادى «هذا الى تركنا ذكر اشياء كثيرة من مناقبها التي افردها الله بها دون سائر الدنيا شرقا وغربا ، وبين ذلك من الاخلاق الكريمة والسجايا المرْضية ، والمياه العذبة والغدقة ، والفواكه الكثيرة الدمثة ، والأحوال الجميلة ، والحذق في كل صنعة والجمع لكل حاجة ، والأمن من ظهور البدع ، والاغتباط بكثرة العلماء والمتعلمين ، والفقهاء والمتفقهين ، ورؤساء المتكلمين ، وسادة الحسّاب والنحويين ، ومجيدي الشعراء ، ورواة الأخبار والأنساب وفنون الآداب ، وحضور كل طرفة ، واجتماع ثمار الازمنة في زمن واحد ، ولايوجد ذلك في بلد من مدن الدنيا الا بها سيما في زمن الخريف . ثم ان ضاق مسكن بساكن وجد خيرا منه ، وان لاح له مكان أحب اليه من مكانه لم يتعذر عليه النقلة اليه من أي جانب

---

(١) كتاب البلدان ٢٣٣ ـ ٢٣٥ .

من جانبيه اراده ، ومن أي طرف من أطرافه خفّ عليه ، ومتى هرب أحد من خصمه وجد من يستره في قرب أو بعد ، وان آثر ان يستبدل دارا بدار أو سكة بسكة أو شارعا بشارع او زقاقا بزقاق فغيَّر من ذلك التبديل اتسع له الامكان في ذلك حسب الحالة والوقت ، ثم عيون التجار المجهِّزين ، والسلاطين المعظَّمين وأهل البيوتات المبجَّلين ، في ناحية ناحية ، تنبعث الخيرات بهم الى الذين هم في الحال دونهم ، غير منقطع ذلك ولا مفقود ، فهي من خزائن الله العظام التي لايقف على حقيقتها الا هو وحده ، ثم هي مع ذلك منصورة محبورة ، كلما ظن عدو الاسلام أنه فائز باستئصال أهلها كبته الله وكبَّه لمنخريه ، واستئصلت قدرته بما ليس في تقدير الخلق أجمعين ، فضلا من الله ونعمة ، والله ذو الفضل العظيم » (٢) .

ان هذين النصين المجملين يعبران بروعة واحكام ما تميزت به بغداد من ازدهار حضاري وفكري ، وما كسبته من مكانة متميزة ، بفضل توفر الخيرات المادية فيها ، والمناخ الفكري الذي وفرته لانماء مختلف جوانب الفنون والآداب والعلوم . والحق ان هذه الجوانب توجهت في بغداد وجهة انسانية وعالمية ، فعنيت بدراسة مايهم الانسان والفكر عموما دون تكبيله بقيود الاقليمية الضيقة ، ومن غير تشويهه بالتعصب المناهض للحرية والانطلاق . واذا كان العلماء الذين اسهموا في انماء الحركة الفكرية منوّعين في مواضع ولاداتهم ، فانهم في بغداد مجتمعون على دراسة العلم للانسان وللعالم وللخلود ، فهم يدرسون اللغة العربية ، والنحو العربي ، وعلم الفلك وعلم الطب عموما ، ولا يقتصرون على «نحو» أهل بغداد ، او «لغة» بغداد ، او «الطب» في بغداد. وقد وصلت نظرتهم العالمية بهم الى تقصيرهم في وصف أحوال مدينتهم ، حتى

---

(٢) تاريخ بغداد ١/٥٠ ــ ٥١ وانظر نصوصا اخرى في تاريخ بغداد ١/٤٤ ــ ٥٤ ؛ « بغداد مدينة السلام » لابن الفقيه الهمداني (٦٠ــ٦٤/٧٦ــ٧٧) « معجم البلدان » لياقوت الحموي ١/٦٨٤ ــ ٦٩٢ .

ان الباحث في ذلك يلقى اليوم الصعوبات في جمع المادة عن الخصائص الاقليمية للعلوم في بغداد •

وقد سرى أثر هذه النظرة «العالمية» الى دراسة خطط بغداد وتطور المنازل والساكنين فيها ، بالرغم من ان مظاهر مادة هذه الدراسة كانت قائمة ، واهميتها كانت واضحة • والواقع ان المعلومات عن خطط بغداد في عهودها الاولى ظلت مقصورة على نصوص قصيرة مروية ، وأكثرها تتصل بساكنيها لا بامتدادها ، وظل الأمر على ذلك حتى أواخر القرن الثالث حين ظهر من عنى بجمع المعلومات عن ذلك ، فكانت حصيلته صورتان : احداهما قدّمها اليعقوبي في كتابه البلدان ، والاخرى جمعها مؤلفون ونقلها عنهم الطبري وابن الفقيه الهمداني ثم الخطيب البغدادي [٣] •

ويتميز ما نقله الخطيب البغدادي بسعته وشموله ، ولذلك كان معتمد الباحثين قديما وحديثا ، ويسّر طبع «تاريخ بغداد» للباحثين ، اذ قدم لهم نصا مطبوعا يعتمدون عليه ، وكان المعين المفضل لاستقاء المعلومات في هذا الميدان•

غير ان الاعتماد على النسخة المطبوعة من «تاريخ الخطيب» لم تخل من مزالق ، منها ان ماكتبه عن خطط بغداد لايكون الا جزءا صغيرا من المجلد الاول من كتاب يبلغ اربعة عشر مجلدا ضخما ، مما يلزم المعتمد عليه الحصول على كافة المجلدات ليستفيد من مجلد واحد ؛ ثم ان الطبعة اعتمدت على نسخة واحدة ، واغفلت مراجعة نسخ متعددة موجودة مخطوطاتها في المكتبات ، وقد تم الطبع دون تشكيل الكلمات ووضع الفواصل ، مما يثير كثيرا من اللبس والابهام عند القارىء ، وأخيرا فان المادة التي قدمها الخطيب متراكمة ، ترجع الى عدة أزمنة ، ومستمدة من عدة رواة ، ولاريب في أن تحديد زمن وجود المعالم الخططية له أهمية كبيرة في معرفة تطور عمران المدينة •

---

(٣) انظر عن تفاصيل أوفى مقالنا «دراسات في مصادر خطط بغداد » مجلة المجمع العلمي العراقي ، م/١٤ سنة ١٩٦٧ •

قام الدكتور ليسنر في كتابه الذي نقدم للقارىء ترجمته العربية ، بمعالجة هذه الثغرات ، فقارن النص على ثمان نسخ مخطوطة ، وثبت الاختلافات بينها ، ودقق في المتن ، فوضع لجمله فوارز وفواصل ، وضبط الكلمات ، وأورد تعليقات واسعة غنية توفر للباحثين كثيرا من الجهد ، وتيسر للقراء كثيرا من المعرفة في معالم بغداد والاعلام الذين رووها • وأظهر في عمله سعة اطلاع ، وحسن ادراك ، وامانة في البحث •

وقد حافظ في كل ذلك على النص المطبوع من القسم الخططي في تاريخ الخطيب ، وأشار في الهوامش الى اختلاف النسخ في ضبط بعض الكلمات ، كما انه حافظ على عناوين الموضوعات الموجودة في الطبعة الاصلية • غير أنه جعل من كل عنوان فصلا ، ووضع للفصول أرقاما متسلسلة ، فكانت ثلاثة عشر فصلا • ووضع تعليقاته مستقلة عن متن الكتاب ، ومرتبة تبعا لمواقعها منه • وقد تابعته في ذلك ، وحرصت على ضبط اسماء الاعلام بتشكيلها لتجنب الالتباس •

وضم الكتاب ، بالاضافة الى نص الخطيب والتعليقات عليه ، فصولا وملاحق بحث فيها عن الخطيب البغدادي وأهمية ماكتب عن خطط بغداد ، وعالج عددا من القضايا والجوانب ، فقدم عنها صورا لم يلتفت اليها من سبقه من الباحثين ، أو كانت صور هؤلاء مثار انتقاد •

رتّب المؤلف فصول كتابه في الأصل الانكليزي على النحو التالي :

١ـ قائمة بالمحتويات والمصورات والخرائط (ص ٧ ــ ١١) •
٢ـ تقديم الاستاذ اوليج جرابار ومقدمة المؤلف (ص ١١ ــ ٢٣) •
٣ـ مقدمة عن الخطيب البغدادي ووصف المدينة (٢٥ ــ ٤٢) •
٤ـ ترجمة انكليزية للفصول التي كتبها الخطيب عن بغداد (٤٦ ــ ١١٨) •
٥ـ دراسات للمؤلف عن نمو المدينة ، وهي تشمل البحث عن عاصمة عباسية

(١٢١ ــ ١٣٧) ؛ واعادة فحص خطة المدينة (١٣٨ ــ ١٧٧) •

٦ــ ثم أورد ملاحق عن :

(١) الوحدات البلدية والجوامع ١٧٨ ــ ١٨٢ •
(٢) نمو الارباض والسياسات الاقتصادية للعباسيين الأوائل (١٨٤ــ١٨٨)•
(٣) التطور المعماري لجامع المنصور (١٨٩ ــ ١٩٥) •
(٤) خرائط ليسترانج •
(٥) المصورات ٢٠٧ ــ ٢١٨ •
(٦) ضميمة في بعض التعابير العمرانية العربية ومقابلها بالانكليزية (٢١٩)•
(٧) تواريخ الخلفاء العباسيين والامراء البويهيين (٢٢٠) •
(٨) اضافة الى المقدمة ، وهي تشمل دراسة عن النسخ المخطوطة من تاريخ بغداد ، ومصادر الخطيب في وصفه خطط بغداد ، وتواريخ بغداد •
(٩) ملحق بالاسماء الكاملة للمصادر التي دوّنها مختصرة •

ثم انه وضع التعليقات مستقلة في آخر الكتاب ، مرتبة تبعا لتنظيمه الفصول • ثم تلاها بقائمة من المصادر المختارة ، وختمها بفهرس الاسماء •

وقد احدثت في هذا الترتيب بعض التعديلات التي رأيت ان ادخالها يزيد من تيسير متابعة البحث :

١ــ وزعت التعليقات على اسفل الصفحات تبعا لمواقع النصوص التي وضعت لها هذه التعليقات ، لان ذلك اسهل للقارىء على متابعة مصادر النصوص والتعليقات عليها •

٢ــ ابقيت التعليقات على نص الخطيب منفردة ، ووضعتها تالية النص مباشرة ، بعد ان كانت مفردة في آخر الكتاب •

٣ــ نقلت الملحق الثامن من مكانه في آخر الكتاب ، وجعلته بعد

التعليقات على نص الخطيب ، لان ابحاث هذا الملحق تتصل بكتاب الخطيب •

٤ـ نقلت الى أول الكتاب الملحق التاسع الذي يذكر الاسماء الكاملة للمصادر التي دوّنها في الهامش مختصرة •

٥ـ اعدت ترتيب فهرس الاسماء تبعا للالفباء العربية •

٦ـ وضعت ، لاسباب طباعية ، قائمة المحتويات في آخر الكتاب وقد جعلتها وفق الترتيب الذي سرت عليه في الترجمة العربية ؛ وفيما عدا هذه التغييرات ، فقد ابقيت نص الكتاب دون تبديل ، ولم أضف الا قليلا من التعليقات على بعض الكتب حيث أشرت الى ماترجم من الاعجمي منها الى العربية •

وقام الزميل الفاضل الاستاذ محمد بهجة الاثري بقراءة فاحصة للترجمة قبل ارسالها للطبع ، واقترح عددا من التعديلات التي خلصت لغة الترجمة من الشوائب ، واني اقدر ما بذله من جهد مشكور ، وأتحمل وحدي مسؤولية الدقة في الترجمة • وأرجو بتقديمي هذا الكتاب بالعربية ان أكون قد أديت بعض الخدمة للقارىء العربي في دراسة تاريخ هذه المدينة العظيمة وأرجو ان اتبع ذلك بدراسة أوفى ، وان يتوفق المجمع العلمي العراقي في اكمال ما اعتزم القيام به من نشر المترجمات والمؤلفات لهذه المدينة العظيمة التي تنتظر اهتماما أوسع لتوضيح تاريخها واظهار عظمتها التي شيدتها سواعد أهلها وعقولهم •

ومن الله التوفيق •

الدكتور صالح احمد العلي

القسم الأول

مقدمات ودراسات في المصادر

تصدير

لوحظ منذ أمد بعيد أن النظام الحضري في العالم الاسلامي الوسيط كان مثاليا وواقعيا ، حيث ازدهر النحو والأدب في المدن والبلدان ، فالبصرة أو الكوفة مقترنة بالتطورات العميقة للفكر الاسلامي الأول ، وقد ورد في كتاب المقامات المشهور المؤلف في المائة السادسة (١٢م) ذكر نحو من خمسين مدينة اشارت المقامات الى نبوغها اللغوي وبطلها المغامر ؛ ففي قلاع المدينة وقصورها ، وليس في القلاع المعزولة ، عاش الامراء ، ونما التخيل الرفيع الفريد الذي ينعكس في الأدب وفي الفن ؛ كما ان فخر المرء بمدينته ، أو مجرد ادراكه أن المدينة نقطة تدور حولها الحياة ظهر في وقت مبكر ، واستمر الى أن ظهرت التواريخ المحلية في المائة التاسعة (١٥م) والمائة العاشرة (١٦م) .

ان العلاقة بين الفرد والنظام الحضري ، أو بين الكيان الاجتماعي والمدينة، تنوعت اشكالها تنوعا كبيرا من عصر الى عصر ومن منطقة الى منطقة ، فان اهتمام المقريزي بالآثار في احصائه ووصفه آثار القاهرة في المئة التاسعة (١٥م) تختلف عن الفهارس الدقيقة المرتبة على الألفباء لعظماء الرجال التي كتبها الخطيب البغدادي لبغداد أو ابن عساكر لدمشق في المئة الخامسة (١١م) والمئة السادسة (١٢م) ، وهي تختلف ايضا عن مديح السامانيين وشعور الحنين الى الماضي الجاهلي اللامع الذي يظهر في «تاريخ بخارى» للنرشخي ثم في الكتاب «المجهول المؤلف» أو وصف مجير الدين المتأخر لبيت المقدس ومدينة الجليل[1].

---

(١) اسم قديم لمدينة (الخليل) في فلسطين .

ان هذه الاوضاع المتنوعة ، وعلاقات بعضها ببعض ، وتاريخها ، والمؤثـرات التي أثرت في كل منها ، لاتزال قضايا يدرسها المؤرخون ، والمأمول أن كثيرا من هذه الدراسات ستزيد من تقديرنا وفهمنا للطرق المتعددة التي نظر بهـا المتحضرون الى المدن التي يعيشون فيها •

ولكن من الناحية العملية والخاصة ، هناك طرق أخرى يسـتطيع المرء بها دراسة المدن الاسلامية أو تطورها ، ومن هذه الطـرق مـايتركز علـى المؤسسات ، اذ أن المدينة الاسلامية ، شأنها شأن أي كائن معقّد حي ، أنمت نظم سلطة وحقوقا ومسؤوليات قانونية أو واقعية ، وقد واجهت بعض هـذه النظم حاجات عملية جدا ، كالسـيطرة على المكاييل والمقاييس أو الضرائب ، كما أن نظما أخرى كالأحكام الجنائية والاخلاقية أو قوانين الميراث ، عبّرت عن أهداف وأغراض عليا ، وكانت أحيانا مستقلة عن الخصائص المحلية لمدينة بعينها لأنها كانت تتصل بأفكار اسلامية أعم ، وأخيرا فأن بعض هذه النظـم نما من صميم التوتر الاجتماعي والاقتصادي للمدينة نفسها ، وهي كعدد كبير من التطعميات ساعدت في حل مشكلات الفرد ، حتى عندما كانت مسمياتها تدل على أنها كانت تعالج موضوعا واسعا سعة العالم الاسلامي • ولايزال كثير من هذا التطور في المؤسسات غير معروف ، لأن العلم لم يستطع ، الا في حالات شـاذة قليلة جدا ، أن ينفذ كل النفاذ الى العمل الصـميم في أية مدينة معينـة •

ووجه عملي ثان للمدينة هو حياتها اليومية ، فمن الغريب ان المشكلات وضروب النشـاط اليومي في المـدن لـم تجلـب مـن انتبـاه العلمـاء المعاصرين الا قليلا ، كما أنها كانت أيضا غامضة جـدا في الكتب التي الفت في تلك العصـور ، فكأن العالم الاسلامي الوسيط كان يحذر الاعلان عن حياته الخاصة • غير ان هذا الفراغ بدأ ملؤه ، بتجدد الاهتمـام بمصـادر معروفة ، ككتب الجاحظ والتنوخي ، والطبعات الحديثة لاحدى يوميـات

القرن الخامس الهجري وبوثائق الجنيزا المدهشة بغناها ، وقد أدى هذا الى التعمق بمظاهر حياة الأقدمين وساعدت الجديدة على اكسائهم اللحم والعواطف، ومع هذا فلايزال الكثير مما ينتظر عمله ، فالمصادر الاثارية ، والخزف ، والمنسوجات ، والفنون الدقيقة بصورة خاصة ، لم تُمَسّ قط تقريبا •

والوجه الثالث للسمة الخاصة بالمدينة الاسلامية في العصور الوسطى ، هو مظهرها الفيزيقي ، فكل فرد يعلم بالاحساس العام أنه كانت توجد في جميع المدن تقريبا مساجد ، وقصور ، وحمامات ، وأسواق ، وبيوت للاغنياء والفقراء ، ومقابر ، وأضرحة ، وأسوار ، وأبواب • ولكن هل نبعت هذه المظاهر المعمارية كلها فجأة وفي نفس الوقت ؟ كيف نمت المدينة ؟ أي المشاركات في نموها كانت عالمية ؟ وايها كانت أحوالا محلية صرفة ؟ ان كل هذه الأسئلة لاتزال غير مجاب عنها الى حد كبير ، والحق أنه تم عمل غير قليل عن القاهرة، وهي التي تتوافر عنها وثائق من الكتب والآثار أكثر مما تتوافر عن جميع مدن الشرق الأدنى ، غير أنه ليس ثمة أية دراسة ما منفردة للطريق الذي أصبحت فيه هذه المدينة العظيمة الواقعة على النيل ، على ما هي عليه اليوم ، غير ماعمله الأستاذ فييت بشكل مختصر ، وما عمله م• كلير جيه من الناحية الجغرافية • وبفضل جهود جين سوفاجيه والأستاذ لاتورنيو فُحِصَ تاريخ كل من حلب وفاس الى حد الجزئيات ، ووضح كل عهد الى أقصى الحدود المتوفرة ، وقد جرت بعض الدراسات الأولية عن مكة ، ودمشق ، وبيت المقدس ، والكوفة ، والبصرة ، وبخارى ، وسمرقند ، ومرو ، غير أن الصورة الكاملة لاتزال أبعد من أن تكون واضحة •

ولعل خير سبيل لدراسة كتاب الدكتور ليسنر عن بغداد ، هو وضع هذه القضايا نصب أعيننا • ففي هذا الكتاب صيغ قلب الكون ، وصبّ صباً كاملا ، وهي أسمى ابداع للدولة الاسلامية في أسمى لحظات المجد والوحدة، وكانت أهميتها الاقتصادية والسياسية واضحة ، حتى انها ظلت مدة تزيد

على اثني عشر قرنا ، مركزا رئيسا ، بصرف النظر عن النكبات التاريخية والطبيعية • ومن الواضح أن الفهم الجيد لتاريخ مثل هذه المدينة وخصائصها ابان القرون الأولى من بنائها ، هو ذو فائدة مزدوجة ، فهو يمكننا من أن نحدد بدقة المظاهر الرئيسة لهذه القطعة المعترف بروعتها من الابداع الحضري الاسلامي • كما يمكننا من توضيح الأدوار الفيزيقية والتأقلم لتاريخ بغداد المتأخر •

والحق طبعاً أنه كتب الكثير عن مدينة بغداد ، وان النص الأساس الذي تقوم عليه هذه الكتابات ، وهو محور الكتاب الحالي ، كان معروفا منذ عدة عقود • أما أهمية النشر الجديد ، والتعليقات الجديدة ، فهي ان التقدم الذي احرزته معرفتنا بالمدن الاسلامية يمكّن الدكتور ليسنر أن يضع بصورة أوضح المشكلات التي أثارتها هذه المدينة التي لم تكن ــ لسوء الحظ ــ معروفة الا من النص فقط • فمن الواضح مثلا من كتاب الدكتور ليسنر أن نص الخطيب الذي كثيرا ما استُخدم لتعريف بغداد في زمن حياة المؤلف ، هو غير مفيد الا الى الحقبة التي لاتتجاوز منتصف القرن الذي سبق حياة المؤلف •

لايستطيع المرء ان يؤكد تأكيدا كافيا على مثل هذا التدقيق في التاريخ، اذ لاتزال حتى اليوم الفكرة الخطرة عن شرق لاحراك فيه ، التي تميل الى الافتراض أن لكل آن في التاريخ لحظات واضحة الحدود ، وذات قيمة لكل العصور ، ولكن الأهم هو اننا نعرف عن الحقبة التي سبقت بناء بغداد اكثر مما نعرفه عن الزمن الذي ألّف فيه الخطيب كتابه الذي انتشر استعماله ، وبهذا نستطيع الآن أن نفهم بشكل أدق كثيرا من مظاهر بغداد • وبعكس ما كتبه المدافعون عن العباسيين وقَبِلَه ، مع بعض التعديل ، علماء أوائل هذا القرن ، فان بغداد لم تخلق من العدم ، وانما كانت استمرارا منطقيا للممارسات المعمارية التي تطورت في القرن السابق لتأسيسها بالرغم من أننا نقر بأن

المعايير والاغراض الرمزية والعملية للعاصمة الجديدة طغت بشكل هائل على أي كان من الابنية التي سبقتها •

غير انه يوجد ايضا سبب آخر يجعل النشر الحديث لنص قديم ، خطوة الى الأمام في فهمنا لبغداد ، فالطبعات القديمة والترجمات القديمة مكتوبة باسلوب خاص غريب علينا نظرا لأن استعمالها قد بطل ، اما الطبعات الجديدة والترجمات الجديدة ، فأنها تركز الانتباه العلمي على نص اساسي ، كما أنها تقدم تفسيرات جديدة أو عميقة، والواقع انالدكتور ليسنر قام بعدة محاولات لربط الحوادث المعروفة في النطاق الذي يفترض حدوثها فيه •

وقد قادته هذه المحاولات الى عدد من الفرضيات أو الاستنتاجات عن الوظائف الفعلية لأقسام معينة من المدينة المدورة وعن خصائص هذه الاقسام ، أو عن الشرايين الرئيسة لمدينة تقليدية من مدن الشرق الأدنى : الاسواق ، والمساجد ، والترع ، والمراكز المتبدلة للحَضَر والضواحي ، وهذه الفرضيات والاستنتاجات تساعد على تفسير للمدينة الاولى لماذا وكيف توسعت بمثل هذه السرعة ، واعادت تشكيل نفسها بهذا الشكل التام في غضون سنوات قليلة من تأسيسها ، وهي ظاهرة محيِّرة اذا أخذت بنظر الاعتبار الأهمية الرمزية المنسوبة الى شكل العاصمة الامبراطورية والتفكير الطويل الذي صرف في تخطيطها •

ان هذه بداية لفهم عميق وكامل لبغداد أو أية مدينة اسلامية على العموم، غير أنها لاتحقق كامل أغراضنا الآن اذا جرت حفريات آثارية ، وتمت لهذه المدينة وغيرها من المدن دراسات نصيّة دقيقة كافية العدد تمكن من نقل معرفتنا عن النظام الحضري الاسلامي الوسيط من اعتبارات عامة ونظريات الى اعادة تركيب كامل لحركاتها الفيزيقية والبشرية •

اوليج جرابار
آن ارير • ميشيغان

المقدمـــة

تقف بغداد فوق جميع المدن المتعددة التي كانت جزءا من البيئة الحضرية ابان العصور الوسطى ، فقد طغت عظمة ابعادها البشرية والطبيعية على جميع المدن الأخرى بالمقارنة ، وجعلها موقعها الجغرافي الفريد ميناء داخليا كبيرا ، ومركزا عظيما للتجارة البرية ، وكانت مركز ادارة دولة واسعة، كما كانت أيضا مركزا عظيما للدراسات الدينية والدراسات العلمية الأخرى . والخلاصـة انها كانت مدينة لاتقتصر على بعد خاص ، وانما هي مدينة كل الابعاد ، مـع حياة تتركز على كل جانب من الجهد البشري ، فأي تعبير يصدق عليها أكثر من تعبير (سرة الدنيا) لقد كانت مدينة تختلف عن جميع المـدن ، حتى في سني انحطاطهـا .

وعلى الرغم من أن بغداد كانت أكبر مدينة في العالم الاسلامي الوسيط، فان معرفتنا بتنظيمها الخططي أقل من معرفتنا لبعض المواقع الصغرى ، وذلك لعدم وجود أدلة آثارية محددة ، ومع هذا فان الباحث في الحيـاة الحضرية الاسـلامية محظوظ لأن لديـه عدة روايـات خططيـة مفصّلة تصـف مواقع المدينة بالنسبة لبعضها الى بعض آخر ، وكذلك بعض الاخبار العرضية المتصلة بالنموذج التاريخي لنموها . وتكوّن المصادر الأدبية حتى اليوم أساس الدراسات الحديثة ابتداءا من كتابي جي. ليسترانج و م. شتريك اللذين ظهرا في أوائل هذا القرن ، وما زالا مرجعين معتمدين يرجع اليهما .

ان الكتاب الطموح الذي ألفه ليسترانج ، قد طبع لسوء الحظ دون تعليقات كافية ، ومرد ذلك الى أسباب فنية لأنه اعتمد في بحثه على مصادر

كان معظمها مخطوطا ، وقد حاول ليسترانج أن يعيد بناء المدينة في مختلف أدوار تطورها التاريخي • ولايمكن الانتقاص من أهميـة هذه المشـاركة الابداعية ، ولكن اذا راعينا طبيعة المصادر المتوافرة عن خطط المدينة فان المؤلف نفسه يعترف بأنه معرّض لانتقاد كل من سيتوغل في الدراسة ، فليس من العجيب اذاً أن استنتاجات ليسترانج سرعان ما خضعت لتحـدي لويس ماسينون الذي اعترف بالاهمية الواضحة للمصادر الادبية ، ولكنه لم يتفق مع ليسترانج على أسس أساليب البحث • ويختلف ماسينون عن ليسترانج من حيث أن ليسترانج لم يدرس الموقع قط ، أما ماسينون فقد حاول القيام بتحليل موقعي لعموم المنطقة في سنة ١٩٠٧ ــ ١٩٠٨ ، ثم نشر نتائج مكتشفاته بعد خمس سنوات ، واستنادا الى مواضع خططية معينة ، شعر بضرورة عدم الموافقة على بعض استنتاجات ليسترانج ، ليس فيما يتعلق بالتطور التاريخي للمدينة فحسب ، بل في الموقع الحقيقي لعدة مواضع رئيسة أيضـا ، ويرى ماسينون أن هذه المواضع الثابتة هي المراقد المتعددة التي ظلت في موضعها منذ الأزمنة العباسية ، وكذلك أسواق المدينة التي كانت بموجب القاعدة التي وضعها مثبتة منذ بداية تشييد المدينة • ان هـذه الملاحظة العرضـية تقريبا استندت ــ الى الحد الكبير ــ على خبراته في مدن الشرق الأدنى في أوائل القرن الحالي ،وصارت فكرة أساسية في تحليل البيئة في العصور الوسطى ، ومن حيث العموم فان الأبحاث التالية عن النمو الخططي للمدينة ، تعكس هذا الاختـلاف في الرأي بين ماسينون وليسترانج ، أي بـين طريقة قائمة في الأساس على بقايا متفرقة قليلة ، وأخرى تقوم كليا على مصادر أدبية مختارة محدودة •

ومهما كانت أهمية هذه الكتب في وصف التكوين الطبيعي لبغداد ، فانها قد لاتقل أهمية لمؤرخ الفن ، اذ أن فصول اليعقوبي والخطيب التي تبحث في المدينة هي منذ أوائل العصور الوسطى المصادر الأولى التي تصف بتفصيل

عمارة القصور الكبرى في الشرق الأدنى • وقد زار هرزفيلد الموقع بعد أمد قصير ، وأضاف بعض الملاحظات القيّمة المستندة الى ملاحظاته الخاصة ، كما أنه قام بالواجب العظيم في اعادة رسم عمارة المدينة الأصلية مستندا الى هذه الأوصاف الأدبية • وقد حظيت رسومه بالقبول ، مع بعض التعديلات ، من ك• أ• س• كريسول في دراسته عن العمارة الاسلامية الأولى • ولاجدال في أهمية مشاركاتهما لفهم المعالم الطبيعية الأولى ، كما أنه لاجدال في أهمية كتاب ليسترانج عن الخطط ؛ غير أن التدقيق في قراءة النصوص العربية ، والمحاولات الأنظم لربط الصور المعمارية بالأحوال التاريخية المتطورة ، سوف يقترح تعديلات أخرى كبيرة الأهمية • فمن الواضح أن هذه الجهود العلمية تثير عدة قضايا لن تحل الا عندما تجرى حفريات منتظمة في الموقع الذي يعتقد أن المدينة قامت عليه • أما الآن فان المصدر الأكبر للمعلومات عن خطط بغداد هو المصادر الادبية ؛ وأوسع مابقي من الأوصاف المتعددة لمدينة بغداد انما هي بلاريب مقدمة « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي •

يرجع نشر هذا النص الدقيق الى الجيل العلمي الأسبق ، وقد قام ج• سالمون بنشر بعضه مستندا الى مخطوطات قديمة ، وأرفقه بترجمة وتعليقات• وقد صدرت هذه الطبعة في باريس سنة ١٩٠٤م • ثم ظهرت بعد ذلك طبعة في القاهرة لكل الكتاب دون ترجمة أو تعليقات•ثم عرفت فيما بعد عدة مخطوطات جديدة ، وكلها متأخرة التاريخ نسبيا ، ومن المشكوك في أنها تقدم تعديلات أو تصليحات كثيرة في النص ، ذلك أن مثل هذا النوع من الكتب تنسخه الأجيال التالية عادة دون تعديل • ولما كان النص وترجمته الفرنسية يعد الى حد كبير معتمدا ، فان المرء ليتساءل ما الحاجة الى النشرة الجديدة للخطيب بالانكليزية ؟ ان الطبعة الفرنسية هي اليوم نادرة ، فاذا لم تتم طبعة جديدة ، وهو أمر غير محتمل ، فستنفقد الطبعة الفرنسية • يضاف الى ذلك أن في الطبعة الحالية تحديدات خطيرة : أنها لاتأخذ بنظر الاعتبار عدة مصادر ومواد

أدبية مهمة ظهرت بعد تلك الطبعة • يضاف الى ذلك أن مادوّن فيه من تعليقات لاتشمل بانتظام حتى المادة التي كانت معروفة آنذاك في المصادر التاريخية والجغرافية • وتزداد خطورة هذه المسألة عندما يأخذ المرء بنظر الاعتبار أن ليسترانج يقدم مادته دون تعليقات ، أما شتريك فانه اقتصر على مجرد اعداد جدول بالأماكن من غير أن يضع لها فهرسا • فالباحثون الذين يريدون تحديد موقع من المواقع عليهم ، لذلك ، أن يدققوا فهرس سالمون لمعرفة نصوص الخطيب ، وحتى في هذه الحالة فكثيرا ما لايجدون مايرضيهم ، فيعودون الى فهارس مختلف الكتب الجغرافية والتاريخية ، وهو أمر يستغرق وقتا طويلا في الأقل ، لذلك فان الكتاب الحالي يهدف أن يكون دليلا ملائما يُرْجَع اليه في خطط المدينة ، فهو يجمع ، ولكنه يختلف عن كتاب شتريك ، من حيث أنه يقدّم مواد في كتب مطبوعة منوعة •

ونظرا لأهمية الخطيب ، فان الحاجة الى ترجمة جديدة مصحوبة بالتعليقات تصبح واضحة ، بالرغم من أن هذا العمل لايعد بذاته عملا أصيلا• فنص الخطيب هو هيكل ملائم يمكن أن تضاف اليه مقدمة تفسر كيف يجب أن يقرأ الكتاب ، اذ أن التحليل الدقيق للمصادر التي استعملها المؤلف ستكشف عن أن وصفه كان الى حد كبير لايقوم على ملاحظات معاصرة ، بل يعكس أحوالا أقدم • فاذا عرفت أزمنتها من تاريخ المدينة فمن الممكن اقتراح طرق عدة تقوم بها التبدلات الخططية • ولن تكون مثل هذه الدراسة ممكنة الا بنص الخطيب ، لأنه الوحيد من الكتب الباقية عن بغداد الذي يقدم رواياته باسناد كامل ، ومع هذا لم يحاول أحد من قبل تمييز الطبقات الزمنية للنص ، فترجمة باريس في الواقع تحذف أي اشارة الى السند الكامل للمصادر ، كما أنها لاتبحث في أهمية المسانيد ، يضاف الى ذلك وجود عدد من الدراسات المكملة التي تقترح صورة جديدة للتطور العمراني والتاريخي للعاصمة العباسية ، وبنتيجة نشر كتاب ر• م• آدمز حديثا عن الارض المحيطة

بغداد*، أصبح الآن ممكنا أيضا لأول مرة اعطاء تحليل واضح للعلاقات المتبادلة بين الاحوال في المدينة وبين المناطق المحيطة بها ، وينتج من هذا أن الأفكار القديمة القائمة على الملاحظات العرضية ينبغي أن تزاح لتحل محلها فرضيات جديدة تستند الى بعض مواد احصائية • فاذا كان المناخ العام للفحوص التاريخية للشرق الأدنى الوسيط أخذ بالتبدل البطيء ، فان دراسة الحضرية الاسلامية ، ودراسة بغداد بصورة خاصة ، ينبغي أن تتبدل معها •

قد يُعْتَرَض بأن من المؤكد وجود بعض العهود والمشكلات التي لاتشملها الطبعة الجديدة مباشرة ، وهي بصورة خاصة الحقبة التي بين العهدين البويهي والسلجوقي ، والتي لم يشر اليها الا عرضيا ، هذا اذا كان قد أشار اليها ؛ هذا بالرغم من أن السطح الطبيعي للمدينة ، ومؤسساتها قد أصابتها آنذاك تغييرات عظيمة في عهد انحطاط ، كما يتجلى ذلك من دراسات مقدسي لخطط القرن الحادي عشر ، ومن دراسته الضخمة لابن عقيل •

لقد وضعنا نصب أعيننا دراسة بغداد في العهدين البويهي والسلجوقي، وجمعنا عنها مادة منوعة ، غير أنه سرعان ما اتضح أن هذين العهدين مكتظان بعدد من الأسماء البارزة والمخطوطات البعيدة عن متناول اليد ، فهما يختلفان عن الأزمنة السابقة التي تركت وخلفت مدا عاليا بفضل سلف سابق من العلماء، حين كانت طرق البحث التاريخي الدقيقة أقل اتقانا مما هي عليه اليوم • وقد يوجد شيء من جاذبية ساحرة لدراسة مدينة تعرضت لرجات كبيرة في مختلف جوانب الحياة ، غير أني آمل أن لايزال مناسبا الرجوع من جديد الى المدينة الأولى • اذ أن نتائجها ليست عديمة الأهمية للعهود المتأخرة أيضا • والكتاب في وضعه الحالي يبدو فيه التكرار ، ولكنه كتاب « مركَّب » يحتوي على نص ودراسات • ومع أن البعض سيقرأونه من أوله الى آخره ، الا أنه ينبغي أن يستطيع المرء فحص كل قسم على حدة وبصورة مستقلة الى حد ما ، والقيمة

---

* ينشر المجمع العلمي العراقي ترجمة هذا الكتاب ، وترجمة بحث الاستاذ مقدسي المذكور ادناه ، الى العربية (المترجم) .

العامة للكتاب كدليل ومرجع لخطط المدينة ، ينبغي أن لا تنسق مع الرغبة الهائلة لدقة التركيب •

تشمل الترجمة الفصول التي طبعها سالمون ، ما عدا الفصل الأخير عن المدائن (طيسفون) ، وهي كالملحق للمادة التي عن بغداد ، ولتحاشي الحلول التخمينية التي تستلزم مرافقة أية محاولة لتثبيت المواقع ، فان الكتاب الحالي انحصر في تعيين مختلف الأماكن من حيث نسبة بعضها الى بعض آخر ضمن حدود المنطقة العامة على الرغم من أنه لابد من الاعتراف بأن بعض النتائج التي توصلنا اليها لاتزال معضلة ، وقد ترجمنا التعابير الخططية الى الانكليزية، غير أنه كثيرا مايحدث لاسم مكان معين أن يمتد على مر الزمن الى المنطقة المجاورة ، فباب الطاق مثلا كان يطلق على بناء معين ، ثم امتد الى محلة بكاملها في الجانب الشرقي ، ففي هذه الحالات أبقيت التعابير الخططية العربية ، وترجمت حرفيا دفعا للالتباس الذي قد يحدث في تحوير ترجمتها ، وليرجع القارىء الى فهرست التعابير العربية في الملحق الذي يتبع النص • وقد ألحقنا بالكتاب أيضا الخرائط التي أعدها ليسترانج للمدينة • غير أن القارىء يدرك الآن أنها رسمت كليا تقريبا من المصادر الأدبية ، ولذلك فهي عرضة للمناقشة•

أما الاشارات الى الخطيب ، فهي الى طبعة القاهرة ، الا اذا ذكر بخلاف ذلك ، أما الأرقام التي في الحاشية ، فقد وضعتها للتعليقات ، وأما الموضوعة ضمن الأقواس ، فتشير الى ترقيم الصفحات في طبعتي سالمون والقاهرة ، وقد أبقيت كلمة بغداد كما تكتب باللغةالانكليزية عادة• أما اسناد النصوص بأسانيد مختلفة ، فعلى الرغم من أنها تستعمل في العربية كلمات منوعة ، مثل «حدثنا» وأنبأنا ــ وهذه الكلمات تختلف معانيها عند العلماء المسلمين ــ فاننا وضعنا في الترجمة في مكانها خط واحد مثل «أبو يعلى محمد بن الحسن ــ أبو طاهر ابن أبي بكر» ومعنى ذلك أبو يعلى محمد بن الحسن روى الرواية التالية عن أبي طاهر بن أبي بكر • ولاريب في أن بحثا أعمق في المصادر العربية

سيظهر معلومات عن بعض الشخصيات التي لم أستطع حتى الآن معرفة هويتها .

ليس من غير المألوف أنه مايكون الكتاب في المطبعة حتى تظهر مادة جديدة لها صلة بالموضوع ، غير أنه بسبب صعوبات الطبع لايمكن ادخال هذه المادة في الكتاب . وفي خلال المدة الطويلة التي كان فيها الكتاب في المطبعة ، ظهر عدد من هذه الدراسات ، ولابد من أن نلتفت الى كتاب مهم جدا ، فقد تسلمت نسخة من كتاب كتب باللغة الجورجية «عن تاريخ مدينة بغداد» ألفه الأستاذ « و. ف. تاكينشوى » وهذا الكتاب يحتوي ، بجانب تحليل المؤلف [١] ، على صورة فوتوغرافية للفصل الذي كتب عن بغداد في مخطوطة مشهد من كتاب «البلدان» لابن الفقيه ، الذي قضيت خمس سنوات أحاول فيها الحصول عليه ، ثم تسلمت بعدها من باريس صورة للنسخة الكاملة من الكتاب [٢] ، وسأبحث في هذه المواد في كتاب مستقل .

ولا ريب في أن قائمة تحوي أسماء جميع الذين ساعدوا في اعداد هذا الكتاب ، سوف تكون طويلة ، غير أنه ينبغي أن أشير بصورة خاصة الى الاستاذ فرانز روزنثال الذي كان أول من لفت نظري الى نص الخطيب ، وكان انسجامه العلمي الرصين ، واطلاعه الواسع ، قد فرضا علي مشكلات أساسية منوّعة ، ولولا ذلك لم أكن لأتطرق لها . ولما كان جزء كبير من هذا الكتاب قد كتب ابان السنة التي كنت فيها في آن آربر ، فلابد من تقديم كلمة شكر الى كل قسم لغات الشرق الادنى وآدابه في جامعة مشيغان ، وبصورة خاصة الى الاستاذ أوليج جرابار الذي تفَضَل بكتابة المقدمة، وقدّم بما تحلى به من روح العطف والذهن الوقاد مساعدة لا تثمن . ويمكنني أن أذكر أيضا صديقي العزيز جدا وزميلي السابق في الدراسة الاستاذ ابراهام

---

(١) ترجمه الدكتور حسين قاسم العزيز الى العربية ،(المترجم) .

(٢) نشرت ماكتبه ابن الفقيه عن بغداد ، مع مقدمة وتعليقات وافية (المترجم).

يودوفيتش من جامعة كورنيل . وان اعداد مثل هذا الكتاب الواسع بصرف النظر عن مزاياه ، يرجع الى حد غير قليل الىافراد خارج النطاق المباشر للدوائر الاكاديمية ، والقائمة هنا ضخمة أيضا ، غير أني أكتفي بالانتباه الى السـيد ساموبل شناوسر من نيويورك ، وأمينة سري الآنسة ماري آن بوشين التي كان عليها أن تطبع مثل هذا العدد الكبير من الاسماء والرموز الغريبة ، والسيدة سوزان كولثارب من فلننت ومشيغان وتانزانية وافريقية . أما المراحل الاخيرة للاعداد فقد أصبحت ممكنة بمنحة بحث للاساتذة من جامعة ولاية واين .

يعقوب ليسنر



المدخل

الخطيب البغدادي ووصفه المدينة

يكوّن المسلمون أمة واحدة تجمع كل أفرادها وتضمهم بعضهم الى بعض، غير أنه على الرغم من رابطة الأمة العامة كانت قوى مختلفة من الولاء الديني والجنسي والجغرافي تظهر نفسها ضمن التكوين الاجتماعي للاسلام ، وحين يتحدث الخطيب البغدادي عما يمكن عدّه من الجغرافية الثقافية ، يقسم العالم سبعة أقاليم مسكونة ، وهو يصف ما اختصت به كل منطقة من التكوين البشري والخصائص الاجتماعية الموروثة[1] ، ويشير في معرض المقارنة مع اقليمه ، الى عيوب الروم ، والسلاف ، والترك ، والصينيين ، والخراسانيين ، والشاميين ، وسودان الحبشة ؛ ومركز العالم هو الاقليم السابع الذي يشمل العراق وأهله الأفاضل . فمن السهل أن نفهم لماذا وضع الخطيب هذا الكلام الجغرافي في مقدمة كتابه « تاريخ بغداد » ، فان العراق كان مركز الكون ، وبغداد مدينته الكبرى ، وهو المركز الجغرافي للدولة ، وفيه مقام الخلافة .

ومن الصفات الخاصة بالاسلام في العصور الوسطى ، قيام مراكز حضرية كبيرة كانت بغداد من أعظمها لا في الترتيب الطبيعي لمحلاتها الواسعة وضواحيها ، بل كذلك في المناخ الفكري والديني الذي كوّنه علماؤها ورجالها الاتقياء ، فالرغبة في التفاخر بالمدينة أو الاقليم ، كانت نموا طبيعيا مرتبطا بهذا التطور الحضري ، وقد أدى على مر الزمن الى مجموعة من الادب المتنوع

---

(١) الخطيب ١/٢٢ ، ٢٣ .

المعروف عموما باسم «التاريخ المحلي» ، ولايمكن المبالغة في تقدير أهمية هذا الصنف في دراسة الحضارة الاسلامية ، لان النطـاق المحـدود للمؤرخـين المحليين أدى بهم الى التركيز على جزئيات مهمـة مـن الحيـاة الاقتصـادية والثقافية التي كثيرا ما تجاهلتها التواريخ العامة للدول والعالم • يضاف الى ذلك أن مثل هذه الكتب لم تكن دائما دراسات تقليدية تصف الحوادث التي تدور حول منطقة خاصة ، وانما كانت ، كتاريخ الخطيب ، كثيرا ما تتخذ شكل معاجم في التراجم ، فتعدد أبرز السكان بترتيب ألفبـائي أو زمني ، وكان مختلف المؤرخين المحليين كالخطيب يضعون أحيـانا لكتبهم مقـدمات فيها مداخل خططية مفصـلة تعطي صـورة للتنظيم الخططي والطبيعي لمحيطهم ، وبذلك يضيفون بُعدا آخر لدراسة المدينة في الشرق الادنى •

فمن المناسب والمفهوم أن كتابا كبيرا من هذا النوع من اوائل العصور الوسطى يهدي الى مدينته الكبرى • اذ أن بغـداد على الرغم مما عـرض للخلافة من تقلبات سياسية من يـوم أن أسسها المنصـور (١٤٥هـ/٧٦٢م) حتى مجيء البويهيـين (٣٣٣هـ/٩٤٥م) ظلّت المركـز الرئيسـي للعـالم الاسلامي • والواقع أن عددا من معالمها الرئيسة قاومت الانحطاط في الاجيال التالية ، ومع ذلك رافقت ازدياد ضعف السلطة المركزية منذ البدايـة عيوب جردت المدينة من حيويتها وقلصت مصادرها الطبيعية والبشرية ، ولكن حتى في هذه الحالة كان في امكان البغداديين أن يَعتَزّوا أنفسهم بأن المدينة ، مع تدهور عظمتها الدولية ، ظلت مختلفـة عن جميع المدن الاخرى ومتفوقـة على غيرها (٢)

واذا كانت هذه العظمة الدولية هي الصورة الطبيعية التي أراد الخطيب أن يعرضها في مقدمته الخططية ، فان الاجزاء الاخرى المخصصـة للتراجم ليست الاصدى للاعتداد بالمناخ الفكري لبغداد ، ولم تكن التراجم مجرد تعبير عن المديح للفكر المحلي ، فان كتاب الخطيب والتواريخ الاخرى التي نسجت

---

(٢) كذلك ١١٩ •

على منواله ، كان بقاؤها نتيجة للدراسة العلمية الشاملة وللحاجة التربوية لهذه الكتب في مختلف مراكز الدراسات الدينية . ولكن ماذا عن المقدمة ؟ ان عموم الكتاب يتبع في بحثه الدقة التي اتسمت بها العلوم الدينية عموما ، أما المقدمة فتختلف عن ذلك ، اذ هي مقدمــة خططية عرضت بطريقة صُدفيــة ، وغايتها الوحيدة هي تمجيد التخطيط الطبيعي للمدينة ، ليكون مقدمة للدراسة الدينية التي كانت أساس اهتمام المؤلف ، ومع هذا فان المقدمة على الرغم من ترتيبها الكيفي هي وصف واسع لتخطيط بغداد ، وهي حقا ذات أهمية كبيرة اذا علمنا أنه لم تجر حتى الان أية حفريات أثرية كبيرة في الموقع الذي يفترض أن بغداد قامت فيه ؛ فلابد لاية محاولة لاعــادة تصور المدينــة تبعا لعهودها المتعاقبة أن تعتمد على معلومات خططية متخصصة ، ومثل هذه الدراسة تتطلب التثبت من صحة بعض المواد ، وقد تثبت أيضا بدقة تاريخ مختلف الروايات ، وبذلك تقدم الهيكل الذي ينبغي أن يستند اليه كل تاريخ خططي للمدينة . ولما كانت مقدمة الخطيب أكثر البحوث من نوعها تفصيلا لاسباب متعددة ، فهي لذلك المفتاح لاية دراسة من هذا النوع .

الأوصاف الخططية الأولى

في سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م بنى المنصور المدينة المدورة على الشاطىء الغربي من دجلة لتكون عاصمته • وقد أخذت المدينة بعد اكمال بنائها بأمد قصير النمو السريع لبغداد الذي بدأ في حياة مؤسسها قد استلزم لاغراض ادارية جمع بعض المعارف في ضمنها وصف منظم لتكوينها الطبيعي ، أي قائمة بمختلف الاماكن التي تقع بقرب بعضها من بعض في منطقة واضحة التحديد ، بالمقابلة مع النصوص العرضية ذات الاهمية الخططية ، لذلك يبدو من الراجح أنه منذ بداية خلافة المنصور بدىء بتسجيل مثل هذه الاوصاف استجابة للحاجات الادارية للدولة العباسية[٣] ، وقد ضاعت الروايات الاولى ، غير ان بعض ما فيها من مواد ، اضافة الى الادلة السائدة ، قد دوّنتها الكتب الجغرافية والتاريخية المتأخرة من القرن الثالث (٩م) الى القرن السادس (١٢م) التي من آخرها وأهمها تاريخ الخطيب •

---

(٣) انظر ليسنر : ملاحظات عن خطط بغداد «الخطيب البغدادي ووصف المدينة» مجلة الجمعية الشرقية الامريكية ٨٣ (١٩٦٣) ٤٥٩ ـ ٦٠ ويجدر بالذكر أيضا كتاب معجم البلدان لياقوت ومختصره «المراصد» اللذين لاتقدر قيمتهما في دراسة المدينة ، غير انهما لن يدرسا هنا لأن المعلومات فيهما مرتبة عموما بحسب الترتيب الألفبائي ، وليس فيهما أوصاف منظمة. والمقدمة مستندة ـ الى حد كبير ـ الى ملاحظاتي في مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية ، أما عن الجغرافيين العرب عموما ، فانظر كتاب ميكويل «الجغرافية البشرية للعالم الاسلامي حتى أواسط القرن الحادي عشر» (باريس ١٩٦٧) .

وانظر ايضا أ. ج. كراتشوفسكي «الأدب الجغرافي» (وقد ترجمه الى العربية الدكتور عثمان هاشم (القاهرة ١٩٦٣) (المترجم) .

ولما كانت الاوصاف المنظمة لبغداد قد رتبت عموما تبعا للمحلات ، ومساوقة لشرايين المواصلات الرئيسة من الطرق والانهار ، فمن المفهوم أن أقدم المصادر الباقية من ذلك هي كتب المسالك ، وأقدم ما بقي من هذا الصنف من الكتب هو كتاب البلدان لليعقوبي (حوالي ٨٩١م)(٤) ، وقد قدّم اليعقوبي لفصله عن التنظيم الخططي والطبيعي بمقدمة فيها بعض الملاحظات التاريخية ، وعبارات مديح عامة • ثم بدأ يتحدث عن أقدم منطقة سكنية اسلامية رئيسة ، وانتقل بعدها الى العناصر المعمارية للمدينة المدورة وطرقها ، فوصفها بالتفصيل ، ثم ثنى عليه بوصف خططي للمناطق المجاورة بدأه بالجانب الغربي من بغداد ، ثم أنهاه بوصف للجانب الشرقي أقصر جدا • ولا يختلف كتاب اليعقوبي عن الكتب الاخرى من هذا الصنف ، فهو لا يذكر مصادره ، غير أنه يشير في نهاية كلامه الى أن وصفه قائم على ما كانت عليه بغداد في أيام المنصور (ت ١٥٨/٧٧٥م) والمهدي (ت ١٦٦/٧٨٣م)(٥) ، والظاهر أن هذا الكلام يؤيده وصفه المقتضب للجانب الشرقي ، اذ أن بناء الجانب الايسر من دجلة كمل في زمنه ، ولكنه أصبح منطقة سكنية رئيسة في عهد المهدي ، ثالث الخلفاء العباسيين • فالرواية يمكن أن تكون لها فائدة قصوى في رسم مجرى نموها •

أما الكتب الجغرافية الاخرى التي انتهت الينا ، وفيها مثل هذه الاوصاف المنظمة ، فهي كتاب « عجائب الاقاليم السبعة » لسهراب ، (حوالي ٩٢٥)(٦)،

---

(٤) طبعه دى غويه (الجزء السابع من المكتبة الجغرافية ، ليدن ١٨٩٢) ، ص ٣٨ ــ ٥٤ . انظر ايضا بروكلمان ، الملحق ٤٠٥/١ وانظر ايضا ميكويل ص ٤٠٥ .

(٥) البلدان ٢٥٤ .

(٦) طبعه هـ. مزيك (ليبزج ١٩٣٠) انظر بروكلمان ، (الملحق ٤٠٦/١)، وقد طبع ليسترانج الاقسام المتعلقة بالانهار وترجمها الى الانكليزية .

وكتاب البلدان لابن الفقيه (حوالي ٩٠٢م)[٧] ويعد كتاب سهراب تكرارا على هذا الاطلاق ، لكتاب « صورة الارض » للخوارزمي [٨] ، غير أنه يختلف عن بقية الكتب العلمية المألوفة عن العجائب من حيث ان فيه بعض المواد الخططية المهمة عن الانهار والقنوات في العراق . واهم ما يتصل بالدراسة الحاضرة هو الوصف المنظّم لمختلف الاماكن التي تقع على أنهار بغداد ، التي رتب معظمها تبعا لثلاث مناطق كبيرة وهي ربض الكرخ الواقع في الجنوب الغربي ، وربض الحربية الواقع في الشمال الغربي ، ثم مواضع الجانب الشرقي . وسهراب كاليعقوبي ، لا يشير الى مراجع أقدم ، غير أنه يختلف عن اليعقوبي من حيث ان كتاب البلدان يدعى أنه يصف المنطقة كما كانت في حقبة معينة ، هي زمن المنصور والمهدي . أما كتاب العجائب فلا يمكن معرفة التاريخ الذي ينطبق عليه وصفه الا من الادلة الباطنية ، ومع هذا فيتضح جيدا من محتوى النص أن سهراب يصف أحوال الانهار في بغداد كما كانت في أيام المقتدر (٢٩٥-٣٢٠/٩٠٨-٩٣٢م) ، وبذلك ثبت أنه ثاني أهم كتاب كتب عن النمو الخططي للمدينة. والمادة التي حواها كتاب سهراب تتطابق مع الفصل الذي كتبه الخطيب عن أنهار المدينة ، ولذلك يمكن الافتراض بأنه كان مصدر المعلومات لتاريخ بغداد[٩] ، وهي والحق يقال ذات أهمية كبيرة سوف نبحثها بتفصيل أوسع عند مناقشة ذلك الفصل .

ان النص المطبوع من ابن الفقيه ، يتضمن وصفا لبغداد [١٠] ، غير انه مختصر يرجع الى القرن الحادي عشر الميلادي لكتاب أوسع من ذلك كثيرا ،

---

(٧) بروكلمان ١/٢٦٠ الملحق ١/٤٠٥ - ٦ أنظر ايضا ميكويل ، الفهرست ٤٠٨ .

(٨) مقدمة مزيك لنص سهراب ص ٦ فما بعد . كتاب صورة الارض. ليبزج ١٩٢٦ ، أنظر أيضا الفهرست ٤٠٨ .

(٩) أنظر النص أدناه .

(١٠) طبعه دى غويه (المكتبة الجغرافية ٧) ليدن ١٨٨٥ .

وهو محفوظ[11] بمخطوطة اكتشفت في «مشهد» [12] . ولما كان الوصول الى هذا الكتاب متعذرا ، لم أر المخطوطة ، ولكن رأيت وصفها المختصر الذي كتبه أ. زكي وليدى ، وبول كاله ، وفلاديمير مينورسكي [13] ، وقد بحث بعض المواد التي فيها الدكتور عبدالعزيز الدوري في مقاله عن بغداد في دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الثانية) . وعلى أساس هذه التعليقات المقتضبة يظهر أن الكتاب الأصلي لابن الفقيه يحتوي على نوع من المادة عن الترتيبات المعمارية والطبيعية للمدينة ، وهي موجودة أيضا في مقدمة كتاب الخطيب ، وهي لذلك مصدر كبير للمعلومات عن خطط بغداد ، بالرغم من أن عدم الاطلاع على المخطوط يجعل من المستحيل تقرير أية علاقة قد توجد بين هذا النص والأوصاف الاخرى المعروفة عن المدينة .

ومن المؤكد أن المصادر الادبية من غير الكتب الجغرافية ، كانت فيها محاولات أخرى لوصف تنظيمات خطط بغداد ، غير أن مادة هذه المصادر التي لابد أنها كانت واسعة في أوائل العصور الوسطى ، لم يبق منها الا بعض النتف القليلة المبعثرة ، اضافة الى الكتب الباقية المذكورة آنفا ، والواقع أنه

---

(١١) مقدمة دى غويه لنص ابن الفقيه ص ٨ .

(١٢) مخطوطة مشهد فهرست ١٧/١ ، ٢ مصورة برلين محفوظات .

(١٣) المجلة الآسيوية ٢٠٤ (١٩٢٤) ص ١٤٩ فما بعد . المجلة الجغرافية ٤٠ (١٩٣٤) ٣٦٨ ، مجلة جمعية الاستشراق الالمانية ZDMG ٨٨ (١٩٤٩-٤٣-٤٥) مجلة مدرسة اللغات الشرقية والافريقية BSOAS ١٣ (١٩٤٩-٥٠) ص ٨٩ هامش ٥ . وقد حصلت على هذه المخطوطة المهمة جدا خلال مرحلة نشر هذا الكتاب (لقد قمت بطبع الجزء المتعلق ببغداد في كتاب منفصل ، وقد اعارني المرحوم الاستاذ بول كاله عندما كنت أعد بحثي للدكتوراه نسخة مصورة من مخطوطة مشهد ، وهي فيما عدا الفصل المكتوب عن بغداد . ضمت معظم الكتاب الذي طبعه دى غويه ، مع اضافة الفصل الطويل عن بغداد ، وفصولا اقصر عن سامرا وعن منطقة واسط ، واعادت تدوين قوائم جباية العراق التي أوردها ابن خرداذبه ، اضافة الى عدد من الاضافات المشتتة القصيرة (المترجم) .

يمكن كشف بعض هذه الكتب عن طريق جهود الخطيب ، اذ أن عنايته بذكر مساند الاخبار التي أوردها ، مكنتنا من معرفة مصادره ومن تكوين فكرة عن محتوى كتب أحمد بن ابي طاهر طيفور (ت ٢٨٠/٨٩٣)[١٤] ومحمد بن خلف وكيع (ت ٣٠٦/٩١٨)[١٥] ، وابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي نفطويه (ت ٣٢٤/٩٣٥)[١٦] ، وكلهم كانوا متعاصرين تقريبا ومن طبقة علمية واحدة.

فأما وصف أحمد بن أبي طاهر طيفور للمدينة ، فموجود في مقدمة كتابه « تاريخ بغداد » الذي بقي بعضه ، وهو نوع من كتب « الأدب » ، ويتركز على الشخصيات البارزة في زمانها [١٧] ، وقد فقدت مقدمة هذا الكتاب ، غير أن مصدرا اندلسيا وصفها باقتضاب ، فقد ذكر أن أحمد بن محمد الرازي كتب (وصفا لقرطبة وبحث عن خططها ومنازل أشرافها على ما فعله أحمد بن أبي طاهر طيفور في «أخبار بغداد»)[١٨] غير أنه لم يذكر الترتيب الحقيقي لهذا الوصف ، كما أن المقتطفات القليلة من كتاب ابن طيفور التي أوردها الخطيب ليس فيها أدلة كافية تبين كيف كانت بالضبط طبيعة الشكل الأصلي . ويبدو أن هذا التاريخ كان مصدرا للمعلومات الخططية لوكيع الذي يقتبس من ابن طيفور دون أن يذكر اسم كتابه [١٩] ، وبذلك

---

(١٤) أنظر بروكلمان ١٤٤/١ الملحق ٢١٠/١ .

(١٥) أنظر الخطيب ٢٢٦/٥ ــ ٧ بروكلمان : الملحق ٢٢٥/١ .

(١٦) أنظر بروكلمان : الملحق ١٨٤/١ .

(١٧) المفروض أن هذا الكتاب هو نفس اخبار الخلفاء ، أنظر روزنثال : تاريخ علم التاريخ الاسلامي ليدن (١٩٥٢) ص ٣٣٥ هامش ٦ وهو يقتبس من السخاوي : الاعلان ١٢٣ ، وقد أكمل هذا الكتاب فيما بعد ابنه عبيدالله (روزنثال ٧٢ ، ٣٨٦ هامش ٥ انظر أيضا المقرى ط دوزى واخرون ١٣/٢) .

(١٨) روزنتال ١٣٣ وهو يقتبس عن الحميدي : جذوة المقتبس مخطوطة البودليان Hunter رقم ٤٦٤ ، Uri رقم ٧٨٣ ص ١٤٥ = طبعة القاهرة ٩٨ .

(١٩) أنظر الخطيب ٨٨/١ ، ٩٤ .

فان مقتطفات منه بقيت في « تاريخ بغداد » .

ومع أن وكيع معروف بالدرجة الاولى بكتابه « أخبار القضاة » فان « تاريخ بغداد » يذكر في الترجمة التي ورد فيها أن له كتابا عنوانه « كتاب الطريق »[٢٠] ، ويدل عنوان هذا الكتاب على أنه ، كما يقول الفهرست ، كتاب جغرافي من طراز كتب المسالك [٢١] ، ولما كانت أقدم الأوصاف المنظمة لبغداد موجودة في كتب أخرى من هذا النوع ، أي في اليعقوبي وابن الفقيه ، وان وكيعاً هو المصدر الرئيس للخطيب في وصفه المنظم للمدينة ، فهل يمكن أن يكون « كتاب الطريق » هذا يتضمن مثل هذا الوصف ، وأنه لذلك اقتبس منه الخطيب كثيرا في مقدمة « تاريخ بغداد » ؟ ان قيمة مواد وكيع تتجاوز النصوص الفنية ذات القيمة الجغرافية ، اذ أن كون كافة الأوصاف المعروفة للمدينة من القرن الثالث (٩م) والرابع (١٠م) لاتحتوي الا على هذه المقتطفات له دلائل خاصة عن المصادر الاولى ، وهي ، اضافة الى أحمد ابن أبي طاهر طيفور ، تشمل أيضا محمد بن موسى الخوارزمي (ت ٢٣٢/٨٤٦)[٢٢]، والحارث بن أبي أسامة (ت ٢٨٣/٨٩٦)[٢٣] ، وأحمد بن الهيثم [٢٤] ، وأبا زيد الخطيب [٢٥] ، غير أنه لاتوجد وسيلة لتقرير الشكل الذي كانت عليه كتبهم . ومما تجدر ملاحظته أن الخوارزمي ، وهو رياضي مشهور ، كان مؤلفا لكتب جغرافية وتاريخية . أما الحارث بن أبي أسامة

---

(٢٠) كذلك ٥/٢٨٦ .
(٢١) الفهرست ١١٤ .
(٢٢) انظر بروكلمان الملحق ١/٣٨١ ، ٤٠٤ انظر ايضا ميكويل : الفهرست ٤٠٨ وخاصة ٢١ وهو يقرنه بمحمد بن موسى بن شاكر (ت ٢٥٩/٨٧٣) .
(٢٣) انظر بروكلمان الملحق ١/٢٥٨ (وقد نقل الخطبي في كتابه مختصر تاريخ الخلفاء كثيرا عن الحارث بن ابي اسامة ، كما نقلت عنه عدة كتب أخرى كالجهشياري ، والطبري ، وترجم له الخطيب ٨/١٨) (المترجم) .
(٢٤) لم تعين هويته .
(٢٥) لم تعين هويته .

فكان عالما واسع المعرفة . وهكذا كانوا ، جميعهم أو بعضهم ، مؤلفين لمصادر مكتوبة عن خطط بغداد .

ويتضمن كتاب الخطيب أيضا نصوصاً خططية عدة مأخوذة من نفطويه [٢٦] الذي يمكن أن يعد ، بعد وكيع ، أهم مصدر للخطيب عن مثل هذه الأخبار ، ويذكر الخطيب في الترجمة التي أوردها في تاريخ بغداد لنفطويه أنه ألف كتابا في التاريخ [٢٧] ، غير أنه لاتوجد عنه اشارة في الكتب الكبيرة ، ولايوجد دليل يستدل منه على أنه كان تاريخا محليا فيه مقدمة خططية مشابهة لمقدمة ابن طيفور أو الخطيب . فمن الممكن اذن أن تكون المقتطفات المنسوبة الى نفطويه مأخوذة من مصدر غير هذا الكتاب ، ذلك لأن الأشكال العرفية في الكتابات التاريخية لايبدو أن فيها مادة من هذا النوع .

---

(٢٦) انظر الملحق الاضافي للمقدمة .

(٢٧) الخطيب ١٥٩/٦ .

الخطيب و « تاريخ بغـداد » [28]

ان الفصول التسعة والعشرين التي تكون مقدمة « تاريخ بغداد » ليس فيها الا أربعة فصول تحتوي وصفا تفصيليا للمدينة ، وهي : فصل عن المدينة المدورة ، وفصلان عن الجانبين الغربي والشرقي ، وفصل عن أنهار بغـداد • وتحتوي بعض الأقسام الاخرى على مواد خططية مهمة ، غير أنها مقتطفات عامة منثورة ، ليس لها شكل الأوصاف المنظمة • وتحليل مصادر هذه الفصول الأربعة يميل الى تأييد الآراء المذكورة أعلاه •

المدينـة المدورة[29]

ان أقدم منطقة بناها وسكنها العباسيون هي (مدينة السلام) ، أو (المدينة المدورة) التي أكمل بناءها الخليفة المنصور على الجانب الغربي من دجلة في سنة ١٤٩/٧٦٦ ، وقد ذكر الخطيب عدة قياسات لهذه المدينة ، معتمدا عـلى خمسة أسانيد مختلفة•

---

(٢٨) أكمل دراسـة لحياته ومؤلفاته هي دراسـة يوسـف العش « الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها » دمشق ١٣٦٤/١٩٤٥م• وانظر أيضا ابن الجوزي ، المنتظم ٢٦٥/٨ ـ ٧٠ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ـ باريس : مخطوط ١٥٠٦ ورقة ١٣١ ـ ٢ اقتبسه سالمون تاريخ ص ٣ ـ ١٠ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢٧/١ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ١٤ ، ١٤ بروكلمان ٤٠٠/١ ـ ١ الملحق ٥٦٢/١ ـ ٦٣ . انظر أيضا ميكويل : الفهرست ص ٤٠٨ .

** نضـيف الى ما تقدم الدراسـة الناضـجة التي نشـرها الدكتور اكرم ضياءالدين العمري « موارد الخطيب في تاريخ بغداد » دمشق ١٩٧٥ ، (المترجم) .

(٢٩) الخطيب ٦٩/١ ـ ٧٩ أنظر أيضا هرزفيلد : رحلة آثارية في بلاد الفرات ودجلة (بالالمانية) برلين ١٩٢١ ، ٧/٢ ـ ٣٠ .

١ــ رواية أحمد (بن) البربري [٣٠] •

٢ــ رواية بدر حاجب المعتضد (حوالي ٢٧٩هـ ــ ٨٩٢م) [٣١] •

٣ــ رواية رباح البناء (حوالي سنة ١٤٨ هـ ٧٦٤ ــ ٧٦٥م) [٣٢] •

٤ــ رواية محمد بن خلف وكيع ، نقلا عــن يحيى بن الحســن بــن عبدالخالق [٣٣] •

٥ــ رواية محمد بن خلف وكيع (توفى سنة ٣٠٦هـ ــ ٩١٨م)[٣٤] •

ان كلا من الاسناد : (٢) (٣) (٤) ، مصادره أشخاص معروفون تاريخيا، والراجح أنهم لم يؤلفوا كتبا في الموضوع • أما الرواية الاولى التي لم أستطع التحقق من هوية صاحبها ، فهي تعليق قصير ، ولذلك ليس من الضروري أن تكون قد اقتبست من نص طويل في وصف المدينة ، غير أن الرواية الخامسة فيها الوصف المفصل الوحيد للمدينة المدورة ، وهي أيضا لوكيع الذي هو الاسم الاول في الاسناد الذي استمد منه الخطيب معلومــاته عــن الخطط المنظمة لبغداد[٣٥] • وقد لاحظنا من قبل أن كتاب اليعقوبي يحتوي أيضا على وصف للمدينة المدورة وما جاورها من المناطق ، غير أن الخطيب صرّح مرة واحدة بنقله عن اليعقوبي كمصدر لمعلومات تاريخية [٣٦] ، ولم يستفد منــه

---

(٣٠) الخطيب ٦٩/١ ، ٩/٢ ــ ١٦ .

(٣١) كذلك ١٦/٢ ــ ١٨ .

(٣٢) كذلك ص ٧١ ، ١٧/٢ ــ ٢٠ .

(٣٣) كذلك ص ٧٠ ، ١٩/١ ، كان يحيى عم الوزير الفضل بن الربيع : أنظر الطبري : الفهرست .

(٣٤) كذلك ٧٣ ــ ٧٤ .

(٣٥) السلاسل التالية لهذا الاسناد هي :
الحسن بن محمد السكوني (غير معروف) .
محمد بن جعفر النحوي (ت ٤٠٢/١٠١١) (الخطيب ١٥٨/٢ ــ ٥٩) .
أحمد بن علي المحتسب (ت ٤٤٢/١٠٥٠) (الخطيب ٩٤/٣ ــ ٥) .

(٣٦) الخطيب ٦٩/١ .

في وصفه الخططي لبغداد ، بالرغم من أن القسم الخاص في اليعقوبي عن المدينة مفصّل ، ولاتقدر قيمته كمكمل لـ «بغداد» ، وخاصة في كلامه على (المدينة المدورة) ودروبها •

الجانبان الغربي والشرقي :ـ

لقد قسمت مناطق الأرباض حول (المدينة المدورة) الى أقسام على جانبي دجلة ، وصفها الخطيب وصفا مفصلاً معتمدا الى حد كبير على رواية وكيع • غير أن هذا الوصف الخططي المفصل لم يكن منتظما دائما ، فكان في بعض الأحيان يفتقد الترتيب المنطقي لتسلسل تعاقب الأماكن • ومن الصعب أن نبت في سبب ذلك ، هل مردّه الى طبيعة الرواية الاصلية ، أم الى نتيجة المعالجات التالية لبقية حلقات الاسناد • هذا بالرغم من أن المرء قد يشك في أن هذا التنظيم المضطرب يرجع الى الروايات الاولى ، اذ أن من الواضح أن وصف الخطيب للجانبين الغربي والشرقي بشكله الحالي لايأخذ بنظر الاعتبار ماحدث ابان حياته أو القرن الذي سبقه في نمو المدينة من التبدلات الكبيرة ، مثل اهمال اصلاح نظام القنوات ، وبصورة أخص بناء دار المملكة البويهية [٣٨] وانهدام القصور التي على شاطىء دجلة في عهد السلاجقة [٣٩]، فان هذه الأحداث الأخيرة لم تقتصر على تغيير وجه بغداد تغييرا واضحا، ولكن ، نظرا الى آثارها السياسية المهمة ، كان لابد لها أن تؤثر حتى في أبسط الملاحظين ، ولذلك فمن الواضح أنه استعمل المصادر القديمة ، والأهم

---

(٣٧) كذلك ص ٨٣ ـ ٩٨ •

(٣٨) خصص الخطيب فصلا كاملا لدار المملكة ، غير انه لم يضع هذه المادة في وصفه المنظم للمدينة (انظر ١/١٠٥ ـ ٧) •

(٣٩) انظر مقال « مقدسي » : « خطط بغداد في القرن الحادي عشر : مادة وملاحظات » المنشور في مجلة « العربية » (سنة ١٩٥٩ ص ٢٨٢ ، ٢٨٥) •

** يصدر المجمع العلمي العراقي ترجمة هذا البحث (المترجم) •

ملاحظاته الخاصة ، دون أن يبدل صورة المدينة كما صورتها الروايات الاولى، ويتجلى هذا بصورة واضحة في بحث الخطيب عن أنهار المدينة .

أنهار المدينة (٤٠)

ان مادة الخطيب في هذا الفصل مستمدة من رجل اسمه عبدالله بن محمد بن علي البغدادي ، وهي تتطابق في محتواها ولغتها مع رواية مذكورة في الجغرافية العلمية لسهراب (حوالي ٣١٣هـ/٩٢٥م)(٤٠) ، وهذه الرواية عن الأنهار تشمل وصفا مفصلا لمختلف الأماكن الواقعة على مجرى هذه الانهار ، وهي ذات أهمية خاصة لأنها تثبّت مواقع عدة أماكن لم تذكر في أي وصف خططي آخر لبغداد ، وتعطي أوسع مواد مفصلة نعرفها عن التكوين الباطن الاقتصادي للمدينة ، ومما يلفت النظر أن الخطيب اعتمد اعتمادا كليا على هذه الرواية في كلامه على الانهار . ولعل ذلك راجع الى أنه لم تتوافر له مواد جغرافية أحدث ، غير أن من المهم أنه أخفق في ملاحظة التبدلات المهمة في نظام القنوات منذ سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م(٤٢) ، على الرغم من أن ملاحظة عرضية في فصل آخر تبين أنه كان يعرفها جيدا ، وأن كثيرا من الانهار دَرَست(٤٣)، وهكذا قدم الخطيب فصلا كاملا عن أماكن زالت من الوجود دون أن يذكر أي تعليق نقدي . ويبدو أن الخطيب باخفاقه في اعادة دراسة المادة الخططية التي كانت تحت تصرفه ، أظهر قلة اهتمامه العلمي بهذا النوع من المعرفة ، وهذا شيء مؤمل من عالم انصب كل علمه واهتمامه على العلوم الدينية وليس على الجغرافية ، ولهذا الموقف أهمية خاصة لفحص علاقة كتاب الخطيب بتواريخ بغداد الاخرى المعروفة ولتقدير قيمة « تاريخ بغداد » كمصدر للتاريخ الخططي للمدينة .

---

(٤٠) الخطيب ١/١١١ ــ ١٥ .

(٤١) سهراب : عجائب الاقاليم السبعة ص ١٢٣ ــ ٢٤ ، ١٣١ ــ ٣٤ ابن سيرابيون ٢٤ ــ ٢٦ .

(٤٢) ابن مسكويه : تجارب ٤٠٦/٢ المنتظم ١٦٨/٦ ابن الاثير : الكامل ٥١٨/٨ .

(٤٣) الخطيب ٧٩/١ .

الخطيب والتاريخ المحلي

ان سمعة الخطيب العظيمة في العلوم الدينية ، يعترف بها مختلف مترجميه الذين ينسبون اليه تأليف ما لايقل عن ستة وخمسين كتابا [٤٤] ، ذكر ابن الجوزي منها واحدا وأربعين [٤٥] • وقد بقي عدد من هذه الكتب ، ومنها كتابه « تاريخ بغداد » الذي قال ابن خلكان[٤٦] فيه : « لو لم يكتب غير تاريخه لكفاه شهرة » • ويتكون المطبوع من هذا الكتاب (القاهرة ١٣٤٩ /١٩٣١) من أربعة عشر مجلدا في التراجم مرتبة بحسب الحروف الألفبائية ، وربما حاد عن هذا الترتيب في بعض المواضع • وفي هذا الكتاب عناية خاصة بالفقهاء والمحدثين مما يدل على أن هذا الكتاب قصد منه أن يكون مساعدا للمشتغلين بالعلوم الدينية أكثر من كونه تاريخا دنيويا عرفيا يبحث في الأحداث المحلية ، غير أنه من الجدير بالملاحظة أن القسم الخاص بالتراجم قد سبقته مقدمة مفصلة فيها معلومات حضارية وتاريخية ذات أهمية عامة ، وكذلك مما يتصل بدراستنا الحالية أخبار وصفت بعضها بجانب بعض عن الخطط والتاريخ ، وهي تكون واحدا من أهم المصادر عن الترتيب الخططي الطبيعي للمدينة •

وكتب الجغرافية الوصفية ـ مع انها مصادر المادة الخططية لبغداد ـ

---

(٤٤) يقول ابن الجوزي انه ألف ستة وخمسين كتابا (المنتظم ٢٦٦/٨) . اما ابن خلكان فيذكر له اكثر من ستين كتابا (الوفيات ٧٦/١) .

(٤٥) المنتظم ٢٦٦/٨ = مرآة الزمان ورقة ١٣١ اقتبسه سالمون : تاريخ ٨ ـ ١٠ .

(٤٦) ابن خلكان : وفيات ٢٧/١ .

لم تنفرد في تقديم مثل هذه المعارف ، فهناك ، اضافة الى الخطيب ، كانت المقدمة المفقودة لأحمد بن أبي طاهر طيفور الذي اشتهر كتابه «أخبار بغداد» بأنه أول كتاب من نوعه، وقد اقتبس منه بعض المعلومات الاحصائية (٤٧) . ولعل مقدمته المفقودة كانت تحتوي أيضا على شيء مثل هذه المادة ، مما يدل على الصلة بين النصين . وهذه الفكرة جذابة ، الا أنه لاتوجد أية اشارة الى أن الخطيب اعتمد بصورة مباشرة على أحمد بن أبي طاهر طيفور في وصفه المدينة ، وان كنا اشرنا من قبل الى أن بعض المعلومات من المقدمة المفقودة قد وصلت الى الخطيب من طريق وكيع الذي اتخذ ابن طيفور مصدرا (٤٨) ، ومن الممكن طبعا أن تكون معلومات وكيع التي لم تذكر مصادرها الاولى ، كانت معتمدة الى حد كبير على ابن طيفور الذي وصف بأنه أول من ألّف في مثل هذا النوع من الكتب . غير أن المرء يتساءل : لماذا لم يذكر الخطيب ذلك كثيرا في هذه المناسبة مع أنه كان يعرف الكتاب واقتبس منه في بعض المواضع ؟ .

كان تاريخ الخطيب معجم تراجم بالدرجة الأولى ، أما كتاب ابن طيفور فيختلف عن ذلك ، فانما وصل الينا منه يدل على أنه كان تاريخا دنيويا مفصلا يروي الحوادث التي تدور حول بغداد ، أي أنه يتابع الأسلوب المتبع في كتابات التاريخ العام (٤٩) ، ويبدو أن « تاريخ الموصل » لأبي زكريا الأزدي كان مرحلة انتقال بين ابن طيفور و «تاريخ بغداد» الموجّه دينيا (٥٠) ، وتظهر المقتطفات في الكتب من هذا الكتاب أنه كان كتاب تراجم لعلماء الحديث في

---

(٤٧) الخطيب ١١٧/١ ، ١٢٠ .

(٤٨) عن المصادر الاخرى التي اقتبست من طيفور ، انظر : روزنثال ، التاريخ ص ٣٨٦ هامش ٥ .

(٤٩) طبعه في اوربا كللرت (ليبزج ١٩٠٨) انظر روزنثال ص ٧٢ الذي يقتبس من القفطي تاريخ الحكماء ص ١١٠ فما بعد .

(٥٠) أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس الازدي (ت ٣٣٤/٩٤٥ ــ ٦) انظر بروكلمان الملحق ٢١٠/١ .

تلك المدينة ، وقد رتبت التراجم بحسب الطبقات [٥١] ، غير أن الاقسام الباقية من هذا الكتاب في مخطوطة فيها عناصر للتاريخ الحولي أي أخبار ، تشمل المدة بين سنة ١٠١ ــ ٢٢٤هـ[٥٢] ، وقد خمَّن بعضهم أن هذه قد تكون قسما منفصلا من الكتاب ، أو أنها قد تكون كتابا مختلفا وجعلت طبقات علماء الحديث جزءا مرفقا به ، ان هذا التخمين دليل اضافي اذا استطاع المرء الافتراض بأن زكرويه (؟) الموصلي الذي ذكره المسعودي مؤلفا لكتاب تاريخ الموصل وأخبارها ، هو أبو زكريا الأزدي نفسه المذكور اعلاه [٥٣] ، بل حتى لو كان الأمر كذلك ، فانه لاتوجد أية اشارة الى أن هذا الاسلوب الخاص كان مستعملا في أي تاريخ معروف لبغداد ، بالرغم من أنه يبدو خطوة منطقية في تكوين هذا الأدب .

ان مشاركة الخطيب في تطور مثل هذا النوع من التأليف كانت في ترتيب التراجم الذي أعقب المقدمة التي وضعها لكتابه ، فان الحاجة الماسة الى معلومات عن التراجم في علوم الحديث في القرن الثاني الهجري أدت الى ترتيب منظم لهذه المادة تبعا لزمنهم (طبقات) [٥٤] ، فكانت كل طبقة تمثل جماعة ، غير أنه لم يوجد اتفاق عام على طول الطبقة في السنوات ، لذلك اختلفت تقديراتها من عشر سنوات الى أربعين سنة . وقد ذكر أن استعمال

---

(٥١) انظر روزنثال ص ١٣٣ ، ٤٠٥ (= السخاوي : الاعلان ١٣٣) هامش ١ . يقتبس من الخطيب ٤١٧/٥ ، ١٣٢/٦ السمعاني : انساب ورقة ٤٠٥ ب ــ ٤٠٦ ياقوت : معجم ١١٤/٣ ، ٢٢٣/١ ، ٦٨٥ ابن حجر : لسان ٤٥٧/٣ ، ٢٦١ فما بعد .

(٥٢) روزنثال ص ١٣٣ يقتبس من مخطوطة القاهرة ٢٤٧٥ انظر ايضا تيمور تاريخ ٢٣٠٣ ، وقد كتب المخطوطة ابراهيم بن علي بن جماعة سنة ٦٥٤/ ١٢٥٦ ، ومن المحتمل أن مثل هذا النوع من التأليف كتبه ابن ياسين عن مدينة هراة في القرن التاسع (اعلاه ص ١٤٥ ، ٤٠٥ ــ ٩) .

** لقد نشر الدكتور حبيبة كتاب تاريخ الموصل في ١٩٦٧م (المترجم) .

(٥٣) السابق ٤١٥ هامش ١ يقتبس من المسعودي : مروج الذهب ٦/١ .

(٥٤) روزنثال : الاعلان ٨٢ ــ ٨٤ .

ترتيب الطبقات في أية مدينة بدأ مبكرا في كتب التراجم العامة ، وأن أقدم كتاب وصل الينا من هذا النوع مما هو متخصص في مكان معين ، هو «تاريخ واسط» لأسلم بن سهل بحشل (حوالي سنة ٢٩٠هـ/٩٠٠م) [٥٥] . أما في القرن الرابع الهجري (١٠م) فقد أصبح للتواريخ المحلية الموجهة دينيا توزيع جغرافي واسع ، وقد توسعت في عدد الأشخاص الذين تترجم لهم ، كما أن بعضها ترك تقسيم الطبقات ، وصار يتبع بدله الترتيب الألفبائي [٥٦] . والفائدة الواضحة من هذا الترتيب الجديد هي أنها جعلت ترتيب المراجعة أيسر ، فأصبح المرء الآن يحتاج الى اسم الشخص فقط ، وليس الى تفاصيل سيرته، وتختلف هذه الكتب عن التواريخ المحلية الدنيوية من حيث أنها عُدَّت كتبا مساعدة لعلماء العلوم الدينية ، وبصورة أخص للطلبة في مختلف المراكز المحلية للدراسات الدينية .

والخطيب مع أنه تابع النوع المطول للمقدمة الخططية التي توجد في « تاريخ بغداد » لطيفور ، قد وضع الروايات الدنيوية مع التراجم المرتبة بترتيب الفبائي ، وهو عمل أكثر ملاءمة لاهتماماته كعالم دين ، غير أن هذه التراجم سبقها قسم عدّد فيه الصحابة الذين ذكر أنهم سكنوا في المنطقة العامة التي أنشئت فيها مدينة المنصور فيما بعد [٥٧] ، وقد ذكر أن هذا كان في

(٥٥) ت ٢٨٨/٩٠١ أو ٢٩٢/٩٠٤ـ٩٠٥ (انظر بروكلمان : الملحق / ٢١٠) ياقوت : ارشاد ٢/٢٥٦ انظر أيضا روزنثال ٨٣ ـ ٤ ، ١٤٤ ـ ١٤٥ وهو يقتبس من مخطوطة القاهرة ، تيمور ، تاريخ ١٤٨٣ وهي مكتوبة سنة ٦٢٩ (ديسمبر/١١٢٣) ص ٤٠٦ (السخاوي : اعلان ١٣٤) وقد رتب بحشل براجمه تبعا للاجيال ، غير أنه استعمل الترتيب الاسبق للقرن ، وليس الطبقات ، وعن معلوماته الخططية ، انظر : فؤاد سفر : واسط . المواسم العشرة للحفريات : القاهرة ١٩٤٥ ص. فما بعد ـ .

** نشر الاستاذ كوركيس عواد تاريخ واسط لبحشل في بغداد سنة ١٩٧٥م.

(٥٦) روزنثال ١٤٥ فما بعد .

(٥٧) الخطيب ١/١٣١ ـ ٢١٤ .

الواقع من آثار ترتيب « الطبقات » ، غير أن مؤلفي الكتب المرتبة على الألفباء فسّروه بأنه دلالة على أهمية الصحابة وكوسيلة لتيسير معرفة أسمائهم [(٥٨)] ، فتاريخ بغداد كان أنموذجا للتواريخ التالية للمدينة ، التي أخذت الترتيب الالفبائي ، وفضلته على تقسيم « الطبقات » [(٥٩)] . غير أن هؤلاء المؤلفين يختلفون عن الخطيب من حيث انهم لم يظهروا أي اهتمام بالمعلومات الخططية المفصلة ، لأن مثل هذا النوع من المعرفة لم يكن في الواقع جزءا أساسيا في كتبهم ، فقد اختصرت المقدمات في التواريخ الدينية ، وأصبحت مقصورة على ملاحظات عابرة وعلى عبارات اطراء . ومن الواضح أن كتاب الخطيب يمثل مرحلة انتقالية بين نوع التواريخ التي ألفها أحمد بن أبي طاهر طيفور ، والتواريخ ذات الطابع الديني والمرتبة على الألفباء التي تلت « تاريخ بغداد »، وبذلك أصبحت تحتفظ بعناصر من الوصف الخططي .

---

(٥٨) روزنثال ١٤٧ .

(٥٩) كذلك ٣٨٦ ــ ٨٧ (= السخاوي (اعلان ١٢٣ ــ ٤) .

مصادر أخرى للوصف الخططي

كانت كتب تاريخ بغداد ذات الاهتمام الديني والدنيوي تحتاج الى دراسة دقيقة شاملة، فكان كل عهد يكفيه كتاب رئيس واحد ولا يحتاج الى كتاب ثان . وكان ميل المؤلفين في العهود التالية الى التقليد أكثر من ميلهم الى تجربة أشكال جديدة يبتدعونها . فلما توفي ابن طيفور لم تكتب كتابة جديدة لتاريخ بغداد ، واقتصر عبيدالله بن أحمد بن طيفور على تكملة كتاب أبيه بطريقة تشبه التكملات التي كتبت لتاريخ الطبري[٦٠] ، أما التغيير في الشكل فانه حدث من التغيير في الوظيفة ، تبعا لتطور الكتب الموجهة دينيا . ولما ألف الخطيب تاريخه على نظام التراجم ، أخذ المؤلفون المتأخرون يحاكون طريقته ، شأن ماحدث لتاريخ ابن طيفور ، لذلك كان العدد المستعمل من هذه الكتب محدودا في كل الأزمنة ، يضاف الى ذلك ان متابعي الخطيب لم يقدموا لكتبهم مقدمات طويلة ، فمن الطبيعي أن يكون ماتحويه هذه الكتب من وصف خططي محدودا في مقداره . غير أنه كان هناك نوع آخر من التواريخ المحلية لم تظفر بمقدار ما فيها من علم ، كان بالامكان أن تتطور في الأخير الى ألوان متعددة ومقدار كبير من الأدب .

ويدخل ضمن كتب التاريخ المحلي كتب شبه تاريخية في مدح مدينة أو اقليم[٦١] ، وهذه الكتب تتميز عموما في عناوينها باستعمال كلمة «خواص»

---

(٦٠) أنظر القفطي ، تاريخ الحكماء ١١٠ .

(٦١) روزنثال ١٤٩ فما بعد ، انظر ايضا ملاحظات المنجد في مقدمته لفضائل الشام ودمشق لعلي بن محمد الربعي المالكي / دمشق ١٩٥١ – ص ٥ – ٦ .

أو « فضائل » ، وكانت تحتوي عادة بعض المــواد التاريخية والجغرافية في بحثها عن الخصائص المميزة لمحل ما ، أو لسكانه • وقد أصبحت هذه العناوين منذ القرن الخامس (١١م) تطلق على رسائل فيها آيات قرآنيــة وأحاديث نبوية وأمور أخرى ، ولكن ليست فيها مواد تاريخية • ولما كانت وظيفة كتب «الفضائل» هي التعبير عن اعتزاز الانسان بمدينته أو اقليمه ، فــان هــذه الكتب لم تكن بالضرورة مما يؤلفها مؤرخ كبير أو فقيه بارز ، بل قد يكتبها علماء عدة ذوو مستوى أقل ، لذلك كان المؤمل أن يكون عدد المنتشر من كتب الفضائل أكبر من عدد التواريخ الدينية والدنيوية الشاملة • ولاريب في أن هذه الكتب كانت حجومها متباينة ، ولكن لابد أن أكبرها كان يبدو غير مهم اذا قورن بمثل كتاب الخطيب البغدادي ، أو كتاب ابن عساكر «تاريخ دمشق» المتكون من ثمانين مجلدا •

ومع أن أقدم الكتب في «فضائل بغداد» قد فقدت ، فان كثره النصوص التي نقلتها عنها الكتب المتأخرة تدل على محتوياتها • وقد ذكر ياقوت[٦٢] ، كمصدر لبعض النتف التاريخية القصــيرة التي تبحث عن الازمنة الســابقة للاسلام ، رسالة عن فضائل بغــداد منسوبــة الى يزدجــرد بن مهبنــداذ الكسروي[٦٣] ، وفي شأن هذا الكتاب ، قال علي بن المحسِّن التنوخي [٦٤] :

---

(٦٢) معجم ٤٤٥/١ مادة بابل ٤٤٥/٤ مادة المدائن .

(٦٣) هناك عدة أشكال لهذا الاسم ، أنظر ث . نولده‌كه « تاريخ الفرس والعرب في عهد الساسانيين » (ليدن ١٨٧٩ ص ١٤ ، ٣٤٨ . ٤٨ وجوستن ، كتاب الاسماء الايرانية ص ١٤٨) .

** لقد ورد معظم ، ان لم يكن كل ، كتاب يزدجرد في الفصــل الذي كتبه ابن الفقيه الهمداني عن بغداد ، الذي نشرته مع ايراد المقتطفات الاخرى من كتاب يزدجرد (المترجم) .

(٦٤) نشوار ــ ١٦٥/١ وقد ترجم هذا النص روزنثال في كتابــه « أحمد بن الطيب السرخسي » ٢٦ (١٩٤٣) ص ٨٠ .

ومثل هذه القصة في الخطيب ١١٨/١ عن هلال الصابي وفي معجم =

« وذكرت أنا كتابا رأيته لرجل يعرف بيزدجرد بن مهبنداذ الكسروي ، كان على عهد المقتدر بحضرة أبي محمد المهلبي، كان سلّم اليّ والى جماعةمن حضر كراريس منه ، لننسخه وننفذه الى الامير ركن الدولة ، لانـه التمس كتابا في وصف بغداد واحصاء ما فيها من الحمامات ، وأنها كانت عشرة آلاف، ذكر في الكتاب مبلغها وعدد ما يحتوي عليه البلـد من النـاس والسـفن والملاحين ، وما يحتاج اليه في كل يوم من الحنطة ، والشعير والاقوات ، وأنه حصل ما يصل الى اصحاب المعابر من الملاحين ، فكان في كل يوم أربعين ألفا أو ثلاثين ألفا . وذكر غيري كتابا ألفـه أحمد بن الطيب في مثل ذلك » .

ان الصورة المستحصلة من كتب الفضائل هـذه ، كما تظهر من كلام التنوخي ، يمكن أن تنطبق على الفصـل الخاص في مقدمة الخطيب ، الذي يبحث عن احصائيات عن المدينة[٦٥] ، يضاف الى ذلك أن رواية أخرى لهذه القصة رواها الخطيب نقلا عن هلال بن المحسّن الصابي ، وهي تشبه ما ورد في كتاب «رسوم دار الخلافة» للصابي[٦٦]. وتظهر الطبعة الحديثة لهذا الكتاب المهم جدا أن رواية هلال عن الاحصاء التي هي جزء من رواية أوسع كثـيرا عن تقدير سكان المدينة ، انما هي مأخوذة من كتاب فضـائل بغداد ليزدجرد بن مهمنداذ الفارسي ، وبذلك تؤيد كلام التنوخي الذي أسلفناه . لذلـك يمكن الافتراض بأن بعض المواد كانت عامة في كتب الفضائل وفي مقدمـات التواريخ الكبيرة . والواقع أن الخطيب أيضا يخصص فصلا كاملا لفضائل

=

البلدان ٢/٢٥٥ وهو يقتبس من هلال الصابي، وانظر أيضا : هير : المصادر التاريخية والجغرافيـة لمعجم البلدان (ستراسـبوزغ ١٨٩٨ ص ٢٨ ، وهلال الصابي هو أحد المصادر الرئيسـة للاخبار التاريخية للخطيب ، انظر أيضا الهامش (٦٠) .

(٦٥) الخطيب ١/١١٧ .

(٦٦) طبعه ميخائيل عواد (بغداد ١٣٨٣/١٩٦٤) وخاصـة ص ١٨ فما بعد ، انظر هامش ٦٤ اعلان .

بغداد[٦٧] ، كما أن بعض الفصول كتلك التي تبحث عن المقابر والجوامع[٦٨] فيها نوع من المادة معروف في كتب الفضائل عن الاقاليم الاخرى[٦٩] ، فهل يحتمل أن تكون الكتب الاصغر حجما تحتوي اضافة الى بعض المواد الخططية العرضية، على عناصر من الاوصاف المنظمة ، وهل من المحتمل أن تكون روايات مقتطفة من مواد أشمل ؟ وقد يجدر بالملاحظة أننا نجد أيضا اشارة الى كتاب ليزدجرد الكسروي عند حاجي خليفة الذي يصنفه ضمن التواريخ المحلية لبغداد[٧٠] ، ويمكن الافتراض أن هذا الكتاب والكتاب الذي وصفه كل من التنوخي والصابي كلاهما كتاب واحد .

يذكر حاجي خليفة أن هذه الكتب ، اضافة الى ما فيها من معلومات احصائية ، هي من النوع الذي ذكرناه ، فان فيها أيضا وصفا للمدينة ، غير أنه لا توجد اشارة الى طول الوصف ، أو ترتيبه ، أو استناده الى ملاحظة المؤلف الشخصية ، أو بعض المصادر المكتوبة التي توافرت له ، غير أنه من سوء الحظ أن هذه الاجزاء والاشارات المتفرقة هي كل الاشارات الباقية التي أعرفها عن هذا الكتاب . لذلك سيبقى شكل وصف الكسروى وبقية رسالته عرضة للظنون [٧٠أ] وهناك مسوغ للافتراض بأن نوعا من الوصف الخططي كان أيضا عنصرا مهما في كتب أخرى من هذا النوع . ولعل كتاب أحمد بن الطيب[٧١] ، الذي ورد ذكره في رواية التنوخي ، هو كتاب «فضائل بغداد

---

(٦٧) الخطيب ١/٤٤ فما بعدها .

(٦٨) كذلك ، ص ١٢٠ فما بعدها .

(٦٩) أنظر ج سورديل ــ ثومين « طرق الحج الدمشقية القديمة تبعا للمصادر الادبية نشرة الدراسات الشرقية ١٦ (١٩٥٢ ــ ٥٤) ص ٦٥ فما بعد .

(٧٠) كشف الظنون ٢/١٢٠ ــ ٢١ وهو يذكر اسم المؤلف أبي سهل يزدجرد بن مهبنداد الكسروي .

(٧٠أ) ان القطعة الباقية من هذا الكتاب في مخطوط مشهد لابن الفقيه ، لا ترد فيها اشارة الى بحث منظم ، غير أن هذا لا يبعد وجود مثل هذا النظام .

(٧١) (ت ٢٨٥/٨٩٩) أنظر روزنثال : أحمد بن الطيب السرخسي ص ٨٣ فما بعدها .

وأخبارها» نفسه وهذا الكتاب مع أنه قد ذكرته عدة كتب كبيرة للمؤلف ، لاتوجد اشارة الى شكله ومحتواه، عدا النص الذي نقلناه[٧٢]. ولماكان السرخسي قد ألف عدة كتب في الجغرافية العلمية والوصفية، ومنها كتاب في (المسالك)[٧٣]، فان من المحتمل جدا أن يكون في هذا الكتاب وصف للمدينة كما في كتاب الكسروي . ولعل في الامكان الافتراض أن مثل هذه الاوصاف التي ربما كانت في هذا الشكل مقتطفة من التاريخ المحلي ، هي بصورة عامة محدودة، وأن مواد أغنى بقيت عموما في الكتب الاوسع ككتابي الخطيب وابن طيفور. غير أنه اذا كانت « فضائل » السرخسي قد احتوت بعض الوصف للمدينة ، فان تبكير تأليف الكتاب ، وكفاية المؤلف الخاصة في الجغرافيا ، قد تساعد على الاشارة الى أنه كان مصدرا مهما جدا عن خطط بغداد ، وأنه لذلك ربما كان أوسع تفصيلا من أمثاله من كتب الفضائل في الازمنة التالية .

وقد بقي من هذا النوع من التآليف كتاب واحد في الاقل ، فيه وصف للمدينة ، هو كتاب « مناقب بغداد »[٧٤] ، وهو كتاب صغير نسب الى ابن الجوزي (ت ١٢٠٠م)[٧٥] ومعظمه روايات مختصرة مأخوذة من مقدمة تاريخ بغداد ، مع تعليقات قصيرة قليلة جدا تتعلق بالعهود المتأخرة . غير أن الكتاب يحتوي أيضا على نص طويل من أبي الوفاء بن عقيل ، وهو معاصر

---

(٧٢) ابن النديم ، الفهرست ٢٦٢ ، القفطي : تاريخ الحكماء ص ٧٨ « يحذف وأخبارها » . ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء ٢١٥/١ حاجي خليفة ٤٤٧/٤ ، وقد حفظت مخطوطة مشهد لابن الفقيه قطعة كبيرة ، ان لم تكن كل « فضائل السرخسي » ، ولا يوجد دليل على وصف منظم ، ولكن هذا لا يبعد وجود قسم اضافي عن الفضائل في الخطط .

(٧٣) روزنثال : السرخسي ٥٠ فما بعدها .

(٧٤) طبعه محمد بهجة الاثري (بغداد ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) ، وترجم جورج مقدسي بعضه مع تعليقات : «خطط بغداد في القرن الحادي عشر ، مادة وملاحظات » في مجلة «العربية» ١٩٥٨ ص ١٨٥ – ٩٧ .

(٧٥) عن الاختلاف في مؤلف هذا الكتاب ، انظر مقدسي ص ١٨٣/هامش ٤ .

صغير للخطيب[٧٦] ، فقد استجاب الى استفسار عن بغداد ، فكتب وصفا لمعالمها البارزة وأماكن محلته « باب الطاق » غير أنه ذكر بعض المواد العامة عن محلات المدينة الاخرى • ونص ابن عقيل فيه مادة ، ولكنها محدودة ، وهو جزء من وصف منظم أوسع • ويرى جورج مقدسي أن المرء يأمل أن يرى مثل هذا النص في « كتاب الفنون » الشامل لابن عقيل الذي يؤمل صدوره قريبا[٧٧] • غير أنه لا يرى أن يكون نص من هذا النوع هو في الاصل ملخص لكتاب كبير • وفي بعض الملاحظات التي قدم بها مقدسي ترجمته للنص ، أشار الى الشعور الكبير بالفخر الذي يتجلى في أسلوب كلام ابن عقيل ، ومع أن هذا لا يتحتم أن يكون مصدر هذا الكلام هو كتاب عن الفضائل ، الا أنه يدل على أنه ربما بقيت في كتب أخرى شبيهة بكتاب المناقب، نصوص قصيرة مفيدة جدا وخططية •

استنتاجات

ان روايات كرواية ابن عقيل ، قد لاتكون مفصّلة أو واسعة ، ولكنها مهمة جدا ، لانها تقوم على ملاحظات المؤلف الشخصية ، ولذلك يمكن ارجاع تاريخها الى عهد معين ، ويمكن أن تعد هذه الروايات تعبيرا مباشرا لزمن معين معروف في التطور الخططي لبغداد • واذا استطعنا الحصول على أمثال هذه الروايات من عهود أخرى ، فقد يكون من الممكن أن نقترح صورة أساسية لنمو المدينة وتطورها •

لقد ألفت جميع الكتب الرئيسة عن بغداد منذ خمسين سنة تقريبا ، وكانت تستند الى مصادر منتخبة محدودة ، ولم تجر محاولة لتفريق النصوص في الروايات الخططية فيما يتعلق بالتأريخ • وقد أدى هذا الى أن يكون

(٧٦) مناقب ص ٢٥ ــ ٢٨ = مقدسي : خطط ١٨٥ ــ ٩٧ •
(٧٧) أعلاه ١٨٤/ هامش ١ •

وصف بغداد الذي نجده عند مؤلفين من أمثـال رايتماير[٧٨] وشتريك[٧٩] جداول بمختلف الاماكن • أما الكتب الاوسع تخيلا التي كتبها ليسترانج[٨٠] وماسينون[٨١] ، فقد اهتمت بالتطور التاريخي للمدينة، غير أنها لم تتجه الى المشكلة الدقيقة وهي تحديد تاريخ التقارير الفردية التي تكون أوصـافا منظمة، فان روايةمعينةفي كتاب يرجع الى القرن الثالث/التاسع، ليس من الضروري أن يكون ما فيها وصفا لتاريخ المدينة في ذلك التاريخ • لاحظ أن ما ذكره اليعقوبي عن بغداد يمكن أن يرجع زمنه ، استنادا الى أدلة داخلية ، الى عهد المنصور ، ثم الى عهد المهدي[٨٢] •

ان القيمة الكبرى لوصف الخطيب ، لا ترجع الى تفاصيلها فحسب ، بل أيضا الى أنها الرواية المنظمة الوحيدة التي تشير بصورة خاصة الى المصادر الاولى •

ولم يبذل الخطيب جهدا في اقحام المواد المعاصرة ، لذلك كان وصفه المنظم للمدينة يسبق عموما تاريخ وفاة وكيع (٣٠٦/٩١٨م) وهو مصدره الاساس • ان تاريخ بغداد يحتوى بعض ملاحظات عرضية ذات أهمية خططية، غير أنه لم يبذل جهدا لوضع هذه المادة في وصفه الشامل للمدينة ، فاذا كانت للخطيب بعض التحديدات كمصدر خططي لعصره ، فليس ذلك لغيابه مـدة

---

(٧٨) أ. رايتماير « انشاء العرب للمدن في الاسلام » ميونيخ ١٩١٢ ص ٥٠ — ٥٩ (بالالمانية) .

(٧٩) م. شترك الاقسام القديمة لاقليم بابل (بالالمانية) .

(٨٠) ليسترانج : بغداد (بالانكليزية) .

** وقد ترجم بشير فرنسيس هذا الكتاب الى العربية ، وطبعه ببغداد سنة (١٩٣٤م) .

(٨١) ماسينون ، بعثة في بلاد مابين النهرين (القاهرة ١٩١٢) .
٣١ — ٢ ص ٦٦ فما بعد .

(٨٢) انظر النص أعلاه .

(٨٣) خطط ص ١٨٣ .

طويلة عن بغداد ، كما يتصور مقدسي[٨٣] ، وانما يرجع ذلك الى اعتماده على مواد أقدم من القرن السابق •

ويبدو واضحا أن نمو مركز حضري ينبغي أن يقاس تبعا لبعض المقاييس الكمية ، فاذا طبق هذا على مدينة محاطة بأسوار ، فأن الحفريات الاثارية قد تظهر الخطة المضبوطة لترتيبها الطبيعي ، كما أنها تظهر أيضا مواد ذات علاقة كحجم السكان وكثافتهم ، غير أنه لم يجر بعد مثل هذه الحفريات في بغداد ، بالرغم من أن المنطقة التي يفترض أنها كانت تشغلها المدينة الاصلية وضواحيها في الجانب الغربي ، لاتزال غير مسكونة في الازمنة الحديثة • ولعدم وجود أدلة آثارية محددة أصبح من الضروري الرجوع الى المصادر الادبية المذكورة أعلاه لوصف المدينة كما كانت في زمن الخلفاء العباسيين •

ان العهود المتعاقبة التي مرت بين وفاة وكيع ووفاة الخطيب في سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، كان يحكم بغداد فيها أمير الامراء ، ثم البويهيون ، ثم سلاطين السلاجقة ، وقد حدثت خلال هذا العهد تبدلات مهمة في خطط المدينة نشأت من الهدم والبناء والحرائق والفيضانات ، والمصادر تشير الى انحطاط عام[٨٤] • ولما لم تسجل هذه التبدلات في أي وصف من الاوصاف المنظمة لبغداد ، اختفت بسبب ذلك كل صورة شاملة للترتيب الطبيعي للمدينة في هذا العهد المذكور ، غير أنه اضافة الى نص ابن عقيل ، وهو تكملة مفيدة للاوصاف القديمة الموجودة عند الخطيب ، نجد المؤرخين الذين يصفون الاحداث في العهود المتأخرة يذكرون كثيرا من الاخبار العرضية عن الوجه المتبدل للمدينة ، وخاصة ابن الجوزي الذي أدت عيوبه من سوء الحظ كمؤرخ الى عدم ابراز القيمة الحقيقة للمنتظم ككتاب غني بالمادة عن مختلف جوانب الحياة • ان العرض الزمني للتبدلات الكبرى الموصوفة في هذا المصدر يسمح

---

(٨٤) انظر مثلا الخطيب ١/١١٨ .

لوصف معاصر أكثر ، كما أنه يكشف مادة مهمة عن اعادة تكوين تاريخ المدة البويهية والمدة السلجوقية التي تلتها[٨٥] ، بالرغم من أن دراسة كاملة من هذا القبيل تركت لدراسات في المستقبل • والمؤمل أن ترجمة جديدة معززة بالتعليقات سوف تقدم مادة اضافية عن الترتيب الطبيعي لبغداد في ضوء الملاحظات السابقة ، وتزيد من افادتها كمصدر لرسم صورة نمو المدينة تبعا لمختلف مراحل تطورها الخططي •

وقد ذكرنا في الملحق (و) مخطوطات « تاريخ بغداد » ، وطبعاته ومصادره •

---

(٨٥) لقد بدأ بمثل هذه الدراسة للعهد السلجوقي جورج مقدسي ؛ انظر بحثه « خطط » ص ٢٨١ فما بعدها .

القسم الثاني

نص الخطيب عن خطط بغــداد
والتعليقــات عليه

الفصل الأول

[٦٦] **ذكر خبر بناء مدينة السلام (١)**

أخبرنا علي بن أبي علي المعدّل التّنُوخيّ ، قال : أنبأنا طلحة بن محمد ابن جعفر ، قال : أخبرني محمد بن جَرير إجازةً (٢) : أن أبا جعفر المنصور بويع له سنة ست وثلاثين ومئة ، وأنه ابتدأ أساس المدينة سنة خمس وأربعين ومئة ، واستتم البناء سنة ست وأربعين ومئة ، وسمّاها (مدينة السلام)(٣)

قال الشيخ أبو بكر الخطيب : وبلغني أنّ المنصور لما عزم على بنائها، أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين

[٦٧] فَمثّل لهم صفتها التي في نفسه ، ثم أحضر الفَعَلة والصُنّاع من النجّارين والحفّارين والحدّادين وغيرهم ، فأجرى عليهم الأرْزاق ، وكتب إلى كل بلد في حمل مَنْ فيه ممن يفهم شيئاً من أمر البناء .

ولم يبتدئ في البناء حتى تكامل بحضرته من أهل المهن والصناعات ألوف كثيرة (٤) .

ثم اختطها وجَعَلها مُدَوّرَة .

ويقال : لا يعرف من أقطار الدنيا كلهّا (٥) مدينة مُدَوّرة سواها (٦) ووضع أساسها في وقت اختاره له نَوْبَخْت المُنَجم (٧) .

أخبرنا محمّد بن علي الوراق ، وأحمد بن علي المحتسب ، قالا أنبأنا محمّد بن جعفر النّحْوي قال : نبأنا الحسن بن محمد السّكُونيّ ،قال : قال محمّد بن خلَف أنبأني محمّد بن موسى القَيْسي ، عن محمد بن موسى الخوَارَزْمي الحاسب (٨) .

أن أبا جعفر تَحَوّل من (الهاشمية) إلى (بغداد) ، وأمر ببنائها . ثم رَجَع إلى (الكوفة) بعد مئة سنة وأربع وأربعين سنة وأربعة أشهر وخمسة أيّام من الهجرة .

قال : وفرغ أبو جعفر من بنائها ، ونزلها مع جُنْده ، وسَمّاها (مدينة السّلام) ، بعد مئة سنة وخمس وأربعين سنة وأربعة أشهر وثمانية أيّام من الهجرة .

قال محمّد بن خَلَف قال الخُوَارِزْمي : واستتمّ حائط (بغداد) وجميـــع عملها بعد مئة سنة وثمان وأربعين سنة وستة أشهر وأربعة أيّام من الهجرة (٩) .

أخبرنا محمّد بن الحسين بن الفَضَل القَطان ، قال : أنبأنا عبد الله ابن جعفر بن دُرُسْتَوَيْه النّحَوِيّ قال نبّأنا يعقوب بن سُفيان (١٠) قال : سنة ست وأربعين ومئة : فيها فَرَغ أبو جعفر من بناء (مدينة السلام) ونزوله إيّاها ، ونقَل الخزائن وبيوتَ الأمْوَال والدواوين إليها .

وفي سنة تسع وأربعين ومئة استَتَم بناءَ سُور خندق (مدينة السلام) وجميع أمورها (١١) .

أخبرنا أبو القاسم الأزْهَرِي ، قال أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن الحَسَن قال : نبأنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عَرَفَة الأزْدِي قال : حكى عن بعض المُنَجّمين قال: قال لي المنصور ، لمّا فرغ من (مدينة السلام) [٦٨] خُذ الطّالع ، فنظرت في طالِعِها ، وكان المشتري في القَوْس ، فأخبرته بما تدلّ عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا إليها ، وفَقْر النّاس إلى ما فيها . ثم قلت له : وأُبشِّرك ، يا أميرَ المؤمنين أكرَمَك الله ، بِخَلّة أخرى من دلائل النجوم : لا يموت فيها خليفةٌ من الخلفاء أبداً . فرأيته تَبَسّم لذلك ، ثم قال : الحمد لله ، ذلك فَضْلُ الله يؤتيه من يشاءُ ، والله ذو الفضل العظيم (١٣) .

فلذلك قال عُمَارة بن عَقيل بن بِلال بن جَرير بن الخَطَفى عند تحوّل الخلفاء من بغداد (١٤) :

أَعَايَنْتَ في طولِ من الأرضِ والعَرْضِ

كبغدادَ داراً ؟ إنها جنةُ الأرض !

صفا العيشُ في بغدادَ واخضرّ عودُهُ

وعيشُ سواها غيرُ صافٍ ولا غضّ

تطولُ بها الأعمارُ إنّ غذاءها

مريء ، وبعض الأرض أمرأ من بعضِ

قضى رَبّها أنْ لا يموت خليفةٌ

بها ، إنّه ما شاء في خَلْقه يقضي

تنامُ بها عينُ الغريب ، ولن ترى

غريباً بأرض الشام يطمع في غمضِ

فإنْ خَرِبَتْ بغداد منهم بِقَرْضها

فما أسلفت إلاّ الجميلَ من القَرْض

وإنْ رُميت بالهجر منهم وبالقِلى

فما أصبحت أهلاً لهَجْرٍ ولا بَغضِ

وقد رُويت هذه الأبيات لمنصور النّمِريّ (١٥) والله أعلم .

أخبرنا أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبدالله الكاتب ، قال : أنبأنا أبو جعفر محمّد بن أحمد بن محمد مولى بني هاشم – يعرف بابن مُتَيَّم – قال : نا أحمد بن عبيدالله بن عمّار ، قال : قال أبو عبيدالله محمّد بن داود بن الجرّاح (١٦) : ولم يمت بمدينة السلام خليفة مذ بنيت إلا محمد الأمين ، فإنه قُتِل في شارع باب الأَنْبار ، وحُمِل رأسُه إلى طاهر بن الحسين ، وهو في معسكره بين بَطَاطِيا وباب الأنبار .

فأما المنصور ، وهو الذي بناها ، فمات حاجاً وقد دخل الحَرَم

ومات المَهدي بما سبَذان .

ومات الهادي بعيساباذ

ومات هارون بِطوسَ

ومات المأمون بالبَذَندُون من بلاد الروم ، وحمل فيما قيل إلى طَرْسُوسَ فَدُفن بها .

[٦٩] ومات المُعتصم بسُرَّ مَنْ رأى .

وكلّ من ولي الخلافة بعده من ولده وولد ولده ، إلاّ المعتمِد والمعتضد والمكْتَفي ، فإنّهم ماتوا بالقصور من الزَّنْدَوَرْد .

فحمل المعتمد ميتاً إلى سُرّ من رأى .

ودُفن المعتضد في موضع من دار محمد بن عبدالله بن طاهر .

ودفن المكتفي في موضع من دار ابن طاهر .

قال الشيخ أبو بكر : ذكرتُ هذا الخبر للقاضي أبي القاسم علي بن المُحَسِّن التّنوخي رحمه الله ، فقال : محمد الأمين أيضاً لم يقتل في المدينة ، وإنما كان قد نزل في سيفنة إلى دجلة ليتنزّه ، فقبض عليه في وسط دجلة وقتل هناك (١٧) . ذكر ذلك الصولي وغيره .

وقال أحمد بن أبي يعقوب الكاتب (١٨) : قتل الأمين خارج باب الأنبار عند بستان طاهر (١٩) .

قال الشيخ : عُدْنا إلى خبر بناء مدينة المنصور .

الفصل الثاني

ذكر خَطّ مدينة المنصور وتحديدها
ومَنْ جُعل إليه النّظر في ترتيبها

أخبرنا أبو عمر الحسن بن عثمان بن أحمد بن الفَلْو الواعِظ ، قال : أنبأنا جعفر بن محمّد بن أحمد بن الحَكَم الواسطي ، قال : حدّثني أبو الفضل العبّاس بن أحمد الحدّاد ، قال : سمعت أحمد بن البَرْبَرَي يقول (١) : مدينة أبي جعفر ثلاثون ومئة جَرِيب ، خَنادِقُها وسورُها ثلاثون جَرِيباً .

وأُنفِق عليها ثمانية عَشَرَ ألف ألف .

وبُنِيت في سنةِ خمسٍ وأربعين ومئة (٢) .

وقال أبو الفضل : حدثني أبو الطّيّب البزّار (٣) ، قال قال لي خالي — وكان قَيِّم بَدْرٍ — : قال لنا بَدْر غُلام المعتضد ، قال أمير المؤمنين : أنظروا كم هي مدينة أبي جعفر ؟ فنظرنا وحَسَبنا ، فإذا هي ميلان مُكَسّر في ميلين .

قال الشيخُ أبو بكر (٤) : ورأيت في بعضِ الكتب أن أبا جعفر المنصور أنفق على مدينته وجامعِها وقَصرِ الذّهَب فيها والأبواب والأسواق ، إلى أنْ فَرَغ من بنائها أربعةَ الآف وثمان مئة وثلاثة وثمانين درهماً . مبلغُها من الفُلوس مئة ألف فَلْسٍ وثلاثة وعشرون ألفَ فَلْسٍ . [٧٠]

وذلك أن الأستاذ من الصنّاع كان يعمل يومه بقيراط إلى خمس حبّات ، والروزْجاري يعمل بحبّتين إلى ثلاث حبّات .

قال أبو بكر الخطيب : وهذا خلاف ماتقدّم ذكره من مبلغ النفقة على المدينة ، وأرى بين القولين تفاوتاً كثيراً والله أعلم (٥) .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزْق البزّار ، قال : نبأنا جعفر الخُلْدي إملاءً ، قال : نبأنا الفَضَلْ بن مَخلَد الدقّاق ، قال : سمعت

داوود بن صَغير بن شَبيب بن رُسْتُم البُخَاري (٦) يقول : رأيت في زَمَن أبي جعفر كَبْشاً بدرهم ، وحَمَلا بأربعة دَوانِقَ ، والتَمْرَ ستّين رِطْلاً بدرهم ، والزّيتَ ستة عشر رِطْلاً بدرهم ، والسّمْن ثمانية أرطال بدرهم ، والرجلَ يعمل بالرّوزجار في السور كُلَّ يوم بخمس حبّات (٧) .

قال الشيخ أبو بكر : وشبيه بهذا الخبر ماأخبرنا الحسن بن أبي بكر قال : أنبأنا عثمان بن أحمد الدَقّاق ، قال : نبأنا الحسن بن سَلام السواق ، قال : سمعت أبا نعيم الفضل بن دُكَين يقول (٨) : كان يُنادَى على لحم البقر في جبّانة كِنْدَة تسعين رِطلاً بدرهم ، ولحم الغنم ستين رِطلاً بدرهم .

ثم ذكر العَسَل ، فقال : عشرة أرطال .

والسّمْن إثني عشر رطلاً (٩) .

قال الحسن بن سَلام : فقدمت بغداد ، فحدّثت بها عثمان فقال : كانت في تِكّتي قطعةٌ ، فسقطت على ظهر قدمي ، فأحْسَسْتُ بها ، فاشتريت بها ستة مكاكيكَ دقيق الأرُزّ (١٠) .

أخبرنا محمد بن علي الورّاق ، وأحمد بن علي المُحْتَسِب ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر النّحويّ ، قال : نا الحَسَن بن محمد السَكُوني ، قال : نا محمد بن خَلَف ، قال : قال يحيى بن الحسن بن عبدالخالق :

خَطّ المدينةِ ميلٌ في ميل ، ولَبِنُها ذراع في ذراع

قال محمد بن خَلَف : وزعم أحمد بن محمود الشَرَوي أن الذي تولّى الوقوف على خطّ بغداد الحَجاج بن أرْطَاة وجماعة من أهل الكوفة (١١) .

[٧١] وزعم أبو النَصْر المَرْوَزِيّ أنه سمع أحمد بن حنبل (١٢) يقول : بغداد من الصَّراة إلى باب التبْن .

قال الشيخ أبو بكر : عنى أحمد بهذا القول مدينة المنصور وما لاصقها واتصل ببنائها خاصة ، لأن أعلى البَلد قَطيعة أمّ جعفر دونها الخندق يقطعُ

بينها وبين البناء المتّصل بالمدينة ، وكذلك أسفل البَلَد من مَحَال ّ الكرخ ، وما يتصل به يقطع بينه وبين المدينة الصَّراة ، وهذا حَد المدينة وما اتصل بها طولاً (١٣) .

وأما حَدّ ذلك عرْضاً فمن شاطئ دجلة إلى الموضع المعروف بالكَبْش والأسَد ، الآن صحراء مزروعة ، وهي على مسافة من البلد ، وقد رأيت ذلك الموضع مرةً واحدةً خرجت فيها لزيارة قبرإبراهيم الحَرْبيّ وهو مدفون هناك ، فرأيت في الموضع أبياتاً كهيأة القرية يسكنها المُزارعون والحَطّابون ، وعُدْت إلى الموضع بعد ذلك فلم أرَ فيه أثر السَكَن (١٤) .

وقال لي أبو الحسين هلال بن المُحَسِّن الكاتب : حدّثني أبو الحسن بشْر ابن علي بن عُبَيد النّصراني الكاتب (١٥) ، قال : كُنتُ أجتاز بالكَبْش والأسد مع والدي ، فلا أتخلّص في أسواقها من كثرة الزّحمة .

بلغني عن محمّد بن خلَف — وكيع — أنّ أبا حنيفة النّعمان كان يتولى القيام بضرب لَبِن المدينة وعدده ، حتّى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي الخندق .

وكان أبو حنيفة يَعُدّ اللّبِنَ بالقَصَب ، وهو أوّل من فعل ذلك ، فاستفاده الناس منه (١٦) .

وذكر محمّد بن إسحاق البَغَوي : أنّ رَبَاحاً البنّاء حدّثه ، وكان تولّى بناءَ سورِ مدينة المنصور ، قال : وكان بين كل باب من أبواب المدينة إلى الباب الآخر ميل ، وفي كل ساف من اسواف البناء مئة ألف لبنة واثنتان وستون ألف لَبِنَة من اللّبِن الجَعْفَريّ . [٧٢]

فلما بنينا الثُلُثَ من السور لَقَطناه ، فصيرّنا في الساف مئة ألف لِبنة وخمسين ألف لَبِنَة .

فلما جاوزنا الثُلثين لَقَطْناه فَصَيّرنا في الساف مئة ألف لَبِنة وأربعين ألف لبِنة إلى أعلاه (١٧) .

أخبرنا محمّد بن علي الورّاق وأحمد بن علي المُحْتَسِب ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر النَحْوي قال نا الحسن بن محمد السّكُوني ، قال : نا محمّد بن خلَف ، قال : قال ابن الشرّوي : هدَمْنا من السور الذي يلي باب المُحَوّل قطعة ، فوجدنا فيها لَبِنة مكتوبٌ عليها بمَغْرة وزنها مئة وسبعة عشر رطلاً . قال : فوزنّاها ، فوجدناها كذلك (١٨) .

قال محمد بن خلَف : قالوا : — بَنَى المنصور مدينته ، وبنى لها أربعةَ أبواب .

فاذا جاء أحدٌ من الحِجاز ، دخل من باب الكوفة .

واذا جاء من المغرب ، دخل من باب الشام .

واذا جاء أحد من الأَهْواز والبصرة وواسط واليَمامَة والبحرين ، دخل من باب البصرة .

وإذا جاء الجائي من المشرق ، دخل من باب خُراسان . وذِكر باب خراسان كان قد سقط من الكتاب ، فلم يذكره محمد بن جعفر عن السّكُونيّ ، وإنما استدركْناه من رواية غيره .

وجعل — يعني المنصور — كُلّ باب مُقَابلاً للقصر ، وبَنَى على كل باب قُبّة .

وجعل بين كل بابين ثمانيةً وعشرين بُرْجاً ، إلاّ بين باب البصرة وباب الكوفة ، فإنه يزيد واحداً .

وجعل الطول من باب خراسان إلى باب الكوفة ثمان مئة ذراع ، ومن باب الشام إلى باب البصرة ست مئة ذراع .

ومن أوّل باب المدينة إلى الباب الذي يَشْرَع إلى الرَّحْبة خمسة أبواب حديد .

وذَكَر وَكيع فيما بلغني عنه : أنّ أبا جعفر بَنَى المدينة مُدَوَّرَةً ؛ لأن المُدَوَّرة لها معانٍ سوى المُرَبّعة ، وذلك أن المُرَبّعة إذا كان الملك في وسطها

كان بعضها أقرب إليه من بعض . والمُدَوّر من حيث قَسم كان مستوياً لا يزيد هذا على هذا ، ولا هذا على هذا (١٩) .

وبَنِيَ لها أربعةَ أبواب .

وعَمِل عليها الخنادق .

[٧٣] وعَمِل لها سُورَيْن وفَصِيلَين ، (٢٠) بين كل بابين فَصِيلان ، والسور الداخل أطول من الخارج .

وأمر أن لا يَسْكُنَ تحتَ السورِ الطّويلِ الداخلِ أَحَدٌ ، ولا يبني منزلاً .

وأمَرَ أنِ يَبْنِيَ في الفصيل الثاني مع السور النازل ، لأنه أَحْصَنُ للسور .

ثم بنى القَصْر والمسجدَ الجامع (٢١) .

وكان في صدر قصر المنصور إيوان ، طولُه ثلاثون ذراعاً ، وعَرْضه ثلاثون ذراعاً .

وفي صَدْر الإيوان مجلسٌ ، عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وسِمْكُه عشرون ذراعاً . وسَقْفُه قبّة .

وعليه مجلسٌ مثله ، فوقه القُبّةُ الخضراء . وسمكه الى أول حدّ عَقْدِ القُبّة عشرون ذراعاً .

فصار من الأرض الى رأس القُبّة الخضراء ثمانون ذراعاً .

وعلى رأس القُبَة تمثال فَرَس ، عليه فارس .

وكانت القُبّة الخضراء تُرَى من أطراف بغداد .

حَدّثني القاضي أبو القاسم التّنُوخِيّ ، قال : سمعت من شيوخنا يذكرون أن القُبّة الخضراء كان على رأسها صَنَم على صورة فارس في يده رمْح ، فكان السلطان إذا رأى أن ذلك الصَنَم قد استقبل بعض الجهات ومدّ الرمح نحوها ، عَلِم أن بعضَ الخوارج يظهرُ من تلك الجهة ، فلا

يطولُ الوقت حتى تَرِد عليه الأخبار بأن خارجيّاً قد نَجَم من تلك الجهة ، أو كما قال (٢٢) .

أنبأنا إبراهيم بن مَخْلَد القاضي ، قال : أنبأنا إسماعيل بن علي الخُطَبي (٢٣) ، قال : سقط رأس القُبّة الخضراء : خضراء أبي جعفر المنصور التي في قصره بمدينته ، يوم الثلاثاء لسبع خَلَوْنَ من جمادَى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلاث مئة ، وكان ليلتئذ مطرٌ عظيمٌ ورَعْدٌ هائل وبَرق شديدٌ . وكانت هذه القُبّة تاج بغداد وعَلَم البلد ، ومَأثُرَةً من مآثر بني العبّاس عظيمةً ، بنيت أوّل ملكهم ، وبقيت إلى هذا الوقت ، إلى آخر أمر الواثق ، فكان بين بنائها وسقوطها مئة ونيف وثمانون سنة .

قال وَكيع فيما بَلَغني عنه: إنّ المدينة مُدَوَّرة ، عليها ســورٌ مُدَوَّر ، قُطْرُها من باب خُراسان إلى باب الكوفة ألفا ذراع ومئتا ذراع ، ومن باب البصرة إلى باب الشام ألف ذراع ومئتا ذراع . وسَمْكُ ارتفاع هذا السور الداخل ، وهو سور المدينة ، في السماء خمسة وثلاثون ذراعاً . [٧٤]

وعليه أَبْرِجَةٌ : سَمْك كلّ بُرْج منها فوق السور خمسة أذرع ، وعلى السّور شُرَف (٢٤) .

وعَرْض السور من أسفله نحو عشرون ذراعاً .

ثم الفصيل بين السورين وعَرْضُه ستون ذراعاً (٢٥) .

ثم السّور الأول وهو سور الفَصيل (٢٦) ، ودونه خَنْدَق .

وللمدينة أَربعة أبواب : شرقيّ وغربيّ وقِبْليّ وشماليّ ، لكل باب منها بابان : بابٌ دونَهُ باب ، بينهما دِهْليز ورَحْبَة ، يدخل إلى الفصيل الدائر بين السورين . فالأول باب الفصيل ، والثاني باب المدينة .

فاذا دخل الدّاخل من باب خراسان الأول ، عَطَف على يساره في دِهْليز أَزَجٍ معقود بالآجُرّ والجَصّ : عُرْضه عشرون ذراعاً ، وطولُه

ثلاثون ذراعاً ، المَدخَل اليه في عُرضه والمخرَج منه من طوله . يخرج إلى رحبة مادّة إلى الباب الثاني ،طولها ستون ذراعاً وعرضها أربعون ذراعاً ، (٢٧) ولها في جَنْبَتَيْها حائطان من الباب الأوّل إلى الباب الثاني (٢٨) في صدر هذه الرَّحْبَة في طولها الباب الثاني وهو باب المدينة .

وعن يمينه وشماله في جَنْبَتَيْ هذه الرَّحْبَة بابان الى الفَصيلين ، فالأيمن يؤدي إلى فَصيل باب الشام ، والأيسر يُؤدّي إلى فصيل باب البصرة ، ثم يدور من باب البصرة إلى باب الكوفة ، ويدور الذي انتهى إلى باب الشام إلى باب الكوفة على نَعْتٍ واحد وحكايةٍ واحدةٍ .

والأبواب الأربعة على صورةٍ واحدةٍ ، في الأبواب والفُصْلان والرِّحاب والطاقات (٢٩) .

ثمّ الباب الثاني ، وهو باب المدينة ، وعليه السُّور الكبير الذي وصفناه : فيدخل من الباب الكبير إلى دِهْليز أَزَجٍ معقود بالآجُرّ و الجَص ّ طُولُه عشرون ذراعاً ، وعرضه اثنا عشر ذراعاً .

وكذلك في سائر الأبواب الأربعة .

وعلى كل أَزَج من آزاج هذه الأبواب مَجْلس له دَرَجَة على السور يُرتَقَى إليه منها (٣) .

وعلى هذا المجلس قُبّةٌ عظيمة ذاهبةٌ في السماء سمكُها خمسون ذراعاً (٣١) ، مُزَخْرَفَة .

وعلى رأس كل قُبّة منها تمثالٌ تديره الريح لا يُشْبه نظائره . وكانت هذه القُبّة مَجْلِسَ المنصور إذاأحبّ النّظَر إلى الماء وإلى من يُقْبِل من ناحية خُرّاسان .

وقُبّة على باب الشام كانت مَجْلِسَ المنصور إذا أحبّ النّظَر الى الأرباض وما والاها .

وقُبّة على باب البصرة كانت مَجْلِسَهُ إذا أحبّ النّظَر إلى الكرخ ومَنْ أقبل من تلك الناحية .

وقُبّة على باب الكوفة كانت مجلِسه إذا أَحَبّ النّظَر إلى البساتين والضِياع .

وعلى كل باب من أبواب المدينة الأوائل والثواني بابُ حَديدٍ عظيمٌ جليلُ المقدار ، كلّ بابٍ منها فَرْدان (٣٢) .

أخبرنا محمّد بن عليّ الورّاق ، وأحمد بن علي المُحْتَسب ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر ، قال : نبأنا الحسن بن محمّد السّكُونيّ ، قَال : نبّأنا محمّد بن خَلَف ، قال : قال أحمد بن الحارث عن العتّابي(٣٣) : إنّ أبا جعفر نقل الأبواب من واسط ، وهي أبواب الحجّاج ، وأن الحجاج وجدها على مدينة كان بناها سليمان بن داود ، عليهما السلام ، بإزاء واسط ، كانت تعرف بزَنْدَوَرْدَ ، وكانت خمسة .

وأقام على باب خُراسان باباً جيء به من الشام من عمل الفراعنة. وعلى باب الكوفة الخارج باباً ، جيء به من الكوفة ، من عمل خالد بن عبدالله القَسْرِيّ وعمل هو لباب الشام باباً . فهو أضعفها (٣٤) .

وابتنى قصره الذي يسمى الخُلْد على دجلة ، وتولى ذلك أَبَان بن صَدَقَة ابن الربيع (٣٥) . وأمر أن يُعْقَد الجسر عند باب الشعير .

وأقطع أَصحابه خمسين في خمسين (٣٦) .

قال الشيخ أبو بكر : إنّما سمي قصر المنصور « الخُلْد » تشبيهاً له بجنّة الخُلْد (٣٧) ، وما يحويه من كلّ مَنْظَر رائقٍ ، ومَطْلَب فائق ، وغَرَض غريب ، ومُراد عجيب . وكان موضعة وراء باب خُراسان . وقد اندرس الآن فلا عَيْن له ، ولا أثر .

حدّثني القاضي أبو القاسم عليّ بن المُحَسِّن التّنوخي ، قال : حدّثني أبو الحسن عليّ بن عبيد الزَّجّاج الشاهد ، وكان مولده في شهر رمضان

من سنة أربع وتسعين ومئتين ، قال : أذكر في سنة سبع وثلاث مئة ، وقد كسرت العامة الحُبُوسَ بمدينة المنصور فأَقْلَتَ مَنْ كان فيها ، وكانت الأبواب الحديد التي للمدينة باقية ، فَغُلِّقت ، وتَتَبَّع أصحاب الشرط مَن أفلَتَ من الحُبُوس . فأخذوا جميعهم حتى لم يَفُتْهم منهم أحد (٣٨) . [٧'

قال الشيخ أبو بكر : عُدْنا إلى كلام وَكيع المتقدِّم ، قال : ثم يَدْخل من الدِّهْليز الثاني إلى رَحْبَة مُرَبَّعة ، عشرون ذراعاً في مثلها فعلى يمين الداخل إليها طريق ، وعلى يساره طريق . يؤدّي الأيمن إلى باب الشام ، والأيسر إلى باب البصرة .

والرَّحْبَة كالرَّحْبَة التي وصفنا .

ثم يدور هذا الفَصيل على سائر الأبواب بهذه الصورة ، وتَشْرَع في هذا الفصيل أبواب السِّكَك . وهو فَصيل مادٌّ مع السور .

وعرض كل فَصيل من هذه الفُصْلان من السور إلى أفواه السّكك خمس وعشرون ذراعاً .

ثم يدخل من الرَّحْبة ، التي وصفنا ، الى الطاقات ، وهي ثلاثة وخمسون طاقاً ، سوى طاق المَدْخَل إليها من هذه الرّحبة ، وعليه بابُ ساج كبير فَرْدَيْن .

وعَرْضُ الطّاقات خمس عشرة ذراعاً ، وطولُها من أولها إلى الرَّحْبَة التي بين الطاقات والطاقات الصُغْرى مئتا ذراع .

وفي جَنْبَتي الطاقات بين كل طاقين منها غُرَف كانت للمُرابِطة (٣٩)

وكذلك لسائر الأبواب الباقية ، فعلى هذه الصّفة سوار . ثم يخرج من الطاقات الى رَحْبَة مُرَبّعة عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، فعن يمينك طريق يؤدّي إلى نظيرتها من باب الشام ، ثم تدور إلى نظيرتها من باب الكوفة ، ثم إلى نظيرتها من باب البصرة .

ثم نعود إلى وصفنا لباب خراسان : كل واحدة نظيرة لصواحباتها . وفي هذا الفصيل تَشْرَع أبواب لبعض السِّكك .

وتجاهُك الطّاقات الصغرى التي تلي دِهْلِيز المدينة (٤٠) الذي منه يخرج الى الرّحبة الدائرة حول القصر والمسجد (٤١) .

حدثني عليّ بن المُحَسِّن ، قال : قال لي القاضي أبو بكر بن أبي موسى الهاشمي (٤٢) : إنبثق البَثْق من قُبَّتَيْن ، وجاء الماءُ الأسود فهدم طاقات باب الكوفة ، ودخل المدينة فهدم دورنا ، فخرجنا إلى الموصل ، وذلك في سني نَيِّف وثلاثين وثلاث مئة ، وأقمنا بالموصل سنين عدّةً ، ثم عدنا إلى بغداد فسكنا طاق العَكِّيِّ (٤٣) .

[٧٧] قال الخطيب الحافظ : بلغني عن أبي عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ (٤٤) قال : قد رأيتُ المدنَ العِظام ، والمذكورة بالاتقان والإحكام ، بالشامات وبلاد الروم وغيرها من البلدان ، فلم أرَ مدينة قَطُّ أرفع سَمْكاً ، ولا أجودَ استدارةً ، ولا أنبل نُبْلاً ، ولا أوسع أبواباً ، ولا أجود فصيلاً ، من « الزَّوْراء » ، وهي مدينة أبي جعفر المنصور ، كأنّما صبت في قالب ، وكأنّما أفرغت إفراغاً .

والدليل على أن اسمها الزوراء قول سلم الخاسر :

أين ربُّ « الزوراء » ، إذْ قلّدته الـ
ـــملكَ عشرين حجّةً واثْنَتانِ ** (٤٥)

أخبرنا الحسين بن محمد المُؤدِّب ، قال : أخبرني إبراهيم بن عبدالله الشّطّي ، قال : نبأنا أبو إسحاق الهُجَيْمي ، قال : نبأنا محمّد بن القاسم أبو العَيْناء (٤٦) ، قال : قال الربيع : قال لي المنصور ياربيعُ ! هل تعلم في بنائي هذا موضعاً إنْ أخذني فيه الحصار خرجت خارجاً منه على فرسخين ؟ قال : قلت لا ، قال : بلى : قال : في بنائي هذا اما إنْ أخذني فيه الحصار خرجت خارجاً منه على فرسخين .

** في النص « واثنان »

حُـدِّثتُ عن أبي عُبيدالله محمّد بن عِمران بن موسى المَرْزُباني ، قال : دفع إليّ العبّاس بن العبّاس بن محمّد بن عبدالله بن المُغيرة الجَوْهريّ كتاباً ، ذكر أنه بخطّ عبدالله بن أبي سعد الوَرّاق (٤٧) ، فكان فيه : حدثنا عبدالله بن محمد بن عيّاش التميمي المَرْوَرُوذي ، قال : سمعت جدّي عيّاش بن القاسم يقول (٤٨) : كان على أبواب المدينة مما يلي الرحاب ستور وحجاب ، وعلى كل باب قائد .

فكان على باب الشام سليمان بن مُجالد في ألف .

وعلى باب البصرة أبو الأزْهر التميميّ في ألف .

وعلى باب الكوفة خالد العَكّي في ألف .

وعلى باب خُراسان مَسْلَمة بن صُهَيْب الغَسّاني في ألف .

وكان لايدخل أحد من عمومته ، يعني عمومة المنصور ، ولا غيرهم من هذه الأبواب إلاّ راجلاً ، إلا داوود بن عليّ عمّه ، فإنه كان مُنَقْرِساً ، فكان يحمل في مَحِفّة . ومحمّد المهدي ابنه .

وتكنس الرِحاب في كلّ يوم ، يكنسها الفراشون ، ويحمل التراب إلى خارج المدينة .

[٧٨] فقال له عَمُّه عبدالصَمَد : ياأمير المؤمنين ! أنا شيخٌ كبير ، فلو أذِنْتَ لي أن أنزل داخلَ الأبواب . فلم يأذن له ، فقال : ياأمير المؤمنين ! عُدَّني بعضَ بِغال الرَّوايا التي تصل الى الرِحاب ! فقال : ياربيع ! أبغال الرَّوايا تصل إلى رِحابي ؟ فقال : نعم ، ياأمير المؤمنين ! فقال : تُتَّخَذُ الساعةَ قُنِيٌّ بالساج من باب خراسان حتى يجيء إلى قصري . ففعل (٤٩) .

أخبرنا الحسين بن محمّد بن الحسن المؤدِّبُ قال : أخبرني إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم الشَّطِّي بجرُجان قال : نبأنا أبو إسحاق الهُجَيميّ ، قال : قال أبو العَيْناء : بلغني أن المنصور جلس يوماً فقال للربيع : أنظر مَنْ باب بالباب من وفود الملوك ، فأدخله . قال : فقلت وافدٌ من قِبل مَلك الروم . قال : أَدْخِله ، فدخل . فبينما هو جالس عند أمير المؤمنين إذْ سمع المنصور

صرخة كادت تقلع القصر ، فقال : ياربيع ! ينظر ماهذا ؟ قال : ثم سمع صرخة هي أشدّ من الأولى * ، فقال : ياربيع ! أخرج بنفسك . قال : فخرج الربيع ، ثم دخل ، فقال : ياأمير المؤمنين ! بَقَرَة قُرِّبت لتُذْبَح ، فغَلَبت الجازر ، وخرجت تدور في الأسواق . فأصغى الرومي إلى الربيع يتفهَّم ماقال ، ففطن المنصور لإصغاء الرومي ، فقال : ياربيع ! أفهمهُ ، قال : فأفْهَمَهُ ، فقال الرومي : ياأمير المؤمنين ! إنك بنيت بناءً لم يَبْنِه أحد كان قبلك ، وفيه ثلاثة عيوب ، قال : وماهي ؟ قال : أمّا أوّل عيب فيه فبُعدُهُ عن الماء ، ولابدّ للناس من الماء لشفاههم . وأمّا العيب الثاني فإن العين خضرة وتشتاق الى الخُضرة ، وليس في بنائك هذا بستان . وأمّا العيب الثالث ، فإن رَعيتّك معك في بنائك ، وإذا كانت الرَّعيّة مع الملك في بنائه فشا سِرُّه . قال فتجلّد عليه المنصور ، فقال له : أما قولك في الماء فَحسبُنا من الماء مابلّ شفاهنا . وأمّا العيب الثاني ، فإنّا لم نخلق للّهو واللعب ، وأما قولك في سرّي ، فمالي سِرّ دون رعيتّي .

قال : ثم عرف الصواب ، فوَجّه بشُميس وخلاّد ، وخلاّد هو جَدّ أبي العيناء ، فقال مُدّا لي قناتين من دجلة ، وأغرسوا ** لي العبّاسية وانقلوا الناس الى الكرخ (٥٠) .

[٧٩] قال الشيخ أبو بكر : مدّ المنصور قناةً من نهر دُجَيْل الآخذ من دجلة ، وقناةً من نهر كرخايا الآخذ من الفرات . وجرَّهما إلى مدينته في عقود وثيقة من أسفلها ، مُحْكَمة بالصاروج والآجُرّ من أعلاها .

وكانت كل قناة منهما تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والأرباض ، وتجري صيفاً وشتاءً لاينقطع ماؤها في وقت .

وَجَرّ لأهل الكرخ وماأتصل به نهراً يقال له : نهر الدَّجاج ، وإنما سُمّي بذلك لأن أصحاب الدَّجاج كانوا يقفون عنده . ونهراً يقال له : نهر القَلاّئين

(*) في المطبوع من « الاولين » وهو خطأ واضح .

(**) كذا في الأصل ، والاصح « واغرسا » « وانقلا » .

حدثنا من أدركه جاريا يلتقي في دجلة تحت الفُرْضة ، ونهراً يسمى نهر طابق ، ونهراً يقال له نهر البزّازين ، فسمعت من يذكر أنه توضأ منه ، ونهراً في مسجد الأنْباريّين رأيته لا ماء فيه .

وقد تعطلت هذه الأنهار ودَرَس أكثرها حتى لا يوجد له أثر (٥١). وأنهارنذكرها بعدُ ، إنْ شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

خَبَرُ بناء الكرخ (١)

أخبرنا محمد بن الحسين القَطّان ، قال : أنبأنا عبدالله بن جَعْفر بن دُرُسْتَوَيْه قال : نبأنا يعقوب بن سُفيان ، قال :

سنة سبع وخمسين ومئة فيها نَقَلْ أبو جعفر الأسواقَ من المدينة ومدينة الشرقيّة إلى باب الكرخ وباب الشّعير والمُحَوّل (٢) ، وهي السوق التي تُعرف بالكرخ ، وأمر ببنائها من ماله على يد الرّبيع مولاه (٣) .

وفيها وسّع طُرُق المدينة وأَرباضها ، ووضعها على مقدار أربعين ذراعاً ، وأمر بهدم ما شاعَ من الدّور عن ذلك القَدْر .

أخبرنا أبو القاسم الأزهري ، قال : أنبأنا أحمد بن ابراهيم بن الحسن ، قال : نا إبراهيم بن الحسن ، قال : نا إبراهيم بن محمد بن عَرَفة الأزْدِيّ ، قال : فلما دخلت سنة سبع وخمسين ، وكان أبو جعفر قد ولّى الحِسْبَة يَحيى بن زكريا ، فاستغْوَى العامّة ، وزَيّن لهم الجموع ، فقتله أبو جعفر [٨٠] ببـاب بالذهب . وحَوّل أسواق المدينـة إلى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحُوّل (٤) ، وأمر ببناء الأسواق على يد الربيع .

وأوسعَ الطّرقَ بمدينـة السلام ، وجعلَها على أربعين ذراعاً ، وأمر بهدم ما شَخَص من الدّور عن ذلك المقدار .

وفي سنة ثمان وخمسين بنى المنصور قَصْرَه على دجلة ، وسماه « الخُلْد » .

أخبرنا محمّد بن علي الوّراق ، وأحمد بن علي المُحْتَسب ، قالا : نا محمدّ بن جعفر النّحوْي ، قال : نبأنا الحسن بن محمد السّكُوني ، قال : قال محمد بن خلَف : قال الخَوارزْمي ، يعني محمد بن موسى :

وحوّل أبو جعفر الأسواق إلى الكرخ، وبناها من ماله بعد مئة سنة وست وخمسين سنة وخمسة أشهر وأحد عشر يوماً .

ثم بدأ بعد ذلك في بناء « قصر الخُلْد » على شاطىء دجلة بعد شهر وأَحَد عشر يوماً .

قال محمّد بن خَلَف : وأخبرني الحارث بن أبي أُسامة (٥) ، قال :

لمّا فَرَغ أبو جعفر من مدينة السلام ، وصَيرَّ الأسواق في طاقات مدينته من كل جانب ، قَدِم عليه وَفْدُ ملك الروم ، فأمر أن يُطاف بهم في المدينة . ثم دعاهم ، فقال للبطريق : كيف رأيت هذه المدينة ؟ قال : رأيت أمرها كاملاً ، إلاّ في خَلّة واحدة ، قال : ماهي ؟ قال عَدوُّك يخترقها متى يشاء وأنت لاتعلم ، وأخبارك مبثوثة في الآفاق لا يمكن سَترُها ، قال : كيف ؟ قال : الأسواق فيها ، والأسواقُ غير ممنوع منها أحد ، فيدخل العدوّ كأنه يريد أن يتسوّق . وأمّا التّجار ، فإنها تَرِدُ الآفاق ، فيتحدثون بأخبارك . قال : فزعموا أنّه أمر المنصور حينئذ بإخراج الأسواق من المدينة إلى الكرخ ، وأن يبنى مابين « الصَّراة » إلى « نهر عِيسى » (٦) ، ووَلّى ذلك محمد بن حُبَيَش الكاتب (٧) .

ودعا المنصور بثوب واسع فَحَدَّ فيه الأسواق ، ورتّب كل صِنفٍ منها في موضعه ، وقال : اجعلوا سوق القصّابين في آخر الأسواق ، فإنهم سُفَهاء ، وفي أيديهم الحديد القاطع .

ثم أمر أن يُبنى لأهل الأسواق مسجدٌ يجتمعون فيه يوم الجمعة لايدخلون المدينة ، ويُفْرَدَ لهم ذلك .

[٨١] وقَلّد ذلك رجلاً يقال له الوَضّاح بن شَبَا ، فبنى القصر الذي يقال له « قصر الوَضّاح » والمسجد فيه ، وسُميّت الشرقية لأنها شرقي الصَّراة (٨) .

ولم يضع المنصور على الأسواق غَلّة حتّى مات .

فلّما استُخلِف المهدي ، أشار عليه أبو عبيدالله بذلك ، فامر فوَضَع على الحوانيت الخراج ، ووَلّى ذلك سعيداً الخُرَسيّ سنة سبع وستين ومئة (٩) .

أخبرنا محمد بن علي ، وأحمد بن علي ، قالا : أنبأنا محمد بن جَعفر النحْوِي ، قال : نبأنا الحَسَن بن محمد السّكُوني ، قال : قال محمد بن خلَف :

كانت « سوق البِطّيخ » قبلَ أن تُنْقَل إلى « الكرخ » في دَرْب يعرف بدرب الأساكِفَة ، ودَرْب يعرف بدرب الزّيت ، ودَرْب يعرف بدرب العاج ، فنُقلِت السوق إلى داخِل الكرخ في أيام المهدي ، ودَخَل أكثر الدروب في الدور التي اشتراها أحمد بن محمد الطّائي (١٠) .

وكانت القطائع التي من جانب « الصَّراة » مما يلي « باب المُحَوَّل » لعُقْبَة ابن جعفر بن محمد بن الأشعث بن ولد أُهْبَان بن صيفي مُكَلّم الذئب إقطاعاً من المنصور . ثم خرج عُقْبَةُ على المأمون فَنُهِبَت داره ، ثمأقطعها المأمون ولد عيسى بن جعفر (١١) .

وكانت الدور التي بين الخندق مما يلي باب البصرة وشط الصَّراة وإزاء دور الصَّحابة للأشاعِثَة ، وهي دور آل حَمّاد بن زيد اليوم .

وكانت دار جعفر بن محمّد بن الأشْعث الكِنْديّ مما يلي باب المُحَوّل ، ثم صارت للعبّاس ابنه .

حدثني الحسن بن أبي طالب ، قال : نا أبو عُمَرَ محمّد بن العبّاس الخزّاز ، قال : نا أبو عبيد الناقد ، قال : نا محمد بن غالب ، قال : سمِعت عبدالرحمن بن يُونُسَ أبا مسلم يذكر عن الواقدي (١٢) ، قال : الكَرخ مَغِيضُ السّفَل .

قال الشيخ أبو بكر : إنّما عنى الواقدي بقوله هذا مواضعَ من الكرخ مخصوصةً يسكنها الرافضة (١٣) دون غيرهم ، ولم يُرِدْ سائر نواحي الكرخ . والله أعلم .

أنشدنا الحَسَن بن بكر بن شاذان قال : أنشدنا أبي ، قال : أنشدنا أبو

[٨٢] عبدالله إبراهيم بن محمد بن عَرَفَة نِفْطَوَيْه لنفسه :

سقى أربُعَ الكرخ الغوادي بـديمة
وكُلُّ مُلِثٍّ دائمِ الهَطْلِ مُسْبِلِ

منازل فيها كل حُسْنٍ وبَهْجةٍ
وتلك لها فَضْلٌ على كلِّ منزِلِ

الفصل الرابع

خبر بناء الرُّصافة (١)

أخبرنا محمد بن علي بن مخلد الورّاق ، وأحمد بن علي بن الحسين التُّوَّزي ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر التّميمي النّحوِي ، قال : نا الحسن ابن محمد السّكوني ، قال : نا محمد بن خَلَف ، قال : قال أحمد بن محمد الشّرَوِي ، عن أبيه :

قَدِم المهدي من المُحَمّدية بالرّيّ سنة إحدى وخمسين ومئة في شوّال ، ووَفَدَت إليه الوفود ، وبنى له المنصور الرُّصَافة ، وعمِل لها سوراً وخندقاً وميداناً وبستاناً ، وأجرى لها الماء (٢) .

قال محمد بن خَلَف ، وقال يحيى بن الحسن :

كان بناءُ المهدي بالرُّهوص إلاّ ما كان يسكنه هو . واستتمّ بناء الرُّصافة وجميع ما فيها سنة تسع وخمسين ومئة . هكذا قال يحيى بن الحسن .

وأخبرنا ابن مَخْلَد وابن التُّوَّزي ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر ، قال : نبأنا السّكُونيّ ، قال : نبّأنا محمد بن خَلَف ، قال : نا الحارث بن أبي أسامة ، قال : فُرِغ من بناء الرُّصافة سنة أربع وخمسين ومئة .

قرأت على الحسن بن أبي بكر ، عن أحمد بن كامل القاضي ، قال : حدّثني محمد بن موسى عن محمّد بن أبي السَرِّي عن الهيثم بن عَدِيّ(٣) قال :

لمّا بنى المهدي قصرَه بالرصافة ، دخل يطوف فيه ، ومعه أبو البخْتري وهْب بن وَهْب ، قال : فقال له : هل ترون في هذا شيئاً ؟ قال : نعم حدثني جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال « خيرُ صُحُونِكم ما سافرت فيه أبصارُكم » (٤) .

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمّد بن عبدالله المعدّل ، قال : نا عثمان بن أحمد الدّقّاق ، قال : نبّأنا محمد بن أحمد بن البرّاء ، قال : قال علي بن يقْطين (٥) خرجنا مع المهدي ، فقال لنا يوماً : إنيّ داخل ذلك [٨٣] البَهْوَ ، فنائم فيه ، فلا يوقظنّي أحد حتى أستيقظ ، قال : فنام ، ونمنا ، فما أنبْهَنا إلا بكاؤه ، فقمنا فزِعين ، فقلنا : ماشأنك ، ياأمير المؤمنين ؟ قال : أتاني الساعة آتٍ في منامي شيخٌ ، واللهِ لو كان في مئة ألف شيخ لعرفته ، فأخذ بعُضادتي الباب ، وهو يقول :

كأَنيّ بهذا القصر قد بادَ أهلُهُ
وأوحَشَ منه رُكْنُهُ ومنازلُهُ

وصار عميدُ القومِ من بعدِ بهجةٍ
ومُلْكٍ إلى قبر عليهِ جَنَادِلُهْ (٦)

أخبرني القاضي أبو عبدالله الحسين بن علي الصَّيمَرَي ، قال : نبأنا محمد ابن عمران المرزُباني ، قال : أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدثني محمد ابن موسى المُنَجِم ان المعتصم وأبن ابي دُواد اختلفا في مدينة أبي جعفر والرّصافة : أيهما أعلى ؟ قال : فأمرني المعتصم ، فوزنتهما ، فوجدت المدينة أعلى من الرُّصافة بذراعين ونَحْوٍ من ثُلُثَيْ ذراع .

قال الشيخ أبو بكر : وربع الرصافة يسمى عَسْكَر المهدي ، وإنمّا سُمِّي بذلك لأن المَهدْيّ عَسْكَرَ به عند شخوصه إلى الرَيّ (٧) .

الفصل الخـامس

ذكر مَحَالّ مدينة السّلام

وطاقاتها ، وسِكَكِها ، ودروبها ، وأَرْباضِها ، ومعرفة من نسبت إليه
من ذلك نواحي الجانب الغَرْبيّ

أخبرنا محمد بن علي بن مَخْلَد ، وأحمد بن علي بن الحسين التُوَّزي ، قالا : أنبانا محمد بن جعفر التميمي النَحْوِيّ ، قال : أنبأنا الحسن بن محمد السَكُوني ، قال : نبأنا محمد بن خَلَف وكيع ، قال :

طاقات العَكِّيّ ، هو مُقاتل بن حَكيم ، أصله من الشام .

وطاقات الغِطْريف بن عَطَاء ، وهو أخو الخَيْزُران خال الهادي والرشيد،وَلي اليمن،ويقال:إنه من بني الحارث بن كَعْب،وإن الخَيْزُران كانت لسَلَمة بن سعيد ، اشتراها من قوم قدموا من جُرَش ، مُوَلّدة .

[و] طاقات أبي سُوَيْد ، اسمه الجارود ، مما يلي مقابر باب الشام (١)

رَبَض العلاء بن موسى ، عند درب أبي حَيّة (٢).

٨٤] [و] رَبَض أبي نُعَيْم موسى بن صَبيح من أهل مَرْو عند موضع يقال له شيرويه (٣) ، ويقال إن أبا نعيم خال الفَضْل بن الرَّبيع .

قال الشيخ أبو بكر : يقال « شيرويه » هو أسم موضع في هذا الرَّبَض .

ورَبَض أبي عَوْن عبدالملك بن يزيد ، الدَّرْب النّافذ الى دَرْب طاهر(٤).

ورَبَض أَبي أَيّوب الخُوزِيّ .

ورَبَض الُتَرْجُمان يَتّصل برَبَض حَرْب . التُرْجُمان بن بَلْخ (٥) .

مُرَبّعة شبيب بن رُوح المَرْوَرّوذِيّ : كذا ذكر لي ابن مَخْلَد وابن التُوَّزِي ، وإنّما هو شَبيب بن وَاج : قال ذلك أحمد بن أبي طاهر ، وإبراهيم بن محمد بن عَرَفَة الأزدي ، ومحمد بن عُمر الجِعَابيّ (٦) .

[و] مُرَبَّعة أبي العبّاس ، وهو الفَضْل بن سليمان الطُّوسي ، وهو من أهل أَبيورْدَ (٧) .

قال محمد بن خلف : وقال أحمد بن أبي طاهر : حدثني أبو جعفر محمد بن موسى بن الفُرَات الكاتب (٨) : إنّ القرية التي كانت في مُرَبّعة أبي العباس كانت قرية جَدِّه من قِبَلِ أُمّه ، وأنّه من دهاقين يقال لهم بنو زُرَاري (٩) .

وكانت القرية التي تسمى الوَرْدانيّة ، وقرية أخرى قائمة إلى اليوم مما يلي مُرَبّعة أبي قُرّة (١٠) .

قال محمّد بن خلف : ومُرَبّعة أبي قُرّة هو عُبَيد بن هلال الغَسانيّ من أصحاب الدّولة .

وزَعَم أحمد بن الحارث ، عن إبراهيم بن عيسى (١١) ،قال :

كان في الموضع الذي هو اليوم معروف بدار سعيد الخطيب قرية يقال لها شَرْقَانيّة (١٢) ، ولها نخلٌ قائمٌ إلى اليوم مما يلي قَنْطَرة أبي الجون ، وأبو الجون من دهاقين بغداد من أهل القَرْيَة .

قال محمد بن خلف :

ورَبَض سليمان بن مُجَالد (١٤) .

ورَبَض إبراهيم بن حُمَيْد .

ورَبَض حمزة بن مالك الخُزَاعي (١٥) .

ورَبَض رَوّاد بن سِنان . أحد القُرّاد (١٦) .

ورَبَض حُمَيْد بن قُحْطُبة بن شَبيب بن خالد بن معْدان بن شمس الطائيّ ، وقرية معدان بِعُمَان على ساحل البحر ، يقال لها « بوس » (١٧) ،.

[٨٥] ورَبَض نَصْر بن عبدالله ، وهو شارع على دُجَيْل يعرف بالنّصْريّة(١٨)

ورَبَض عبدالملك بن حُمَيْد كاتب المنصور قَبْل أَبي أيّوب .

ورَبَض عَمرُو بن المهلّب .

وربَض حُمَيْد بن أبي الحارث أحد القوّاد .

وربَض إبراهيم بن عثمان بن نُهَيْك عند مقابر قريش (١٩) .

وربَض زُهَير بن المُسَيّب (٢٠) .

وربض الفُرْس ومُرَبَّعَهم أقطعهم المنصور (٢١) .

ثم قال محمّد بن خلف : وقال الفِرَاشي — أحمد بن الهَيْثَم :

إقطاع المُسَيّب بن زُهَيْر في شارع باب الكوفة مابين حَدّ دار الكِنْدي الى حدّ سُوَيْقَة عبدالوهاب إلى داخل المقابر (٢٢) .

وإقطاع القَحاطبة من شارع باب الكوفة الى باب الشام (٢٣) .

أخبرني أبو القاسم الأزْهري : أنبأنا أحمد بن إبراهيم ، قال نبأنا إبراهيم ابن محمد بن عَرَفَة ، قال :

وأما شارع القَحَاطِبة ، فمنسوب إلى الحسن بن قَحْطَبَة ، وهناك منزله . وكان الحسن من رجالات الدّولة ، ومات سنة إحدى وثمانين ومئة .

أخبرنا إبن مَخْلَد وابن التُوَّزي ، قالا : أنبأنا محمّد بن جعفر ، قال : نبأنا السّكُونيّ ، قال : قال محمد بن خلف :

وأقطع المأمون طاهر بنَ الحسين داره ، وكانت قَبْلَه لعبيد الخادم مولى المنصور .

قال : والبَغيين إقطاع المنصور لهم ، وهو من درب سَوّار الى آخر رَبَض البُرْجُلانيّة .

وفي البُرْجُلانيّة منازل حَمْزَة بن مالك (٢٤) .

الخُوَارَزْميّة جندٌ من جند المنصور (٢٥) .

الحَرْبيّة نُسبت الى حَرْب بن عبدالله صاحب حَرَس المنصور (٢٦) .

الزُّهَيريّة إلى زُهَيْر بن محمد قائد من أهل أبيوَرْد (٢٧) .

منارة حُمَيْد الطُّوسِيّ الطائي .

قال محمد بن خلف : قال أبو زيد الخطيب : وسمعت أبي يقول : شِهار سوج الهيثم ، هو الهيثم بن معاوية القائد (٢٨) .

وقال أبو زيد الخطيب :

المَنَار الذي في شارع الأنْبار بناه طاهِرٌ وقت دخوله .

قال محمد بن خلف :

[٨٠ بُسْتان القَسّ ، قَسٌّ كان ثَمَّ قبلَ بناء بغداد (٢٩) .

سُوَيقة عبدالوهّاب بن محمد بن إبراهيم الإمام (٣٠) .

أخبرنا محمّد بن أحمد بن رِزْق ، قال : أنبأنا عثمان بن أحمد الدَقّاق ، قال : نبأنا محمّد بن أحمد بن البَراء قال : نبأنا عليّ بن أبي مريم ، قال : مَرَرْت بسويقة عبدالوهّاب ، وقد خربت منازلها ، وعلى جدار منها مكتوب :

هذي منازلُ أقوامٍ عَهِدتُهُمُ
في رَغْد عَيْشٍ رَغيب مالَه خَطَرُ
صاحت بهم نائبات الدّهرِ فانقلبُوا
الى القبور ، فلا عَيْنٌ ولا أَثَرُ

أخبرنا إبن مَخْلَد وابن التَوَّزي قالا : أنبأنا محمد بن جعفر قال : نبأنا السَكُوني قال : قال محمد بن خَلَف :

ودُور الصحابة (٣١) ، منهم أبو بكر الهُذَلِيّ ، وله مسجدٌ ودرب ، ومحمّد بن يزيد ، وشَبّةُ بن عَقّال ، وحَنْظَلَةُ بن عَقّال : ولهم دَرْب ينسب إلى الاستِخْراجيّ اليومَ .

ولعبدالله بن عَيَّاش دار على شاطئ الصَّراة (٣٢) .

ولعبدالله بن الرّبيع الحارِثيّ دارٌ في دور الصّحابة .

ولابن أبي سَعْلى الشّاعر .

ولأبي دُلامَةَ ، زيد بن جَوْن إقطاع . هكذا في رواية محمّد بن جعفر عن السّكُوني : زَيْد بالياء .

وقد أخبرنا محمّد بن الحسن الأهْوازِيّ ، قال : نا أبو أحمد الحسن ابن عبدالله بن سعيد العَسْكَري ، قال : أنبأنا أبو العباس بن عَمّار ، قال أنبأنا إبن أبي سعد ، قال : قال أحمد به كُلْثُوم : رأيت أبا عثمان المازِنيّ والجمّاز عند جَدّي محمّد بن أبي رجاء ، فقال لهم : ما اسمُ أبي دُلامة ؟ فلم يَرُدّوا عليه شيئاً . فقال جدّي : هو زَنْد ، إيّاك أن تُصَحِّف ، فتقول : زيد (٣٣) .

قال أبو أحمد العَسْكَري : أبو دلامة هو زَنْد بن الجَوْن مولى قُصَاقِص الأسَدِيّ : صَحِب السّفّاح والمنصور ، ومَدَحهما . وفي أجداد النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، في نسب إسماعيل : زَنْد بن بَرِي بن اعراق الثَرَى .

أخبرني عبدالله بن أحمد بن عثمان الصَيْرَفي ، قال : نبّأنا محمّد بن عبدالله بن أيوب ، قال : أنبأنا أبو العباس أحمد بن عبيدالله بن عَمّار [٨٧] الثَقَفي ، قال : قال أبو أيّوب ، يعني سليمان بن أبي شَيخ :

كان أبو جعفر المنصور أمر بِدُورٍ من دُور الصّحابة أن تُهْدَم أو تُقْبض ، وفيها دارٌ لأبي دُلامة ، فقال (٣٤) :

يا بني وارث النّبيّ الذي حـ
ـلّ بكفّيْه مالُهُ وعَقَارُهْ
لكُمُ الأرضُ كُلّها فأعيروا
عَبْدَكم ما احتوى عليه جِدارُهْ
وكأنْ قد مضى وخلّف فيكم
ما أَعَرْتُمْ وحَلّ مالا يُعَارُهْ

أخبرنا إبن مَخْلَد وابن التُوَّزِيّ ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر ، قال : نبأنا السّكوني قال : قال محمد بن خَلَف :

كان موضع السجن الجديد إقطاعاً لعبدالله بن مالك ، نزلها محمد بن يحيى بن بَرْمَك ، ثم دخلت في بناءِ أمّ جعفر أيّام محمّد الذي سمته « القَرَار » (٣٥) .

وكانت دار سليمان بن أبي جعفر قَطيعةً لهشام بن عَمْرو الفَزاري(٣٦)

ودار عمرو بن مَسْعَدَة للعبّاس بن عبيدالله بن جعفر بن المنصور .

دار صالح المسكين أَقْطَعَه إيّاها أبو جعفر .

وسُوَيْقَة الهيثم بن شُعْبَة بن ظهير مولى المنصور ، تُوُفّي سنة ست وخمسين ومئة وهو على بَطْن جارية (٣٧) .

دار عُمَارَة بن حَمْزة أحد الكُتّاب البُلَغاء الجِلّة ، يقال : هو من ولد أبي أُمامة مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم ، ويقال : هو من ولد عِكْرِمة (٣٨) .

قصر عَبْدَوَيْه من الأَزْد من وجوه الدولة ، تولّى بناءه أيام المنصور (٣٩)

دار أبي يزيد الشّرَوي مولى علي بن عبدالله بن عبّاس (٤٠) .

سِكّة مُهَلْهِل بن صَفْوان مولى علي بن عبدالله .

صَحراء أبي السّرِي الحَكَم بن يوسف قائد ، وهو مولى لبني ضَبّة

الرَّهينة : كانت لقوم أُخِذوا رَهينةً أيّام المنصور ، وهي مُتصلة بِرَبَض نوح بن فَرْقَد ، قائد .

صحراء قيراط مولى طاهر ، وابنه عيسى بن قيراط (٤١) .

دار إسحاق كانت جزيرةً أَقطعها المأمون إسحاق بن إبراهيم (٤٢) .

سُوَيْقَة أبي الوَرْد هو عُمَر بنْ مُطَرِّف المَرْوَزي كان يلي المظالم للمهدي . ويتّصل بها قطيعة إسحاق الأَزْرَق الشّرَوي من ثِقات المنصور(٤٣)

[٨٨] حدثت عن أبي عبدالله المَرْزُباني ، قال : حدّثني عبدالباقي ابن قانع ،

قال : إنّما سميت سُوَيْقَة أبي الوَرْد ، لأنّ عيسى بن عبدالرّحمن كان يقال له أبو الوَرْد ، وكان مع المنصور ، فالسُّوَيْقَةُ به سُمّيت .

أخبرنا ابن مَخْلَد وابن التُّوَّزِيّ ، قالا : أنبأنا محمّد بن جعفر ، قال نبأنا السّكُونيّ ، قال : قال محمد بن خَلَف :

بِرْكَة زَلْزَل الضارب ، وكان غلاماً لعيسى بن جعفر ، فحفر هذه البِرْكَة للسبيل (٤٤) .

أنشدنا الحسن بن أبي بَكْرٍ قال : أنشدنا أبي ، قال : أنشدنا إبراهيم ابن محمّد بن عَرَفَة نِفْطَوَيْه لنفسه :

لَوَ انّ زُهَيْراً وامْرَأَ القَيْس أبصرا
مَلاَحَةَ ما تحتويه بِرْكَةُ زَلْزَلِ
لما وصفا سَلْمَى ولا أَمَّ سالمٍ
ولا أكثرا ذكرَ الدَّخُولِ فَحَوْملِ (٤٥)

أخبرنا ابن مَخْلَد وابن التُّوَّزِي ، قالا : أنبأنا محمّد بن جعفر ، قال : نبأنا السّكُونيّ ، قال : نبّأنا محمّد بن خَلَف ، قال : قال أحمد بن أبي طاهر : حدّثني أحمد بن موسى من دهاقين « بادُوريا » قال :

كانت قَطِيعة الرّبيع مزارعَ للناس من قرية يقال لها « بناورى » من رستاق الفروسِج من بادُورَيا ، واسمها الى الساعة معروف في الديوان (٤٦)

قال محمد بن خلف : قالوا : أقطع المنصور الربيع قطيعته الخارجة وقطيعة أخرى بين السُورَيْن ظَهْر دَرْب جَميل ، وأنّ التُجّار وساكني قطيعة الربيع غصبوا ولد الربيع عليها. وكانت قطيعةُ الربيع وسُوَيْقَة غَالِب تسمّى قبلَ ذلك وَرْثَالا . ويقال إن الخارجة أقطعها المهـدي للرّبيع ، والمنصور أقطعه الداخلة (٤٧) .

أخبرني أبو القاسم الأزْهَري ، قال : أنبأنا أحمد بن إبراهيم ، قال : نبأنا إبراهيم بن محمد بن عَرَفَة قال :

وأما قَطيعَة الرَّبيع فمنسوبة إلى الرّبيع مولى المنصور .

وأمّا قطيعة الأنْصَار ، فإنّ المهدي أَقْدَمهم ليُكْثِر بهم أنصاره ، ويتيمّن بهم ، فأَقْطَعهم هذه القطيعة .

[٨٩] وكانت منازلُ البَرامِكة بالقُرب منهم (٤٨) .

قال ابن عَرَفَة : وأما قطيعةُ الكِلاب ، فأخبرني بعض الشُّيوخ عن رجل من أهلها عن أبيه قال : لما أقطع أبو جعفر القطائع ، بقيت هذه النّاحيّة لم يقطعها أحداً ، وكانت الكِلاب فيها كثيراً ، فقال بعض أهلها : هذه قطيعة الكِلاب ، فسمّيت بذلك (٤٩) .

وأمّا سِكك المدينة ، فمنسوبة إلى موالي أبي جعفر وقواده ، منها : سِكّة شيخ بن عُمَيْرة ، وكان يخلف البرامكة على الحرس ، وكان قائداً (٥٠)

وأمّا دارُ خازِم ، فهو خازم بن خزيمة النّهْشَلِيّ ، وهو أحد الجبابرة ، قَتَلَ في وقعةٍ سبعين ألفاً ، وأسر بضعة عشر ألفاً فضرب أعناقهم ، وذلك بخُراسان .

وأمّا دَرْب الأبرَد ، فإنه الأبرَد بن عبدالله قائد من قُوّاد الرشيد ، وكان يتولى هَمَذَان .

وأمّا دَرْب سُلَيْمان فإنّه منسوب إلى سُليمان بن أبي جعفر المنصور (٥١)

وسِكّة الشُّرَط في المدينة ، كان ينزلها أصحاب شُرَط المنصور (٥٢) .

وسكة سَيّابة منسوبة إليه ، وهو أحد أصحاب المنصور .

وأما الزُّبَيْدِيّة التي بين باب خراسان وبين شارع دار الرَّقيق ، فمنسوبة إلى زُبَيْدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور .

وكذلك الزُّبَيْدِيّة التي أسفلَ مدينة السلام في الجانب الغربيّ (٥٣) .

وأما قصرُ وَضّاح فمنسوب إلى وَضّاح الشّرَوي مولى المنصور .

وأما دور بني نَهَيْك التي تقرب من باب المُحَوَّل فهم أهل بيت من أهل سِمّرة (٥٤) ، وكانوا كتاباً وعمالاً متّصلين بعبدالله بن طاهر .

وأما دَرْبُ جَميل ، فهو جَميل بن محمّد ، وكان أحد الكتاب .

وأما مسجد الأنْبَاريين فينسب إليهم الكثرة من سكنه منهم (٥٥) . وأقدم من سكنه منهم زِياد القَنْديّ ، وكان يتصرّف في أيام الرشيد .

وكان الرّشيد ولىّ أبا وَكيع الجَرّاح بن مَليح بيت المال ، فاستخلف زِياداً ، وكان شيعيّاً من الغالية ، فاختان هو وجماعة من الكتّاب ،واقتطعوا من بيت المال ، وصحّ ذلك عند الرّشيد ، فأمر بقطع يد زياد ،فقال: ياأمير المؤمنين ! لايجب عليّ قطع اليد ، إنمّا أنا مؤتمن ، وإنما خُنْتُ ، فكفَّ عن قطع يده .

قال ابن عَرَفَة : وممن نزل مسجد الأنباريين من كبرائهم : أحمد بن اسرائيل ، ومنزله في درب جميل . [٩٠

ودُلَيل بن يعقوب ، ومنزله في دور بني نُهَيْك .

وهنَاك دار أبي الصّقْر إسماعيل بن بُلْبُل .

وممن أدركنا من سَراة الأنباريين أبو أحمد القاسم بن سعيد وكان كاتباً أديباً .

أخبرنا ابْن مَخْلَد وابن التُوَّزِيّ ، قالا : أنبأنا محمّد بن جعفر ، قال : أنبأنا السّكُونيّ ، قال : قال محمد بن خلف :

طاق الحرّاني إبراهيم بن ذَكْوَان، ثمّ السوق العَتيقة إلى باب الشعّير(٥٦).

قال الشيخ أبو بكر : وفي السوق العَتيقة مسجدٌ تغشاه الشيعة وتزوره وتُعَظِمُهُ وتزعم أنّ أميرَ المؤمنين عليّ بْنَ أبي طالب صلّى في ذلك الموضع . ولم أر أحداً من أهل العلم يُثبت أنّ عليّاً دخل بغداد،ولا رُوِي لنا في ذلك شيء غير ماأخبرنا القاضي أبو عبدالله الحسين بن علي الصَّيْمَرِيّ ، قال : نبأنا أحمد بن محمد بن علي الصَيْرَفي قال : نبّأنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر الجِعَابيّ الحافظ ، وذكر بغداد ، فقال : يقال إن أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب اجتاز بها إلى النهروان راجعاً منه ، وأنه صلّى في مواضع منها ، فإن صحَّ ذلك فقد دخلها مَنْ كان معه من الصحابة .

قال الشيخ أبو بكر : المحفوظ أنّ علياً سَلَكَ طريق « المدائن » في ذهابه الى النهروان وفي رجوعه ، والله أعلم .

حدّثني أبو الفضل عيسى بن أحمد بن عثمان الهَمداني ، قال : سمعت أبا الحسن بن رِزْقَوَيْه (٥٧) يقول : كنت يوماً عند أبي بكر الجِعَابيّ فجاءه قوم من الشيعة ، فسلّمُوا عليه ودفعوا له صُرّةً فيها دراهم ، ثمّ قالوا له : أيّها القاضي ! إنّك قد جمعت أسماء مُحَدِّثي بغداد ، وذكرت مَنْ قدِم اليها ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد وَرَدَها ، فنسأ لك أن تذكُرَه في كتابك ، فقال : نعم ، يا غلام هاتِ الكتاب . فجيءَ به . فكتبَ فيه « وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، يقال إنّه قدِمها » . قال ابن رِزْقَوَيْه : فلما انصرف القوم قلت له : أيها القاضي ! هذا الذي ألحقته في الكتاب ، مَنْ ذَكَرَهُ ؟ فقال : هؤلاء الذين رأيتهم ، أو كما قال .

[٩١] أخبرنا ابن مَخْلَد وابن التَّوَّزي القاضي ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر (عن) السّكوني ، قال : قال محمد بن خلف : مسجد ابن رغبان عبدالرحمن بن رَغْبَان مولى حبيب بن مسلمة (٥٨) .

ونهر طَابَق إنّما هو نهر بَابَك بن بَهْرام بن بابَك ، وهو الذي اتخذ العَقْر الذي عليه قصر عيسى ابن علي ، واحتفر هذا النهر (٥٩) .

ونهرعيسى غَربيّه من الفَرَوْسِج وشرقيّه من رستاق الكرخ ،وفيه دور المَعْبَدِين ، وقنطرة بني زُرَيْق ، ودار البِطّيخ ، ودار القُطْن ، وقطيعةُ النصارى إلى قنطرة الشَوْك من نهر طابَق : شرقيه وغربيّه من قرية بَنَاوْرِي(٦٠)

ومسجدُ الواسطيّين مع ظُلّة مَيْشَوَيْه ، ومَيْشَوَيْه نصرانيّ من الدّهاقين . إلى خندق الصّينيات (٦١) إلى الياسِريّة .

وماكان غربيّ الشارع فهو من قُرى تعرف ببَرَاثا ، وماكان من شرقيه فهو من رستاق الفَرْوسِج (٦٢) .

وما كان من درب الحجارة وقنطرة العبّاس شرقياً وغربياً ، فهو من نهر كَرْخَايا ، وهو من بَراثا (٦٣) .

وإنمّا سمّي كرخايا ، لأنه يسقي في رستاق الفَرَوْسِجْ والكرخ . فلما أحدث عيسى الرحى المعروف بأبي جعفر ، قطع نهر كرخايا وشقّ لرستاق الكرخ شِرباً من نهر رُفَيْل (٦٤) .

العبّاسيّة قطيعةٌ للعبّاس بن محمد (٦٥) .

الياسِريّة لياسر مولى زبيدة .

قنطرة بني زُرَيْق دهاقين من أهل بادُوريَا .

قنطرة المَعْبَدي عبدالله بن مَعْبَد المَعْبَديّ .

أرحاء البَطريق وافد لملك الروم ، واسمه طاراث بن اللّيث بن العيزار بن طَريف بن فوق بن مُورَق ، بَنى هـذا المُسْتَغَلّ ثم مات ، فقبضت عنه (٦٦) .

أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن محمّد بن جعفر الخالع ، فيما أذن أن نَرْوِيه عنه ، قال : أنبأنا علي بن محمد بن السَّرِّيّ الهَمَذاني ، قال : أنبأنا القاضي أبو بكر محمّد بن خَلَف ، قال :

أُنبئت أنّ يعقوبَ بن المهديّ سأل الفضلَ بن الربيع عن أرحاء البَطريق (٦٧) فقال : أخبرني إسحاق بن محمّدبن إسحق ، قال له: مَنْ هذا البطريق الذي نسبت إليه هـذه الأرحاء ؟ فقال الفضل : إن أباك ، رضي اللهُ عنـه ، لما أفضت إليه الخلافة قَدِم عليه وافـدٌ من الروم يهنئـه ، فاستدناه ، ثمّ كلّمه [٩٢] بترجمان يُعَبِّر عنه ، فقال الرومي : إني لم أَقدم على أمير المؤمنين لمالٍ ولا لغَرَضٍ ، وإنمّا قدمت شوقاً إليه والى النظر إلى وجهه ، لأنا نجد في كتبنا

أن الثالث من أهل بيت نبي هذه الأمة ، يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً .
فقال المهدي : قد سرّني ماقلت ، ولك عندنا كلُّ ماتُحبّ . ثم أمر الرّبيعَ بإنزاله وإكرامه . فأقام مدّة ، ثم خرج يتَنَزّهُ ، فمرّ بموضع الأرْحاء ، فنظر إليه ، فقال للربيع : أَقرضْني خمس مئة ألف درهم أبني بها مُسْتَغلاً يؤدّي في السنة خمس مئة ألف درهم ، فقال : أفعل . ثمّ أخبر المهدي بما ذكر ، فقال : أعْطه خمس مئة ألف درهم وخمس مئة ألف درهم ، وما أَغلّت فادفَعْه إليه . فإذا خرج إلى بلاده ، فابعث به إليه في كل سنة (٦٨) .
قال : ففعل ، فبنى الأرْحاء ثم خرج إلى بلاده فكانوا يبعثون بِغلّتها إليه حتى مات الروميّ ، فأمر المهدي أن يُضَمّ إلى مُسْتَغلّه . قال : واسم البطريق طاراث بن الليث بن العَيْزار بن طريف ، وكان أبوه ملكاً من ملوك الروم في أيام معاوية بن أبي سُفْيان .

أخبرني أبو القاسم الأزهري ، قال : أَنبأنا أحمد بن إبراهيم ، قال : نبّأنا إبراهيم بن محمد بن عرَفَة ، قال : وأما قطيعة خزيمة فهو خزيمة ابن خازم أحد قواد الرشيد ، وعاش إلى أيام الأمين ، وعَمي في آخر عمره (٦٩).

وأما شاطئ دجلة ، فمن قصر عيسى إلى الدار التي ينزلها في هذا اليوم على قَرن الصَّراة إبراهيم بن أحمد ، فإنما كان إقطاعاً لعيسى بن علي ، يعني ابن عبدالله بن عبّاس ، وإليه ينسب نهر عيسى وقصر عيسى (٧٠) ، وعيسى ابن جعفر (٧١) ، وجعفر بن أبي جعفر وإليه ينسب فَرْضَة جعفر وقطيعة جعفر.

وأمّا قصر حُمَيْد ، فأُحْدِثَ بعدُ (٧٢) .

وأمّا شاطئ دجلة من قَرْن الصَّراة إلى الجسر ، ومن حدّ الدار التي كانت لنجاح بن سَلَمة ، ثم صارت لأحمد بن اسرائيل ، ثمّ هي اليوم بيد خاقان المُفْلحي إلى باب خُراسان ، فذلك « الخُلْدُ » .

ثمّ مابعده إلى الجسر فهو القَرَار ، نزله المنصور في آخر أيامه ، ثم أَوْطنه الأمين .

٩٣] أخبرنا علي بن محمّد بن عبدالله المَعَدّل ، قال: أخبرنا الحسين بن صفوان البَرْذَعِي ، قال : نبّأنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدُّنْيَا قال : حدثني الحسن بن جَهْوَر قال :

مررت مع علي بن أبي هاشم الكوفي بالخُلْد والقَرَار ، فنظر إلى تلك الآثار فوقف متأملاً ، وقال : (٧٣) .

بَنَوْا وقالوا : لانموت وللخراب بَني المُبَنِيّ
ما عاقل فيما رَأَ يْتُ الى الحياة بمطمئن

أخبرني الأزهري ، قال : أنبأنا أحمد بن إبراهيم ، قال : نبأنا ابن عَرَفَة ، قال :

وأمّا دار إسحاق ، فمنسوبة إلى إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبي ، ولم يزل يتولى الشُّرطة من أيام المأمون إلى أيام المتوكّل ، ومات في سنة خمس وثلاثين ومئة وسنُّهُ ثمان وخمسون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً (٧٤) .

وأما قطيعة أم جعفر ، فمنسوبة اليها .

الفصل السادس

تسمية نواحي الجانب الشرقي (١)

أخبرنا محمد بن علي بن مَخْلَد ، وأحمد بن علي التَّوَّزِيّ ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر التميمي ، قال : نبّأنا الحسن بن محمد السّكُونيّ ، قال : نبّأنا محمد بن خَلَف ، قال :

دَرْب خُزَيْمَةَ بن خازِم إقطاع (٢) .

طاق أَسماء بنت المنصور ، وهي التي صارت لعلي بن جَهْشِيار .

بَيْن القَصْرين : قَصْر أسماء ، وقصر عُبَيْدالله بن المهدي (٣) .

سُوَيْقَةُ خُضَيْر مولى صالح صاحب المُصَلّى ، كان يبيع الجِرار هناك (٤) .

سُوَيْقة يحيى بن خالد إقطاع ، ثمّ صارت لأُمّ جعفر ، أقطعها المأمون طاهراً (٥) .

سويقة أبي عبيدالله معاوية بن عبيدالله بن عِضَاة الأشْعَري الوزير (٦)

قصر أُمّ حَبيب إقطاع من المهدي لعُمارة بن أَبي الخصيب (٧) مولى لروح بن حاتم ، وقد قيل إنه مولى للمنصور .

سويقة نَصْر بن مالك بن الهَيْثَم الخُزَاعيّ ، وكان هناك مسجد ، فتَعَطّلَ أيّام المُسْتَعين (٨) .

سوق العَطَش ، بناه سعيد الخَرَسِي للمهديّ ، وحوّل إليه كل ضرب من التُجّار ، فشُبِّه بالكرخ ، وسماه « سوق الرَّيّ » ، فغلب عليه سوق العطش (٩) .

[٩٤] وإن قنطرة البَرَدان إلى الجسر للسّرِي بن الحُطَم ، وقالوا : اشترى أبو النّضر (١٠) هاشم بن القاسم موضع داره من السَرِيّ بن الحُطَم ، وكان يقال : ليس في ذلك الشارع أصحّ من دار أبي النّضْر (١١) .

أَخبرنا أبو عبدالله الخالــع ، فيما أَذِن أَن نَروِيه ، قال : أنبأنا علي ابن محمد بن السّرِيّ الهَمَذَاني ، قال : أنبأنا القاضي أبو بكر محمد بن خَلَف ، ، قال : قال أحمد بن الحارث (١٢) :

إنّ بغداد صُوِّرت لملك الروم : أَرضُها وأسواقُها وشوارعُها وقصورها وأنهارُها ، غربيِّها وشرقيِّها ؛ وأن الجانب الشرقي منها لما صُوِّرت شوارُعه ، فصُوِّر شارعُ الميدان وشارعُ سُوَيْقة نَصْر بن مالك (١٣) ، من باب الجسر إلى الثلاثة الأبواب والقصور التي فيه ، والأسواق والشوارع ، من سُوَيْقَة خُضَيْر الى قنطرة البَرَدان ، فكان ملك الروم إذا شرب دعا بالصور فيشرب على مثال شارع سُوَيْقَة نَصْر ويقول : لم أر صورة شيْ من الأبنية أحسن منه.

أَخبرنا إبن مَخْلَد ، وإبن التَّوَّزِي ، قالا : أنبأنا محمّد بن جعفر ، قال: نبأنا السّكُوني ، قال : قال محمّد بن خلف :

مُرَبّعة الخُرَسي هو سعيد الخُرَسي (١٤) .

دار فَرَج الرُّخّجِيّ ، كان مملوكاً لحَمدونة بنت غُضَيْض أمّ ولد الرشيد (١٥) .

وأخبرني الأزهري ، قال : نبّأنا أحمد بن إبراهيم ، قال : نبّأنا إبراهيم بن محمّد بن عَرَفَة ، قال :

وقصر فَرَج ، منسوب الى فَرَج الرُّخّجيّ ، وابنه عُمَر بن فَرَج كان يتولّى الدّواوين ، وأوقع به المُتَوَكّل .

وأمّا شارع عبدالصمد فمنســوب إلى عبدالصَّمَد بن علي بن عبدالله بن العباس ، وكان أَقْعَد أهل دهره نسباً ؛ وكان بينه وبين عبدِ مَناف كما بين يزيد بن معاوية وبين عبد مَناف ، وبينهما في الوفاة مئة وإحدى وعشرون سنة ، ومات محمد بن علي سنة ثماني عشرة ، وبينه وبين عبدالصَّمَد خمس وستون سنة ، وبين داود بن علي وعبدالصمد بن علي اثنتان وخمسون سنة، ومات في أيام الرشيد . وهو عمّ جَدّه ، وله أخبار كثيرة . وكانت أسنانُ

عبدالصَّمَد وأضراسُه قطعةٌ واحدةٌ ما تُغيرَ . وكان الرشيد حبَسه ، ثم رضي عنه فأطلقه (١٦) .

[٩٥] أخبرنا ابن مَخْلَد وابن التُوَّزِيّ قالا : أنبأنا محمد بن جعفر ، قال نبّأنا السّكُوني ، قال : قال محمد بن خلَف :

درب المُفَضَّل بن زمام مولى المهدي : إقطاع (١٧) .

رَحْبَة يعقوب بن داود الكاتب مولى بني سُلَيْم (١٨) .

خان أبي زياد ، كان ممن وَسَمَه الحجّاج من النّبَط ، وهو من سواد الكوفة ، وعاش إلى أيّام المنصور . ثم انتقل فنَزَل في هذا الموضع . وكان يكنى أبا زينب ، فغلب عليه « أبو زياد » ، ونشأ له ابن تأدّب وفَصُحَ .

دار البانُوجة بنت المهدي (١٩) .

وكذلك سويقة العبّاسة ، ودار العبّاسة بالمُخَرِّم .

وقطيعة العبّاس بباب المُخَرِّم ، وهو العبّاس بن محمّد بن علي بن عبدالله ابن عبّاس ، أخو أبي جعفر (٢٠) .

أخبرني الأَزْهَري ، قال : أنبأنا أحمَد بن إبراهيم ، قال : نبّأنا ابن عرَفَة . قال :

قطيعة العبّاس التي في الجانب الشرقي تنسب إلى العبّاس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العبّاس . وهو أخو المنصور ، وبينه وبين أبي العبّاس خمسون سنة ، وهو أخوه ؛ لأن أبا العبّاس مات سنة ستّ وثلاثين ومئة ، ومات العبّاس سنة ستّ وثمانين ومئة . وكان يتولى الجزيرة . وأهله يتّهمون فيه الرشيد ، ويزعمون أنّه سَمّه ، وأنّه سَقى بطنَه فمات في هذه العلّة وإليه تُنسب العبّاسيّة .

قال الشّيخ أبو بكر : يعني بالعبّاسيّة قطيعته التي بالجانب الغربي ، وقد ذكرناها فيما مضى .

أخبرنا عُبَيْد الله بن أحمد الصَّيْرَفي ، قال : أنبأنا الحسن علي بن عُمر الحافظ ، قال : قــال إبن دُرَيْد (٢١) : يزيد بن مخرِّم الحارثي ، من ولد صاحب المُخَرَّم ببغداد .

سمعت أَبا الحسن محمد بن أحمد بن رِزْق يقول : سمعت أَبا عُمَرَ الزاهد يقول : سمعت أبا علي الخَرَقِيّ يقول : سمعت عبدالله بن أحمد بن حَنْبَل يقول : سمعت أبي يقول (٢٢) : المُخَرِّمُ كِنانة السُّنَّة .

أخبرنا ابن مَخْلَد وابن التُّوَّزِيّ ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر ، قال : نبّأنا السّكُونيّ ، قال : نبّأنا محمد بن خَلَف ، قال : أنبأني محمد بن أبي علي ، قال : حدثني محمد بن عبدالمُنْعِم بن إدريس عن هشـــام بن محمد ، (٢٣) قال :

[٩٦] سمِعتبني الحارث بن كَعْب يقولون: إنّما سمّيت مُخَرَّم بغــداد بمُخَرِّم بن شُرَيْح بن مُخرِّم بن زِياد بن الحارث بن مالك بن رَبيعة بن كعب بن عمرو ، وكانت له ، أُقْطِعَها أيام نزلت العرب في عهد عمربن الخطاب (٢٤) .

أخبرنا ابن مَخْلَد ، وابن التُوَّزي ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر ، قال : نبّأنا السّكُونيّ ، قال : نبّأنا محمد بن خَلَف ، قال : وذكر يحيى بن الحســـن بن عبدالخالق قــال : كانت دار أبي عبّاد ثابِت بن يحيى إقطاعاً من المهدي لشَيب بن شَيْبة الخطيب ، فاشتراها أبو عَبّاد من ورثته في أيّام المأمون .

قال محمد بن خلف : ســوق الثلاثاء كانت لقوم من أهــل كَلْواذى وبغداد (٢٥) .

سُوَيْقَة حَجّاج الوَصِيف مــولى المهدي (٢٦)

دارعُمَارة بن أبي الخصيب مولى لروح بن حاتم (٢٧) ، وقد قيل : إنه مولى للمنصور .

نهر المُعَلّى بن طَرِيف مولى المهدي ، وأخوه اللّيْث بن طَرِيف .

أخبرني الأَزْهَري قال : أنبأنا أحمد بن إبراهيم ، قال : نبأنا إبن عَرَفَة قال : أما نهر المَهْدي فمنسوب إلى المَهْدي ، ومنزله كان هناك ، وكان مُسْتَقَرُّهُ في عيساباذ (٢٨) .

وأما نهر المُعَلّى ، فكان المُعَلّى من كِبار قوّاد الرشيد ، وجمع له من الأعمال ما لم يجمع لكبير أحد . ولي المُعَلّى البصرة وفارسَ والأهواز واليَمَامة والبحرين والغَوْص . وهذه الأعمال جُمعت لمحمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، وجُمعت لعُمارة بن حَمزة(٢٩) وإليه تنسب دار عُمارة . وعُمارة بن حمزة مولى لبني هاشم ، وهو من وَلَد عِكْرِمَة مولى ابن عباس ، أمّه بنت عِكْرِمة . وكان أَتْيَهَ النّاس ، فكان يقال « أَتْيَهُ من عُمَارة » : وزعموا أَنّه دخل عليه رجل من أَصحابه ، وتحت مَقْعَدِه جَوْهَرٌ خطير ، فأراد أن يدفعه إلى صاحبه ذاك ، فترفّع عن مدّ يَدِه إليه ، فقال لصاحبه : إرفع المَقْعَد ، فَخُذْ ما تحته .

أخبرنا ابن مَخْلَد ، وابن التُوَّزي ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر قال : نبأنا السّكوني ،قال: نبأنا محمّدبن خلَف قال: درب الأغْلَب [٩٧] على نهر المهدي ، وهو الأغْلَب بن سالِم بن سَوادة أبو صاحب المغرب ، من بني سَعْد بن زيد مَناة بن تَميم .وعقد هَرْثَمة لإبراهيم بن الأغْلَب ابنه (٣٠) .

الصالِحيّة لصالح المسْكين (٣١) .

قِباب الحُسَيَن في طريق خُراسان ، هو الحُسين بن قُرّة الفَزاريّ (٣٢) .

عيساباذ هو عيسى بن المهدي ، وأمّه الخَيْزُران .

أنبأنا إبراهيم بن مَخْلد قال : انبأنا إسماعيل بن علي الخُطَبي ، قال : سنة أربع وستين، يعني ومئة ، بَنَى المهدي عيساباذ: قصره الذي سمّاه قَصْرَ السّلام .

أخبرني الأزهري ، قال : أنبأنا أحمد بن إبراهيم ، قال : نبأنا ابن عَرَفَة قالا :حوض داوود منسوب إلى داوود بن علي (٣٣) .

أخبرني ابن مَخْلَد ، وابن التُوّزيّ ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر قال: نبأنا السّكُونيّ قال : قال محمد بن خَلَف :

حوض داوود بن الهنْدي مولى المهدي،وقيل هو داوود مولى نُصَيْر ونُصَيْر مولى المهدي .

حَوْض هَيْلانة ، قيل : أنها كانت قَيّمَةً للمنصور، حفرت هذا الحَوْض . ولها ربض بين الكرخ وبين باب المُحَوّل يعرف بها.

وقال قوم : هيلانة جارية الرشيد التي يقول فيها (٣٤) .

أُفٍّ للدّنْيـــا وللزّيـــ ـــنةِ فيـــها والأثاثِ

إذ حثا التُّرْب على « هيـــ ـــلان » في الحُفرة حاث

أخبرنا الحسن بن علي الجوهري ، قال : أنبأنا محمد بن عمْران بن عبيد الله المَرْزُبانيّ ، قال : نبأنا أحمد بن محمّد بن عيسى المكّي قال : نبأنا محمد بن القاسم بن خَلاّد ، قال : نبأنا الأصمعي (٣٥) قال :

كان الرشيد شديدَ الحب لهيلانة ، وكانت قَبْلَه ليحيى بن خالد ،فدخل يوماً إلى يحيى قبل الخِلافة ، فلقيته في مَمَرٍّه فأخذت بكُمّيه ، فقالت: نحن لا يصيبنا منك يوم مدّه ، فقال لها : بلى : فكيف السبيل إلى ذلك؟ قالت : تأخُذُني من هذا الشيخ ، فقال ليحيى : أحب أن تهب لي فلانة ، فوهبها له ، حتى غلبت عليه ، وكانت تكثر أن تقول : هي إلانة ، [٩٨] فسّماها هَيْلانة (٣٦) ، فأقامت عنـــده ثلاث سنين ، ثم ماتت ، فوَجَد عليها وجْداً شديداً وأنشد (٣٧) :

أقول لما ضَمّنُوكِ الثّرَى وجالت الحَسْرَةُ في صدري

اذهبْ فلا والله لا سرني بعدك شيء آخر الدهرِ

أخبرنا محمد بن ابي علي الأصبهانيّ ، قال : أنبأنا أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سَعيد العَسْكري عن مُحمّد بن يحيى الصُّولي قال : أنبأنا الغَلاّبي قال : نبأنا محمد بن عبد الرحمن ، قال :

لما تُوُفيت هيلانة جارية الرشيد أمر العباس بن الأحْنَف أن يرثيها، فقال :

يا مَن تباشرتِ القبور لموتها ! قَصَد الزّمان مساءتي فرَماكِ
أبغي الأنيسَ فلا أرى ليَ مُؤْنِساً إلا التردُّد حيث كنتُ أراكِ
مَلِك بَكاكِ وطال بَعْدَكِ حُزْنُه لو يستطيعُ بِمُلكِه لَفَداكِ
يحمي الفؤادَ عن النساء حفيظةً كيلا يَحلَّ حمى الفُؤادِ سواكِ

فأمر له بأربعين ألف درهم ، لكل بيت عشرة آلاف درهم، وقال : لو زدتنا لزِدناك .

أخبرني الأزهري ، قال : أنبأنا أحمد بن إبراهيم ، قال : نبأنا ابن عرَفة ، قال : وأما شاطئ دجلة من الجانب الشرقي ، فأوّله بناءُ الحَسَن ابن سَهْل ، وهو قصر الخليفة في هذا الوقت (٣٨) . ودار دينار ، دار رجاء بن أبي الضَحّاك .

ثم منازل الهاشميين .

ثم قصر المُعْتَصم ، وقصر المأمون .

ثم منازل آل وَهْب إلى الجسر ، كانت إقطاعاً لناس من الهاشميين ومن حاشية الخُلَفاء (٣٩) .

* * *

ولمدينة السلام دروب ومواضِع منسوبة إلى كُوَر خُراسان ، ومواضع كثيرة منسوبة إلى رجال ليست بإقطاع لهم .

وقيل إن الدروب والسِّكك ببغداد أُحصيت ، فكانت ستة آلاف درب وسكة بالجانب الغربي ،وأربعة آلاف دربوسكة بالجانب الشرقي (٤٠)

الفصل السابع

ذِكْر دار الخِلافة

والقَصْر الحَسَنيّ والتّاج (١)

[٩٩] حدّثني أبو الحسين هِلال بن المُحَسِّن ، قال :

كانت دار الخِلافة التي على شاطىء دجلة تحت نهر المُعَلّى قديماً للحَسَن بن سَهْل ، ويسمّى القَصْر الحَسَني ، فلما تُوفيّ صارت لِبُوران بنتِه ، فاستنزلها المُعْتَضِد بالله عنها ، فاستنظرته أيّاماً في تفريغها وتسْليمها ثم رَمّتْها وعَمّرَتْها وجصَّصَتْها وبَيّضَتْها وفَرَشَتْها بأَجَلّ الفَرْش وأحْسنه ، وعَلّقَت أصنافَ السُّتور على أبوابِها ، ومَلأت خزائِنها بكلّ ما يُخْدَم الخلفاءُ به ، ورَتّبَتْ فيها من الخَدَم والجواري ما تدعو الحاجةُ إليه . فلما فَرَغَت من ذلك انتقلت وراسلته بالانتقال . فانتقل المُعْتَضد الى الدار ، وَوَجد ما استكْثَرَه واستَحْسَنَه !

ثمّ استضاف المُعْتَضد إلى الدار ممّا جاورها كلّ ما وسّعَها به وكبّرها وعَمِل عليها سوراً جَمَعَها به وحَصّنَها (٢) .

وقام المكْتَفي بالله بعده ببناء « التّاج » على دِجْلة ، وعمل وراءه من القِباب والمجالِس ما تناهى في تَوْسِعَتِه وتَعْلِيَتِه .

ووافى المُقْتَدر بالله فزاد في ذلك ، وأوفى مما أنشأه واستحدثَه(٣) وكان المَيْدان والثُّرَيّا وكذا حَيْر الوحوش مُتّصلاً بالدار (٤) .

كذا ذكر لي هلال بن المُحَسِّن : أن بُوران سلّمت الدّار إلى المعتضد وذلك غير صحيح ، لأنّ بوران لم تَعِشْ إلى وقت المعتضد .

وذكر محمّد بن أحمد بن مهدي الإسكافيّ في تاريخه : أنها ماتت في سنة إحدى وسبعين ومئتين ، وقد بلغت ثمانين سنة . ويُشْبِه أن تكون سَلّمت الدار للمُعتمِد على الله ، والله أعلم (٥) .

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المُحَسِّن التنوخيّ قال : حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المُنَجِّم ، قال : حدثني أبي ،قال : قال أبو القاسم علي بن محمد الحَواري (٦) في بعض أيام المُقْتَدر بالله ، [١٠٠] وقد جرى حديثُه وعظِمُ أمره وكثْرَة الخَدَم في داره :

قد اشتملت الجَريدَة في هذا الوقت على أحدَ عَشَرَ ألف خادمٍ خَصيّ ، وكذا من صُقْلُبيّ وروميّ وأسْوَدَ ، وقال : هذا جنس واحد ممن تَضُمُّه الدار ، فدع الآن الغِلمانَ الحُجْرية ، وهم ألوفٌ كثيرةٌ ، والحواشي من الفُحُول (٧) .

وقال أيضاً : حدثني أبو الفَتحْ عن أبيه وعَمّه عن أبيهما أبي القاسم علي بن يحيى (٨) :

أنّه كانت عدّة كل نَوْبَةٍ من نُوبِ الفَرّاشين في دار المتوكلّ على الله أربعة آلاف فَرّاش ، قالا : فذهب علينا أن نسأله : كم نوبة كانوا ؟

حَدَّثني هِلال بن المُحَسِّن ، قال : حدثني أبو نَصْر خَوَاشاذَه خازن عَضُد الدّولة ، قال :

طُفْتُ دار الخلافة عامرها وخرابها وحَريمها وما يجاورها ويتاخمها ، فكان ذلك مثل مدينة شيراز (٩) .

قال هِلال : وسمعت هذا القولَ من جماعة آخرين عارفين خَبيرين . ولقد ورَدَ رَسولٌ لصاحب الرّوم في أيّام المُقْتَدر بالله (١٠) ،فَفُرِشتِ الدّار بالفروش الجميلة ، وزينّت بالآلات الجليلة ، ورتّب الحجّاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودَهاليزهـا ومَمّراتِها ومُخْتَرَقاتِها وصُحُونِها ومَجالِسِها .ووقَف الجند صفّين بالثيّاب الحَسَنة ، وتحتهم الدوابّ بِمراكِب الذّهَب والفِضة ، وبَيْن أيديهم الجنائب على مثل هذه الصورة . وقد أظهروا العُدَد المَكْسيّة والأسْلحةَ المُخْتَلفة ، فكانوا من أعلى باب الشَمّاسـية وإلى قريب من دار الخِلافة

وبَعْدَهم الغِلْمان الحُجْرية والخَدَم الخَواصّ الدارِيّة والبَرّانيّة إلى حَضْرة الخليفة ، بالبزّة الرائعة والسيوف والمناطِق المُحَلاّة . وأسواقُ الجانب الشرقيّ وشوارْعُه وسُطوحُه ومسالِكُه مملوءة بالعامّة النَظّارة وقد إكْرِيَ كل دُكّان وغُرفَة مُشْرفَة بدراهم كثيرة . وفي دجلة الشّذاءات والطيّارات والزيازب والزلاّلات والسّمَيْريّات بأفضلِ زينة وأحسنِ ترتيب وتعبئة .

وسار الرسولُ ومَنْ معه من المواكب إلى أن وصلوا الى الدار .ودخلَ الرسولُ ،فَمُرَّ [١٠١] به علـى دار نَصْر القُشُوري الحـاجب ، ورأى صُفُفَاً كثيراً ومَنْظَراً عظيماً ، فظنّ أنّه الخليفة وتداخلَته له هيبةٌ ورَوْعةٌ ، حتى قيل له : إنه نَصْر الحاجب . وحُمِل من بعد ذلك إلى الدار التي كانت بِرَسْم الوزير ، وفيها مجلس أبي الحسن علي بن محمد الفُرَات يومئذٍ ، فرأى أكثر ممّا رآه لِنَصْر الحاجب ، ولم يَشُكّ في أنّه الخليفة حتىّ قيل له : هذا الوزير ، وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد عُلِّقَت سُتُوره واختيرت فرشه ونُصبَت فيه الدُّسُوت ، وأحاط به الخَدَم بالأعمِدة والسيوف

ثم استُدعي بعد أن طيف به في الدار إلى حُضْرَة المقتـدر بالله ، وقد جَلس وأولادُه من جانبيه ، فشـاهد من الأمر ما هاله .ثم انصرف إلى دار قد أُعِدّت له (١١) .

حَدّثني الوزيرُ أبو القاسم علي بن الحَسَن المعروف بابن المُسْلِمَة، قال : حدّثني أمير المؤمنين القائم بأمر الله ، قال : حدّثني أمير المؤمنين القادر بالله ، قال : حدّثتني جدّتي أُمُّ أبي إسحاق بن المقتدر بالله : أن رسولَ ملكِ الروم لما وصل الى تكْريت أمَرَ أمير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين . ولما وصل إلى بغداد أُنزل دار صاعد ، ومكثَ شـهرين لا يؤْذَنُ له في الوصول حتّى فَرَغ المقتـدر بالله من تـزيين

قَصْره وترتيب آلاته فيه . ثم صفّ العَسْكَر من دار صاعِد إلى دار الخِلافة وكان عَدَدُ الجيش مئة وستين ألْف فارس وراجل ، فسار الرسول بينهم إلى أن بَلَغ الدار ، ثم أدخِل في أزَج تحت الأرض ، فسار فيه حتى مَثُلَ بين يدي المقتدر بالله ، وأدّى رسالة صاحبه (١٢) .

ثُمّ رَسَم أَن يُطاف به في الدار ، وليس فيها من العَسْكَر أحد البْتّةَ ، وإنّما فيها الخَدَم والحُجّاب والغِلْمان السُّودان ، وكان عددُ الخَدَم إذ ذاك سبعةَ آلافِ خادم ، منهم أربعةُ آلاف بِيض ، وثلاثةُ آلافِ سود ، وعدد الحُجّاب سبع مئة حاجب ، وعدد الغِلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام ، قد جُعِلوا على سطوح الدور والعَلالي . [١٠٢

وفُتِحَتِ الخزائنُ ، والآلاتُ فيها مُرَتّبة كما يُفْعَل لخِزائن العرائس ، وقد عُلّقَت السُّتُور ونُظِم جَوْهر الخِلافة في قَلاّيات على دُرُج قد غُشِيَت بالدّيباج الأَسْوَد .

ولمّا دخل الرسولُ إلى دار الشّجَرَة ورآها ، كَثُر تَعَجُّبُه فيها . وكانت شَجَرة من الفِضّة وزنُها خمس مئة ألف درهم ، عليها أَطيار مَصُوغة من الفِضّة تَصْفِر بِحرَكات قد جُعِلَت لها ، فكان تَعَجُّبُ الرّسولِ من ذلك أكثر من تَعَجُّبِه من جميع ما شاهده .

قال لي هلال بن المُحَسِّن : ووجدت مِنْ شرح ذلك ما ذَكَرَ كاتِبُه أنّه نَقَلَه من خطِّ القاضي أبي الحسين ابن أُمِّ شيبان الهاشمي ، وذَكَر أبو الحسين : أنهّ نقلَه من خطّ الأمير ، وأحْسَبُهُ الأمير أبا محمّد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله ، قال : كان عَدَدُ ما عُلِّقَ في قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من السُّتُور الدِيباج المُذْهَبَة بالطُّرُر المُذْهَبَة الجليلة المُصَوَّرَة بالجامات والفِيَلَة والخَيْل والجِمَال والسِّباع والطُرُد والسُتُور الكِبار البَصْنائية (الصنعانية ؟) والأرمَنِيّة والبَهْنَسِيّة السواذِج ، والمَنْقُوشة

والدَّبيقيّة المُطَرَّزة ثمانية وثلاثين ألف سِتْر ، منها السُتُور الدِيباج المُذْهَبَة المُقَدّم وَصْفُها اثنا عشر ألفاً وخمس مئة سِتر ، وعَدَدُ البُسُط والنِّخاخ الجَهْرَمِيّة والدارا بَجِرْدِيّة والدَّوْرَقِيّة في المَمرّات والصُحُون التي وطئ عليها القوّاد ورُسُل صاحب الروم من حدّباب العامة الجديد إلى حضرة المقتدر بالله ، سوى ما في المقاصير والمجالِس من الأَنْماط الطَبَرِيّ والدَّبِيقيّ التي لحِقَها للنّظَر دون الدَّوْس ، اثنان وعشرون ألف قِطْعَة (١٣) .

وأُدخِل رُسُل صاحب الروم مِنْ دِهْليز باب العامّة الأعظم الى الدار المعروفة بخان الخَيْل ، وهي دار أكثرُها أَرْوِقَةٌ بأساطين رُخام ، وكان فيها من الجانب الأيمن خمسمائة فَرَس ، عليها خمسُمائة مَرْكب ذَهَباً [١٠٣] وفِضة بغير أَغْشية ، ومن الجانب الأيسر خمسمئة فَرَس عليها الجِلال الدّيباج بالبَراقِع الطِّوالَ ، وكلّ فَرَس في يد شاكريّ بالبِزّة الجميلة .

ثم أُدْخِلوا من هذه الدّار الى المَمرّات والدّهاليز المُتّصِلة بحَيْر الوَحْش ، وكان في هذه الدار من أصناف الوَحْش التي أُخرجت اليها من الحَيْر قِطْعَان تَقْرُب من الناس وتتشمّمهم وتأكل من أَيديهم .

ثم أُخرِجوا إلى دارٍ فيها أَربعة فِيلَة مُزَيّنَة بالدّيباج والوَشْي ، على كلّ فيل ثمانية نَفَر من السِّنْد والزّراقين بالنار ، فهالَ الرُسلَ أمرُهم .

ثم أُخْرِجوا إلى دار فيها مئة أَسد : خمسون يَمْنَةً وخمسون يَسْرَةً ، كل سَبُع منها في يد سَبّاع ، وفي رؤوسها أعناقِها السلاسِل والحديد .

ثم أُخرِجوا الى الجَوْسَق المُحْدَث ، وهي داربَيْن بساتين في وَسَطها بِرْكَة رصاص قَلْعيّ ، حواليْها نهرُ رَصاص قَلْعي أحسن من الفِضّة

المَجْلُوَّة ، طولُ البِرْكَة ثلاثون ذراعاً في عشــرين ذراعاً ، فيها أربعُ طيّارات لِطاف بمجالس مُذْهَبة مُزَيّنَة بالدَّبِيقي المُطَرَّز ، وأغْشيتُها دَبِيقيّ مُذْهَب . وحَواليَّ هذه البرْكة بستانٌ بميادِين فيه نَخْل ، وأنّ عَدَدُه أربع مئة نخلة ، وطولُ كل واحدةٍ خمسةُ أذْرُع ، قد لُبِّسَ جميعُها ساجاً مَنْقوشاً من أصلها الى حَد الجُمّارة بحلَق من شَبَه مُذْهَبة. وجميعُ النّخل حاملٌ بغَرَائب البُسْر الذي أكثرهُ خلال لم يتَطَيّر . وفي جوانب البُسْتان أتْرُجٌّ حامِلٌ ، ودَسْتَنْبُوَا ، ومُقَفّع ، وغيرُ ذلك .

ثم أُخرِجوا من هذه الدار إلى دار الشّجَرة ، وفيها شَجَرَة في وَسَط بِرْكة كبيرة ، مُدَوَّرَة فيها ماءٌ صافٍ ، وللشجرة ثمانية عشرَ غُصناً ، لكلّ غُصْنٍ منها شَاخات كثيرة عليها الطّيور والعصافير من كل نوع ، مُذْهَبَة ومُفَضَّضَة ، وأكثرُ قُضْبان الشّجرة فضِّيَة ، وبعضُها مُذْهَب ، وهي تتمايل في أَوقات ، ولها وَرَق مختلف الأَلوان يتحرّك كما تُحرِّك الرّيحُ وَرَقَ الشّجر . وكلٌّ من هذه الطّيور يَصْفِر ويَهدِر (١٤) . وفي جانب الـدّار يَمْنَة البِرْكةِ تماثيلُ خَمْسَةَ عَشَرَ فارساً على [١٠٤] خمسة عَشَرَ فَرَساً، قد أُلبسوا الدِّيبـاج وغيره، وفي أَيديهم مَطارِدُ على رماحٍ يدور على خطّ واحد في النّاوَرْد خبَباً وتَقْريباً ، فيُظَنُّ أنّ كل واحدٍ منهم الى صاحبه قاصِدٌ . وفي الجانب الأيسر مثل ذلك (١٥) .

ثمّ أُدْخِلوا الى القصر المعروف بالفِرْدَوْس ، فكان فيه من الفَرْش والآلات مالا يُحصى ولا يُحصَر كَثْرَةً . وفي دهاليز الفِرْدَوْس عشرة آلاف جَوْشن مُذْهَبَة مُعَلّقَة .

ثمّ أُخرِجوا منه إلى ممرّ طولُه ثلا ث مئة ذراع ، وقد عُلِّق من جانبيه نحوٌ من عشرة آلاف دَرَقَة وخُوذَة وبَيْضَة ودِرْع وزَرْدِيّة وجُعْبَة

مُحلاّة وقِسيّ ؛ وقد أُقيم نحو ألفي خادم بِيضاً وسوداً صَفّيْن يَمْنَةً ويَسْرَةً .

ثم أُخرجوا ، بعد أن طِيف بهم ثلاثة وعشرين قصراً ، الى الصّحن التِسْعيني ، وفيه الغِلْمان الحُجْرية بالسلاح الكامل والبزّة الحَسَنة والهيئة الرائعة ، وفي أيديهم الشُّروخ والطَبَرْزِينات والأعمِدة (١٦) .

ثم مرُّوا بمَصَافٍّ من عِلْيَة السواد من خُلَفاء الحُجّاب الجُنْد والرّجّالة وأصاغِر القُوّاد ، ودَخَلُوا دار السلام .

وكانت عِدّةٌ كثيرةٌ من الخَدَم والصَقَالِبَة في سائر القُصُور يَسقُون النّاسَ الماءَ المُبَرَّدَ بالثّلج والأشْرِبَة والفَقّاع . ومنهم من كان يطوف مع الرُسُل . فلطُولِ المشي بهم جلسوا واستراحوا في سبعةِ مواضع ، واستسقوا الماء فسقُوا .

وكان أبو عمرو عَدِيّ بن أحمد بن عبدالباقي الطَرْسُوسي صاحب السُّلْطان ورئيسَ الثغور الشّاميّة معهم في كل ذلك ، وعليه قباءٌ أسود وسيفٌ ومِنْطقة .

ووصلوا الى حَضْرَة المقتدر بالله وهو جالس في التّاج ممّا يلي دِجلة بعدَ أن لَبِس بالثياب الدّبيقيّة المُطَرَّزة بالذّهب على سرير آبَنُوس قد فُرِشَ بالدَّبِيقي المُطَرَّز بالذّهب ، وعلى رأسه الطّوبلة ، ومن يَمْنَة السرير تسعةُ عقُودٍ مثل السّبجَ مُعَلّقة ، ومن يَسْرَتِه تِسعة أخرى من أفْخَر الجواهر وأعظمِها قيمة ، غَالِبَة الضّوء على ضوء النهار ، وبين يَدِهِ خمسة من ولده ، ثلاثة يَمْنَةً وإثنان مَيْسَرَة .

ومَثَلَ الرَّسولُ وتَرْجُمانُه بين يدي المقتدر بالله ، فكَفَّرَ له ، وقال الرسولُ لمؤْنِس الخادِم ونَصْر القَشُوري ، وكانا يُتَرْجِمان عن المقتدر

[١٠٥] لولا أنّي لا آمَن أن يطالَبَ صاحِبُكُم بتقبيل البساط لقَبّلْتُهُ ، ولكنّني فَعَلتُ مالا يطالب رسولكْم بمثله ؛ لأن التَكْفِير من رَسم شريعتنا (١٧)

ووَقَفا ساعةً ، وكانا شاباً وشَيخاً ، فالشابُّ الرَّسولُ المُتَقَدِّمُ . والشّيخُ التَرْجُمان . وقد كان مَلِك الرّوم عَقَد الأمر في الرسالة للشيخ متى حدث بالشاب حَدَثُ الموت . وناوله المقتدر بالله من يده جواب مَلِك الرّو م ، وكان ضخماً كبيراً ، فتناوله وقبّله إعظاماً له .

وأُخرِجا من باب الخاصّة إلى دِجْلَة ، وأقعدا وسائر أصحابهما في شَذاً من الشّذَوَات الخاصّة ، وصَاعَدا إلى حيث أُنْزِلا فيه من الدّار المعروفة بصاعِدِ ، وحُمِلَ اليهما خمسون بدرة وَرِقاً ، في كل بدرة خمسة آلاف درهم ، وخُلِعَ على أبي عمرو عَدِي الخِلَع السُّلطانية وحمل على فَرَسٍ ورَكِب على الظّهْر ، وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة. (١٨) .

الفصل الثـامن

ذكر دار المملكة التي بأعلى المُخَرِّم

حدثني هلال بن المُحسِّن ، قال :

كـانت دار المملكـة التي بأعلى المُخَرِّم مُحـاذيةً الفُرْضةَ قديمـاً لسُبُكْتَكين غُلام مُعِزّ الـدّولة ، فنَقَض عَضُد الدّولة أكثرها ، ولم يَسْتَبْقِ إلاّ البيت السّتّيني الذي هو في وَسَط أَرْوِقَةٍ ، من ورائها أَرْوِقَةٌ في أطرافها قِبَاب معقودة ، وتُفتَح أبوابه الغربيّة إلى دجاة ، وأبوابه الشرقية إلى صَحْنٍ خلفـه بُستان ونخل وشَجَر . وكان عَضُدُ الدّولة جعل الدّار التي هذا البيت فيها دار العامّة ، والبيت برسم جلوس الوزراء ، وما يتّصل به من الأروقة والقباب مواضعَ للدّواوين ، والصَّحْنَ مناماً لدَيْلَمِ النّوْبَة في ليالي الصّيف (١) .

قال هلال : وهذه الدار وماتحتوي عليه من البيت المذكور والأروقة خراب . ولقـد شاهدت مجلسَ الوزراء في ذلك ومَحْفَل من يقصُدهم ويحضُرهم وقد جعلَهُ جلال الدولة إصْطَبْلاً ، أقام فيه دَوَابّة وسُوَّاسَهُ .

وأما مابناه عَضُد الدولة وولدُه بعدَه في هـذه الدار ، فهو متماسك على تَشَعُّثه . [١٠٦]

قال الشيخ أبو بكر : ولمّا وَرَد طُغْرُلبَك الغَزِّي بغداد واسـتولى عليها ، عَمَّر هذه الدار وجـدّد كثيراً ممّا كان وَهَى منها في سـنة ثمان وأربعين وأربع مئة . فمكثَتْ كذلك إلى سنةِ خمسين واربع مئة . ثم أُحرِقَت وسُلبَ أكثرُ آلاتها ، ثم عُمِّرت بعدُ وأُعيد ماكان أُخذ منها (٣) .

حدّثني القاضي أبو القاسم على بن المُحَسِّن التّنُوخيّ قال : سمِعتُ

أبي يقول : ماشيتُ الملكَ عَضُد الدّولة في دار المملكة بالمُخَرِّم التي كانت دار سُبُكْتَكِين حاجب مُعِزّ الـدولة من قبلُ ، وهــو يتأمّل ما عُمِل وهُدِمَ منها . وقد كان أراد أن يَتْرُكَ في الميدان السُبُكْتَكِيني أذرعاً، ليجعلَه بُستاناً ، ويَرُدَّ بدل التُّراب رَمْلاً ، ويطرح التّراب تحت الرَّوشَن على دِجلة . وقد ابْتاع دوراً كثيرة كِباراً وصِغاراً ، ونَقَضَها ورَمَى حيطانها بالفِيَلَة تخفيفاً للمؤنَة ، وأضَاف عرَصاتها إلى الميــدان . وكانت مثل الميدان دُفْعَتَين ، وبَنَى على الجميع مُسَنّاةً .

فقال لي في هذا اليوم وقــد شاهد ماشاهد ممّا عَمِل وقَدّر ماقدّر لما يُعمل : تدري ، أَيُّها القاضي ، كم أُنْفِق على قَلْع ماقُلع من التراب الى هذه الغاية ، وبناء هذه المُسَنّاة السّخيفَة مع ثَمَن ما ابتيع من الدور واستُضيفَ، قلت : أظنّه شيئاً كثيراً، فقال : هو إلى وقتنا تسع مئة ألف درهم صحاحاً (٤) ، ونحتاج إلى مثلِها دفعــةً أو دفعتين حتى يتكامــل قَلْعُ التراب ويحصل موضعهُ الرّملُ موازياً لوجه البُستان . فلما فرغ من ذلك وصار البُستان أرضاً بيضاء لاشيءَ فيها من غَرْســ ولا نبات ، قال : قد أُنفق على هذا حتى صار كذا أكثر من ألفي ألفِ درهم صحِاحاً .

ثم فكرّ في أن يجعل شرب البستان من دواليب ينصبها على دجلة ، وعلم أنّ الدواليب لاتكفي ، فأخرج المهندسين إلى الأنهار التي في ظاهر الجانب الشرقي من مدينة السلام ، ليستخرجوا منها نهراً يَسيح ماؤه إلى داره ، فلم يجدوا ما أرادوه إلا في نهر الخالص ، فَعَلّى الأرضَ بين البلدِ وبينه تعليةً أمكن معها أن يجري الماء على قَدْرٍ من غير أن يَحْدُثَ به ضَرَرَ ، [١٠٧] وعمل تَلّين عظيمين يساويان سطَح ماءِ « الخالص » ، ويرتفعان من أرض الصّحراء أذرُعاً ، وشقّ في وسطها نهراً جعل له خُورَيْن من جانبيه . وداس الجميع بالفيلة دَوْساً كثيراً ، حتى قوي واشتدّ وصَلُبَ وتَلَبدّ .

فلما بلغ إلى منازل البلد ، وأراد سَوْق النهر إلى داره، عَمَد إلى درب السلسلة فدكّ أرضَه دَكّاً قويّاً ، ورفع أبواب الدّور وأوثقها ، وبنى جوانب النهر وسقى البستان (٥) .

قال أبي : وبلغت النفقة على عمل البستان وسَوْق الماء إليه على ماسمعته من حواشي عَضُد الدولة خمسةَ آلاف ألف درهم ، ولعلهُ قد أنفق على أبنية الدّار على ماأظنّ مثل ذلك .

وكان عَضُد الدولة عازماً على أن يهدم الدور التي بين داره وبين الزّاهر ، ويصل الدار بالزاهر . فمات قبل ذلك .

الفصل التاسع

ذكر تسمية مساجد الجانبَيْن

المخصوصة بصلاة الجُمُعة والعِيدَيْن

كان أبو جعفر المنصور جَعَل المسجدَ الجامعَ بالمدينة مُلاصِقَ قصره المعروف بقصر الذَّهَب ، وهو الصَّحْنُ العَتيقُ ، وبناه باللّبن والطين .

ومساحتهُ على ما أخبرنا به محمد بن علي الورّاق وأحمد بن علي المُحتَسِبْ ، قالا : أنبأنا محمّد بن جعفر النّحْوي ، قال : نا الحسن بن محمد السكُونيّ ، قال : نا محمد بن خلَف قال :

وكانت مساحة قصر المنصور أربع مئة ذِراع في أربع مئة ذراع ، ومساحةُ المسجِدِ الأوّل مئتين في مئتين .

وأساطينُ الخَشَب في المسجد ، يَعْني كلّ أسْطُوانة ، قِطْعَتَيْن مُعَقّبَتَيْن بالعقب والغراء وضَبّات الحديد ، إلاّ خمساً أو ستاً عند المنارة ، فإنّ في كل أُسطوانة قِطَعاً مُلَفّقَة مُدَوَّرَة من خَشَب الأساطين(١)

قال محمّد بن خلَف : وقال إبن الأعرابيّ :

[١٠٨] تحتاجُ القِبْلَةُ إلى أن تُحرَفَ إلى باب البَصْرَة قليلاً ، وانّ قِبْلَةَ الرُّصافة أَصوَبُ منها (٢) .

فلم يَزَل المسجدُ الجامعُ على حاله إلى وقت هارون الرّشيد ، فأمر هارون بنقضه وإعادة بنائِه بالآجُرّ والجَصّ ، ففعل ذلك ، وكتب عليه اسم الرّشيد ، وذكر أمْره ببنائه ، وتسمية البناء والنّجار ، وتاريخ ذلك . وهو ظاهرٌ على الجدار خارج المسجد ممّا يلي باب خُراسان إلى وقتنا هذا (٣) .

أنبأنا إبراهيم بن مَخْلَد ، قال : أنبأنا إسماعيل بن علي الخُطَبيّ ، قال : وهُدِمَ مسجد أبي جعفر المنصور ، وزيد في نواحيه وجُدّد بناؤه

وأُحكِمَ ، وكان الإبتداءُ به في سنةِ ثنتين وتسعين ، والفراغ منه في سنة ثلاث وتسعين (٤) .

وكانت الصلاةُ في الصحن العتيق الذي هو الجامع ، حتّى زِيد فيه الدّارُ المعرفةُ بالقطّان وكانت قديماً ديواناً للمنصور ، فأمر مُفْلِح التُّرْكيّ ببنائها على يد صاحبه القَطّان ، فنُسِبت اليه ، وجعلت مُصَلّىً للنّاس و ذلك في سنة ستّين أو إحدى وستين ومئتين .

ثم زاد المعتضد بالله الصّحن الأَول ؛ وهو قصر المنصور ، ووَصَله بالجامع ، وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعةَ عشرَ طاقاً ، منها إلى الصَّحن ثلاثة عشرَ ، وإلى الأَرْوِقَةِ أربعة ، وحَوَّلَ المنبرَ والمِحْرابَ والمقصورةَ إلى المسجد الجديد (٥) .

وأنبأنا إبراهيم بن مَخْلَد ، قال : أنبأنا إسماعيل بن علي ، قال : وأُخْبِرَ أميرُ المؤمنين المعتضد بالله بضيق المسجد الجامع بالجانب الغَرْبيّ من مدينة السلام في مدينة المنصور ، وأن الناسَ يضطرُّهم الضيقُ إلى أن يُصَلُّوا في المواضع التي لا تجوزُ في مثلها الصلاة . فأَمَرَ بالزيادة فيه من قصر أمير المؤمنين المنصور ، فبُنِيَ مسجد على مثال المسجد الأَول في مقداره أو نحوه ، ثم فُتح في صدر المسجد العتيق ووُصِلَ به ، فاتّسع به الناسُ : وكان الفراغ من بنائِه ، والصلاة فيه ، في سنة ثمانين ومئتين (٦) .

قال الشيخ أبو بكر : وزاد بَدْر مولى المعتضد من قصر المنصور المُسَقّطات المعروفة بالبدرية في ذلك الوقت (٧) .

وأمّا المسجدُ الجامعُ بالرُّصافة ، فإنّ المهديّ بناه في أول خِلافته .

[١٠٩] أخبرنا بذلك محمّد بن الحسين بن الفَضْل القَطّان قال : أنبأنا عبدالله ابن جعفر بن دُرَسْتَوَيْه ، قال : نبأنا يعقوب بن سُفيان قال : سنة تسع

وخمسين ومئة : فيها بَنَى المهدي الجامعَ الذي بالرُّصافة ، فلم تكن صَلاةُ الجُمُعة تُقام بمدينة السلام إلاّ في مسجِدَي المدينة والرُّصافة الى وقت خِلافة المعتضد .

فلمّا استُخْلِفَ المعتضد أمَرَ بعمارة القصر المعروف بالحَسَنيّ على دِجلة في سنة ثمانين ومئتين ، وأنفق عليه مالاً عظيماً ، وهو القصر المرسوم بدار الخِلافة . وأمر ببناء مطامير في القصر رَسَمها هو للصُّنّاع ، فَبُنيت بناءً لم يُرَ مثله ، على غاية ما يكون من الأحكام والضيق ، وجعلها محابس للاعداء . وكان الناس يُصَلُّون الجُمُعة في الدار وليس هناك رَسْم لمسجد ، وإنّما يُؤْذَن للناس في الدخول وقتَ الصلاة ، ويخرجون عند انقضائها .

فلمّا استُخلف المكتفي في سنة تسع وثمانين ومئتين ترك القصر (٨) ، وأمر بهدم المَطامير التي كان المعتضد بناها ، وأمر أن يُجعل موضِعَها مسجدٌ جامعٌ في داره يُصلّي فيه الناس . فعُمِل ذلك ، وصار الناس يبكّرون إلى المسجد الجامع في الدار فلا يُمْنَعون من دخوله ، ويقيمون فيه الى آخر النّهار ، وحَصَل ذلك رَسْماً باقياً إلى الآن .

واستقرت صلاة الجمعة ببغداد في المساجد الثلاثة التي ذكرناها الى وقت خِلافة المتّقي (٩) .

وكان في الموضع المعروف ببرَاثا مسجدٌ يجتمع فيه قوم ممن يُنْسَب إلى التّشيُّع ويقصدونه للصلاة والجلوس فيه ، فرفع إلى المقتدر بالله أن الرّافضة يجتمعون في ذلك المسجد لسبِّ الصّحابة والخروج عن الطّاعة ، فأمر بكبسه يوم جُمُعةٍ وقت الصلاة ، فكُبس وأخذ من وُجِد فيه ، فعوقبوا وحُبسوا حبساً طويلاً ، وهُدمَ المسجد حتى سُوّي بالأرض وعفي رسمه ، ووصل بالمقبرة التي تليه . ومكث خراباً إلى سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة ، فأمر الأمير

« بُجْكُم » بإعادة بنائه وتوسعته وإحكامه ، فبُني بالجص والآجُرّ ، وسُقِّف بالساج المنقوش ، ووسِّع فيه بعض مايليه ممّا ابتيع له من أملاك الناس ، وكتب في صدره اسم الراضي بالله . وكان الناس ينتابونه للصلاة فيه والتبرك به (١٠) .

[١١٠] ثمّ أمر المُتّقي لله بعدُ بنصب منبر فيه كان بمسجد مدينة المنصور مُعَطّلاً مخبواً في خِزانة المسجد عليه اسم هارون الرشيد ، فنصب في قبلة المسجد . وتقدم إلى أحمد بن الفضل بن عبدالملك الهاشمي ، وكان الإمام في جامع الرّصافة ، بالخروج اليـــه والصلاة بالنّاس فيه الجمعة ، فخرج وخرج الناس من جانبي مدينة السلام حتى حضروا في هذا المسجد . وكثر الجمع هناك وحضر صاحب الشرطة ، فأقيمت صلاة الجمعة فيه يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من جُمادى الأولى سنة تسع وعشرين وثلاث مئة ، وتوالت صلاة الجمعة فيه ، وصار أحد مساجد الحَضْرة ، وأفرد أبو الحسن أحمد بن الفضل الهاشمي بإمامته ، وأخرجت الصلاة بمسجد جامع الرُّصافة عن يده (١١) .

قال الشيخ أبو بكر : ذكر معنى جميع ماأوردته إسماعيل بن علي الخُطَبيّ فيما أنبأنا إبراهيم بن مَخْلَد أنه سمِعه منه .

وحدثني أبو الحسين هلال بن المُحَسِّن الكاتب : أن الناس تحدثوا في ذي الحجة من سنة تسع وسبعين وثلاث مئة بأنّ امرأة من أهل الجانب الشرقي رأت في منامها النبيّ صلى الله عليـــه وسلم كأنّه يُخبرُها بأنّها تموت من من غدٍ عصراً ، وأنّهُ صلّى في مسجد بقطيعة أمّ جعفر من الجانب الغربيّ في القافلائيين (١٢) ، وَوَضَعَ كفّهُ في حائط القِبلة ، وأنّها فَسّرت هذه هذه الرؤيا عند انتباهها من نومها ، فقصد الموضع ووجد أثر كفّ ، وماتت المرأة في ذلك الوقت .

وعَمرَّ المسجدَ ووسّعَهُ أَبو احمد الموسويّ بعدَ ذلك وكبَّرهُ وبناه وعمَّرهُ ، وأستأذن الطائع لله في أن يجعله مسجداً يصلي فيه في أيام الجُمعات ، واحتج بأنه من وراء خندق يقطع بينه وبين البلد ، ويصير به ذلك الصُّقْع بلداً آخر ، فأذن في ذلك ، وصار جامعاً تُصلّي فيه الجُمُعات .

[١١١] وذكر لي هلال بن المُحسن أيضاً : أنّ أبا بكر محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي كان بنى مسجداً بالحربيّة في أيام المطيع لله ليكون جامعاً يخطب فيه ، فمنع المطيع من ذلك ، ومكث المسجد على تلك الحال حتى استخلف القادر بالله فاستغنى الفقهاء في أمره ، فأجمعوا على وجوب الصلاة فيه ، فرسم أن يُعَمَّر ويُكسي ويُنصب فيه منبر ، ورتب إماماً يصلى فيه وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة .

فأدركت صلاة الجمعة ، وهي تقام ببغداد في مسجد المدينة ، ومسجد الرُّصافة ، ومسجد دار الخلافة ، ومسجد برَاثا ، ومسجد قطيعة أمّ جعفر وتُعرَف بقطيعة الدّقيق ، ومسجد الحربية .

ولم تزل على هذا إلى أن خرجت من بغداد في سنة إحدى وخمسين وأربع مئة . ثم تَعَطّلت في مسجد برَاثا ، فلم تكن تُصَلّى فيه .

الفصل العاشر

ذكرُ أنهار بغداد الجارية التي كانت بين الدُّور والمساكن ، وتسمية ما كانت تنتهي إليه من المواضع والأماكن (١)

أمّا الأنهار التي كانت تجري بمدينة المنصور والكَرْخ من الجانب الغربي وتَتَخرَّق بين المحالّ والدُّور ، فأكثرها كان يأخذ من نهر عيسى .

ونهر عيسى يحملُ من الفرات ، وكان عند فُوَّهَته قنطرة يقال لها قنطرة دِمِمّا .

يمرُّ النهر جارياً ، فيسقي طَسُّوجَ فَيْروز سابور ، وعلى جانبيه قرى وضياع ، حتى إذا انتهى إلى المُحَوَّل ، تفرَّع منه الأنهار التي كانت تتخرَّق مدينة السلام (٢) .

ثم يمرّ إلى الياسرية ، وعليه هناك قنطرة .

ثم يمرّ إلى الرّوميّة ، وعليه هناك قنطرة تُعرف بالروميّة .

ثم يفضي إلى الزيّاتين ، وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الزيّاتين .

[١١٢] ثم يمرّ إلى موضع باعة الأشْنان ، وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الأشْنان .

ثم ينتهي إلى موضع باعة الشّوْك ، وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الشَّوْك .

ثم يصير إلى موضع باعة الرُّمّان ، وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الرمّان .

ثم يمرّ إلى قنطرة المَفيض ، والمفيض ثَمَّ ، وعندَهُ الأرحاءُ .

ثمّ يمرّ إلى قَنْطرة البُسْتان .

ثمّ إلى قنطرة المَعْبَدِي .

ثمّ يصير إلى قنطرة بني زُرَيْق .

ثمّ يصبّ في دجلة أسفلَ قصر عيسى (٣) .

فحدثني عبد الله بن محمد بن علي البغدادي بأطرابلس عن بعض متقدّمي العلماء ـ وذكر أنهار بغداد ، فقال :

منها الصراة (٤) وهو نهر يأخذ من نهر عيسى فوق المُحَوّل ، ويسقي ضياع بادوريا وبساتينها ، ويتفرع منه أنهار كثيرة إلى أن يصل الى بغداد ، فيمر بقنطرة العبّاس .

ثمّ يمر إلى قنطرة الصّينيّات .

ثمّ إلى قنطرة رحى البطريق ، وهي قنطرة الزّبد (٥) .

ثمّ يمر إلى القنطرة العتيقة .

ثمّ إلى القنطرة الجديدة .

ثمّ يصبّ في دجلة (٦) .

قال : ويحمل من الصَّراة نهر يقال له خندق طاهر ، أوّله اسفل من فُوْهَة الصَّراة بفرسخ ، يمر فيسقي الضياع .

ويدور حول سور مدينة السلام ممّا يلي الحربيّة إلى أن يصل إلى باب الأنبار ، وهناك عليه قنطرة .

ثم يمرّ إلى باب قَطْرَبُّل ، وعليه هناك قنطرة .

ثم يمرّ في وسط قطيعة أمّ جعفر .

ويصبّ في دجلة فوق دار إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الطاهري(٧)

قال : ويَحمِل من نهر عيسى نهرٌ يقال له كرْخايا ، أوّله تحت المُحَوّل يمر من وسط طَسُّوج بادوريا ، ويتفرع منه أنهار تنبث في ضياع على جانبيه إلى أن يدخل بغداد من موضع يقال له باب أبي قَبيصة .

ويمرّ إلى قنطرة قَطيعة اليهود .

ثمّ إلى قنطرة درب الحجارة ، وقنطرة البيمارستان ، وباب مُحَوّل، ويتفرع منه أنهار الكرخ كلّها .

من ذلك نهر يقال له نهر رزين : يأخذ من ربض حُمَيْد فيدور معه ، ثم ينتهي الى سويقة أبي الوَرْد .

ثمّ يمرّ إلى بركة زَلْزَل فيدور فيها .

[١١٣] ثمّ يمضي إلى باب طاق الحرّاني .

ثمّ يصب في الصَّراة أسفل من القنطرة الجديدة (٨) .

وإذا صار نهر رزين بباب سُوَيْقة أبي الوَرْد ، يحمل منه نهر يعبر في عبّارة على القنطرة العتيقة .

ويمر إلى شارع باب الكوفة ، فيدخل من هناك إلى مدينة المنصور .

ويمر النهر من باب الكوفة إلى شارع القَحاطِبة .

ثمّ إلى باب الشام .

ويمر في شارع الجسر إلى الزبَيْديّة ، ويَفْنَى هناك .

ثمّ يمرّ كرْخايا من قنطرة البيمارستان (٩) .

فاذا صار إلى الدرّابات سُمّي هناك العَمُود ، وهو الذي تتفرّع منه أنهارُ الكرخ الداخِلة .

فيمرُ النهر من هناك إلى موضع يُعرف بالواسِطِيين .

ثمّ يمرُّ إلى موضع يسمى الخفْقَة .

فيَحمِل منه هناك نهر البزّازين ، يعطف فيخرج في شارع المنصور .

ثمّ يمرّ إلى دار كعْب .

ثمّ يخرُج إلى باب الكرخ .

ثم يدخل البزّازين .

ثم يمرّ إلى الخزّازين .

ويدخل في أصحاب الصابون ، ثم يصبّ في دجلة .

ثم يمر النهر الكبير من الخَفْقَة إلى مُرَبّعَة الزيّاتين ، فيعطف منه نهر يقال له نهر الدّجاج ،فيأخذ إلى أصحاب القَصب ، وشارع القيّارين ، ثم يَصبُّ في دجلة عند سوق الطعّام (١٠) .

ويمر النهر الكبير من مُرَبّعة الزّيات إلى دَوّارة الحِمار ، فيعطف منه هناك نهرٌ يقال له نهر قطيعة الكِلاب مادّاً حتى يَصُبَّ تحت قنطرة الشّوْك في نهر عيسى .

ويمرّ النهرُ الكبير من دَوّارة الحِمار إلى موضع يقال له مُرَبّعة صالح فيعطف منها هناك نهرٌ يقال له نهر القَلاّئين ، ثم يمر إلى السَوّاقين ثم إلى أصحاب القَصَب .

ويصبّ في نهر الدّجاج ، فيصيران نهراً واحداً .

ويمرّ النّهر الكبير من مُرَبّعَة صالح إلى موضع يعرف بنهر طابَق، ثم يصبّ في نهر عيسى بحضرة دار البطّيخ .

فهذه انهار الكرخ .

قال : فأما أنهار الحَرْبِيّة :

فمنها نهرٌ يحمل من دجَيْل يقال له نهرُ بَطَاطِيا، أوّله أسفل فُوّهة دُجَيْل بستّ فراسخ ، يسقي ضياعاً وقُرى كثيرة في وسط مَسْكِن ويَفنَى فيها (١١) .

ويحمل منه نهر أوّله أسفل جسر بطَاطِيا بشيء يسير ، يجيء نحو مدينة السلام .

[١١٤] فيمُرّ على عبّارة قَنْطرة باب الأنْبار .

ثم يدخُلْ بغداد فَيمُرُّ من شارع باب الأنْبار ، ويمر إلى شارع الكَبْش ، ويفنَى هناك .

ويحمل من نهر بَطَاطِيا نهر أسفل من النهر الأول ، يجيء نحو بغداد يمر على عَبّارة يقال لها عَبّارة الكوخ (١٢) بين باب حَرْب وباب الحديد (١٣) ، يمر فيدخل بغداد من هناك .

ويمرّ في شارع دُجَيْل إلى مُرَبّعَة الفُرْس .

ويحمل منه هناك نهر يمُرّ إلى دُكّان الأبناء (١٤) ويفنى هناك .

ويمر النهر الكبير من مُرَبّعَة الفُرْس إلى قنطرة أبي الجَوْن ،فيحمل منه من هناك نهر يمُرّ إلى كتّاب اليَتامى ، وإلى مُرَبّعَة شبيب ، ويصب في نهر في الشارع .

ويَمُرّ النهرُ الكبيرُ من قنطرة أبي الجَوْن إلى شارع قَصْرِ هانِىء ثمّ إلى بُسْتان القَسّ ، ويَصُبّ في النهر الذي يَمُرّ في شارع القحاطية .

ويحمل من نهر بَطَاطِيا نهرٌ أولُه أَسْفَل من قناة الكوخ ، يجيء نحو بغداد .

ويَمُرّ على عَبّارة قنطرة باب حَرْب، ويدخل من هناك في وسط شارع باب حرب .

ثم يجيء إلى مُرَبّعَة أبي العَبّاس .

ثم إلى مُرَبّعَة شَبِيب ، فيصب فيه النهر الذي ذكرناه .

ثم يمرّ إلى باب الشام فيصبّ في نهر باب الشام .

قال : وهذه الأنهار كُلُّها مكشوفة ، إلاّ التي في الحربيّة فإنّها قَنَوات تحت الأرض ، وأوائلها مكشوفة .

قال : وفي الجانب الشرقي « نهر موسى » يأخذ من « نهر بين » إلى أن يتّصلَ إلى قصر المعتضد بالله المعروف بالثُّريّا ، فيدخل القصر ويدور فيه ويخرج منه ويصير إلى مَوْضع يقال له مَقْسِم الماء ، فينقسم هناك

❋ ★ ❋

هناك ثلاثةَ أَنْهُر .

يمر الأول منها إلى باب سوق الدّوَابّ .

ثم إلى دار البانوقة (١٥) . ويفنَى هناك (١٦) .

ويدخل بعضه باب سوق الدّوابّ ، ويمرّ إلى العَلاّفين ، فيصب في نهر كان المعتضد حفره .

ويمر شيءٌ منه إلى باب سو ق الغَنَم .

ثم إلى خندق العبّاس (١٧) بباب المُخَرِّم ، ويبز في دجلة .

ويَمُرّ نهر موسى أيضاً إلى قَنْطرة الأَنْصَار ، فيحمِلُ منه هناك ثلاثة أنهار :

يَصبُّ أحَدُها في حَوْض الأنصار .

والثاني في حَوْض هَيْلانَةَ .

والثالث في حَوْض داوود .

ويمُرّ نهر موسى أيضاً إلى قصر المُعْتَصم بالله ، فيحمِل منه هناك نهر يَمُرّ إلى سوق العَطَش في وسط شارع كَرْم العَرْش (١٨) . [١١٥]

ويَصُبُّ في دار عليِّ بن محمد بن الفُرات الوزير ، ويفنَى هناك .

ويُمرّ نهر موسى أيضاً ملاصقاً لقصر المُعْتَصِم إلى أن يخرج إلى شارع عَمْرو الرّومي .

ثم يدخل بُسْتان الزّاهر فيَسقيه، ويصب في دجلة أسفل البُسْتان من هناك ، ويسمى نهر مُعَلّى ، ويَمُرّ بين الدور إلى باب سوق الثلاثاء .

ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفِرْدَوْس ، فيدور فيه ، ويَصُبّ في دجلــة .

ويَمُرُّ النهرالثالث من المَقْسِم إلى باب قَطيعة مُوشَجِير (٢١) ، ثم يدخل القصر الحَسَني فيدور فيه .

ثم يصب في دجلة .

قال : ويَحْمِلُ من نهر الخالِص نهرٌ يقالُ له : نهر الفَضْل إلى أن ينتهي إلى باب الشَمّاسيّة .

فَيُؤخَذُ منه نهرٌ ، يقال له نهرُ المهديّ ، ويدخلُ المدينةَ في الشارع المعروف بشارع المهديّ .

ثم يجيءُ إلى قنطرة البَرَدَان .

ويدخل دار الرُّوميّين ، ويخرج الى سُوَيْقَة نَصْر بن مالِك . ثم يدخُلُ الرُّصَافة ويمرّ في مسجد الجامع الى بُستان حَفْص .ويصب في بِرْكَةٍ في جَوْفِ قصر الرُّصافة (٢٢) .

ويحمل من هذا النهر نهر ، أَوَّلُه في سُوَيْقَة نَصْر ، ثم يَمُرُّ في وَسَط شارع باب خُراسان ، إلى أن يَصُبّ في نهر الفَضْل بباب خراسان .

فهذه أنهار الجانب الشرقي .

الفصل الحادي عشر

ذكر عدد جُسور مدينة السلام
التي كانت بها على قديم الأيّام

أخبَرَنا محمّد بن الحُسَين بن الفَضْل القَطّان ، قال : أنبأنا عبدُ الله بن جعفــر بن دُرُسْتَوَيْه ، قال : نبّأنا يعقوب بن سُفيــان ، قال : سنة سبع وخمسين ومئة : فيها ابتنى أبو جعفر قصرَه الذي يُعْرَف بالخُلْد وفيها عَقَد الجسرَ عند باب الشعير (١) .

أخبرنا محمد بن علي الورّاق وأحمــد بن علي المُحْتَسِب ، قالا : [١١٦] أنبأنا محمد بن جعفر النّحْوِي ، قال: نبّأنا الحَسَن بن محمد السّكوني قال : نبّأنا محمد بن خلَف ، قال : قال أحمد بن خَليل بن مالِك عن أبيه ، قال : كان المنصور قد أمَرَ بِعَقْد ثلاثة جسور ، أحدها للنّساء ، ثم عَقَد لنفسِه وحَشَمه جِسْرَيْن بباب البُسْتان(٢)

وكان بالزَّنْدَوَرْد جسران عَقَدَهما محمد (٣) .

وكان الرشيد قد عَقَد عند باب الشَمّاسيّة جِسْرين .

وكان لأبي جعفر جِسر عند سُوَيْقة قاطوطا .

فلم تزل هذه الجسور إلى أن قتل محمّد ، ثم عُطِّلَت ، وبقي منها ثلاثة إلى أيّام المأمون . ثم عُطّل واحد (٤) .

وسمِعت أبا علي بن شاذان يقول : أدركت ببغداد ثلاثة جسور ، أحدها مُحاذي سوق الثلاثاء .

وآخر بباب الطاق .

والثالث في أعلى البلد عنــد الدار المُعِزّيّة محاذي الميْدان .

فذكر لي غير ابن شاذان : أن الجسر الذي كان محاذي المَيْدان (٥) نقل إلى الفُرْضَة بباب الطاق ، فصار هنــاك جسران يمضي الناس على أحدهمــا ويرجعون على الآخر (٦) .

وقال لي هلال بن المُحَسّن : عُقد الجسر بمَشْرَعَة القَطّانين في سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة ، فمكث مــدة ثم تَعَطّل .

ولم يبق ببغداد بعد ذلك سوى جسر واحد بباب الطّاق إلى أن حُوِّل في سنة ثماني وأربعين وأربع مئة ، فَعُقد بين مَشْرَعَة الرّوايا من الجانب الغربي وبين مَشْرَعَة الحَطّابين من الجانب الشرقي ، ثم عُطل في سنة خمسين وأربع مئة ، ثم نُصِب بمشرعة القَطّانين (٧) .

قال الشيخ أبو بكر : ولم أزل أسمع أنّ جسر بغداد طِرازُها .أنشدني علي بن الحسن بن الصَقْر أبو الحَسَن ، قال : أنشدنا علي بن الفَرَج الفقيه الشّافعي لنفسه :

أيا حبّذا جسرٌ على مَتْن دجلةٍ
باتقانٍ تأسيسٍ وحُسْنٍ ورَوْنَقِ
جَمــالٌ وفَخْر للعراق ونُزْهَةٌ
وسَلْوَةٌ من أضْناهُ فَرْطُ التَشَوُّقِ
تراهُ إذا مــا جِئته مــتأمــلاً
كسَطْرِ عَبيرٍ خُطَّ في وَسْطِ مُهْرَق
أو العاجُ فيه الآبَنُوس مــرقَشٌ
مِثال فُيولٍ تحتها أرضُ زئْبَقِ

[١١٧] أنشدنا علي بن المُحَسِّن التّنُوخيّ ، قال : أنشدني أبي لنفسه :

يوم سَرَقْنا العيشَ فيه خِلْسَةً في مجلس بِفناء دجلةَ مُفْرَد
رَقّ الهواء بِرَقّة قُدّامَهُ فغدوتُ رِقاً للزّمان المُسْعِدِ
فكأنّ دجلة طَيْلَسانٌ أبيضٌ والجسر فيها كالطِرّاز الأسودِ

حدثني هلال بن المُحَسِّن ، قال : ذكر أنه أُحْصيت السُمَيْريات المَعْبَرانيّات بِدِجْلَة أيّام النّاصر لدين الله ، وهو أبو أحمد طَلْحَة المُوَفّق ، فكانت ثلاثين ألفاً ، قُدرَ من كسْب ملاّحيها في كل يومٍ تسعون ألف درهم .

الفصل الثاني عشر

ذكرُ مقدار ذَرْعِ جانِبَيْ بغداد طُولاً وعَرضاً ومبلغ مساحة أَرْضِها وعَدَدِ مَساجِدِها وحَمّاماتها

أخبرنا محمد بن علي الوَرّاق ، قال : أنبأنا أبو الحَسَن أحمد بن محمد ابن عِمْرَان ، قال : نبأنا أبو بكر محمّد بن يحيى النّدِيم ، قال : ذكر أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد .

أن ذَرْع بغداد الجانبين ثلاثة وخمسون ألف جَرِيب وسبع مئة وخمسون جَرِيباً منها : الجانب الشرقي ستة وعشرون ألف جَرِيب وسبع مئة وخمسون جَرِيباً ، والغربيّ سبعة وعشرون ألف جَرِيب (١) .

قال أبو الحسن : ورأيت في نسخةٍ أخرى غير نسخةِ محمد بن يحيى :

إن ذَرْع بغداد ثلاثة وأربعون ألف جَرِيب وسبع مئة جَرِيب وخمسون جَرِيباً . منها : الجانب الشرقي ستة عشر ألف جَرِيب وسبع مئة وخمسون جَرِيباً ، والجانب الغربيّ سبعة وعشرون ألف جَرِيب (٢) .

رجع إلى حديث محمد بن يحيى :

وأنّ عددَ الحمّامات كانت في ذلك الوقت ببغداد ستّين ألف حمّام ، وقال : أقل ما يكون في كل حَمّام خمسةُ نفر ، حَمّامي وقَيِّم وزَبّال ووَقّاد وسَقّاء . يكون ذلك ثلاث مئة ألف رجل .

وذكر أنه يكون بإزاء كل حمّام خمسةُ مساجد : يكون ذلك ثلاث مئة ألف مسجد . وتقدير ذلك أن يكون أقلّ ما يكون في كلّ مسجد خمسةُ أَنْفُس : يكون ذلك ألف ألفٍ وخمس مئة ألفِ إنسان (٣) . [١١٨]

يحتاج كلُّ إنسانٍ من هؤلاء في ليلة العيد إلى رِطْلِ صابون ، يكون ذلك ألفَ ألفٍ وخمس مئة ألف رِطْل صابون .

يكون ذلك حِساب الجرّة مئة وثلاثين رِطْلاً :

ألف جرّة ، ومئة جرّة ، وخمسين جرّة ، وثمانية جرار ونصفاً .

يكون ذلك زيتاً - حساب الجرّة ستين رِطْلاً - ستّ مئة ألف رِطْل ، وتسعة آلاف رِطْل وخمس مئة رِطْل وعشرة أرطال (٤) .

حدّثني هلال بن المُحَسِّن قال :

كنت يوماً بحضرة جدّي أبي إسحاق إبراهيم بن هِلال الصابي (٥) في سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة ، إذْ دخل عليه أحد التُجّار الذين كانوا يَغْشَوْنَه ويخدِمُونه ، فقال له في عرضِ حديثٍ حَدَّثه به : قال لي أحد التُّجّار : إن ببغداد اليوم ثلاثة آلاف حمّام ، فقال له جدّي : أذكُرُ وقد كتب رُكْن الدّولة أبو علي الحسن بن بُوَيْه إلى الوزير أبي محمّد المُهَلّبي بما قال فيه : ذُكِر لنا كثرة المساجد والحمّامات ببغداد ، واختَلَفت علينا فيها الأقاويل ، وأَحْبَبْنا أن نَعْرِفَها على حقيقةٍ وتحصيل ، فتُعَرِّفَنا الصحيح من ذلك . قال جدّي : وأعطاني أبو محمد الكتاب ، وقال لي : إمْضِ إلى الأمير مُعِزّ الدّولة فاعرِضه عليه واستأذِنْه فيه . ففعلت . فقال له الأمير : إستعلم ذلك وعَرّفنيه . فتقدّم أبومحمد المهلبي الى أبي الحسن البادغجي - وهو صاحب المعونة - بعدّ المساجد والحمّامات . قال جدّي : فأمّا المساجد فلا أذكُرُ ما قيل فيها كَثْرَةً ، وأمّا الحمّامات ، فكانت بِضْعَة عشرَ ألف حمّام . وعدت إلى مُعِزّ الدّولة وعَرّفته ذلك ، فقال : اكتبوا في الحمّامات بأنها أربعة آلاف . واستدلَلْنا من قوله على إشفاقِه وحَسَدِه أباه على بَلَد هذا عِظَمُهُ وكِبَرُه . وأخذ أبو محمّد وأخذنا نتعجب من كون الحمّامات هذا القدر . وقد أحصيت

[١١٩] في أيام المقتدر بالله فكانت سبعة وعشرين ألف حمّام وليس بين الوقتين من التباعد ما يقتضي هذا التفاوت .

قال هلال : وقيل إنها كانت في أيّام عَضُد الدّولة خمسة آلاف حمّام وكسراً (٦) .

قال الشيخ أبو بكر : لم يكن لبغداد نَظيرٌ في جلالةِ قَدْرِها وفَخامَةِ أَمْرِها ، وكَثْرَةِ علمائها وأعلامِها ، وتَميُّزِ خَوَاصِّها وعَوَامِّها ، وعِظَمِ أَقْطارها ، وسعة أَطرارِها ، وكَثْرَةِ دُورِها ومنازِلها ، ودروبها وشُعوبها ، ومَحالِّها وأسواقها ، وسِكَكِها وأَزِقّتها ، ومساجدها وحَمّاماتِها ، وطرُزِها (٧) وخاناتها ، وطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، وبَرْدِ ظِلالِها وأفيائها ، واعتدالِ صَيْفِها وشتائها ، وصحّة ربيعها وخريفها ، وزيادة ما حصر من عدّة سُكّانها . وأكثر ما كانت عِمارَةً وأهلاً في أيّام الرشيد : إذِ الدنيا قارَّة المضاجِع ، دارَّة المَراضِع ، خَصيبَة المَراتِع ، مَوْرودَةِ المشارِع ، ثمّ حَدَثَت فيها الفِتَن ، وتتابَعَت على أهلِها المِحَن ، فَخَرِب عِمرانها ، وانتقل قُطّانها ، إلا أنّها كانت قبل وقتنا والسابق لعصرِنا على ما بها من الاختلال والتناقُص في جميع الأحوال مباينةً لجميع الأمصار ، ومُخالِفة لسائر الديار (٨) .

ولقد حَدَّثني القاضي أبو القاسم التَّنُوخيّ قال : أخبرني أبي ، قال : نبّأنا أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي في سنة ستين وثلاث مئة (٩) ، قال :

أخبرني رجل يبيع سَوِيق الحِمّص منفرداً به ، وأسماه لي وأُنْسِيتُهُ : أنه حَصَرَ ما يُعمل في سوقِه من هذا السَوِيق كلَّ سنةٍ ، فكان مئة وأربعين كُرّاً ، يكون حِمّصاً مئتين وثمانين كُرّاً ، يخرج في كل سنة حتى لا يبقى منه شيءٌ ويستأنف عمل ذلك للسنة الأخرى .

قال : وسَوِيقُ الحِمّصِ غير طَيِّب ، وإنّما يأكُلُه المتَحمِّلُون والضّعَفاء شهرين أو ثلاثة عند عَدَم الفواكه ، ومَنْ لا يأكُلُه من النّاس أكثر .

[١٢٠] قال الشيخ أبو بكر: ولو طُلِب من هذا السُّوَيق اليومَ من جانبي بغداد مَكُّوك واحدٌ ما وُجِد .

أخبرنا محمّد بن علي الورّاق وأحمد بن علي المُحْتَسِب ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر النَّحويّ ، قال : نبّأنا الحسن بن محمد السُّكُونيّ ، قال : نبّأنا محمد بن خَلَف ، قال : قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر :

أُخِذَ الطولُ من الجانب الشرقي من بغداد لأبي احمد — يعني المُوَفّق بالله — عند دخوله مدينة السلام ، فوُجِدَ مئتي حَبْل وخمسين حَبْلاً ، وعُرْضُه مئة وخمسة أَحْبُل .

فتكون ستةً وعشرين ألف جَرِيب ، ومئتين وخمسين جَرِيباً .

ووُجِد الجانب الغربيّ — طوله — مئتين وخمسين حَبْلاً أيضاً ، وعُرْضُه سبعون حَبْلاً .

يكون ذلك سبعة عشر ألف جَرِيب وخمس مئة جَرِيب .

فالجميع من ذلك ثلاثة وأربعون ألف جَرِيب ، وسبع مئة وخمسون جَرِيباً . من ذلك مقابر أربعة وسبعون جَرِيباً (١٠) .

الفصل الثالث عشر

باب ما ذكر في مقابر بغداد المخصوصة بالعلماء والزّهّاد بالجانب الغربيّ في أعلى المدينة .

مقابر قريش : دفن بها موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وجماعة من الأفاضل معه (١) .

أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الأستراباديّ ، قال : أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان القَطيعيّ ، قال : سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلاّل (٢) يقول : ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلاّ سهل الله تعالى لي ما أُحِبّ .

أخبرنا محمد بن علي الورّاق ، وأحمد بن علي المحتسب ، قالا : أنبأنا محمّد بن جعفر قال : نا السّكُونيّ ، قال : نبأنا محمد بن خلف ، قال :

وكان أول من دفن في مقابر قريش جعفر الأكبر بن المنصور ، وأول من دفن في مقابر باب الشام عبدُالله بن علي سنة سبع وأربعين ومئة ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة . [١٢١]

ومقبرة باب الشام : أقدم مقابر بغداد ، ودفن بها جماعةٌ العلماء والمحدّثين والفقهاء .

وكذلك بمقبرة باب التِّبْن ، وهي على الخندق بإزاء قَطيعة أمّ جعفر .

حدّثني أبو يَعْلَى محمد بن الحسين بن محمّد بن الفرَّاء الحَنْبلي ، قال : حدثني أبو طاهر بن أبي بكر (٣) ، قال : حكى لي والدي عن رجل كان يختلف إلى أبي بكر بن مالِك أنه قيل له : أين تُحبّ أن تُدْفَن إذا مِتَّ ؟ قال : بالقَطِيعَة ، وإن عبدالله بن احمد بن حَنْبل مدفون بالقَطيعة . وقيل له — يعني لعبدالله — في ذلك ، قال : وأظنّه كان أوصى بأن يُدفَنَ

هناك . وقال : قد صَحّ عندي أنّ بالقطيعة نبيّاً مدفوناً ، ولأَنْ أكون في جِوار نَبِيٍّ أَحَبُّ إليّ من أن أكون في جِوار أبي .

ومقبرة باب حَرْب : خارج المدينة ، وراء الخندق ممّا يلي طريق قُطْرَبُّلَ ؛ معروفة بأهل الصلاح والخير ، وفيها قبر أحمد بن محمّد بن حنبل وبِشْر بن الحارث .

ويُنسب باب حَرْب إلى حَرْب بن عبدالله أحد صحابة أبي جعفر المنصور ، وإليه أيضاً تُنسب المحلة المعروفة بالحَرْبيّة (٤) .

أخبرنا أبو عبدالرحمن إسماعيل بن احمد الحَيْري الضَّرير ، قال : أنبأنا أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين السُّلَمِيّ بنَيْسابور ، ، قال : سمعت أبا بكر الرّازيّ يقول : سمعت عبدالله بن موسى الطّلْحِي يقول : سمعت أحمد بن العباس يقول (٥) ـ :

خرجتُ من بغداد ، فاستقبلني رجلٌ عليه أثر العبادة ، فقال لي : من أين خرجتَ ؟ قلتُ : من بغداد ، هرَبتُ منها لَـمّا رأيت فيها أثر الفساد . خِفتُ أن يُخسَف بأهلها ، فقال : إرْجِعْ ولا تَخَفْ ، فإن فيها قبورَ أربعةٍ من أولياءِ الله هم حصن لهم من جميع البلايا ! قلت : من هم ؟ قال : ثَمّ أحمد بن حَنْبل ، ومعروف الكَرْخيّ ، وبِشْر الحافي ، ومنصور بن عَمّار . فرَجَعْت وزُرْتُ القبور ، ولم أخرجَ تلك السنة .

قال الشيخ أبو بكر : أمّا قبر معروف ، فهو في مقبرة باب الدَّيْر ، وأمّا الثلاثة الآخرون ، فقبورهم بباب حر ب (٦) .

[١٢٢] حدّثني الحسن بن أبي طالب ، قال : نا يوسف بن عُمَرَ القَوّاس ، قال : نا أبو مُقاتِل محمد بن شُجاع ، قال : نا أبو بكر بن أبي الدُّنْيا قال : حدّثني أبو يوسف بن بَخْتَان ـ وكان مِن خيار المسلمين (٧) قال : لما مات أحمد بن حَنْبَل رأى رجلٌ في منامه كأنّ على كل قبر قنديلاً ،

فقال : ما هذا ؟ فقيل له : أما علمتَ أنه نُوِّر لأهل القبور قبُورهم بنزول هذا الرجل بين أَظْهُرِهِم . قد كان فيهم من يُعَذّب فرُحِمَ .

أخبرنا أبو الفرج الحسين بن علي بن عبيدالله الطّناجيريّ ، قال : نا محمّد بن علي بن سُوَيْد المؤدِّب ، قال : نا عثمان بن إسماعيل بن أبي بكر السُّكّري قال : سمِعت أبي يقول : سمِعت أحمد بن الدَّوْرَقي (٨) يقول : مات جارٌ لي ، فرأيته في الليل وعليه حُلّتان* قد كُسِي ، فقلت : أيش قِصَّتُك ؟ ما هذا ؟ قال : دفن في مقبرتنا بِشْر بن الحارث ، فكُسي أهل المقبرة حُلّتَيْن حُلّتين .

قال الخطيب : وبنواحي الكرخ مقابِرُ عدةً ، منها :

مقبرة باب الكُنَاس ممّا يلي بَرَاثا : دُفِن فيها جماعة من كُبَراء أصحاب الحديث .

ومقبرة الشُّونيزيّ : فيها قبرُ سَرِيّ بن السّقَطي وغيره من الزُّهّاد . وهي وراءَ المحلة المعروفة بالتُّوثَة بالقرب من نهر عيسى بن علي الهاشمي .

سمعت بعض شيوخنا يقول :

مَقَابِر قُرَيْش كانت قديماً تعرف بمَقْبَرة الشُّونيزي الصغير ، والمقبرة التي وراء التُّوثة تعرف بمقبرة الشُونيزي الكبير وكانا أخَوين** ، يقال لكل واحد منهما الشُّونيزيّ ، فدفن كل واحدٍ منهما في إحدى هاتين المقبرتين ، ونسبت المقبرة إليه .

ومقبرة باب الدّير ، وهي التي فيها قبر معروف الكَرْخِيّ (٩) .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحَيْري ، قال : أنبأنا محمّد بن الحسين السُّلمي ، قال : سمِعت أبا الحسن بن مِقْسَم يقول : سمِعت أبا علي الصّفّار يقول : سمِعت إبراهيم الحَرْبيّ (١٠) يقول : قبر معروف التِرْياق المُجَرّب !

(*) في النص المطبوع « حلتين » .

(**) في النص المطبوع « كانأخوان » .

أخبرني أبو اسحاق إبراهيم بن عمر البَرْمَكيّ قال : نبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمّد الزُّهْريّ ، قال : سمِعت أبي (١١) يقول : قبر معروف الكَرْخيّ (١٢) مُجَرّب لقضاء الحوائج ! ويقال إنه من قرأ عنده مئة مرّة: « قل هو الله أحد » ، وسأل الله تعالى ما يريد ، قضى الله له حاجَتَه ! [١٢٣]

حدّثنا أبو عبدالله محمد بن علي بن عبد الله الصُّوريّ ، قال : سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد بن جُمَيْع يقول : سمِعت أبا عبد الله ابن المَحَامِليّ (١٣) يقول :

أعرِف قبر معروف الكرخي مُنْذُ سبعين سنة ، ما قصده مهموم إلا فرّج الله همّه !

وبالجانب الشرقي مقبرة الخَيْزُران : فيها قبر محمد بن إسحاق ابن يَسَار صاحب السّيرة ، وقبرُ أبي حنيفة النُّعْمان بن ثابت إمام أصحاب الرّأي (١٤) .

أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الصَيْمَريّ ، قال : أنبأنا عمر بن إبراهيم المُقْري ، قال : نبأنا مكرم بن أحمد ، قال: نبّأنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم ، قال : نبّأنا على بن مَيْمُون ، قال : سمِعت الشافعيّ يقول (١٥) :

إني لأتبرك بأبي حنيفة ، وأجيء الى قبره كل يوم ، يعني زائراً ، فاذا عرَضت لي حاجة صَلّيت ركْعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده ، فما تبعد عنّي حتى تُقْضى .

ومَقْبرة عبد الله بن مالك: دُفِنَ فيها خلق كثير من الفقهاء والمُحَدِّثين والزُّهّاد والصّالحين ، وتعرف بالمالكيّة .

ومقبرة باب البرَدان : فيها أيضاً جماعة من أهل الفضل (١٦) .

وعند المُصَلّى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يُعْرَف بقبر النُّذُور ، ويقال إن المدفون فيه رجلٌ من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، يتبرك الناس بزيارته ، ويقصده ذوو الحاجة منهم لقضاء حاجته (١٧) .

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المُحَسِّن التّنُوخي ، قال : حدثني أبي ، قال (١٨) قال : كنت جالساً بحَضْرة عَضُد الدّولة ونحن مجتمعون بالقرب من مُصَلّى الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام ، نُريد الخروج معه إلى هَمَذان في أولِ يوم نزولِ المعسكر ، فوقع طَرْفُه على البناء الذي على قبر النُذُور ، فقال لي : ما هذا البناء ؟ فقلت : هذا مشهد النُّذور ، ولم أقُل « قَبْر » لعلمي بطيرته من دون هذا ، واستحسن اللفظة ، وقال : قد علمتُ أنّه قبرُ النّذور ، وإنمّا أردتُ شرْحَ أمره ، فقلت : [١٢٤] هـذا يقال إنه قبرُ عبيـد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، ويقال إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب (١٩) ، وإن بعض الخلفاء أراد قتله خفيّاً ، فجعلت له هناك زبْيَة وسُتِرَ عليها وهو لا يعلم ، فَوَقع فيها وهِيل عليه التّراب حيّاً ، وإنمّا شُهِرَ بقبر النّذور لأنه ما يكاد يُنْذَرُ له نَذْرٌ إلا صَحّ ! وبلغ النّاذرُ ما يريد ولزمه الوفاء بالنذر ، وأنا أحد من نَذَر له مراراً لا أحصيها كثرة نذوراً على أمور متعذّرة ، فبلغتها ، ولَزمَني النّذر فوفيت به . فلم يتقبل هذا القول ، وتكلم بما دلّ أن هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقاً ، فيتسوّق العوام بأضعافِه ، ويُسَيّرون الأحاديث الباطلة فيه ، فأمسكت .

فلمّا كان بعد أيام يسيرة ، ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يوم ، وقال : إركب معي إلى مشهد النذور . فركبتُ ، وركب في نفر من حاشيته إلى أن جئتُ به إلى الموضع ، فدخلَه وزار القبر ،

وصلّى عنده ركعتين ، وسجد بعدهما سَجْدَةً أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحد . ثم ركبنا معه إلى خيمته ، وأقمنا أياماً .

ثم رَحَلَ ورَحَلْنا معه ، يريد هَمَذان ، فبلغناها ، وأقمنا فيها معه شهوراً . فلما كان بعد ذلك استدعاني وقال لي : الست تذكر ما حدثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد ؟ فقلت . بلى ! فقال اني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتماداً لحسن عشرتك ، والذي كان في نفسي في الحقيقة ان جميع ما يقال فيه كذب فلما كان بعد ذلك بِمُدَيْدَة طَرَقَني أمر خَشِيت أن يقع ويَتِمَّ . وأعْمَلت فكري في الاحتيال لزَواله ولو بجميع ما في بيوت أموالي وسائر عساكري ، فلم أجد لذلك فيه مذهباً ، فذكرتُ ما أخبرتني به في النذر لمقبرة النذور ، فقلت : لِمَ لا أجرّب ذلك ؟ فنذرت إنْ كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحملَ إلى صندوق هذا المَشْهَد عشرةَ آلاف درهم صحاحاً . فلمّا كان اليوم جاءتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر ، فتقدَّمْتُ إلى أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف ، يعني كاتبه ، أن يكتب إلى أبي الريّان وكان خليفته ببغداد ، يحملها إلى المشهد. ثمّ التفت إلى عبدالعزيز وكان [١٢٥] حاضراً ، فقال له عبدالعزيز : قد كتبتُ بذلك ، ونفذ الكتاب .

أخبرني علي بن أبي علي المُعَدَّل ، قال : حَدَّثني أحمد بن عبدالله أبو بكر الدُّورِي الوَرّاق قال : نبّأنا أبو علي محمد بن هَمّام بن سُهَيْل الكاتب الشيعيّ ، قال : نبّأنا محمد بن موسى بن حمّاد البَربريّ ، قال : نبّأنا سليمان بن أبي شيخ(٢٠) ، وقلت له : هذا الذي يقبر النذور يقال إنه عُبَيْدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، فقال : ليس كذلك : بل هو عُبَيْدُ الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وعبيدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مدفون في ضَيْعَة له بناحية الكوفة ، يقال لها لُبْيَا .

وقال أبو بكر الدُّورِيّ : قال لي أبو محمد الحسن بن محمد بن أخي طاهر العَلَوي : عُبَيْدالله بن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب مدفون

في ضيعة بناحية الكوفة يقال لها أَلْبَيّ ؛ وقبر النذور إنما هو قبر عبيدالله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين (٢١) بن علي بن أبي طالب .

وأقدم المقابر بالجانب الشرقي مقبرة الخَيْزُرَان . فأخبرني أبو القاسم الأَزْهَري قال : أنبأنا أحمد بن إبراهيم قال : نبأنا إبراهيم بن محمد بن عرَفَة ، قال : وأما مقابر الخَيْزُران ، فمنسوبة إلى الخَيْزُران أمّ موسى وهارون ، يعني إبني المهدي ، وهي أقدم المقابر ، فيها قبر أبي حنيفة وقبر محمد بن اسحاق صاحب المغازي .

أخبرنا محمد بن علي الورّاق ، وأحمد بن علي المحتَسِب ، قالا : أنبأنا محمد بن جعفر ، قال : نبأنا السّكُونيّ ، قال : نبّأنا محمد بن خلَف قال : قال بعض الناس : إنّ موضع مقابر الخَيْزُرَان كان مقابر المَجُوس قبل بناء بغداد ، وأول من دُفِن فيها البانُوقَة بنت المهدي ، ثم الخَيْزُران ، ودفن فيها محمد بن إسحاق صاحب المغازي ، والحسن بن زيد ، والنّعمان ابن ثابت ، وقيل هشام بن عروة (٢٢) .

قال الشيخ أبو بكر : كان المشهور عندنا أنّ قبر هِشام بن عُروة في الجانب الغربيّ وراء الخندق أعلى مقابر باب حَرْب ، وهو ظاهر معروف هناك ، وعليه لوح منقوش فيه أنه قبر هِشام . [١٢٦]

مع ما أَخْبَرَنا به الحسن بن علي الجَوْهَري ، قال : أنبأنا محمد بن العباس الخزّاز . وأخبرنا الأَزْهَري ، قال : أنبأنا أحمد بن محمد بن موسى ، قال : نا أبو الحسن بن المُنَادى (٢٣) ، قال : أبو المُنْذِر هِشام بن عُرْوَة بن الزُّبَيْر بن العوّام القُرَشيّ مات أيامَ خِلافة أبي جعفر في سنة ستٍ وأربعين ومئة ، ودفن بالجانب الغربيّ خارجَ السور ، نحو باب قُطَربُّل .

فحدّثني أبو طاهر حَمْزَة بن محمد بن طاهر الدّقّاق ، وكان من أهل الفهم وله قَدَم في العلم ، أنّه سمع أبا الحسين أحمد بن عبدالله بن الخَضر يُنْكِرُ أن يكون قبرُ هِشام بن عُرْوَة بن الزُّبَيْر هو المشهور بالجانب

ا لغربي . وقال : هذا قبر هشام بن‌عروة المَرْوزَي صاحب ابن المبارك ،وإنّما قبر هشام بن عروة بن الزّبير بالخيزُرانيّة من الجانب الشرقي (٢٤) .

ثم أخبرنا أبو بكر البَرْقَاني ، قال : أنبأنا عبدالرحمن بن عمر الخَلاّل قال : نا محمّد بن أحمد بن يعقوب‌بن شَيْبة ، قال : نا جدّي (٢٥) ، قال: هِشَام بن عُرْوَة يُكْنَى أبا المنذر ، توفي ببغداد سنة ست وأربعين ومئة . وقد قيل : إن قبره في مقابر الخَيْزُران .

وأخبرنا الحسن بن الحسين بن العَبّاس ، قال : أنبأنا جدّي لأمي إسحاق بن محمد النّعّالي ، قال : أنبأنا عبدالله بن اسحاق المدائني ، قال : نبّأنا قَعْنَب بن المُحَرّز ، أبو عمرو الباهِلي ، قال : مات عبدالملك بن ابي سليمان (٢٦) وهشام بن عُروة ببغداد سنة خمس وأربعين ومئة، ودفنّا بسوق يحيى ، ومقبرة الخَيْزُرَان بالقرب من سوق يحيى ، وإليها أشار قَعْنَب بن المُحَرَّز .

ونرى أن قول أحمد بن عبدالله بن الخَضر هو الصّواب ، إلاّ أنّا لا نعرف من أصحاب ابن المبارك مَنْ يسمى هِشام بن عروة ، ولا نعلم أيضاً من روى‌العلم عن أحد سمي هشاماً واسم ابيه عروة ، سوى هشام بن عروة ابن الزُّبير بن العوام ، والله أعلم .

وبالقرب من القبر المنسوب الى هِشام بالجانب الغربي قبور جماعة تعرف بقبور الشهداء (٢٧) لم أَزل أسمع العامّة تذكر أنها قبور قوم من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،كانوا شهدوا معه قتال الخوارج [١٢٧] بالنّهروان ، وارْتثُوا في الوقعة ، ثمّ لما رَجَعُوا أدركهم الموتُ في ذلك الموضع ، فدفنهم عليّ هناك . وقيل إنّ فيهم من له صحبة .

وقد كان حمزة بن محمّد بن طاهر يُنكِرُ أيضاً ما اشتهر عند العامّة من ذلك ، وسمِعته يزعم أنّه لا أصل له ، والله أعلم .

تعليقات على ماكتبه الخطيب عن بغـداد

التعليقات على الفصل الأول

(١) يمكن الحصول على مواد خططية عامة عن بناء مدينة السلام من المصادر التالية :
سالمون : مقدمة خططية لتاريخ بغداد (باريس ١٩٠٤) ص ٤٢-٤٦ .
ليسترانج : بغداد في عهد الخلافة العباسية (لندن ١٩٠٠) ، ص ١-٤٦) .
شتريك : أقاليم بابل القديمة (ليدن ١٩٠٠) ص ٥٣-٦٣ .
رايتماير : إنشاء المدن العربية في الإسلام (مونيخ ١٩١٢) ص (٥٠-٥٩) .
دائرة المعارف الاسلامية . الطبعة الثانية ، (مادة بغداد) .
وعن وصف تفصيلي لخطة المدينة وهندسة بنائها ، أنظر : ساره وهرزفيله : رحلة آثارية في بلاد الفرات ودجلة (برلين ١٩٢١) ٢/١٠٦-٣٣ ، ك ا س كرسويل : العمارة الإسلامية الأولى / اكسفورد . ١٩٤٠ ، ص ٤-٣٠ .

(٢) علي بن أبي علي المعدل التنوخي ت ٤٤٧ / ١٠٥٥ الخطيب ١٢ / ١١٥ .
طلحة بن محمد بن جعفر أبو القاسم الشاهد ت ٣٨٠/٩٩٠ (الخطيب ٣٥١/٩) .
أبو جعفر بن جرير الطبري ت ٩٢٣/٣١١ ، (بروكلمـــان ١٤٢/١ ، ١٨٤ ، ١٨٩ الملحق ٢١٧/١) .

(٣) إختير هذا الاسم ، على مايقول الخطيب (٦٠/١) ؛ لأن موقع بغداد كان على دجلة ، وكان يسمى (قصر السلام) . وهذا القول نفسه ذكره إبن الجزري (مناقب ٢) ، وهو يعتمد على الخطيب مصدراً له . وقد أصلح ناشر المناقب النص وجعله (وادي السلام) (مناقب ص ٢ / التعليق ٢ ، وذلك لأن « وادي السلام » ذكر في هذا السياق إسماً ثانياً لدجلة (الخطيب ٥٨/١ ياقوت ٦٧٨/١، السمعاني : الأنساب ٨٦ أ ، إبن الأثير: اللباب ١٣٣/١) ، وهذا يصح أيضاً على « نهر السلام » (ياقوت ٣ / ١١٢)،وقراءة « وادي » أو « نهر » مقبولة أكثر من « قصر » غير أنها لاتدل على أنها الأصل الصحيح للكلمة . وعلى أي حال ذكر « قصر السلام » أيضاً أسماً لمكان على دجلة في أطراف بغداد ، فقد ورد أن المنصور عبر دجلة من عنده عندما كان يبحث عن مكان ملائم لمدينة ، وكان ذلك الموقع قرب الجسر وفيه دير (الطبري ٢٧٣/٣) وهو يقع في المكان الذي أصبح يدعى الخلد (٢٨٠/٣) ، والخلد يقع قرب الجسر في الجانب الغربي من شاطئ دجلة ، متصل مباشرة بالبقعة التي شغلتها فيما بعد مدينة المنصور. غير أن هذا لايعنى بالضرورة تفسيراً لأسم (مدينة السلام).ويذكر ياقوت تفسيرين إضافيين:أحدهما أن الأسم أخذه المنصور من تعبير فارسي قديم (هليدوەوروز)، (٦٧٧/١) ويقال إن معناه بالعربية (أدخلوها بسلام) ، والثاني أن السلام هو الله ، وإنه أراد انيجعلها مدينة الله (٦٧٨/١) .

(٤) المواد عن إدارة الأشغال العامـــة في العصر العباسي الاول قليلة (أنظر : ي . هرزفيلد) (أصل الفنون الإسلامية ومشكلة المشتى) مجلة الإسلام ١٩١٠/١ ص ٦٠-٣ رحلة آثارية ١١٧/٤ / التعليق ، ٨ ، روزنثال : فكرة الإسلام عن الحرية (ليدن ١٩٦٠) ص ٧٧ فما بعدها . والمظهر الأكبر لمثل هذا المنهاج فيما يتعلق ببناء بغداد هو استيراد العمال المهرة وغير

المهرة من الأقاليم (اليعقوبي: البلدان ٢٣٨ ، الطبري ٢٧٦/٣ ، ٧٧ ، المقدسي ١٢١ ، ياقوت ٦٨١/١–٨٢) وقد اعتمد المنصور في جمع العمال على بلاد الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة (الطبري . أعلاه . المقدسي أعلاه ، ياقوت ٦٨١/١) ، ولم تذكر مصر أو خراسان . ويقول اليعقوبي (أعلاه) : إن البناء لم يبتدئ إلا بعد أن اكتمل وصول مئة ألف عامل من مختلف الأصناف . ولا شك في أن هذا الرقم مبالغ فيه ، وهو مع ذلك يعكس مدى سعة المشروع (أنظر القسم الثالث(٢)) وقد ثبتت الأجور تبعاً لنوع العمل، ويبدو أنها كانت تدفع في أوقات معينة . أما مستوى الأسعار الذي ذكر بهذه المناسبة ، فيشير إلى أن القوة الشرائية للعامل الماهر كانت أكثر مما تتطلبه حاجاته ، كما يشير إلى رخاء اقتصادي في المدينة (الخطيب ١ /٧٠) أما الإشـــراف العام على البناء فقد عهد به الى أربعة من القواد ، وجعل كل واحد على ربع من أرباع المدينة (الطبري ٢٧٢/٣–٢٧٨) وهذا هو النظام الذي اتبع بصورة عامة في الأعمال الواسعة للحكومة من هذا النوع . (٣٣٢).

(٥) الدينوري: الأخبار الطوال ٣٧٩ ؛ اليعقوبي: البلدان ٢٣٨ ؛ الطبري ٢٧٢/٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨؛ المقدسي ١٢١ ؛ ياقوت ٦٨٠/١ ، ٨٦٢ . ويـــبدو أن الخطة العامة للمدينة المدورة كانت من إبداع المنصور الشخصي ؛ بالرغم من أن التطبيق الفعلي لتحديد خطة المدينة أسند الى الحجاج بن أرطاة ومجموعة من الرجال من أهل الكوفة (الخطيب ٧٠/١) . ولكن الخليفة يرى شكل خطة المدينة ، فقد أمر أن تخط بالرماد (الطبري ٢٧٧/٣ ، ياقوت ٦٨٢/١) فلما تم ذلك قام الخليفة بنفسه بمراقبة المكان « ثم سار ونظر الى خطط الفصيل والأبواب والأقواس والساحات والخندق ، ثم أمر بأن توضع بذور القطن على طول خطوط الرماد ، وصب على البذور النفط وأوقده . فلما أبصر لهيبها أمر بإرساء الأسس على تلك الخطوط » (الطبري ٢٧٧/٣) غير أن الطبري في ص ٢٧٨ يقول إن خالد بن برمك هو الذي تتبع آثار المدينـــة . والصورة التي تظهر من المصادر تشير مشكلة جديرة بالاهتمام الجدي ، وهي مشكلة تاريخية فنية فرضها وجود قوة عمل منوع للصناع المهرة (أنظر التعليق ٤) ويبدو أن مثل هذه الطريقة يتيح تنوعاً كبيراً في حدود صلبة جداً ، أي تطبيق الزخارف الفنية والأساليب ضمن أشكال عمرانية محددة ، وقد قررها سلفاً ذوق المؤسس العظيم ، فإلى أي حد نظر المنصور إلى مدينته إلى أبعد من الانطباع العام الأول الذي كان أشد اهتماماً به ، وإلى أي حد كان هذا الانطباع الأول قد أعد من قبل وروعيت فيه الاعتبارات الذوقية والوظائف الاعمارية ، والرمزية السياسية !

(٦) مثل هذا الكلام موجود أيضاً في اليعقوبي (البلدان ٢٣٨) ، غير أن في الكتب الاسلامية عدة اشارات الى مدن مدورة أخرى ، وقد استعمل التخطيط المستدير في شرقي آسيا الصغرى وغربي إيران منذ الأزمنة الآشورية . وهذا يصدق بصورة خاصة على فن العمارة العسكرية (كريسويل ٨–٢١ ؛ هرزفيلد ١٣٢/٢–٣) وعند مراعاة التاريخ نقول إن أقرب الأمثلة لمدينة السلام فيما يظهر ، هي الحضر، ودارابجرد ، وجور ، وطيسفون (المدائن) . وكل هذه المواضع يرجع تاريخها إلى العهود البارثية والساسانية . ويرى كرسويل أنه « من المحتمل أن خطة دارابجرد هي التي أوحت مباشرة بـ« مدينة المنصور المدورة » ، ولتأييد هذه الفرضية اقتبس نصاً من حمزة الإصفهاني جاء فيه : ان دار ابجرد كان سورها قديماً بشكل مثلث « ثم نقض سورها رجل منهم كان يقال له ازاد مود كامكار؛ورد له من التثليث التدوير ،

وكان عاملا للحجاج بن يوسف على فارس » ومعنى هذا أن سور دارابجرد المستدير ترجع بدايته الى عهد ولاية الحجاج بن يوسف (ت ٩٦هـ–٧١٤م) العراق–أي أنها من مدة نحو خمسين سنة قبل تأسيس بغداد (كريسويل ٢١ وهو يقتبس من كتاب التاريخ ص ٣٧ لحمزة الإصفهاني) . وتشير المكتشفات الحديثة إلى وجود المدن المدورة قبل هذا التاريخ ، غير أنه ليس ثم دليل على ربط البقايا الحالية لدارابجرد بالتخطيط المفترض لأسوار المدينة في العصر الأموي . أما الأدلة الأدبية فتشير إلى العكس ، حيث يبدو أن مدينة دارابجرد المدورة ترجع إلى العهود البارثية أو الساسانية (أنظر سير أوريل شتاين : سياحة آثارها في ايران القديمة . (مجلة العراق ٣ / ١٩١–٩٣) ، يضاف إلى ذلك انه يصعب للقول بأن الأسس التاريخية وحدها تكفي للقول بأن هذه المدينة الإقليمية اتخذت أنموذجاً مباشراً للعاصمة العباسية العظيمة . وعن العلاقة بين هذه المدن وبغداد أنظر قسم ٢ أ .

(٧) يروي أن الخليفة وضع أول لبنة بنفسه (الطبري ٣ ٢٧٤ ، ياقوت ١/٦٨٠) ، وكان يتلو في ذلك الآية الكريمة « بسم الله والحمد لله ، وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين » أنظر إبن الطقطقي : الفخري ٢١٩) ، أما نوبخت المنجم ، فكان أحد منجمي المنصور (المسعودي : مروج ٢٩٠/٨) وأول أفراد الأسرة التي اشتهرت بهذا الاسم (دائرة المعارف الاسلامية : مادة نوبخت)،ويقول اليعقوبي إنه عاونه في هذه المهمة ماشا الله (ت ٨١٥/٢٠٠) (أنظر دائرة المعارف الإسلامية ،مادة ماشا الله بن ساريات) .

(٨) محمد بن علي الوراق : ت ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م (الخطيب ٩٤/١ ، ٩٥) .

أحمد بن علي المحتسب : ت ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م (الخطيب ٣٢٤/٤) .

محمد بن جعفر النحوي : ت ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م (الخطيب ١٥٨/٢–٥٩) .

الحسن بن محمد السكوني : لم تعرف هويته .

محمد بن خلف ت ٣٠٨ هـ / ٩١٨ م (الخطيب ٢٣٦/٥–٣٧ ، بروكلمان : الملحق ٢٢٥/١) .

محمد بن موسى القيسي : لم تعرف هويته .

محمد بن موسى الخوارزمي ، العالم الرياضي ت ٨٤٦/٢٣٢ (بروكلمان ٢١٥/١ – ١٦ ٢٢٥ الملحق ٣٨١/١ ، ٤٠٤) .

(٩) عن تجوال الخليفة بحثاً عن عاصمة والعوامل التي حملته على الانتقال من الهاشمية الى بغداد — أنظر القسم الثالث(١) . ويقول اليعقوبي (البلدان ٢٣٧): إن الخليفة بقى في الهاشمية حتى سار المهدي بحملته على الصقالبة سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م ، ثم غادر المنصور إلى بغداد ووضع خطة المدينة في شهر ربيع الأول سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م ويؤيد هذا الكلام آخر (تاريخ اليعقوبي ٤٤٩/٢) أن خطة المدينة كانت قد تمت حين ترك الخليفة بغداد (٧٦/١٤٤) ليقابل المهدي بعد رجوعه من خراسان ، وبعد أن لقيه المنصور في نهاوند توجه الى الكوفة وعسكر في الهاشمية ، ثم عاد إلى بغداد في السنة التالية (ص ٢٥٠) وبهذا أعطى اليعقوبي انطباعاً بأنه مرت أربع سنوات بين التفكير في المدينة والبدء بينائها ، إذ من المحتمل أن البناء الحقيقي بدأ في سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م . وتتفق جمهرة المصادر الأولى على هذا التاريخ (البلاذري : فتوح ٢٩٥ ، إبن قتيبة : المعارف ١٩٢ الطبري ٢٧٧/٣ ؛ المسعودي : التنبيه ٣٦٠ ،

المقدسي ١٢١ ،وكذلك ياقوت ٦٨٢،٦٨٠/١) . ويذكر الطبري أن الموضع اختاره فريق متقدم سنة ١٤٤هـ/٧٦١م ، من جهة ثانية يذكر ابن الجوزي ان ذلك تم في سنة ١٤٢هـ/٧٥٩ م (كريسويل ١٩/٢ التعليق ٧ مقتبساً من مخطوطة أيا صوفيا رقم ٣٠٩٥ الورقة ٦٨ آ اعتماداً على الطبري) . غير أن مؤلف المناقب (ص ٨) يفضل التاريخ الأكثر قبولا ، ويذكر مصدره الخطيب . أما الدينوري (الأخبار الطوال ٣٧٩) فانه يرى أن العمل كان قائماً ببناء بغداد في أوائل سنة ١٣٩ هـ / ٧٥٦ م . أما المؤرخون العرب التأخرون فيتابعون الرأي الذي قبلته جمهرة المصادر الأولى في تاريخها ، وهو سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م (إبن الأثير : الكامل ٤٢٥/٥ ، ٤٢٧ أبو الفرج : التاريخ ١٢٣ ، إبن الطقطقي : الفخري ٢١٩ ، أبو الفدا : تاريخ ١٤/٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣٧٦/١) .

(١٠) محمد بن الحسين بن الفضل القطان : غير معروف .

عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي : ت ٩٥٨/٣٤٧ (بروكلمان ١١٢/١ الملحق ١٧٤/١) .

(١١) يعقوب بن سفيان : ت ٨٩١/٢٧٧ (بروكلمان ملحق ١١٩٥/٣ الطبعة الجديدة ٦٦٢/٢٥ ف روزنثال : التاريخ (ليدن ١٩٥٢) ص ٣٢٠ التعليق ٤ .

(وهذا النص نقل من كتاب المعرفة والتاريخ « ليعقوب بن سفيان الذي طبعه الدكتور أكرم العمري (المترجم) .

(١٢) انقطع البناء بثورة العلويين في المدينة (الطبري ٢٧٨/٣) واضطر المنصور إلى ترك بغداد وسار بجيشه إلى الكوفة (المسعودي : التنبيه ص ٣٦٠)ولم يعد إلى بغداد طوال أيام الثورة (الطبري ٢٨١/٣) ولما قضى على الثورة نقل دواوينه وبيوت أمواله من الهاشمية ، فأصبحت بغداد قاعدة ملكه في سنة ١٤٦ هـ / ٧٦٣ (فتوح : البلدان ٢٩٥ ، إبن قتيبة : المعارف ص ١٩٢ ، الطبري ٢٨١/٣ ، ٣١٩ ، المسعودي : التنبيه ٣٦٠) أما أقوال ياقوت (٥٨٠/١) والمقدسي (ص ١٢١) التي تشير إلى أن المدينة كمل بناؤها سنة ١٤٩ هـ /٧٦٦ م ، فلعلها تشير إلى كمال السور الخارجي القريب من الخندق الذي أشار إليه الخطيب والطبري (٢٧٨/٣) أما البلاذري (فتوح البلدان ٢٩٥) فيذكرأن التاريخ هو ١٤٧ هـ/ ٧٦٤-٥ م ، ولعله يشير في هذا الى السور الداخلي .

أبو القاسم الأزهري : تكرر ذكره في الخطيب ، غير اني لم أظفر بترجمة له .

أحمد بن ابراهيم بن الحسن ت ٩٩/٣٨٣ (الخطيب ١٨/٤-٢٠) .

ابو عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي : ت ٣٢٣ / ٩٣٥ (بروكلمان ، الملحق ١٨٤/١) .

المنجم . الذي كان مصدر الرواية ذكر ياقوت (٦٨٤/١) أن اسمه أبو سهل ترمذ بن نوبخت ت ١٧٠ / ٧٨٦ . دائرة المعارف الاسلامية مادة نوبخت ، انظر التعليق ٧ ورواية ياقوت قريبة جداً من رواية الخطيب ، وهذا يصدق أيضاً على الشعر الذي يتلوه (ياقوت / ٦٨٥) .

(١٣) سورة الحديد / الآية ٢١ ، سورة الجمعة / الآية ٤ .

(١٤) عمارة بن عقيل (عاش في المئة الثالثة « ٩ م » (بروكلمان : الملحق ١٢٢/١ ، وهذا الشعر رواه مع اختلاف قليل (ياقوت ٦٨٥/١) .

(١٥) منصور النمري عاش في القرن الثاني /الثامن (الا غاني ١٢/١٦–٢٥) .

(١٦) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبـداالله الكاتب ت ١٠٣٣/٤٢٥ (الخطيب٥/٤٤–٥٠)
أبو جعفر محمد بن احمد بن محمد ،ولى بني هاشم ، ويعرف بأبي متيم ت ٩٨٠/٣٧٠
(الخطيب ١/٣٤٤) .

(١٧) النص الحرفي يشير إلى أن الأمين ركب زورقاً يتنزه ، ووصف مجون الخليفة حتى في أوقات الشدائد أمر غير نادر . وإني مع هذا لم أجد حتى الآن إشارة ما إلى أن الخليفة قد فعل ذلك ، أو أنه كان قادراً على متابعة تنزهه في النهر إبان المراحل الأخيرة لحصار بغداد أيام كان مصيره في يد القدر (أنظر جبريللي : ولا ية العهد بعد هارون الرشيد والحرب بين الأمين والمأمون : مجلة الدراسات الشرقية ٢/٣٤١–٩٧) . غير أن المؤرخين يذكرون أن الخليفة ركب زورقاً ليوصله إلى هرثمة قائد خصمه فيسلم له،وبذلك وضع نفسه تحت رحمة أخيه (الدينوري : الأخبار الطوال ٣٩٥ ، الطبري ٩١٣/٣ – ١٤ ، المسعودي : مروج الذهب ٦ / ٤٧٢–٧٤) . ولما وصل الـزورق هرثمة هاجمته قوارب طاهر بن الحسين ، وهو من قواد جيش المأمون ، فانقلب الزورق في المناوشة وسبح الأمين لإنقاذ نفسه ، غير أن أحد عيون طاهر رصده وقبض عليه (اليعقوبي : التاريخ ٥٣٦/٢ ، الدينوري ، وكـذلك المسعودي ٤٧٧ ، الطبري ٩٢٠/٣–٩٢١) . وهناك أخبار مناقضة تصف الساعات الأخيرة للأمين . فقد روى أحد شهود العيان أنه أسر وحبس مع الخليفة في دار أبي صالح الكاتب ، وفي منتصف الليل دخل جماعة من العجم الفرقة وقتلوا الخليفة بعد مشاجرة قصيرة ، ثم قطع رأس الأمين وأرسل إلى طاهر ، وترك جسده ، ثم نقل في اليوم الثاني (الطبري ٣ / ٩١٩ – ٢٤ المسعودي ٤٧٨–٨٢) ولم أستطع أن أجد مصدراً آخر يذكر أن محمداً الأمين قتل في وسط النهر . أما الأخبار التي تذكر أن الخليفة قتل في معسكر طاهر فانظرها في التعليق (١٩) .

(١٨) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ت ٩٤٦/٣٣٥ او ٩٤٧/٣٣٦ (بروكلمان الملحق ٢١٨/١–٩) .
أحمد بن أبي يعقوب الكاتب ت٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م (انظر بروكلمان الملحق ١/٤٠٥ .

(١٩) هذه المواد يبدو أنها معتمدة على كتاب اليعقوبي (البلدان ٢٣٨) ، وهي تشير إلى أن الخليفة قتل في معسكر طاهر الذي كان يقع في بستان قرب باب الأنبار(المسعودي : مروج ٤٧١/٦ ، سالمون ٤٩–٥٠) ، والروايات التاريخية الأخرى التي تذكر أن الأمين قتل في معسكر طاهر ذكرها الدينوري : الأخبار الطوال ٣٩٥ ، والمسعودي ٤٧٧ . غير أن اليعقوبي (التاريخ ٥٣٦/٢) يذكر أن الأمين قتل في مكان آخر ، وأن قتله حدث على يد جلا د أرسله طاهر من معسكره . أما الطبري فيذكر أنه أخذ إلى دار إبراهيم بن جعفر البلخي عند باب الكوفة وقتل هناك (الطبري ٩١٧/٣) .

التعليقات على الفصل الثاني

(١) أبو عمر الحسن بن عثمان بن أحمد الفلو الواعظ ت ١٠٨٥/٤٣٦ (الخطيب ٣٦٢/٧) .
جعفر بن محمد بن أحمد بن الحكم الواسطي ت ٩٦٤/٣٥٣ (الخطيب ٢٣١/٧-٢) .
أبو الفضل العباس بن أحمد الحداد . لم اعرف هويته .
أحمد بن البربري . لم أعرف هويته .

(٢) إن رواية الخطيب عن رقعة المدينة تنبغي مقابلتها بما جاء في اليعقوبي (البلدان ٢٣٨) الذي يشير إلى أن البعد بين الباب والباب الآخر هو خمسة آلاف ذراع بالسوداء ، وهذا يجعل المساحة الكلية زهاء ٣٢/٠٠٠/٠٠٠ ذراع مربع. ومن الصعب القيام بتقدير نسبي نظراً للارتباكات القائمة في ضبط المقاييس العربية . فاذا لم يوجد نص مخالف فإن الحساب مقدر بالذراع السوداء الذي يقدره هينز بـ ٥٤ / ٠٤ سم (أنظر هيتز المكاييل والأوزان العربية (ليدن ١٩٥٥ ص ٥٤ فما بعدها ؛ دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الثانية مادة (ذراع) . وبموجب هذه الرواية تكون مساحة الدائرة الداخلية زهاء ٤٦٨/٠٠٠ ذراع) وقطرها ٧٧٢ ذراعاً . أما الدائرة الخارجية فهي ٥٧٦/٠٠٠ ذراع، وقطرها ٨٥٦ (أنظر كريسويل: العمارة الإسلامية الأولى ٧/٢ . وهو يقدر الجريب الواحد بـ ٣٦٠٠ ذراع مربع ، فيما يقول سوفير في مقالة « مادة ميسرة في تاريخ النقود والأوزان الاسلامية » المنشورة في المجلة الآسيوية ٨ (١٨٨٦) ص ٤٨٥ فما بعدها .

غير أن الخطيب يذكر أيضاً خمس روايات أخرى فيها أرقام متناقضة .

(أ) يروى عن بدر حاجب المعتضد أن المدينة كانت ميلين مكسرة في ميلين (الخطيب ١/٦٩/٢/١٦ -١٨) ، ولما كان الميل الواحد يساوي ٤٠٠٠ ذراع بالسوداء (هينتز ص ٦٣) فهذا يجعل المساحة الكلية ٦٤ / ٠٠٠/٠٠٠ ذراع مربع (تبعاً لكريسويل ص ٧) . (غير انه يلاحظ أن هرزفيلد يقرؤها ميلين مربعين ، وبذلك يجعل مساحتها التقريبية ١٦ / ٠٠٠ / ٠٠٠ ذراع مربعة ، وهذا يتفق مع رواية اليعقوبي المذكورة أعلاه (رحلة آثارية ٢ / ١٠٧) .

(ب) يروى عن رباح البناء (الخطيب ٧١/١ س ٣٠/١٧) أن المسافة بين كل باب وباب ميل ، وبذلك يجعل المساحة ١٦/٠٠٠/٠٠٠ ذراع مربعة (هرزفيلد ص ١٠٧ ، كرسويل ص ٨) .

(ج) يروى عن يحيى بن الحسن بن عبدالخالق (الخطيب ٧٠/١ س ١٩) مايتفق والرقم المذكور أعلاه .

(د) يروى عن وكيع (الخطيب ٧٣/١-٧٤) أن قطرها من باب خراسان إلى باب الكوفة هو ١٢٠٠ ذراع، ومن باب البصرة إلى باب الشام ١٢٠٠ ذراع، وبذلك يجعل المساحة ١/٠٠٠/٠٠٠ ذراع مربع تقريباً .

(هـ) يروى عن وكيع (الخطيب ٧٢/١) أن المسافة بين باب خراسان وباب الكوفة ٨٠٠ ذراع ، ومن باب الشام إلى باب البصرة ٦٠٠ ذراع ، وهذه الرواية فيها خطأ واضح ، لأنها تجعل المدينة غير مستديرة .

أما النفقات فإن ياقوت يروي أنه صرف عليها ١٨/٠٠٠/٠٠٠ دينار (٦٨٣/١) غير

أن هذا الرقم فيما يظهر عال جداً ، برغم أن السعر الشرعي للتبادل بين الدينار والدرهم هو ١٠/١ إلا أن سعر الصرف الحقيقي لم يكن ثابتاً ، وكان في ذلك الزمن ١٤/١ .

++ :- لقد كان التبادل بين الدينار والدرهم في زمن الرسول (ص) ١٠/١ ، ثم أصبح في زمن عمر ١٢/١ ، علماً بأن وزن الدرهم الفضي كان يساوي وزن الدينار ، أي مثقالا . وقد ظل وزن الدينار ثابتاً وهو مثقال . أما وزن الدرهم فقد نقص الى ٠/٧ المثقال ، وصار سعر التبادل بين الدرهم في العصر العباسي الأول الى ٢٠/١ (المترجم) .

(٣) س أبو الطيب البزاز .

(٤) س الخطيب الحافظ . وهذه القرءاة شائعة في س .

(٥) س و ج ٤٨٨٣ درهم ينبغي أن تصلح ٤٨٣٣٠٠٠٠ و ٠٠٠/٢٣ ١ فلس الى ٤/٠٠٠/٨٣٣ درهم و ١٠٠/٠٢٣/٠٠٠ فلس كما وردت في الطبري (٣٢٦/٣) أنظر أيضاً المقدسي ص ١٢١ وإبن الطقطقي : الفخري ص ١٢٠ . أما سعر الصرف بين الفلوس النحاسية والدراهم الفضية فكان يختلف باختلاف الأماكن ، ولا علم لنا بسعر التبادل بينهما في بغداد (أنظر ١٠ أدوفيش : النقود النحاسية للعباسيين « مقال ألقى في جمعيـــة النميات . في الفصل الصيفي سنة ١٩٦١ م)ص ٢٠ فما بعدها . وانظر أيضاً دائرة المعارف الاسلامية / الطبعة الثانية مادة (فلس) القيراط = ١٢/١ درهم ، الحبة = ٢٤/١ من الدرهم . وهذه التسميات هي والدانق المذكور أدناه هي أوزان ، وليست نقوداً ؛ أنظر سوفير « مادة ٠٠ المجلة الآسيوية م ٧-١٥ (١٨٨٠) ص ٢٥١ - ٢٥٦ ويقول أدوفيتش (ناقلا عن الخطيب) : « لايمكن التصور أن هذه الأجزاء الصغيرة من الفضة كانت توزن كل مساء لتدفع الى آلاف الفعلة . ومن الواضح أن الأجزاء الصغيرة كانت تدفع بالعملة النحاسية أو البرونزية ، وأن تسمية أوجدت عن عمد لهذا الغرض ، وأن الأجزاء الموزونة من الدينار والدرهم كانت نقود حسابات لتثبيت القيمة المتنوعة والمتقلبة للفلس ! فالدانق والقيراط والحبة كانت للأغراض الرسمية والخاصة ، وهي الوسيلة العامة الوحيدة للتعبير عن المبالغ الصغيرة من النقود (أعلاه ص ٢٢-٢٣) .

(٦) س أبو الفضل : يقرأ الفضل كما في ج .

أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزق البزار : (الخطيب ٣٠٢/١-٣) .

جعفر بن محمد الخلدي : ت٣٤٨/٩٥٩ (الخطيب ٢٢٦/٧-٣١) .

الفضل بن مخلد الدقاق : (الخطيب ٣٧١/١٢) .

داود بن صغير بن رستم البخاري : (الخطيب ٣٦٧/٨) .

وهذا الخبر اقتبس بعضه من مقدمة ترجمة داود بن صغير .

(٧) تحوي المصادر التاريخية بعض مواد في تبدل أسعار مختلف السلع في بعض الأزمنة المحددة ، غير أن لهذا النص أهمية خاصة ، لأنه يذكر أيضاً الرواتب تبعاً للتركيب الحرفي ، وبذلك يعطي صورة عن القدرة الشرائية للصناع والفعلة في ظروف معينة مثل منهاج الأعمال العامة . والصورة المستحصلة من هذه المصادر قد تبدو مشيرة إلى أن العمال في بغداد كانوا قادرين على الحصول على حاجاتهم الأساسية دون صعوبة ، ولعلها تعطي انطباعاً

عن المدن التي تظهر وفيها رخاء . وعن مجموعة حديثة لمادة من هذا النوع من القضايا : أنظر ١ . اشتور « مقال عن الأسعار والرواتب في دولة الخلفاء (مجلة الدراسات الشرقية - ٣٦ سنة ١٩٦١ ص ١٩-٦٩ اما عن الأوزان والمقاييس فان الدانق = ١ / ٦ درهم (سوفير : المجلة الاسيوية ٧ /١٥ (١٨٨٠) ٢٤٧ والرطل = ٤٠٦/٢٥ غم تقريباً (انظر هينز ٣١) .

(٨) عثمان بن أحمد الدقاق : ت ٩٥٥/٣٤٤ (الخطيب ٣٠٢/١١-٣ .
الحسن بن سلام السواق: ت٨٩٠/٢٧٧ (الخطيب ٣٢٦/٧) .
أبو نعيم الفضل بن دكين : ت ٢١٩ / ٨٣٤ (دائرة المعارف الاسلامية الطبعة الثانية مادة (أبو نعيم) .

(٩) أبو نعيم راوية هذا الخبر : توفي سنة ٢١٩ هـ/ ٨٣٤ م ، غير أنه لا وسيلة الى ضبط تاريخ هذه الأسعار في جبانة كندة ، لأن هذه الجبانة كانت في الكوفة (ياقوت ١٦/٢) والإشارة هنا لا تستلزم مكاناً في بغداد لا تستطيع تحديده بدقة » كما يفترض سالمون (التاريخ ٨٢ هامش ٥) ، ويجب ملاحظة أن الأسعار يبدو أنها تنوعت في أزمنة مختلفة ومن مكان إلى آخر ، برغم أن هذه الأماكن قد تكون واقعة في المنطقة نفسها . وهذا التبدل الكبير في الأسعار يمكن تتبع بعضه في المكاييل المنوعة التي كانت تستعمل في ذلك الوقت . أنظر ١ . أهرنكروس . نظام الكر في العراق في العصور الوسطى : مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق مجلد ٥ (١٩٦٢) ص ٣٠٩-١٤»

حساب التصريف والتسعير في النظام المالي للعراق الوسيط – مجلة التاريخ الاقتصادي والأجتماعي للشرق (١٩٦٤) ص ٤٦-٥٦ . وهناك طبعاً عدة عوامل أخرى تؤثر في الأسعار ، غير أنه من سوء الحظ لا يمكن دائماً تقرير ما هيتها في بعض الحالات الخاصة .

(١٠) قطعة اي جزء مقطوع من الدرهم (انظرأ. جروهمان : دراسات منوعة عن البرديات العربية (براغ ١٩٥٥ ، ٢١١/١-١٢) ، برغم أن قطع النقود لم تكن معترفاً بها إلا أنها كانت شائعة الاستعمال . والمكوك يساوي ٦٢٥/٥ كغم (هينز ٤٤) .

(١١) أحمد بن محمود الشروي : ت ٨٨٧/٢٧٤ (الخطيب ١٥٥/٥ فما بعدها) .

الحجاج بن أرطاة كان أحد المهندسين الأربعة، كما كان أيضاً مسؤولا عن عمارة الارباض (انظر اليعقوبي :البلدان ٢٤١ حيث ذكر خطأ أنه الحجاج بن يوسف . أنظر أيضاً الطبري ٢٧٦/٣ ، ٣٢١ المقدسي ١٢١) أما المهندسون الآخرون فهم :عبد الله بن محرز، وعمران بن الوضاح ، وشهاب بن كثير ، وكان يساعدهم المنجمون : نوبخت ، وابراهيم ابن محمد الفزاري، والطبري. ويذكر المؤرخ الطبري أن الحجاج هو الذي عهد اليه تعيين تخطيط جامع المنصور (٣٢١/٣) .

(١٢) أبو نصر المروزي : لم تعين هويته .

أحمد بن محمد بن حنبل هو الفقيه المشهور، ت٢٤١هـ/٨٥٥م (أنظر دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الثانية / مادة أحمد بن حنبل) .

(١٣) إقطاع أم جعفر كان معروفاً أيضاً باسم (الزبيدية) ، وكان يقع في الجانب الغربي شمالي المدينة ، يحده باب التبن من الغرب ، ودجلة من الشرق ، والخندق الطاهري من الجنوب . والخندق الطاهري كان الحد بين هـذا الإقطاع المدينة ، برغم أن الحد كان في بعض الأزمنة يمتد إلى جنوب الخندق ، وينبغي أن لا يخلط بين هذا الإقطاع والاقطاع الآخر المسمى بالاسم نفسه الذي يقع في جنوب المدينة المدورة عند نهر القلائين (اليعقوبي ؛ البلدان ٢٥٠ ، سهراب . عجائب ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، ابن سيرابيون ٢٤ ، ٢٥ ، الخطيب ٨٩ ، ٢ : ١٠–١١ ، ١١٠ ، ١١٢ ؛ ٢ : ١١–١٧ياقوت معجم البلدان ٥١٧/٢ ، ١٤١/٤. وانظر أيضاً ليسترانج ، الفهرست ص ٣٨١–الخارطة ٥) . والظاهر أن قول أحمـد بن حنبل تؤيده روايات عن مسـجد أم جعفر (الخطيب ١١٠/١) عن سنة ٣٧٩ ، غير أنه يخلط بين إقطاع الزبيدية الواقع على نهر القلائين . إبن الأثير : الكامل ٤٨/٩، وقد ذكر أن الخليفة الطائع سئل عن اقامة مسجد في القطيعة لصلاة الجمعة ، وكان السؤال قائماً على أساس أن المسجد يقع وراء الخندق الذي يفصله عن المدينة . وعلى هذا فان القطيعة هي مدينة بنفسها . وقد استجاب الخليفة للطلب . لاحظ أنه بموجب قول ابن حنبل تكون الحدود الجنوبية للمدينة هي نهر الصراة الذي يكون في الزمن نفسـه الحدود الشمالية للكرخ . فاذا كان القول المنسوب إلى هذا الفقيه المشـهور رأياً فقيهاً ، فإن الكرخ كان في أواسط المئة الثالثة (٩ م) وحدة قائمة بذاتها لمقاصـد فقيهة وإدارية ، ودل ذلك على أن بغداد لم تكن مدينة متماسكة ، بل كانت مجموعة من المناطق المترابطة ، وكل منها تنمي أسواقها ومساجدها ومقابرها الخاصة ومؤسساتها المستقلة (انظر الملحق ١) .

(١٤) الكبش والأسد شـارعان كبيران قرب النصرية والخندق الطاهري،وهو الحد الشمالي الغربي من المدينة (ياقوت ٢٣٣/٤ ، أنظر أيضاً ليسترانج ص ١١١ ، ١٣٣ ، الخارطة ٦ ، ويقول مقدسي – ناقلا عن المنتظم ١٨١/٨ ومرآة الزمان الورقة ٢٦ د : إن الكبش كان لايزال محلة عامرة في سنة ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧ م لأنه ذكر ضمن الأماكن المتعددة التي خربت بالفتن الكبيرة التي حدثت في تلك السنة (خطط بغداد : المجلة العربية – م ٦) (١٩٥٩) ص ٢٨٣ التعليق (٥) ، ولكنه يلاحظ اختـلاف القراءة في مرآة الزمان (مخطوطة باريس) التي تذكر (الكتبيين) بدل (الكبش) ، وكذلك البداية ٧١/١٢ التي تذكر (الكنيس) . غير أنه يرى أن هذه أخطاء النساخ . ومهما يكن من شيء فإن منجميع الاماكن الممكن تحديدها التي ذكرت في هذا الحريق ، ماعدا باب الشعير ، (أنظر هامش ٣٦) ليس فيها مكان قريب من النصرية ، أو خندق طاهر (غربي المدينة المدورة) ، بل كانت كلها في الكرخ ، أو بالقرب منه (جنوب المدينة المدورة) ، والكتبيين تقع أيضاً في الجانب الشرقي من الكرخ (اليعقوبي : البلدان ٢٤٥ – أصحاب الكتب) ، فلعل قراءة مخطوطة باريس هي الأدق ، وعلى أي حال فإنها كانت قد زالت في زمن ياقوت . أما قبر إبراهيم الحربي فانظر عنه ليسترانج ١٣٣ ، الخارطة ٦ ، المرجع رقم ٥ .

(١٥) أبو الحسين هلال بن المحسن الكاتب : ت ١٠٥٦/٤٤٧ أنظر بروكلمان ٣٢٣/١٧ فما بعدها :

(١٦) يقول الطبري : إن المنصور أراد ابا حنيفة على القضاء فامتنع فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن وعده وأخذ الرجال بالعمل ، وكان أبو حنيفة المتولي لذلك حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي الخندق » (الطبري ٢٧٨/٣) .

(١٧) محمد بن إسحاق البغوي (الخطيب ٢٤٢٢/١ .

لقد قبل هرزفيلد وكريسويل هذه الأرقام (هرزفيلد ١٠٨-٩ ، ١٢١ كريسويل ص ٨ ، ٢١٠. ولما كان الميل الواحد يساوي أربعة الآف ذراع بالسوداء ، فالمحيط كان ١٦/٠٠٠ ذراع ، ويفترض هرزفيلد أن عرض الأسوار كان ١٠ أذرع من الأساس وبذلك يكون لها ١٦٠/٠٠٠ لبنه مضافاً إلى ذلك ٢/٠٠٠ تركت للأبراج (وانظر عن الأبراج النص أدناه) وال١٥٠/٠٠٠لبنة في الوسط تقدم لسور سمكه تسع اذرع ونصفاً زائداً ٢٠٠٠تركت للأبراج ،والقسم العلوي من السور كان سمكه ثماني اذرع ونصفا مع٤٠٠٠تركت للأبراج والشرفات . وهذه الأرقام عن سمك الأسوار لاتتفق مع التي ذكرتها المصادر العربية ، وهي أقرب إلى القبول (أنظر هامش ٢٥ أدناه) وكان اللبن يمسك بالطين (اليعقوبي: البلدان ٢٣٨) وقد استعمل أيضاً الطابوق والجص (أنظر مثلا الخطيب ٧٩/١) برغم أن الطابوق كان أهش مما هو اليوم ، وتزداد قوته كثيراً إذا استعمل معه الصاروج ؛ لذلك كان يكثر استعماله في الأسس وفي أسس الأسوار حيثما كانت التقوية ضرورية ، وفي الآزاج والقباب (أنظر فوريس التقنية القديمة ٧٢/١-٧٤) .

وكان القصب يستعمل أيضاً لربط الأقسام (ياقوت ٦٨١/١) ، ويذكر كريسويل أن هذه ممارسة بابلية قديمة استمرت حتى العهد الساساني (كريسويل ٢٢-٢٣) .

(١٨) أنظر الطبري ٣٢٢/٣ ، ويقول اليعقوبي : إن عدة أنواع من اللبن استعملت في بناء المدينة ، منها نوع كبير يبلغ ذراعاً في ذراع ، ويزن ٢٠٠ رطل ، ونصف لبنة وهي ذراع في نصف ذراع ووزنها ١٠٠ رطل (البلدان ٢٣٨) ويربط اللبن بطين مبلول. ولعمل هذا اللبن حفرت آبار وكهاريز لهذا الغرض ولماء الشرب ، وانظر عن تجهيز الماء للمدينة الخطيب ٧٨/١-٧٩) .

(١٩) أنظر الطبري ٣٢١/٣ ، وإبن الطقطقي : الفخري ص ٢٢٠ ، أما مزايا المدينة المدورة فلاحظ أيضاً رأي كريسويل أن هذا الشكل يؤدي الى الاقتصاد في البناء (ص ٢١) ، والأصعب أن تقدر التعقيدات السماوية في تطور الخطة المستديرة التي ذكرها أورانج في كتابه « دراسات في خطط مملكة السماء في العالم القديم » (كمبردج ١٩٥٣) . وعلى أي حال فإن أكثر التفاسير قبولا هو أن الخليفة اتبع أسلوباً قديماً في بناء المعسكرات بشكل دائري (أنظر الفصل الأول ، التعليق ٦) .

(٢٠) أنظر الشكل ٣ ، و ٤ . ولا توجد اشارة الى عرض الخندق في أي نص مكتوب ، غير أن الدوري في مقالـه عن بغداد يذكر أنه كان أربعين ذراعاً ، ولم يذكر مصدره (أنظر

دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الثانية ، ص٣٩٥ معتمداً على مخطوطة مشهد لإبن الفقيه)
ولا يوجد سبيل الى تقرير صحة هـذا الرقم ، ولكن إذا كان عرض الخنـدق أربعين
ذراعاً فإنه كان من الضروري مد المسناة من الشاطئ المقابل ليقابل جسر العبور الذي كان
١٢ (او ٢٢) ذراعاً من سور المدينة إلى الباب المقابل ، وان تخطيط الباب ، وبما
فيه حائطه المواجه (١٠ أذرع) كان ٣٠ قدماً (ويذكر هرزفيلد انه ٤٠ ، وقد حسب
هرزفيلد وكريسوبل ، من غير أن يعرفا رقم الدوري ، عرض الخندق بطرح عرض أسفل
المدخل (وهو من المفروض أن يكون نفسه الجسر أي ٨ أذرع) زائداً عرض سور الباب
(١٠ أذرع) من الطول الكلي للباب . فكـان عرض الخندق ١٢ (أو ٢٢) ذراعاً
(ص ١١٩ س ١٠-١١) . وأنا أميل الى موافقة رقم الدوري ؛ لاحظ أن الخندق في
« الرقة » ، التي بنيت تحصيناتها على نمط بغداد ، عرضه ٤٠ ذراعاً تقريباً (كريسويل
ص ٤١) . ويذكر اليعقوبي (البلدان ٢٣٩) أن أساس سور المدينة كانت فيه مسناة
من الطابوق المتماسك بالصاروج ، وكان هذا فيما يذكر ابن رستة هو نفس ماكان في
أطراف السور المقابل (١٠٨) ، وهو يشير الى أن اللبن كان متماسكاً بالجص ، غير أن
هذا غير مقبول ، لأن الطين يجعل اللبن أقل هشاشية وأنه لذلك كان يستعمل بصورة عامة
في أساس السور السائد) أو في بناء الفصيل (أنظر التعليق ١٧ ، والخطيب ٦٩/١) ولا
توجد إشاره إلى عرض هذه المسناة .

(٢١) إن قصر الذهب والجامع الملاصق له كان موقعهما في وسط الساحة الداخلية (أنظر
اليعقوبي : البلدان ٢٤٠ ، ابن رسته ص ١٠٨-٩ المقدسي ص ١٢١، النص . الشكل
١ و ٢) .ويقول الخطيب إن القصر كان أربع مئة ذراع في أربع مئة ذراع ، وإن
الجامع كان ٢٠٠×٢٠٠ ذراع ، وهذا يتفق مع الرقم الذي يذكره ياقوت لجامع الحجاج
ابن يوسف في واسط (ياقوت ٨٨٥/٤) وهذه الأرقام لموقع القصر بالنسبة الى الجامع
تؤيدهـا بعثة آثارية عراقيـة إلى ذلك المكان (فؤاد سفر : واسـط .المواسم السـتة
للحفريات (القاهـرة ١٩٤٥) . وإن نفس هذه الأبعاد نجدها في الكوفـة
(محمد علي مصطفى : التقرير الأول . سومر ١٠ (١٩٥٤) ص ٧٣-٨٥) .أما الا تصالا ت
الأخرى المحتملة بين هذه الأبنية فانظر عنها التعليق (٢٢) الآتي ،والقسم الثالث(١) . وقد
رسم هرزفيلد وكريسويل القصر في وسط المخطط مع قبة في الوسط وأربع ساحات
تؤدي إلى أواوين على كل جهة من الغرفة التي عليها القبة،وقد استند في هذا إلى المقارنة
بقصر أبي مسلم في مرو (هرزفيلد ص ١٣٤-٣٥ كريسويل ص ٤ شكل ١) . غير
أنه ينظر اعتراضات و.ا. كرابار الذي يعتقد أنه كان لها محور مستطيل (المشتى ، بغداد
واسط « فصل من كتاب » دراسات على شرف فيليب حتى (لندن ١٩٥٩)ص ٩٩-١٠٨ .

(٢٢) ياقوت (٦٨٣/١) وهو يرى أن القصة «من المستحيل والكذب الفاحش ». ومن الطبيعي
أن ياقوت(المتوفى سنة١٢٢٩ م) لم يشهد القبة الخضراء،ذلك لأن الخطيب يذكر أنها سقطت
بعاصفة في سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م (أنظر أيضاً ابن الجوزي : لمنتظم ٣١٧/٦ ، والصولي
أخبار الراضي والمتقي ص ٢٢٩ حوادث سنة ٣٣٠ هـ ، ويبدو أنها دفعت إلى إبداع

وسيلة ميكانيكية وصفهـا وصورها الجزري في « كتــاب من معرفة الحيل الهندســية» (أنظر ف . ج مارتن : التصوير الإسلامي في إيران والهنـد وتركيا (لندن ١٩١٢) ٢ مخطط ٢ .

(وقد طبع كتاب ابن الجزري في بغداد بالأوفست ، وأعد طبعته السيد ماجد الشمسي كما طبع طبعة متقنة بعنوان « الجامع بين العلم والعمل ، النافع في صناعة الحيل » بجامعة حلب ، وأعد طبعته الدكتور أحمد يوسف الحسن (المترجم) .

ولا ريب في أن القبة الخضراء وفارسها – مهما كانت وظيفته ، كانت الدليل المرشد للمنطقة . وجدير بالملاحظة أن قصر الحجاج وجامعه في واسط الذي بنى بالأبعاد نفسها ، كانت عليه قبة خضراء يمكن أن ترى من مسافة عن المدينة (البلاذري :فتوح ٢٩٠ ، اليعقوبي ٣٢٢ ، ابن رسته ١٨٧) ، وقد روى أن مثل هذه القبة الخضراء التي تقوم على قاعات المجالس كانت موجودة أيضاً في الرصافــة ، العاصمة الفماية للأمويين في خلافة هشام ١٠٤/١٢٤ هـ / ٧٢٤-٧٤٣ م) وفي قصر معاوية بدمشق (كرابار / ص ١٠٦) ولعل قصر العاصمة الأصلية للمنصور في الهاشمية كان لها هذا التركيب أيضاً (الطبري ٤١٨/٣) . فالمسألة اذن تظهر : هل كان المنصور يحاكي الأمويين بادراك أنظر: مناقشة أكمل في القسم الثاني .

(٢٣) إبراهيم بن مخلد القاضي : ت ٤١٠/١٠٢٠ (الخطيب ١٨٩/٦-٩١) .

إسماعيل بن علي الخطبي : ت ٣٥٠/٩٥١ (الخطيب ٣٠٤/٦ فما بعدها) .

(٢٤) بمتابعة هرزفيلد (مع بعض التعديلات) يمكن استنتاخ حجم الأبراج بالشكل التالي : لما كان عرض الأبواب الرئيسة أربعين قدماً (أنظر شكل ٤) ، فطول الجزء الذي بين باب وآخر من السور هو ٣٩٦٠ ذراعاً ، ولما كان على السور بين كل بابين ٢٨ برجاً ، فالمسافة بين كل برجين ١٤١ ذراعاً ، وكان على السور الذي يمتد بين باب البصرة وباب الكوفة برج زائد،فيكون البعد بين كل برجين ١٣٦ ونصف ذراعاً . وهذه المسافة الكبيرة للأبراج تدل على أن هذه الأبراج لم تكن مساند ومتكآت ، وانما كانت أبراجاً مفرغة مع غرف تمكن رماة النبال من رمي النيران الجانبية،ومع أن شكلها لم يرد له ذكر إلا أنه يمكن أن يفترض أنها كانت مستديرة تبعاً للاستعمالات الشائعة آنئذ ، فقد كانت الأبراج في الرقة نصف دائرية ، وهي فيما ذكر جعلت على نمط تحصينات بغداد . وقد لاحظنا (في التعليق ١٧) أنه ترك نحو ٢ / ٠٠٠ لبنة على موقــع كل برج من الأبراج ، وبالاضافة توجد زيادة ١٢ × ٢٠ = ٢٤٠ لبنة من الممر من داخل كل باب من الأبواب فيصبح مجموع الإضافــة ٩٦٠ زائداً ٢ / ٠٠٠ لبنــة . فاذا افترضنا أن الأبــواب كانت لها أبراج مزدوجة فان الرقم يصبح تقريباً ٢٤ ذراعاً (٢٩٦٠+١٢١ (ص ١٢١-٢٢) فاذا كانت الأبراج شبه دائرية فانها تشغل تقريباً ٤٠ ذراعاً .

وقد حور كريسويل هذا الرأي إلى حد ما ، فهو يدعي أن اللبنات التي يمكن الحصول عليها من الاقتطاع في السور الرئيس لا يمكن أن تحسب إلا تبعاً لعرض السور ، فعدد اللبن

المستحصل من كل ممر هو إذن ١٢×١٠=١٢٠ لكل باب ، – وتضاف إلى ذلك اللبنات المستحصلة (وعددها ٣١٣) لأن كلا من دوائر السور المنحرف نحو الداخل لبنات أقل من السابقة . فجموع عدد اللبن المحصل هو ٢٠٠٠ زائداً ٤٨٠ زائداً ٣١٣=٢٧٩٣ . فإذا قسمت على عدد الأبراج (١٢١) فجموع عدد اللبن المتروك لكل مسافة بين البرجين هو تقريباً ٢٣ ، أي يساوي أرقام هرزفيلد (ص ١١–١٢) . ويناقش هرزفيلد أيضاً الفصيل الداخلي في السور الخارجي كما هو الحال في الأخيضر ، غير أنه إذا وجد مثل هذه الفصلان ، فإنها لابد أن تكون قد جعلت للاقتصاد في عدد اللبن المستعمل في إقامة الأسوار ، وهو يفرض تعديلا لتقدير حجم الأبراج ، أو السافين الأولين (ص ١٢٦ أنظر أيضاً التعليق ٢٥ الآتي) .

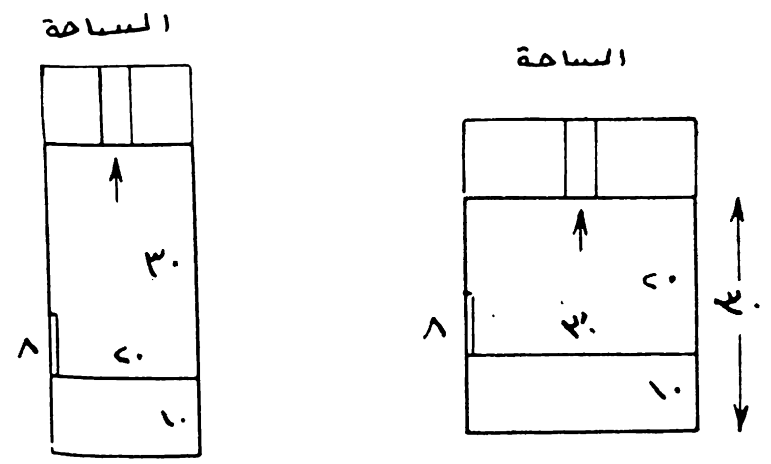
(٢٥) يذكر اليعقوبي أن ارتفاع السور إلى أعلى الأبراج ستون ذراعاً بالسوداء (البلدان ٢٣٩) ، ويذكر الطبري والمقدسي أن السور كان سمكه عشرين ذراعاً في أعلاه (الطبري ٢٧٨/٣ ص ١٢١) ، فعلى قول اليعقوبي يكون عرض السور في أساسه تسعين ذراعاً ، وفي أعلاه ٢٥ ذراعاً (البلدان ٢٣٩) أما في تاريخه (٢ : ٤٤٩) فيذكر أن العرض هو ٧٠ ذراعاً ، غير أنه لم يذكر طوله . ويذكر الطبري والمقدسي أنها كانت ٥٠ في الأساس ، غير أنهما لا يذكران مقدار عرضهما في الوسط (الطبري ٢٧٨/٣ ص١٢١) ويبدو أن هذه الارقام غير ممكنة ، لأنها إن صحت فعرض السور يكون كبيراً جداً بالنسبة إلى ارتفاعه ، ولو أعيد النظر ببعض الأرقام ، فأنه لايمكن أن يكون السور بمثل هذه الضخامة بالنسبة الى ارتفاعه ، ولهذا يمكن أن يعترض المرء على أرقام الخطيب على الأسس نفسها . أما الأبعاد الأخرى المحتملة ١٠ ، ٩ ١/٤ ، ٨ ١/٢ ذراع) فقد كان يوجد فصيل داخلي من السور الداخلي الذي كان يقع على مستوى المقطع الأخير ، الذي كان يربط الغرفة العليا للباب الرئيسي (٢ ، ١٢٦ . وأنظر أيضاً كريسويل ص ١٢) ويبدو أنه كان بين البناءين بعض أوجه الشبه ، وأنهما كما يذكر و. كاسكل ، متعاصران في البناء (و : كاسكل : الأخيضر مجلة الاسلام ٣٩ (١٩٦٤) ٢٨–٣٧ .

++:– ترجم الدكتورخالد اسماعيل علي مقالة كاسكل الى العربية ونشرها فيمجلة سومر(المترجم) .

لذلك قد يكون من المفيد المقارنة بين الاثنين فيما يتعلق بالأبعاد ، برغم أن المرء أن يضع نصب عينه أن مواد البناء التي استعملت كانت مختلفة . فالأخيضر حيث نجد أفخم قلعة (١٧٥×١٦٩ متر) إذا قورنت ببغداد ، نجد فيها العلاقة بين عرض السور المحيط وارتفاعه هو تقريباً ١ : ٧ أو (٢ م ١٩ م) (كريسويل ص ٥٤–٥٥) ومثل هذه النسبة يمكن أن نحصل عليها في بغداد في سـور خارجي ارتفاعه ٧٠ ذراعاً إن كان هرزفيلـد مصيباً في افتراض عرض الـ ١٠ أذرع . فالرقة التي كانت طبعاً أصغر كثيراً (١٥٠٠ م من الشرق الى الغرب ، وكذلك من الشمال إلى الجنوب ، وإذ كانت الاسوار قد بنيت فيما قيل على مثال بغداد ، فان السور الرئيسي كان سمكه تقريباً ١١ ١/٢ ذراعاً أو ٥/٨٥ م (كريسويل ص ٣٩) لذلك أميل إلى الاتفاق مع هرزفيلد في سمك السوار ، برغم أنه قد يكون أعرض مما افترضه. ومن سوء الحظ لم تبق أسو ر الرقة بشكل يكفي لاعطائنا دليلا على ارتفاعها .

(٢٦) على أي حال كان عرض الفصيل مئة ذراع فيما يقول اليعقوبي (البلدان ٢٣٩)، ولم يرد ذكر لأبعاد السور الخارجي . وقد افترض هرزفيلد نسبة ٤/٥ بالعلاقة بالسور الرئيس (ارتفاعه ٣٥ ذراعاً ، وعرضه فيما يقول ١٠ أذرع) . وهذا يجعل إرتفاعه ٢٨ ذراعاً وسمكه ٨ أذرع . ولا توجد إشارة إلى أن السور الخارجي كانت تحميه الأبراج ، غير أن هرزفيلد يرى أن من المحتمل وجود مساند ومتكآت مستديرة كالتي في سامراء ، لأغراض بنائية ، وليس لأغراض عسكرية ، (هرزفيلد ص ١١٩ كريسويل ص ١١) وأن نسبة ٤/٥ هي إلى حد ماتؤيد المكتشفات من الرقة حيث كان سمك السور الخارجي ٤/٥٠ م وسمك السور الد خلي الحامي لارتفاع كلا السورين ينبغي زيادتها بكثرة . إذ لايمكن التصور أن أسوار بغداد كانت أقل ارتفاعاً من أسوار الأخيضر (وهي تقريباً ٣٨ ذراعاً . أنظر التعليق ٢٥).

(٢٧) يقول اليعقوبي (البلدان ٢٣٩) إن طول الدهليز أو الممر ٨٠ ذراعاً ، ويشير هرزفيلد إلى أن دهليز الباب الخارجي كان يقع عند محور الباب الرئيس (ص١٢٣)، وبذلك يكون عرض الباب الخارجي ٤٠ ذراعاً في ضمنها عشـر أذرع لحائط الباب ؛ غير أني أميل إلى الاتفاق مع كريسويل في أن المدخل المؤدي الى الباب الرئيس كان يقع في السور الطويل ، وأنه لذلك يكون تقدير الباب الخارجي ١٠ أذرع فقط (ص ١٢) .



ويشير هرزفيلد إلى أن نسبة العرض إلى الطول (٣/٢) هي بقدر النسبة في قاعات سامراء (ص ١٢٣) (وعن نماذج أخرى من المدخل المنحني أنظر كريسويل ص ٢٣ فما بعد) .

(٢٨) يذكر اليعقوبي أن الرحبة كانت مفروشة بالصخر (البلدان ٢٣٩) ، ويبدو أن الرقم الذي ذكر لطول الرحبة يناقض نصاً سابقاً يذكر فيه الخطيب أن عرض كل الفصيل هو ٦٠ ذراعاً ، ويمكننا أن نستنتج من هذا الكلام أن عرض الفصيل كان ستين ذراعاً الى الخط الذي يقابل الباب (أنظر شكل ٣ ، ٤) وينبغي أن نضيف إلى هذا الشكل تقدير الباب لكي نحصل على العرض الكلي للفصيل، فإذا تركنا خمسة أذرع للسور الخارجي والباب، نحصل على مجموع ١٥ ذراعاً للباب / ص ٧٥ للفصيل (أنظر أيضاً هرزفيلد ١٢٠-٢١ كريسويل ص ١١) .

(٢٩) أنظر النص أدناه ، لشكل ٦ ، ٧ .

(٣٠) يقول اليعقوبي : وعلى كل باب من أبواب المدينة التي على السور قبة عظيمة معقودة عظيمة مذهبة ، وحولها مجالس ومرتفعات يجلس فيها فيشرف على كل مايعمل به ؛ يصعد إلى هذه القبة على عقود مبنية بعضها بالجص والآجر ، وبعضها باللبن العظام ، قد عملت أبراجاً بعضها أعلى من بعض ، فداخل الأبراج للرابطة والحرس ، وظهورها عليها المصعد إلى القباب التي على الأبواب على الدواب ، وعلى المصعد أبواب تغلق (البلدان ٢٣٩–٤٠ كرسويل ١٥–١٦) .

(٣١) يقول ابن رسته : « إن هذه القباب كانت خضراً » (ص ١٠٨)، فان لم يكن قد خلط بينها وبين القبة الخضراء التي على القصر ، فإنه يبدو وكأنه يشير إلى أن هذه القاعات التي بنيت في أسوار المدينة لاستقبال الخليفة زواره كانت بصورة رمزية ومعمارية امتداداً لمنطقة القصر ، أي المقام الشخصي للخليفة الذي كان يقع في الساحة المركزية الكبرى . وهذه النقطة المهمة جداً درست بتفصيل أوسع في القسم الثالث (٢) ، أما الباب ، فكان يبلغ طوله ثلاثين ذراعاً ، وعرضه أربعين ذراعاً . وهذه الأرقام حصلنا عليها (معتمدين على هرزفيلد) بالطريقة الآتية : لم يذكر سمك نهاية الأسوار ، ولكنه افترض أنها في الأقل ٥ أذرع في السمك من كل نهاية، وذلك لكي تستطيع إسناد البناء وإسناد الطبقة العليا . ويضيف إلى هذا الرقم طول الممر (٢٠ ذراعاً) ، وبذلك يكون المجموع ٣٠ ذراعاً . أما عرض الباب فهو مساو لعرض الساحة المؤدي إليها ، أي ٤٠ ذراعاً (هرزفيلد ١٢٥ كريسويل ص ١٢) . ولعل الغرف العلوية والسفلية ، كانت تناظر قصر المنصور ذا القبة ، الذي كان يتكون من الغرفتين اللتين عليهما قبتان متساويتا الارتفاع (أنظر الخطيب ٧٣/١) . فلنفرض (متابعين كريسويل) أن الغرف ذوات القباب كان ارتفاعها يساوي القاعة السفلية المحدبة السقف ، فإذا جعلنا ذراعاً لمحور القبة ، وذراعاً لمحور القوس (في رأي كريسويل ذراعين) ، حصلنا على غرف متساوية في ارتفاعاتها التي تبلغ ٢٤ ذراعاً + ٢ ذراعاً أو الارتفاع الذي ذكره الخطيب . وغرف القصر المشار إليها كان عرضها مساوياً لنصف ارتفاعها . أما عرض الممر ، كما يذكر الخطيب ، فهو ١٢ ذراعاً . لذلك ينبغي أن نؤبل أن يكون ارتفاع الغرف ٢٤ ذراعاً ، وهذا يؤيد الرقم المحصل سابقاً . أما الحيطان العمودية في غرف القصر ، فكانت نصف الارتفاع الكلي . أما النصف الثاني ، فهو منطقة الانتقال . ولعل هذا ينطبق أيضاً على الغرفة العلوية في الباب (كريسويل ص ١٣–١٤ أنظر أيضاً شكل ٦) .

(٣٢) لاتوجد أرقام لحجم هذه الأبواب ، غير أن اليعقوبي يذكر أن طريق المدخل كان ارتفاعه كافياً لمرور فارس رافع رمحه أو علمه (البلدان ٢٣٨ –٣٩) ، ويقول هرزفيلد إن رمح البدوي المعاصر هو ١٠ أذرع ، لذلك يفترض أن ارتفاع ممر الباب هو عشر أذرع (ويبدو أنه لم يحسب الحصان الذي يرتفع عليه الرمح ، أو احتمال أن هذا التعبير هو اصطلاحي) ، وكانت نسبة طول الأبواب في سامراء إلى عرضها ٣/٢ ، وعرض أبواب بغداد يقتضي أن يكون ٣/١ ٦ أذرع ، أما في الأخيضر ، فالأبواب يبلغ عرضها ٦ أذرع ، وارتفاعها ٩ أذرع (هرزفيلد ١٢٤–٢٥) ، وتحتاج هذه الأبواب إلى عدة رجال لفتحها وإغلاقها (اليعقوبي . أعلاه) .

(٣٣) أحمد بن الحارث : ت ٨٧٢/٢٥٨ أو ٨٧٣/٢٥٩ (الخطيب ١١٢/٤–٢٣) . العتابي : ربما كان كلثوم بن عمرو المتوفى في أوائل المئة الثالثة (٩ م) (أنظر دائرة المعارف الاسلامية / الطبعة الثانية / مادة العتابي) .

(٣٤) يذكر الطبري أن الأبواب الخمسة من واسط وضعت على الأبواب الأربعة ، وعلى مدخل (؟) قصر المنصور (الطبري ٣٢١/٣) . ويفترض هرزفيلد أنها وضعت على الأبواب الخارجية لباب البصرة ؛ لأن هذا هو الباب الوحيد الذي لم يرد ذكره في رواية الخطيب (هرزفيلد ١٢٨) ، ونقل الأبواب من مدينة إلى أخرى يعد في الشرق الأوسط عملا رمزياً يشير إلى التعبير عن السلطة ، فلما فتح سعد بن أبي وقاص طيسفون ، واستقر في الكوفة ، جعل قصره على طراز إيوان كسرى،ونقل أبوابها الحديد من الإيوان إلى قصره++، كما أن أبواب الحجاج في واسط نقلت من الزندورد بافتراض أنه كان على بغداد أن تأخذ شارات انتقال السلطة التي كانت من قبل في واسط في عواصم الخلافة الأموية . وعن مناقشة أوسع ، أنظر قسم ٢ أ .

++:– (لم أجد في الكتب إشارة إلى عمل سعد بن أبي وقاص) (المترجم) .

(٣٥) أنظر : الطبري ٣٧٩/٣ حوادث سنة ١٥٧ﻫ ، وبناء (الخلد) يشير إلى نهاية المدينة المدورة كمقام للخليفة ، غير أن أبنيتها استمرت كمركز إداري . وكان للقصر الجديد موقع مثالي لأنه يفصل كل القسم الشمالي للمدينة ، وكان له موقع سوقي بين المناطق الكبرى للمستوطنات العسكرية : الرصافـة في الجانب الشرقي ، والحربية في الجانب الغربي ، وكان العبور إلى الجانب الشرقي على أربعة جسور ، ثلاثة منها للاستعمال الخاص للخليفة وحاشيته (الخطيب ١١٦/١) . والمنصور مع أنه لم يتمتع بحماية سور وقائي محكم ، كان يقيم قرب قلب الحكومة ، وعلى مسـافة من المناطق المأهولة، كما كانت بقربه قواة أمنية يسهل وصولها إليه . أما علاقة الخلد بالرصافة،فانظر عنها الفصل الرابع والقسم الثالث(٢)،وأنظر أيضاً لسترانج – الفهرست ص ٣٦٩ الخارطة ٥ المفتاح رقم ٥ . أما الربيع = ابن يونس ، فقد توفي سنة ٧٨٥/١٦٩ ؛ أنظر سورديل : الوزارة العباسية . دمشق (١٩٥٩–٦٠) ٢ / الفهرست ٧٧٩ .

(٣٦) الظاهر أن باب الشعير كان في الأصل قرب المدينة المدورة بالقرب من دجلة ؛ غير أن ياقوت يذكر أنه كان في زمانه يقع بعيداً عن دجلة (معجم البلدان ٤٤٥/١) لذلك يخلص لسترانج – بالرغم من تحيره – إلى أنه كان هنالك موضعان بهذا الاسم (ص ١٣٩) . ولا أستطيع أن اوافق على استنتاج ج. مقدسي أن المدينة المدورة كانت تقع في الشرق أكثر ، ولذلك تنص ضرورة وجود بين هذا الاسم (خطط ص ٢٨٤) التعليق ٧ أيضاً . ماسينون : بعثة في العراق (١٩٠٧ – ٨) القاهرة ١٩١٢ م . ٢١ ، ٢ : ١٨ – ١٩ ومن الواضح أن المكان المذكور هنا هو باب الشعير الذي يقع عند الفرضة على شاطىء دجلة . أنظر : الطبري : ٣ / ٣٨٠ .

++: وردت في تاريخ الخطيب اشارات كثيرةاليه ، ومعظمها يظهر أنه كان على شاطىء دجلة قرب الكرخ (المترجم) .

(٣٧) إن هذه إشارةإلى آيةفي القرآنالكريم سورةالفرقان الآية١٥ تذكرجنة الخلد التي وعد المؤمنون.

(٣٨) الأشارة هنا إلى سجن المطبق الشبيه بالقلعة الذي كان يقع على درب بهذا الاســم بين باب=

الكوفة وباب البصرة (اليعقوبي: البلدان ٢٤) . وواضح من هذا الكلام ومما يذكر الخطيب فيما بعد (٧٦/١) أن المدينة المدورة وأبنيتها وقصورها لم تكن قائمة حتى المئة الرابعة (١٠ م) فحسب ، بل كانت مأهولة جداً . لاحظ أيضاً أن الشعب ثار في تلك السنة في الجانب الغربي بسبب ارتفاع الأسعار وندرة المواد ، فكسرت منابر عدة جوامع ولم تقم صلاة الجمعة ، وأحرقت الجسور على دجلة ، ربما كمحاولة لمنع قوات الحكومة من الوصول إلى الكرخ ، وقد نهب القائمون بالشغب مركز صاحب الشرطة وأطلقوا من في السجون ، ولم يستتب الأمن الا بعد أن أرسل الخليفة الجيش ، وأرسلت المواد الغذائية من مخازن الحكومة . ولا ريب في أن كلام الخطيب متصل بهذه الحوادث (أنظر الهمداني : تكملة ص ١٥٦-٧ ، إبن الأثير : الكامل ٨/٨٥-٨٦) .

(٣٩) يرى هرزفيلد أن الطاقات كما يرويها الخطيب قصيرة جداً ، لأن الغرف الملاصقة لها كانت لاسكان ألف رجل . ويفترض كريسويل أن كل غرفة كان عرضها ثماني أذرع وطولها أثنتي عشرة ذراعاً،ويضيف ذراعين للحيطان القاطعة وخمس أذرع لكل حائط من الحيطان النهائية . ولما كانت الطاقات ليس لها حائط فصيل ، أصبح في جميعها أربع وخمسون غرفة ، وليس ثلاثاً وخمسين كما يعتقد هرزفيلد ، فمجموع طول رقعة الطاقات هي ٥٤ × ٨ + ٥٣ × ٢ +٥ × ٢=٥٤٨ ذراعاً . وأما الأقواس فلابد أنها كانت متسقة مع حيطان القواطع لغرض الاسناد ، ولا بد أن روافعها كانت عالية ؛ فقد ذكر اليعقوبي أن المرء إذا دخل من دهليز السور الاعظم سار في رحبة إلى طاقات معقودة بالآجر والجص ، فيها كواة رومية يدخل منها الشمس والضوء ولا يدخل منها المطر ، وفيها منازل الغلمان ٢٢ (البلدان ٢٣٩) . ولابد أن يخلق الأزج صعوبات في الاسناد، ولا يمكن التسقيف بالاخشاب ، لأن اليعقوبي وابن رسته (ص ١٠٨) يذكران أن الطاقات كانت مبنية بالطابوق والجص .. ويفرض كريسويل سلسلة من الأقواس العابرة كالتي في الأخيضر وفي أماكن أخرى (هرزفيلد ١٢٩ ، كريسويل ١٦ أنظر أيضاً شكل ٣ ، ٧) .

(٤٠) لم تذكر أبعاد الدهليز أو الممر ، وقد قدر هرزفيلد عرضه عشر أذرع وطوله خمس عشرة ذراعاً ، وبذلك يكون الطول الكلي للدهليز الذي يمر في الطاقات خمساً وثلاثين ذراعاً ، عشرون منها للرحبة ، وخمس عشرة للدهليز ، فلنفرض أن طول الفصيل الثاني مساو للأول (٢٥ ذراعاً) ، وأن نهاية الحائط الملاصقة للساحة الداخلية الكبرى وعرضه خمس أذرع أو أقل ، فان الباب سيتطلب خمس أذرع وراء هذا الحائط ، ويفترض هرزفيلد (ص ١٢٩) سلسلة من الأقواس الحرة لتربط هذا الحائط . وبذلك تكون طاقات صغيرة . أنظر أيضاً الشكل (٨) ، أما كريسويل فانه يجعل عرض الدهليز ثماني أذرع ، وطوله عشر أذرع ، وبذلك يكون الطول الكلي للباب منسجماً مع الحائط الأخير ، وهو يفترض أن الطاقات الصغرى كانت مجموعة من الأقواس العمياء وضعت على نصف ركائز ، (كريسويل ص ١٧) ، غير أن كلتا المحاولتين في إعادة بناء الطاقات الصغرى تترك كثيراً مما نريد . وتركيب هرزفيلد فيه صعوبات واضحة للدعامات ، فضلا عن أنه ينتج ممراً طويلا جداً وضيقاً جداً ، ولا يؤدي إلى أي مكان على طول محيط واسع جداً . أما الطريق ذو الأقواس المزيفة الذي

يراه كريسويل ، فهو ممكن نظرياً ، ولكن مثل هذا البناء لايبدو أنه يتطلب منشآت صغيرة للطاق الواسع الذي وصفناه سابقاً وتفسيره أقرب للقبول للطاقات الصغيرة أنظر عنه التعليق (٤١) الآتي وخاصة القسم ١٢ ب .

(٤١) لايذكر الخطيب أبنية أخر كانت في الرحبة المركزية الكبرى . اما اليعقوبي ويذكر بنايتين إضافيتين إحداهما « ناحية باب الشام للحرس ، وسقيفة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص ، يجلس في إحداهمـــا صاحب الشرطة وفي الأخرى صاحب الحرس » والمفروض أن السقيفة يسكن فيها رجال صاحب الحرس أيضاً، ولكنه لايحدد موقعها (البلدان ٢٤٠) ، ويقول أيضاً : « وحول الرحبة كما تدور منازل أولاد المنصور الأصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده وبيت المال وخزانة السلاح وديوان الرسائل وديوان الخراج وديوان الحوائج وديوان الاحشام ومطبخ العـــامة وديوان النفقات (أعـــلاه) . وبالرغم من أن هـــذه النصوص الصريحة ، ومما يمكن أن يفترض أن هذه الأبنية كانت عنصراً مهماً في الخطة الاصلية للمدينة ، فإنه لايوجد نص على هذه الأبنية في خطة المدينة المدورة كما تصورها هرزفيلد وكريسويل (الشكل ١) . أما ليسترانج (ص ٣٠ -٣١ الخارطة ٢) فانه أشد إيماناً بالنص العربي ، غير أنه لفقدانه صـــورة واضحة لترتيبها ، يضع هـــذه الأبنية كيفما اتفق له حول المسجد الجامع ، غير أن الأدلة المستندة من الطبري (٣/٣٢٢-٣) يبدو أنها تشير إلى وجود أبنية محيطة ثانية كانت فيها الدواوين والبيوت المذكورة آنفاً . ولما كان هذا البناء مشابهاً للرقعة الدائرية التي تكونها طرق المدينة المدورة تحيط بالطاقات الكبرى ، فإن وجود رقعة دائرية ثانية يقدم أيضاً تفسيراً ملائماً للطاقات الصغرى . فهذه تحيط بالحلقة الداخلية ، وتشبه في وظيفتها الطاقات الكبرى ، ولكن كانت لها أقواس أقل ، وبذلك تفسر التسمية . ولمناقشة أوسع : أنظر القسم ٢ ب ، والشكل ٢ ، و ٣ و ٩ . وهذا الكلام يختم وصف الخطيب للمدينة المدورة . وينبغي ملاحظة أن موقع المدينة المدورة لم تتم فيه أية حفريات آثارية ، وأن إعادة وصف المدينة يقوم على المصادر الأدبية ، وأن فيه مجالا واسعاً للحدس والتخمين ، وأن عدم وجود الحفريات في هذه المنطقة من هذه المدة يجعل كل مناقشة للأصول المعمارية صعبة .

(٤٢) أبو بكر بن أبي موسى الهاشمي : ت ٣٣٠ ٩٩٩ (الخطيب ٥/٦٤) .

(٤٣) لم أستطع أن أجد اشارة أخرى خاصة بهذا الفيضان ، غير أن من المعروف أن بغداد منيت بفيضانات في هذه المدة (أنظر مسكويه : تجارب ٢/٨ ، إبن الجوزي : المنتظم ٦/٣٠٠ ، ٣١٥-١٦) . وقد ذكرت بصورة خاصة فيضانات في سنة ٣٢٨ هـ/ ٩٤٠ م و ٣٢٩ هـ/ ٩٤١ م . ولعلها التي سببت التخريب الذي ذكره الخطيب . فظروف هذين الفيضانين متشابهة كل التشابه . فقد ارتفعت مياه دجلة والفرات ، وانكسرت السدود في أطراف الأنبار ، ثم إن الصراة ، وهو أحد الأنهار الكبيرة التي تأخذ من الفرات الى بغداد ، فاض وأغرق الأراضي في الجانب الغربي فهدم البيوت وغيرها . أما (قبين) التي جاء منها الفيضان المذكور في هذا النص ،فهي مكان في العراق++ (أنظر ياقوت ٤/٣٥) . أما طاقات العكي (تصلح الى طاق) فهي مكان في الحربية وهي الربض الشمالي الغربي من المدينة (الخطيب ١/٨٣ . آ ١٧) .

++:- قبين تقع على الفرات جنوب الأنبار ، وفيها سكور وقناطر تنظم الماء في نهر عيسى الذي منه معظم ماء الجانب الغربي،وقد بحثتها في مقالي عن نهرعيسى المنشوفي مجلة سومر(المترجم).

(٤٤) عمرو بن بحر الجاحظ : ت ٨٦٩/٢٥٥ (دائرة المعارف الاسلامية / الطبعة الثانية/ مادة (الجاحظ) .

(٤٥) الزوراء ، أي المنحرفة : اسم أطلق على الجانب الغربي (المسعودي: تنبيه ٣٦٠ ، ياقوت ٦٧٨/١) . ويقول المسعودي إنها سميت بذلك لأنها كانت منحرفة عن سمت القبلة ، ولذلك كان الناس ينحرفون عند الصلاة للتوجه نحو القبلة (المصدر السابق ٣٦٠) . ويذكر ليسترانج تفسيرين آخرين : أحدهما أن بغداد اتخذت اسم الزوراء من دجلة الذي ينحني بمروره فيها ، وهو يلاحظ ، مقتبساً من المستوفى المئة الثامنة هـ (١٤ م) أن العرب كانوا يطلقون على بغداد (مدينة السلام) ، ولكن الفرس كانوا يفضلون اسم الزوراء . « فكأن كلمة الزوراء العربية كانت تقابل كلمة فارسية نسيت منذ زمن بعيد (ليسترانج ١١) مقتبساً من المستوفى : نزهة القلوب ص ١٤٦) .

(٤٦) الحسين بن محمد المؤدب ت ٢١٣ / ٨١٨ - ٩ أو ٢١٤ / ٨٩٢ (الخطيب ٨ / ٨٨) .
ابراهيم بن عبدالله . الشطي : ت ١٠٠٠/٣٩١-١) . السهمي : تاريخ جرجان ٩٩ فما بعدها .
أبو اسحق الهجيمي : لم اتحقق هويته .
محمد بن القاسم : ت ١٨٢ /٧٩٨-٩٩ ، أو ١٨٣ / ٧٩٩-٨٠٠ (الخطيب٣ / ١٧٠) فما بعدها .

(٤٧) العباس بن العباس بن محمد بن عبدالله بن المغيرة الجوهري : ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م . الخطيب ١٥٧/١٢ .
عبدالله بن أبي سعد الوراق (الخطيب ٤٧٣/٩) .

(٤٨) عبدالله بن محمد بن عياش التميمي : لم تحقق هويته .
عياش بن القاسم : ذكر جده في الخطيب ٢٧٩/١٢-٨٠ ، ولم أجد له ترجمة .

(٤٩) يبدو من نص الخطيب وجود روايتين ، الأولى تتعلق بداوود بن علي ، والثانية بعبدالصمد . غير أن داوود بن علي توفي ، فيما يروى ، في سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م قبل بناء بغداد (الطبري ٧٣/٣) . ولعل الخطيب خلط بين داوود بن علي ، وعبدالصمد ، وعيسى بن علي . ومثل هذه الحكاية موجودة في الطبري (٣٢٢/٣-٢٣) ، وهي تذكر أن عيسى بن علي شكا للخليفة أن السير من باب الرحبة (ولم يعين أي باب) إلى القصر كان يتعبه ، فقال الخليفة : إنه يمكنه ركوب محفة ، فقال عيسى : إنه يخجل من ذلك ، وإنه يريد ركوب أحد البغال ، غير أنه لاتوجد إشارة إلى استجابة الطلب . ولما عرف الخليفة ذلك أمر الذين يسكنون في المنطقة الداخلية المواجهة لداره (أنظر شكل ٢ و ٣ ، ٩) أن يحولوا الأبواب المواجهة للرحبة الداخلية كيما يواجهوا الفصيل والطاقات ، ولم يسمح لاحد أن يدخل الرحبة إلا راجلا ، ثم نقلت الأسواق إلى كل من الطاقات الأربعة (وكان يشغلها الحرس من قبل) ، وقد ظلوا إلى أن نقلهم الخليفة لما خاف مشكلات الاضطرابات التي أخذوا يثيرونها ، (أنظر الخطيب أدناه وأنظر أيضاً الطبري ٣٢٣/٣ - ٢٤ وانظر القسم ٢ (ب) .

(٥٠) س «شمس». غير أن اليعقوبي يذكر أن مياه كرخايا كانت تدخل المدينة من قنى قبل بناء الأسوار ، لأن الماء كان لابد منه لعمل اللبن والطين . وقد أمدت كرخايا أيضاً الفعلة بالماء (اليعقوبي ٢٣٨) . ومن الطبيعي أن هذا كان ممكناً في الهندسة . فالمفروض إذن أن رواية اليعقوبي صحيحة في حين أن رواية الخطيب هي اختلاق متأخر لتقديم تفسير منمق لبعض التبدلات في التنظيم المعماري للمدينة المـــدورة والتطورات التالية في الضواحي . ولعل الرواية السابقة عن داوود بن علي ، عم الخليفة (أنظر التعليق ٤٩) . ويلاحظ ان قصة السفير ، تتلو قصة داوود بن علي في الطبري في الخطيب (الطبري ٣ / ٣٢٣) . غير أننا لاننكر في هذا احتمال صحة قصة السفير ، أو أن نصيحة الرومي في الأمن تظفر بالقبول ، غير أنها تقودني الى الاعتقاد بان رواية الخطيب بما فيها من تزويق ، كان مبعثها التطورات التالية في إعادة نمو الضواحي . وانظر عن العباسية الخطيب (٩١/١) .

(٥١) لتدمير نظم القنوات أهميـــة خططية وسياسية . فملاحظة الخطيب أن هذه الأنهار قد تركت وجفت في زمانه تكشف كثيراً من الأمور ، إذ أنه في فصله عن أنهار المدينة (١١١/١–١٥) يصف هذه الأنهار كما كانت في نحو سنة ٩٢٥/٣٠٨ دون إعادة النظر في المعلومات الخططية المتوافرة لديه . وان عدم قيامه بذلك أمر مؤمل من عالم كان اختصاصه في العلوم الدينيـــة وليس في الجغرافيا ، ويزداد هذا جلاءاً عند دراسة كتاب الخطيب بالعلاقة لتواريخ بغداد ، كما أنه يشير إلى أن الأقسام الرئيسة من كتابه تستند إلى مصادر أقدم ، فهي لذلك تعكس زماناً غير معاصر لزمانه (المقدمة ٤١) والفرضة المذكورة هنا هي الفرضة السفلى (أنظر ليسترانج ص ٨٥ الخارطة ٦) .

التعليقات على الفصل الثالث

(١) الكرخ كلمة دخيلة من الآرامية ومعناها « المدينة المحصنة » أو « المدينة » (فرانكل : الكلمات الأعجمية في اللغة العربية)؛دائرة معارف باولي فاسوفا ٢١٢٢/٤ ، ٢١٢٤ الملحق ٢٧٥/١–٢٨٨) ، وقد ارتبطت الكلمة في العصور الإسلامية بعدة مدن كانت في مناطق الثقافة الآرامية قبل الفتح الإسلامي ، وتميز هذه المدن بعضها عن بعض باضافة اسم مكانها الجغرافي ، مثل كرخ بغداد ، وكرخ سامرا (أنظر ياقوت : المشترك ص ٣٦٨ – ٣٧٠ معجم البلدان ٢٥٢/٤–٥٧) . أما في بغداد فإن كلمة الكرخ تطلق على منطقة خاصة (باب الكرخ) ويعمم استعمالها أحياناً علىالجانب الغربي كله أسفل المدينة المدورة (الإصطخري٨٤ابن حوقل ١٦٤). أما عند اليعقوبي الذي تعبر روايته عن أحوال المئة الثانية (٨ م) ، فإن الكرخ تمتد حدوده طولا من قصر وضاح (شمالا) إلى سوق الثلاثاء ++ (جنوباً) . أما حدوده في العرض فهي من قطيعة الربيع (غرباً) الى دجلة (البلدان ٢٤٦) أنظر ليسترانج ، الخارطة ٣ ، و ٤ ، و ٧ .

++:– لم يرد ذكر لسوقالثلاثاء في الجانب الغربي في اي مصدرآخر غير اليعقوبي (المترجم) .

(٢) من الواضح أن المنصور أختار هذه المنطقة العامة حين قرر نقل الأسواق من المدينة المدورة وكان سوق الجانب الغربي (سوق بغداد) يقع في الكرخ ، وهناك مسوغات للاعتقاد بأن أسواق الكرخ استمرت تخدم السكان الكثيرين لهذه المنطقة عندما بنيت المدينة المدورة (الطبري ٩١٠/٢ ، ٩١٤) . وقد حدد البلاذري موقع السوق القديم بأنه قرب قرن الصراة ، وهو المكان الذي يصب فيه الصراة بدجلة (فتوح ٢٤٦) ، ويقول الطبري إن الأسواق حولت أيضاً الى باب الشام وباب طاق الحراني ، وقد شغل الأسواق القديمة حرس المدينة المدورة وشرطها (الطبري ٣٢٤/٣) ، وتجد مناقشة كاملة لهذا التحويل في القسم الثاني ب . أما الأماكن الخاصة التي ذكرت في الانتقال ،فإن باب الكرخ أقيم في الجهة الغربية من الربض ، وكان عند نهر البزازين بين دار كعب والبزازين (سهراب : عجائب ص ١٣٣ ، إبن سيرابيون ص ٢٦ أنظر أيضاً ليسترانج بغداد ص ٦٢ الخارطة ٤ اشارة الرقم ١١) . وأما باب الشعير فكان قرب المدينة المدورة وقرب دجلة (أنظر الخطيب ٧٥/١ س ١٥) . وكانباب المحول باباً مقاماً فيمكان أسفلنقطة اتصال الصراتين (اليعقوبي ٢٤٤،ياقوت ٤٥١/١ وقد أطلق اسمه على المحلة المحيطة به التي كانت متصلة في البداية بالكرخ . اما في المئة السابعة (١٣ م) ، فقد أصبح محلة قائمة بذاتها وتتميز بمسجد جامع خاص بها وسوق مزدهر (ياقوت ٤٥١/١– ٤٣٢/٤) . وكان أهل هذه المحلة حنابلة ، وكانوا يتنازعون دائماً مع أهل الكرخ (أنظر أيضاً ليسترانج ص ٤٦ ، ١٤٦ الخارطة ٤ التعليق ٥٤ ، وأنظر أيضاً الخطيب ٢٥/١–٢٧) .

(٣) يقول اليعقوبي إن هذه الضاحية التي تقع بين باب الكوفة وباب البصرة وفي ضمنها باب المحول وباب الكرخ وما يجاورها ، عهد بناؤها الى المسيب بن زهير والربيع وعمران بن الوضاح المهندس (البلدان ٢٤١ ، ٢٤٦) ، أي أن الاشراف على البناء عهد الى قائد عسكري وعامل مدني وخبير فني ، وهذا أمر شائع في برامج الأعمال العامة بحيث يحقق الجيش الأمن ،

وتحقق الدولة الإدارة المالية،ويحقق الفنيون المدربون الخدمات الفنية . والرقعة المشار إليها هنا هي كل الجانب الغربي أسفل المدينة المدورة . أنظر ليسترانج / الخارطة ٢ . وقد شمل نمو الضواحي أيضاً المناطق التي في غربي وشمالي المدينة المدورة (اليعقوبي ٢٤١–٤٢) .

(٤) مثل هذه القصة عن هذا المحتسب الثائر مذكورة في الطبري (٣٢٤/٣) وفي رواية الطبري أن أبا زكريا إتصل بالمعارضة وحرض العامة على الثورة ، فأرسل المنصور أبا العباس الطوسي فهدأ الأمور وألقى القبض على أبي زكريا ، ثم أعدمه موسى حاجب أبي العباس في الرحبة بباب الذهب . وعلى أثر ذلك أمر الخليفة بتوسيع طرق المدينة ونقل الأسواق الى الكرخ التي اصبح أكثر أهلها فيما بعد من المعارضين (الخطيب ٨١/١) . وقد تلت تدابير الأمن إقامة مسجد جامع رئيس كان لأهل الكرخ الذين كانوا قبل ذلك يصلون في جامع المدينة المدورة (أنظر النص أدناه) ، وبذلك انقطع أهل السوق عن الدخول إلى المدينة المدورة ، إلا بعض باعة المواد الغذائية ، ذلك أن المنصور ، بناءاً على اقتراح أبان بن صدقة ، وضع بقالا في كل ربع من أرباع المدينة ، وسمح ببيع الخضر والخل (الطبري ٣٢٤/٣–٢٥) .
ج : زكريا يقرأها عبدالله .

(٥) الحارث بن أبي أسامة : ت ٨٩٦/٢٨٢ (بروكلمان الملحق ٢٥٨/١) .

(٦) مثل هذه الرواية عن زيارة السفير مذكورة في الطبري (٣٢٣/٣ وأنظر أيضاً ياقوت ٢٥٤/٤ والتقرير المذكور في الطبري ٣٢٤/٣) وهذه الرواية هي كرواية إخضاع المحتسب تشير إلى الاهتمام الأول للخليفة بأمر الأمن ، وقد روى ياقوت عن نقل الأسواق رواية أقل إقناعاً ، فهو يقول إنه أمر باخراج التجار من المدينة لأن دخان حوانيتهم يسود أسوار المدينة (ياقوت ٢٥٥/٤) .

(٧) د : حنيس بنحبين . ويقولالطبري إنه عاونه بهذه المهمةجواس بن المسيب (الطبري ٣٢٣/٣) . أما ياقوت فيذكر اسمه خراش (٢٥٤/٤) .

(٨) تقع على طريقباب البصرة قبلطاقالحراني (فتوح ٢٩٥ ، اليعقوبي : البلدان ٢٤٥ ؛ ياقوت ١٢٣/٤ ، وهو يقتبس من الخطيب) ، ويطلق هذا الاسم على الربض المجاور الذي كانت فيه زمن اليعقوبي عدة أسواق فيها أكثر من مئة دكان للوراقين (البلدان ٢٤٥) ، ويقول البلاذري إن هذا القصر الذي يقع مما يلي (شرقاً) من باب الكرخ بنى لاقامة المهدي قبل بناء قصره في الرصافة ، وأنه كان يسمى قصر الوضاح ، وقصر المهدي ، والشرقية (فتوح ٢٩٥ وأنظر أيضاً اليعقوبي أعلاه) ، وهو يقول إن ربض الشرقية الذي كان يجاور القصر كان إقطاعاً للمهدي قبل أن يتقرر نقله إلى الرصافة في الجانب الشرقي . ويذكر ليسترانج (١٩٨) اضافة إلى ذلك قصر الوضاح في الجانب الشرقي ، ولعل مصدره في ذلك ياقوت الذي يذكر أيضاً قصراً بهذا الاسم بناه قرب الرصافة (أعلاه ص ١٢٣) ، إلا أن هذا الخبر ربما كان منشؤه سوء فهم للخبر الذي ذكره البلاذري (أنظر أيضاً ليسترانج ص ٥٨ ، ٩٢ ، ١٩٨ الخارطة رقم ٤ والتعليق ٤٩)، وانظر عن الشرقية: ياقوت ٢٧٩/٣ الذي يذكر أنها كانت تقع شرقي باب البصرة ، وانظر أيضاً ليسترانج ٩٠ ، ٩٤ الخارطة ٤ التعليق الرقم ٤٩) .

(٩) أنظر اليعقوبي : التاريخ ٤٨١/٢ ، ياقوت ٢٥٤/٤ مقتبساً من الخطيب . غير أن أخباراً أخرى تذكر أن الخراج وضع عليها في زمن المنصور (فتوح ٢٩٥ ، الطبري ٣٢٣/٣-٢٤ ، وأنظر أيضاً ياقوت أعلاه ص ٢٥٤ . وقد قدر مقدار الضريبة تبعاً لحجم المسقف (الطبري ٣٢٣/٣) . غير أنه تجدر الإشارة الى ملاحظة ياقوت (٢٥٤/٤) الذي يذكر أن الأجرة فرضت على قدر الصناعات ، أي تبعاً لما تدره الحرفة) ، وهؤلاء التجار الذين يشغلون أسواقاً بنتها الحكومة كانوا معرضين لمقدار أكبر من الضريبة ، إذ لم تفرض ضريبة على رؤوس أموالهم (الطبري ٣٢٣/٣-٤) . وقد ذكر اليعقوبي أن جباية أسواق الجانبين الشرقي والغربي من بغداد كانت تبلغ اثنى عشر ألف ألف درهم ، ويدخل في هذا المبلغ الجباية من رحى البطريق التي يقال انها كانت تغل الف ألفدرهم (اليعقوبي ٢٥٤)، وانظر عن الأرحية: الخطيب ٩١/١ فما بعدها . اما أبوعبيدالله معاوية بن عبيدالله بن يسار (ت ١٦٩/٧٨٤-٥ أو ١٧٠/ ٧٨٥-٦) فكان كاتباً للمهدي ، ثم صار وزيراً له . وتجد ر ملاحظة أنه كان يعد خبيراً في أمر الضرائب ، وأنه هو الذي طبق خراج المقاسمة على سواد العراق (أنظر سورديل : الوزارة ٦٩/١ فما بعد) . أما عامل الجباية فإن نسخة (و) تذكر اسمــه الخرسي ، ولعله يجب أن يصلح (الحرشي) (عريب ٤٣ ح ، الطبري ٢٣٠/٣ (أنظر أيضاً الملحق (٥)) .

(١٠) دار البطيخ كانت سوقاً للفاكهة عند إلتقاء نهر عيسى بنهر طابق (سهراب / عجائب ١٣٣ = ابن سيرابيــون ٢٦ ، ياقــوت ٢ / ٥١٧ ، وانظــر أيضــــاً ليسترانج ٨٤-٥ الخارطة ٤ مفتاح رقم ٤٢) . أما دار الاساكفة فإن ياقوت يذكر أنها كانت عند دار البطيخ قبل أن تنقل إلى الكرخ (ياقوت ٥١٧/٢) ، غير أنه لم يحدد موقعها بالضبط وقد عرف بهذا الاسم شارع في زمن متأخر (المئة السادسة (١٢ م)) في أعلى الجانب الشرقي بالقرب من باب الطاق (إبن الجوزي : مناقب ص ٢٦ ، المنتظم ٥٦/٨ جورج مقدسي : « خطط بغداد في المئة الخامسة (١٢ م) » المجلة العربية ٦(١٩٥٩) ١٨٨) ولا ريب في أن هذا يشير إلى سوق ثان يخدم السكان في الجانب الشرقي من دجلة . أما الشارع المذكور فيانصنا فالمفروض أنه يقع في مكان في أسفل الجانب الغربي.ويمكن أن نقرر شيئاً أدق على أساس رواية تصف الحريق الكبير الذي حدث في الكرخ سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٤ م (الصولي : أخبار الراضي والمتقي ٢٦١-٦٢)، ففي ذي القعدة شب حريق هائل في أسفل الجانب الغربي، وامتد اللهب إلى الحذائين ومحلة البزازين . وفي رواية أخرى أنه في سنة ٣٠٩ هـ/ ٩٢١ م شبت نار فأحرقت الحذائين في أسفل الجانب الغربي (المنتظم ١٥٩/٦) ، وأن وجود أكثر من سوق واحدة للأحذية يدل على أن هذه الصناعة كانت متفرعة ، ولكن يمكن أن يفترض أن كل هذه الفروع كانت متجاورة في منطقة واحدة ، أي في شارع الأساكفة . أما البزازون فيمكن تحديد موقعهم بالضبط في القسم الغربي من الكرخ (أنظر ليسترانج الخارطة ٣) . أما الأساكفة فكانت سوقهم بالقرب منه ، وبذلك يمكن تحديد موقعها . ويبدو من هذا أن سوق الفاكهة كانت تقع في الأصل في القسم الغربي من الكرخ ، ثم إنتقلت فيما بعد فصارت أقرب الى النهر . أما الشارعان الآخران فلم أجد عنهما معلومات .

(١١) عقبة بن جعفر بن محمد بن الاشعث : ت ٢٠٤هـ /٨١٩ م (إبن أبي طاهر طيفور : تاريخ بغداد من ٣٥٠) .

أهبان بن صيفي مكلم الذئب (الثعالبي : ثمار القلوب ص ٣٠٩ فما بعد) .
عيسى بن جعفر حفيد المنصور ت ٧٨٨/١٧٢ (أنــظر الطبري : الفهرست) ، وكان قصره وقصر أخيه في هذه المنطقة (أنظر الخطيب ٩٢/١) .

(١٢) الحسن بن أبي طالب الخلال : ت ١٠٤٧/٤٣٩ (الخطيب ١٤٣/٣-٤٧) .
أبو مسلم عبدالرحمن بن يونس / ت ٨٤٨/٢٣٤ (الخطيب ٢٥٨/١٠-٥٩) .
محمد بن عمر الواقدي : ت ٨٢٢/٢٠٧ (بروكلمان الملحق ٢٠٧/١-٨) .

(١٣) لقــد كانت هــذه الفرق في الأصــل لاتقــر خلافة أبي بكــر وعمر ، ومنــذ العهــد البويهــي (٩٤٥م / ١٠٥٥ م) تكــررت المشاجرات بين أهل الكرخ وأهل المناطق المجاورة (أنظر مثلا ابن الجوزي : المنتظم ٨ / ١٤٠ - ٤٢ ، ١٤٩ - ٥٠ ، ابن الأثير : الكامل ٩ / ٣٧٣ ، ٣٩٥ - ٩٦) . وقد أدت هذه الفتن المتكررة إلى خسائر كبيرة في الممتلكات والأمتعة ، كما أدت إلى إقامة أسوار حاجزة حول المحال الكبيرة التي تقطنها هذه الجماعات . الخبر المذكور سابقاً عن أبي زكريا المحتسب وثورته (أنظر النص أعلاه) يبدو أنه يشير إلى أن كثرة المعارضة من أهل منطقة السوق ترجع إلى عهد مبكر من تاريخ المدينة ، وأن هذا الاستيطان في مناطق الضواحي كان تبعاً التجمع الديني والاقليمي والحرفي (أنظر القسم الثالث (٢)) أدى إلى نمو مؤسسات مستقلة داخل التنظيم الأوسع للمدينة (أنظر كلود كاهين « الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي المدني عند مسلمي آسية في العصور الوسطى (المجلة العربية ٥ (١٩٥٨) ص ٢٢٥-٥٠ ، ٦ (١٩٥٩) ص ٢٥-٥٦) ٢٣٣-٦٥ . وعن الإشارات الخاصة إلى مناطق الأسواق أنظر : عبدالعزيز الدوري «نشوء الاصناف والحرف في الإسلام » مجلة كلية الآداب . جامعة بغداد ١ (١٩٥٩ ص ١٣٣ فما بعدها).

(١٤) ٢ بكر
الحسن بن أبي بكر بن شاذان : ت ١٠٣٤/٤٢٦ (الخطيب ٢٧٩/٧ .
إبراهيم بن شاذان ،أبو الحسن : لم استطع الحصول على معلومات أخرى عنه .

التعليقات على الفصل الرابع

(١) الاشارة هنا إلى المنطقة الجديدة في أعلى الجانب الشرقي مقابل الحربية الواقعة في الشمال الغربي من المدينة المدورة . وعن العلاقة بين هاتين المنطقتين أنظر القسم‌الثالث (٢). وهذا الاسم ، فيما يذكر الإصطخري (٨٣) أصبح يدل بصورة أعم على كل الجانب الشرقي . وكان اسم هذا المكان في الأصل عسكر المهدي (أنظر النص أدناه) . أما الرصافة فيقول ليسترانج إنها أصبحت الاسم الأعم ، ومعناها المرصوفة أو المنظمة ، ولعلها سميت بذلك لأنها تشير الى طريق يمر بها مخترقاً بقعة فيها يكثر فيها النز .(وقد وزنت الأرض في خلافة المعتصم في هذه المنطقة فتبين أنها منخفضة بمقدار ٢/٣ ٢ ذراعاً عن المدينة المدورة – أنظر النص أدناه) . لاحظ أن الإصطخري (ص ٨٣) الذي يذكر أنها سميت (الرصافة) باسم قصر يسمى (الرصافة) شيده هارون الرشيد قرب المسجد الجامع هناك . وكانت هذه المنطقة في زمن ياقوت كلها خراباً ، واقتصر الجانب الشرقي على مستوطنات في بعض مناطقه في الجنوب (ياقوت ٢/٧٨٣ . أنظر أيضاً ليسترانج : الفهرس ٣٧٦ ، وخاصة ص ٤١–٤٢ ، ١٨٧ ، ٨٩ الخارطة ٥) .

(٢) التاريخ المذكور هنا وفي الطبري (٣/٣٦٤–٦٥) لابتداء البناء يتناقض مع قول اليعقوبي (١٤٣/٧٦٠–٧٦١) . غير أن التاريخ الذي يذكره اليعقوبي غير ممكن ، لأن جميع المصادر تجمع على أن بناء المدينة المدورة نفسها لم يبدأ قبل سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م (أنظر : البلدان ٢٥ ، وعن تاريخ بناء المدينة المدورة أنظر : الخطيب ١/٦٦ ، ٦٧) يضاف إلى ذلك وجود دليل على أن بناء منطقة القصر في الجانب الشرقي لابد أن يكون منسجماً مع رجوع المهدي منتصراً من الأقاليم الشرقية،وقد حدث ذلك في سنة ١٥١هـ (أنظر القسم‌الثالث (٢)). غير أنه ، على أي حال ، يوجد بعض الاختلا ف في حالة البناء ، إذ يذكر الطبري في إحدى رواياته (٣/٤٦٠) أن الخندق لم يحفر ، والحائط لم يشيد ، حتى سنة ١٥٩ هـ / ٧٧٥–٦ أنظر أيضاً نص الخطيب أدناه . وفي هذا الوقت كان نهر المهدي هو المصدر الرئيسي للماء في الجانب الشرقي (الخطيب ١/١١٥) .

(٣) أحمد بن كامل القاضي : ت ٣٥٠/٩٦١ (بروكلمان الملحق ١/٢٢٦) .

محمد بن موسى (البربري !) أنظر الفصل ١٣ التعليق ٢٠ .

محمد بن أبي السري : لم تعين هويته (ولعل الصحيح أحمد بن أبي السري الذي سبق ذكره ، وله كتاب في تاريخ الخلفاء ، اقتبس منه الخطيب وغيره من المؤرخين (المترجم) .

الهيثم بن عدي : ت ٢٠٦/٨٢١–٨٢٢ او ٢٠٧/٨٢٢–٣ (بروكلمان الملحق ١/٢١٣) .

(٤) أبو البحتري وهب بن وهب:ت ٢٠٠/٨١٥–٨١٦ كان قاضي عسكر المهدي في زمن الرشيد (الخطيب ١٣/٤٨١–٨٧) .

جعفر بن محمد : المفروض أنه الإمام جعفر الصادق : ت ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م .

(٥) علي بن محمد بن عبدالله المعدل : ت ٤١٥/١٠٢٤ (الخطيب ١٢/٩٨–٩٩) .

محمد بن أحمد بن البراء : ت ٢٩١/٩٠٤ (الخطيب ١/٢٨١–٨٢) .

علي بن يقطين كان يعمل في خدمة المهدي ، وكان علي الخاتم للهادي (الطبري : الفهرست ص ٤٠٣) وفي رواية أخرى مختلفة في الطبري أن هذا الأمر حدث في ماسبذان في زمن المهدي (الطبري ٣/٥٢٥) .

(٦) الحسين ين علي الصيمري : ت ١٤٥/٤٣٦ (بروكلمان الملحق ١/٦٣٦) .
محمد بن عمران المرزباني : ت ٩٤٤/٣٨٤ (بروكلمان الملحق ١/٤٣ ، ١٥٧) .
محمد بن يحيى الصولي .
محمد بن موسى المنجم أي الخوارزمي .
محمد بن أبي دواد ت : ٨٥٤/٢٤٠-٥وكان وزير المعتصم (أنظر سورديل الوزارة ٢ فهرست ٧٥٣

(٧) أنظر البلاذري : فتوح ص ٢٩٥ ، المسعودي : التنبيه ص ٣٦٠ ياقوت ٦٧٧/٣ وفي الطبري (٣/٣٦٥+٦٧) رواية تفسر قرار المنصور باتخاذ أعلى الجانب الشرقي لابنه ، فقد خشي الخليفة ثورة جنده وقرر ، بناءاً على اقتراح قثم بن العباس ، تقسيم جنده جعل إحدى فرقه تعسكر في الجانب الشرقي والأخرى تقيم في المدينة المدورة ، وبذلك يستطيع الخليفة أن يضرب أحداهما بالأخرى ، ثم استولى المهدي على هذه المنطقة ، وأقام في قصر بني له . وعن الأهمية السوقية لهذه المنطقة وعلاقتها بمقام الخليفة في الخلد ، وبالحربية الواقعة في الشمال العربي .أنظر القسم الثالث (٢) .

التعليقات على الفصل الخامس

(١) طاقات العكي هي أول الطاقات الثلاث: أقيمت في « الحربية » ، وهي الضاحية الشمالية الغربية .وكانت تقع على الطريق المؤدي الى مربعة شبيب بن روح (ياقوت ٤٨٩/٣) وينبغي أن لا تخلط هذه الطاقات بالقطيعة المسماة بهذا الاسم أيضاً التي تقع بين باب البصرة وباب الكوفة (ياقوت ٤٨٩/٣ ، ١٤٢/٤–٣) ، ثم بنيت بعدها طاقات الغطريف . وأخيراً بنيت طاقات أبي سويد وهي التي تقع في أقصى الجنوب . وقد بنيت كطريق تطوفه أقواس مع طاقات متصلة بها ، وكان يقع بقربه إقطاع وربض سويد ابنه (ياقوت ٤٨٨/٣) أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٣٠ الخارطة ٥ مفتاح ٣٢ . أما عن مقبرة باب الشام فانظر الخطيب ١٢٠/١–٢١) .

(٢) يذكر اليعقوبي سكة بهذا الاسم تقع في « المدينة المدورة » بين باب الكوفة وباب البصرة، غير أنه لا يمكن تحديد موقعها بأكثر من ذلك .

(٣) س ، ج « يقال شيرويه » تصلح « درب يقال له : « شيرويه ».

(٤) س ، ج « الدرب النافذ » مكان : في الدرب النافذ ، . أمـا إقطاع أبي عون فيقع في محلة الشارع الذي يمتد على شاطىء دجلة من باب خراسان إلى الجسر الأعلى (اليعقوبي البلدان ٢٤٩) ، وبصورة أدق كان يقع في شارع دار الرقيق (أنظر التعليق ٥٣) على الطريق المؤدي إلى قصر عبدالله بن طاهر (ياقوت ٧٥٠/٢) وانظر أيضاً ليسترانج ص ١٢٤–٢٥ الخارطة ٥ مفتاح رقم ٢٢) ويقوم تثبيت الخارطة على افتراض أن قصر ابنه ، أي ابن أبي عون ، يقع أيضاً في هذه القطيعة (أنظر سهراب : عجائب ص ١٣٤= إبن سيرابيون ص ٢٧–٢٨) . أما قصر عبدالله بن طاهر وهو المشهور باسم الحريم الطاهري (أنظر ياقوت) فقد أصبح في زمن المعتضد مقاماً ثانوياً للخلفاء الذين كانوا يقيمون آنذاك في الجانب الشرقي (عريب ٢٢) وفي المئة الرابعة (١٠ م) جعل سجناً يقيم اليه الخلفاء المخلوعين ، وكان في زمن ياقوت خراباً ، إلا أنه ظل مسكوناً ، وكان يظهر أشبه بمدينة قائمة في وسط الخراب ، وكانت فيه بالاضافة إلى ذلك مساكن وعدة أسواق لأهله، وحوله سور يحميه++(إبن الجوزي: مناقب بغداد ٢٧ ، ياقوت ٢٥٥/٢– ٤٩٤/٣٢٦ ليسترانج ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٤٥ ، ٣٢٧ ، الخارطة ٥ مفتاح رقم ١٩ ج مقدسي : خطط ١٩١ ، التعليق ٧) .

++:– أصبح الحريم الطاهري بعد عودة الخلفاء العباسيين من سامراء ، تقيم فيه أسر الخلفاء وأولادهم ، ومن يعزل منهم ، ولعل إقامتهم فيه كانت السبب الذي أطلق عليه وصف « الحريم » ، وقد وصفناه بالتفصيل في مقال نشرناه في مجلة الأقلام (المترجم) .

(٥) كان إقطاع أبي أيوب يقع على طريق باب الأنبار (اليعقوبي : البلدان ٢٤٨) .أما ربض حرب فيسمى أيضاً الحربية (ياقوت ٢ / ٧٥٠) ، وانظر عن الحربية أدناه التعليق ٢٦

(٦) تقع على قناة لم يذكر اسمها ، تبدأ بالقرب من قنطرة حرب ، وتجري إلى باب الشام . وكانت تقع بين قطيعة أبي العباس شمالا إلى الطاقات الثلاثة جنوباً (سهراب،عجائب

ص ١٣٤ ، ابن سيرابيون ص ٢٨ ، ياقوت ٣ / ٤٨٩ ، البلاذري : فتوح ص ٢٩٦ ،وهو يذكر أنه مكان أنس ولم يعين موقعه ، انظر أيضاً ليسترانج ص ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ١٢٩ ، ١٣٠ الخارطة ٥ مفتاح رقم ٢٦) ، واسم « شبيب بن واج مذكور في البلاذري (فتوح ٢٩٦) أما ياقوت فيذكر أسمه شبيب بن راح (٤٨٩/٣) .
عمر بن محمد بن الجمابي : ت ٨٧٠/٣٥٥ (الخطيب ٢٦/٣-٣١) .

(٧) ينبغي ألا يخلط مع إقطاع بهذا الاسم يقع عند سجن وأسواق باب الشام (اليعقوبي : البلدان ٢٤٨) . وكان يقع بين إقطاع ابن أبي عون ومربعة شبيب (سهراب : عجائب ١٣٤ = إبن سيرابيون ٢٧-٢٨) ويحدد ياقوت مكان هذا الموضع على طريق باب الشام بين الحربية وباب البصرة (المحلة) كما أنه يذكر أن الأقطاع يقع قرب مربعة الفرس (ياقوت ٤٨٥/٤ ، أما مربعة الفرس فانظر عنها التعليق (٩) الآتي) ، وانظر أيضاً ليسترانج ص ١٢٦ الخارطة ٥ مفتاح رقم ٢٥ .

(٨) أبو جعفر محمد بن موسى بن الفرات : هو أبو الاسرة المشهورة من الكتاب والمعروفة باسم بني الفرات (أنظر سورديل : الوزارة العباسية ٢ فهرست ٧٦٢ - ٦٣ جدول ٤ ص ٧٤٧ .

(٩) س « بنو زارى » ويذكر الطبري أن المنصور استشار دهقاناً لما أراد بناء مدينته ، وأن قرية ذلك الدهقان تقع في مربعة أبي العباس اليوم (الطبري ٣ / ٢٧٤ - ٧٥) : وكان الدهاقين رؤساء القرى في إيران القديمة ، وكونوا طبقة أدنى من النبلاء ،وكانوا منقسمين خمسة أصناف ، يتميز كل صنف منها بلباسه ، والوظيفة الرئيسة للدهقان هي جباية الضرائب،وقد ظلوا يمارسون هذا العمل في العصور الاسلامية (أنظر هوارت: ايران والمدنية الإيرانية (لندن ١٩٢٧) ص ١٤٣ . أ . كرستنسن : إيران في العهد الساساني (كوبنهاجن ١٩٣٦) ص ١٠٦ -٧ ر . فراي : تاريخ بخاري (كمبردج) ١٩٥٤ ص ١٠٦ التعليق ٢١) « وقد ترجم الدكتور يحيى الخشاب كتاب كرستنسن الى العربية (المترجم) .

(١٠) يقول ياقوت إنها سميت برجل يدعى وردان (ياقوت ٩٢٠/٤) . أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٢٦ . وينبغي ألا تخلط مع مربعة أبي قرة . أما السكة التيتسمى بهذا الاسم أيضاً فتقع ، فيما يذكر اليعقوبي ، في المدينة المدورة بين باب الكوفة وباب الشام (البلدان ٢٤١) .

(١١) إبراهيم بن عيسى بن أبي جعفر المنصور (الخطيب ١٣٤/٦) ، وعن هذا الخبر أنظر الطبري (٢٧٩/٣) .

(١٢) ج وس « الشرقانية » إقرأ « الشرفانية » كما فيالطبري ٢٧٩/٣ ، ياقوت ٢٧٧/٣ . أنظر أيضاً ليسترانج ١٢٩ .

(١٣) ج و س « أبي الجوز » إقرأ « أبي الجون » كما في سهراب : عجائب ١٣٤ = ليسترانج ص ١٢٩ ، الخارطة ٥ مفتاح رقم ٢٧ .

(١٤) س « مخالد » وقد حدد اليعقوبي موقعها بين باب الكوفة وباب الشام ٢٥٣ وإقطاع القحاطبة (البلدان ٢٤٦ . أنظر أيضاً ياقوت ٧٥١/٢ ، ولم يحدد موقعها) وكان سليمان مشرفاً على بناء ذلك الربع في زمن المنصور (اليعقوبي ٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨) .

(١٥) عرفت بأنها في الجانب الغربي ، غير أنها لم يحدد موقعها ، وكانت في زمن ياقوت خراباً (ياقوت ٢/٧٥٠) .

(١٦) ج « رواد » س « رداد » ولعلها هي إقطاع رداد بن زادان التي يذكر اليعقوبي أنها قرب اقطاع أبي أيوب الخوزي (البلدان ٢٤٨) .

(١٧) س يتابع ب ، ن « بوسان » ؛ أ « بوسا » إقرأ « بوسى » أنظر ياقوت ١/٧٥٨ ، اقطاع حميد كانت شارعاً يقع على الصراة الأعلى قرب باب المحول وإقطاع الفراشين . ويسكن في هذا الشارع أيضاً أقارب قحطبة بن شبيب (البلدان ٢٤٤ سهراب : عجائب ١٣٢= ابن سيرابيون ص ٢٥) ويقول ياقوت إنها تمتع بين الخراب الملاصق للنصرية (أنظر التعليق ١٨ الآتي) وإقطاع الهيثم بن سعيد (ياقوت ٢/٧٥٠ ، أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٤٠–١٤١) الخارطة ٦ .

(١٨) س « نصير » ، وهي تمتد في الأصل إلى شارع دجيل . ويذكر ياقوت أن هذه المنطقة بين شارع دجيل والاقطاع الذي فيه اليوم شهار سوق العتابية ودار القز » . وكانت لاتزال مزدهرة في أيام ياقوت (٢/١٦٧ ، ٥٢٢ ، ٧٥١–٢ ٤/٧٨٦) أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٣٧ ، ١٤٨ الخارطة ٦ .

(١٩) يقول ياقوت إنها كانت قرب ربض الخوارزمية (٢ / ٧٥١) أنظر أيضاً ليسترانج ١٢٨ الخارطة ٥ التعليق رقم ٣٠ . أما مقبرة قريش فأنظر عنها الخطيب ١/١٢٠ الذي يضع هذه المقبرة قرب باب التبن ، أي أبعد إلى الشمال . ويبدو أن هذا القول لا يتفق مع قول ياقوت إن هذا الاقطاع يقع قرب ربض الخوارزمية التي كانت تقع بعيدة أكثر نحو الجنوب . فإذا كانياقوت مصيباً، فلعله يجب قراءة « مقابر الشهداء» مكان « مقابر قريش» وانظر عن مقابر الشهداء: الخطيب ١/١٢٦–٢٧ ياقوت ٤/٥٨٦ وهو يضعها قرب قنطرة باب حرب ، أي قرب الخوارزمية .

(٢٠) ينبغي ان لايخلط باقطاع زهير بن محمد الذي كان يقع قرب باب التبن (أنظر التعليق ٢٧ الآتي) الذي يقع عند إقطاع السيب بن زهير (أنظر التعليق ٢٢ الآتي) وهو يرجح أن تكون قراءة النص : « إقطاع المسيب بن زهير . كان هذا الربض قرب سويقة عبدالواحد ابن إبراهيم » وكانت كل هذه المنطقة في زمن ياقوت خراباً (ياقوت ٢/٩٦٤ ، ولكن أنظر ٢/٧٥١ حيث يضع موقعها قرب الخوارزمية . أنظر أيضاً ليسترانج الخارطة ٤ و ٦) .

(٢١) الحربية كانت مزدحمة بالسكان العجم الموالين للعباسيين ، وكان هذا الربض يقع على شارع دجيل قرب إقطاع أبي العباس (سهراب : عجائب ١٣٤= إبن سيرابيون ٢٧ ، ياقوت ٤/٤٨٥ ، أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٢٧–٢٨ الخارطة ٥ مفتاح رقم ٣١) .

(٢٢) يقول اليعقوبي إن هذه الإقطاعات تمتد من باب الكوفة إلى مدخل المدينة عند باب البصرة (البلدان ٢٤٣) . وكان قصره والمسجد ذو المنارة الطويلة يقمان هناك ، وبالقرب منها قصر أبيه وأخيه (كذلك أنظر أيضاً التعليق ٢٠) . وقد ذكر أن المسيب بنى المحلة بين باب البصرة وباب الكوفة ، مع الربيع وعمران بن الوضاح (اليعقوبي ٢٤١) ، وقد أصبح فيما

بعد صاحب الشرطة (أعلاه ص ٢٤٣) . أما سويقة عبدالوهاب فكانت مقابل باب الكوفة على الصراة الأسفل ، وهناك أيضاً قصر عبدالوهاب . وكانت السويقة والقصر خراباً في المئة الثالثة / (٩ م) (اليعقوبي : البلدان ٢٤٢ ، ياقوت ٢٠١/٣) ويقرأ ليسترانج « الصراة الصغرى » بدل « الصراة السفلى) وبذلك يضع خطأ السويقة على يمين باب الكوفة (ص ٥ ، ١٤١ الخارطة ٦ مفتاح رقم ٩) . أما مدخل المقبرة فيبدو أن الخطيب يشير بذلك الى مقبرة باب الدير (أنظر الخطيب ١٢١/١ س ٢١) إن تصور شتريك هذا المكان مقبرة قريش غير ممكن ، لأن هذه المقبرة تقع عند باب التبن ، التي تقع بعيدة في شمالي المدينة المدورة (بابل ص ١٠٦) ، ويبدو أن مقبرة باب الدير كانت مقبرة الجهات الغربية من الكرخ .

(٢٣) تقع بين باب الكوفة وباب الشام على الشارع المسمى باسم الحسن بن قحطبة ، وكان إقطاعه هناك (اليعقوبي ٢٤٦ ، سهراب: عجائب ص ١٣٢ ، ١٣٤ = ابن سيرابيون ٢٥ ، ٢٧) أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٤٠ — ٤٤ الحارطة رقم ٦ .

(٢٤) تقع على شارع الشاطىء بين باب خراسان والجسر الأعلى (اليعقوبي : البلدان ٢٤٢ ، ٢٤٩) وكانت ، فيما يقول اليعقوبي ، لحفص بن عثمان وجماعته ، ثم أخذ إسحاق ابن إبراهيمقصر حفص فيما بعد (أعلاه ٢٤٩ الخطيب ٦٩٣/١) . أنظر ايضاً ليسترانج ص ١٠٨ الخارطة ٥ مفتاح رقم ٢١) أما ربض حمزة بن مالك فيذكر ياقوت أنه في الجانب الغربي وأنه كان في زمانه خراباً ، غير أنه لم يحدد موقعه بالضبط (ياقوت ٧٥٠/٢) أما البرجوانية فانظر عنها ياقوت (٥٥٠/١) .

(٢٥) يقول ياقوت إنها كانت تقع ملاصقة لقطيعة الفرس ، أي الحربية (ياقوت ٧٥٠/٢) ويحدد اليعقوبي موقع مكان بهذا الاسم بين باب الكوفة وباب الشام (البلدان ص ٢٤٦) والظاهر أنه سمى بهذا الاسم لانه كانت تقطنه جماعة الحارث بن رقاد الخوارزمي .

(٢٦) كانت في الاصل تطلق على كل الربض الشمالي للجانب الغربي (أنظر الإصطخري ص ٨٣ ، إبن حوقل ١٦٤) . ويذكر اليعقوبي أنه لم يكن في زمنه ربض أكبر منه أو أهم في بغداد ، وأنه فيه شوارع وأسواق تساوي أياً في المدينة ، وكان أكثر أهله من أصل اعجمي : سكنوا في اطرفه تبعاً لمدنهم الأصلية ، فكان لأهل كل بلد منهم قائد ورئيس (البلدان ٢٤٨) . أما في زمن ياقوت فكان مقصوراً على المنطقة التي حول باب حرب ، على بعد ميلين من المدينة ، وقد خرب كل ما حوله فأصبح كالمدينة المنفردة وفيها أسواق من كل التجارات ومسجد جامع وسور يحيط بها بني لحمايتها (ياقوت ٢٣٤/٢) . أنظر أيضاً ليسترانج الفهرست ٣٦٥ خارطة ٥) .

(٢٧) ينبغي أن لا تخلط مع إقطاع زهير بن المسيب الواقع بين باب البصرة وباب الكوفة ، (أنظر التعليق ٢٠) ، فان هذا الإقطاع يقع قرب باب التبن ، وكان في أيام ياقوت خراباً (فتوح ٢٩٦ ، ياقوت ٩٦٤/٢ ، ١٣٢/٤ ، وانظر أيضاً ليسترانج ص ١١٧ ، الخارطة ٥) .

(٢٨) يسمى أيضاً شارسوق (اليعقوبي : البلدان ٢٤٧) ، وهو يقع بين باب الكوفة وباب الشام ملاصقاً للنصرية ودار القز واالعتابيين (اليعقوبي : البلدان ص ٢٤٧ ، ياقوت ٥٢٢/٢ ويسميه « شهر سوق » وهو يتكون من سوق واسع وبيوت كثيرة وسكك . أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٣٦-٣٧ الخارطة ٦) ، ويقول سالمون إن شهارسوق كلمة فارسية ، معناها « المربعة » (أو هي في الفارسية الحديثة جهارسو) ولعلها هي أصل كلمة المربعة العربية (تاريخ ١٠٨ التعليق ١) .

(٢٩) كانت تقع بين باب الشام وباب الكوفة أسفل شارع قصر هانىء وملاصقة لشهار سوق الهيثم (الفتوح ٢٩٧ ، اليعقوبي ٢٤٧ ، ٢٤٨) ، وقد ذكرت باسم ربض القس (سهراب : عجائب ١٣٤ = ابن سيرابيون ٢٧) ، ويذكر اليعقوبي أن بستان القس سمى باسم مولى للمنصور (البلدان ص ٢٤٧) .

(٣٠) كان عبد الوهاب أول من أقطع من العباسيين خارج المدينة ، وكان ربضه على الصراة الأسفل مقابل باب الكوفة ، وكان يدعى سويقه عبد الوهاب ، ويذكر اليعقوبي أن قصره كان خراباً ، وتدل الأخبار على أن بقية الإقطاع كانت أيضاً خراباً . وكل هذا يدل على أن بناء السويقة لم يكن قائماً في أواخر المئة التاسعة (أنظر اليعقوبي : البلدان ٢٤٢) .

(٣١) تقع على الصراة الأسفل قرب القنطرة الجديدة مقابل باب البصرة (اليعقوبي ٢٤٣ ، ياقوت ١٨٩/٤ ، أنظر أيضاً سهراب : عجائب ص ١٣٢ = ابن سيرابيون ص ٢٥) وكان يسكنها أبناء الأنصار وعشائر قريش وربيعة ومضر واليمن (اليعقوبي ٢٤٣) . أما السكان الأولون الذين توفوا قبل تأسيس المدينة ، فقد ذكرهم الخطيب في القسم الطويل للتراجم الذي يسبق بقية التراجم في كتابه (الخطيب ١٣١/١-٢١٤) .

(٣٢) أنظر اليعقوبي ص ٢٤٣ الذي يذكر داراً لعياش في هذه المنطقة .

(٣٣) س « ابن ابي سعيد »

محمد بن الحسن بن أحمد الأهوازي : ت ١٠٣٦/٤٢٨-٧ (الخطيب ٢١٨/٢) .

أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري : ت ٩٩٣/٣٨ (بروكلمان الملحق ١٩٣/١) .

أبو العباس بن عمار : ت ٩٢٦/٣١٤ (الخطيب ٢٥٢/٤-٥٣) .

إبن أبي سعيد : ت ٨٨٧/٢٧٤-٨ (الخطيب ٢٥/١٠ فما بعدها) .

أحمد بن كلثوم : لم نتحقق من هويته .

عثمان المازني : ت ٨٦٣/٢٤٨ (بروكلمان الملحق ١٦٨/١) .

الجماز : لم نتحقق من هويته .

محمد بن أبي رجاء : لم نتحقق من هويته .

أبو دلامة : ت ٧٧٦/١٦٠-٧ أو ٧٨٦/١٧٠-٧ (أنظر دائرة المعارف الاسلامية/ الطبعة الثانية / مادة أبو دلامة) .

(٣٤) عن مثل هذا الشعر المنسوب الى أبي دلامة أنظر : ابن خلكان ، وفيات ١٩٢/١ أنظر أيضاً محمد بن شنب : ابو دولامة ، الجزائر ١٩٢٢ م .
ص ١٣٤ قراءة مشابهة .

(٣٥) لقد هدم معز الدولة هذا السجن واستعمل أنقاضه في بناء قصره بالشماسية سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ – ٦٢م (إبن الجوزي : المنتظم ٣٣/٧ . أنظر أيضاً روزنثال : « فكرة المسلمين عن الحرية » (لندن ١٩٦٠ ، ص ٥٩ التعليق ١٧١) وكان القرار يقع قرب قصر الخلد ، فوق قرن الصراة وهو المكان الذي تصب فيه الصراة في دجلة (أنظر النص أدناه) .

(٣٦) يقع بعد اقطاع أخيه صالح على شارع الشاطىء في جنوبيه (اليعقوبي ٢٤٩) . أما إقطاع صالح الذي كان فوقه (شماليه) ، فكان يحده دار ابي النجم مولى المنصور ، وإقطاع أبي عون (أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٠٨ ، خارطة ٥ ، مفتاح رقم ٨ . وأميل الى الاعتقاد بان خارطة ليسترانج التوضيحية وضعت هذا الإقطاع بعيداً في الجنوب ويبدو أن الأقرب احتمالا هو أن الاقطاعات الملاصقة لهذين القصرين للأمراء كانت تشغل رقعة أوسع من خط الشاطئ بين الجسر والجسر الأعلى ، إذ كان إقطاع أبي عون يقع شمالا أكثر في شارع دار الرقيق . وقد أصبحت دار نجاح على ما يقول اليعقوبي (٢٤٩) فيما بعد لعبدالله بن طاهر الذي كانت داره تقع قرب الجسر الاعلى++.

++ : – تكلمنا على هذه المنطقة بتفصيل أوفى في مقالنا : « قصور الخلفاء ومنازلهم في بغداد » المنشور في مجلة سومر (المترجم) .

(٣٧) س « طهير » ويعتقد شتريك (بابل ص ١١٠) أن هذه السويقة قد تكون هي سويقة الهيثم بن سعيد بن زهير التي كانت تقع ، فيما يقول ياقوت ، في الجانب الغربي قرب مدينة المنصور (ياقوت ٢٠١/٣) ، وكانت أرض ابن سعيد تقع أبعد في جهة الغرب (التعليق ١٧) ، ويذكر الطبري (٣٧٨/٣) في حوادث سنة ١٥٦ هـ وفاة الهيثم بن معاوية والي البصرة المعزول وقد توفي في بغداد لما كان مضطجعاً مع جارية له ، ودفن في مقابر بني هاشم .

(٣٨) ينبغي أن لا تخلط بإقطاع بهذا الاسم أيضاً في الجانب الشرقي (أنظر اليعقوبي : البلدان ٢٥٢ ، ياقوت ٢ / ٥٢١) ويقول ياقوت إنه ملاصق لربض أبي حنيفة وقرب أرض عثمان بن نهيك في المكان الذي كان بستاناً لملوك الفرس قبل بناء بغداد (اعلاه) .

اما عمارة ، فكان هو وهشام بن عمرو التغلبي وشهاب بن كثير ، مسؤولين عن بناء المنطقة على شاطىء دجلة بين باب خراسان وباب قطربل (اليعقوبي ص ٢٤٢) .
أنظر أيضاً ليسترانج ص ١١٧ ، ١٨ الخارطة ، ٥ مفتاح رقم ١٨) . –

(٣٩) لا تخلط مع سكة بهذا الاسم أيضاً كانت تقع في الاصل في المدينة المدورة بين باب البصرة و باب خراسان (أنظر اليعقوبي ص ٢٤١) ، وهناك مكان آخر هو سكة في المدينة المدورة بين باب البصرة وباب خراسان ، وسيذكر أدناه ، أي سكة المهلهل (اليعقوبي

ص ٢٤٠) . وكان إقطاع أبي السري الواقع في الحربية والمذكور هنا يذكرنا بسكة بهذا الاسم تقع في المدينة المدورة أيضاً بين باب البصرة وباب خراسان (المصدر أعلاه ص ٢٤٠ ، ٢٤٨) والأماكن المذكورة في هذا القسم من فصل الخطيب تقع جميعها خارج أسوار المدينة المدورة . ويبدو أن الأماكن الثلاثة المذكورة أعلاه كانت في الأصل سككاً في المدينة المدورة أقطع أهلها حينئذ وفيما بعد إقطاعات في الأرباض .

(٤٠) لعله في ربض بهذا الاسم يقع بين باب الكوفة وباب الشام (اليعقوبي ٢٤٧ – ٨) .

(٤١) يذكر البلاذري سليمان بن قيراط الذي كان صاحب صحراء قيراط في مدينة السلام ، غير أنه لم يشر الى الصحراء (فتوح ٣١٠) ، وأنظر أيضاً ياقوت ٢١٦/٣ وهو يذكر سلمان بن قيراط صاحب صحراء قيراط .

(٤٢) كانت الجزيرة تقع في دجلة بين النقطة التي يصب فيها خندق طاهر بدجلة (سهراب : عجائب ص ١٣٢ – إبن سيرابيون ص ٢٤) وكانت له أيضاً دار في البغيين كانت لحفص ابن عثمان (اليعقوبي ٢٤٩ ، أنظر أيضاً ليسترانج ص ١١٩ ، (الخارطة ٥) .

(٤٣) تقع في شرقي القنطرة الجديدة بين نهر أبي عتاب والصراة ، ويجاورها من اليمين إقطاع اسحاق الشروي ، وعلى يسارها بركة زلزل (أنظر اليعقوبي ٢٤٤ ، سهراب : عجائب ص ١٣٢ – ابن سيرابيون ص ٢٤ ، ياقوت ٢٠١/٣ . أنظر أيضاً ليسترانج ص ٦٠–٦١ الخارطة ٤ ، مفتاح رقم ٥) أما هوية أبي الورد فغير محققة (أنظر أدناه) ، وقد ذكر اليعقوبي أنه كوثر ابن اليمان خازن بيت المال (أعلاه ص ٢٤٤) أنظر أيضاً ج . قييت (ترجمة كتاب البلدان ص ٢٣ التعليق ١) .

(٤٤) يسقيها نهر أبي عتاب الآخذ من كرخايا ، وهي تقع بين الصراة والكرخ وبين باب المحول وسويقة أبي الورد (سهراب : عجائب ص ١٣٢ – إبن سيرابيون ص ٢٥٠ ، ياقوت ٥٩٢/١ – ٩٣ ، ٢٠١/٣ ، ٢٥٢/٤) . وقبل أن تبنى مدينة المنصور كانت هنالك قرية اسمها (سال) بين البركة وقصر الوضاح (اعلاه ٥٩٣/١ ، أنظر أيضاً ليسترانج ص ٥٢ ، ٦١ – ٦٢ ، الخارطة ٤) . ويقول ياقوت إن زلزل أوقف هذه البركة عند وفاته (المصدر أعلاه ٥٩٣/١) . أنظر أيضاً سالمون : تاريخ ص ١١٢ ، التعليق ٢) .

(٤٥) وردت في ياقوت « أم جندب » (٥٩٣/١) . وقد ناقش سالمون الأسماء والأماكن المذكورة في هذا الشعر ، وسلمى وأم سلم هما امرأتان وردتا كثيراً في الشعر الجاهلي لزهير ، وامرئ القيس ، أما الدخول وحومل فقد ذكر ياقوت أنهما مكانان في اليمن (اعلاه ٣٧٠/٢ ، ٥٩٩) ، وقد ذكرا في معلقة امرئ القيس (أنظر سالمون ص ١١٢ التعليق ٣) .

(٤٦) ب « بياوار » أنظر أيضاً ياقوت ٤ / ١٤٢ وقد ذكر هذه الرواية ولم يشر إلى من سميت به . أما الفروسيج ، فانظر عنه ياقوت أعلاه ٢٥٢ ، ٣ / ٨٨٦ ، أما بادوريا فهي طسوج غربي بغداد ، وقد ذكر أنه يشمل معظم الأراضي شرقي نهر عيسى (سهراب : عجائب ص ١٢٣ – إبن سيرابيون ص ١٥ ، ياقوت ٤٦٠/١ – ٦١ وهو يذكر أنه

يشمل الأراضي الواقعة شرقي الصراة) . وكانت قطيعة الربيع اثنتان : الداخلة والخارجة ، فأحداهما كانت تقع يمين باب الكرخ ، والأخرى قرب نهر القلائين (أنظر اليعقوبي ص ٢٤٥ ، الطبري ٧٠٩/٣ ، ٢٨٠ ، ياقوت ٤ /١٤٢ / ٨٤٣ ، غير أنه ليس في المصادر إشـــارة إلى تحديد موقـع كل منها . ويذكر اليعقوبي أنه كان يسكنها الخزازون من أهل خراسان الذين يتاجرون بسلعهم (ص ٢٤٥ – ٤٦) ، وكانت من أهم محال بغداد (المقدسي ص ١٢١ ، وأنظر أيضاً ليسترانج ص ٥٨ ، ٦٧ – ٦٨ ، ٣٢٢ ، الخارطة ٤) .

(٤٧) يبدو أن سالمون (التاريخ ١١٣ – ١١٤ التعليق ١) يرى أن الإقطاع الداخلي يقع في المدينة المدورة بين السورين ، غير أن « بين السورين » في الواقع لا يقصد فيها الأرض الواقعة بين سوري المدينة ، بل يقصد بها قسم كبير من الكرخ يصفه ياقوت بأنه واحد من أجمل المناطق في المحلة وآهلها بالنـاســ . وكان في المئة الخامسة (١١ م) قد خربه طغرلبك (ياقوت ٧٩٩/١) أنظر أيضاً ج. فييت: ترجمة البلدان ص ٢٣ التعليق ٧) أما درب جميل فكان يقع في محلة مســجد الأنباريين (أنظر النص أدناه ، وأنظر أيضاً ياقوت ١١٩/٢) . ولما ولي المهدي الخلافــة نقل الدواوين إلى الرصافة ، فانتقل كبار رجال الدولة ، ومنهم الربيع بن يونس ، إلى الجانب الشرقي . ولما أزدحم السكن في الجانب الغربي ، بدت الأمور وكأنها قد أينعت للمضاربات في الأراضي ، وخاصة في إنماء الأسواق ، فلما انتقل الربيع إلى الجانب الشرقي ، حول قطيعته إلى أسواق ، ليحصل منها على ريع الايجارات ، فأصبح هو وابنه الفضل بن الربيع الذي تلاه من « الملاكين الغائبين » (أنظر اليعقوبي ٢٥٢) . وانظر مناقشة كاملة في ملحق(٢) . وذكر ياقوت أن سويقة غالب هي « موضع في بغداد » ولم يحدد مكانها بالضبط (أعلاه ٢٠١/٣ ، وكذلك ٩١٩/٤ – فيما له علاقة بهذا المكان أنظر أيضاً ليسترانج ٦٧ .

الخارطة ٤ مفتاح رقم ١٣) وعن ورثال أنظر ياقوت ٤ / ٩١٩ وكذلك ص ٨٤٣ . وكانت تقع في أرض في محلة نهر القلائين (أنظر أيضاً ليسترانج ص ٦٧ ، ٨٣ ، ٩١ .

(٤٨) الإشارة هنا إلى مساكنهم قرب باب خراسان (أنظر الخطيب ٨٧/١) ، وكانت للبرامكة أيضاً دور واسعة في الجانب الشرقي (أنظر سالمون : التاريخ ص ١١٣ هامش ٣ ليسترانج ص ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٥٥) .

(٤٩) تقع في الكرخ على نهر الكلاب (سهراب : عجائب ص ١٣٣ – إبن سيرابيون ص ٣٦) . أنظر أيضاً ليسترانج ص ٧٨ الخارطة ٤ .

(٥٠) عدد اليعقوبي السكك التي في المدينة المدورة (البلدان ٢٤٠ – ٢٤١) وتقع سكة شيخ ابن عميرة بين باب خراسان وباب البصرة في المدينة المدورة (اليعقوبي ٢٤٠) .

(٥١) يذكر ياقوت أن سليمان بن جعفر بن أبي جعفر ، حفيد أبي جعفر المنصور ، توفي سنة ٨١٤/١٩٩ – ١٥ (ياقوت ٥٦٣/٢) . وهي تقع مقابل الجسر (ابن الجوزي : مناقب ص ٢٧ ، ياقوت ٥٦٣/٢) . وينبغي أن لا تخلط بسكة بهذا الاسم أيضاً تقع بين باب خراسان وباب البصرة (اليعقوبي : البلدان ٢٤٠) ، ويوجد أيضاً

درب سليمان في الجانب الشرقي بالرصافة (إبن الجوزي أعلاه ص ٢٨) أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٠٨ ، الخارطة ٥ مفتاح رقم ٨ .

(٥٢) تقع في المدينة المدورة بين باب البصرة وباب الكوفة (اليعقوبي : البلدان ص ٢٤٠) . ويذكر اليعقوبي أيضاً سكة فيها منزل لصاحب الحرس (وطبعا غرف لرجاله)، وهي تقع في الرحبة المركزية الكبرى عند باب الشام (أعلاه) ، والمفروض أن هذا البناء للرجال القائمين بالواجب في منطقة القصر ، أما بقية رجال الحرس فكانوا يقيمون في السكة المذكورة أعلاه . ويبدو أن هذا ينطبق على الشرطة . أو بعبارة أخرى انهم يقيمون في الرحبة العامة الكبرى عندما يكونون قائمين بواجباتهم . أما منازلهم فكانت تقع في سكة بين باب البصرة وباب الكوفة .

(٥٣) ينبغي عدم الخلط بينهما وبين محلة أخرى بهذا الاسم تقع في الكرخ (انظر أدناه) وكانت (الزبيدية) أقصى إقطاع في الشمال من الجانب الغربي ، يحدها باب التبن من الغرب ودجلة من الشرق . أما حدودها الجنوبية فهي حيث يصب خندق طاهر في النهر عند الفرضة العليا ، وإن كانت في بعض الأزمان امتدت جنوباً إلى إقطاع البغيين (أنظر اليعقوبي : البلدان ص ٢٥٠ سهراب : عجائب ص ١٣٢ ، ١٣٣ – إبن سيرابيون ص ٢٤ ، ٢٥ ، ياقوت ٢ : ٥١٧ ، ١٤١/٤) ، والموضع الذي تذكره هذه المصادر يتفق مع النصوص الأخرى في ياقوت التي تذكر أن خندق طاهر يؤلف حداً بين « المدينة » و « الزبيدية » (أنظر الخطيب ٧١/١) فمن المحير أن يشير الخطيب هنا إلى أنها تقع بين باب خراسان وشارع دار الرقيق (أنظر أدناه ، وانظر ليسترانج : الفهرست ص ٣٨١ الخارطة ٥ ، وهي في الأصل لجعفر بن المنصور ، ثم أصبحت فيما بعد لزبيدة ، وكان يسكنها خدمها (اليعقوبي ٢٥٠ ،ياقوت اعلاه ١٤١) وقد أقام فيها المقتدر أيضاً (عريب ٨١)،وكانت في المئة الثامنة/الرابعة عشرة الميلادية خراباً بسبب ما أصابهامن الفيضانات (مراصد ٤٣٢/٢) . وكان شارع دار الرقيق متصلا بالحريم الطاهري ، ثم صار اسمه على مر الأيام يطلق على المنطقة المجاورة . ويذكر نص ورد عند ابن الجوزي أنها محلة واسعة فيها عدة قصور فخمة (مناقب ص ٢٧) . غير أن ياقوت الذي ألف كتابه بعد قرنين من الزمن ، وصف المحلة بأن معظمها خراب (اليعقوبي ص ٢٤٨ ، ياقوت ٥١٩/٢ ، ٨٠٤ ، ٢٣١/٣ ، ١٤١/٤) ، أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٢٣ – ٢٤ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٢٠) .

أما الاقطاع الجنوبي المسمى « الزبيدية » فكان يقع في محلة القلائين بالكرخ (أنظر الخطيب ١١٠/١ ١٤/ – ١٥ سهراب : عجائب ص ١٣٢ ، ١٣٣ – إبن سيرابيون ص ٢٤ ، ٢٥ ، ياقوت ٩١٧/٢ . أنظر أيضاً الملحق أ) .

(٥٤) هي بلدة تقع بين البصرة وواسط (أنظر ياقوت ١٣٢/٣ – ٣٣)،في س « سامر » ، غير أنه في ب ، ن (سمر) .

(٥٥) يقع وراء سويقة أبي الورد في إقطاع ابن رغبان و (أنظر هامش ٨٥ أدناه) أما الأنباريون المذكورون هنا ، فهم كتاب ديوان الخراج (اليعقوبي ٢٤٥) أنظر أيضاً ليسترانج

ص ٦١ ، الخارطة ٤ مفتاح رقم ٦) . أما بقية الموظفين العموميين المذكورين أدناه الذين اقاموا هنا ، فانظر عنهم : سورديل : الوزارة العباسية ٢ ، فهرست ٧٥١ ، ٧٦١، ٧٦٩ .

(٥٦) كان طاق الحراني يقع بين الشرقية وقصر الوضاح (اليعقوبي ٤٥) أنظر أيضاً ياقوت ٤٨٩/٣ — ٩٠ ، وأنظر ايضاً ليسترانج ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٦ ، الخارطة ٤، مفتاح رقم ٤٧) ، ويذكر أنه عمر بن سمعان (أعلاه ص ٢٤٥ ، ثم أصبح اسمه يطلق على المنطقة المجاورة الممتدة من القنطرة الجديدة إلى شارع باب الكرخ . وكان السوق القديم قبل بناء مدينة المنصور يدعى سوق بغداد (فتوح ص ٢٤٦ ، الخطيب ٢٥/١ — ٢٧) وكان يشمل منطقة طاق الحراني إلى باب الشعير والأماكن الملاصقة لشاطئ دجلة (فتوح أعلاه ياقوت ٣ / ٦١٣) . وعن باب الشعير أنظر الخطيب ٧٩/١ س ١٤ ، والطبري ٩١٠/٣ ، ٩١٤ والفصل ٣ التعليق ٢ .

(٥٧) عيسى بن احمد بن عثمان الهمداني ، وقد تردد ذكره ، غير أني لم أجد ترجمة له(أنظر المنتظم : الفهرست ٦ — ٩ .
أما أبو الحسن رزقويه ، فهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رزق ، وكان أيضاً مصدراً مباشراً للخطيب .

(٥٨) يقع في اقطاعه وراء سويقة عبدالوهاب قرب اقطاع ريسانه وكوثر بن اليمان ، أما مسجد الأنباريين فيبدو أنه يقع في هذا الإقطاع أيضاً (فتوح ص ٢٩٦ ، اليعقوبي ص ٢٤٤ — ٢٤٥ ، ياقوت ٤ / ١٤٢ — ١٤٢) وقد روى أن هذه المنطقة كانت قبل بناء بغداد مزبلة (ياقوت أعلاه ص ٥٢٤) ، ويقول اليعقوبي : إنها سميت بحبيب بن رغبان (أعلاه ص ٢٤٥ أنظر أيضاً ليسترانج ٦١ — ٩٥ ، الخارطة ٤ ، مفتاح رقم ٦) .

(٥٩) انظر : الطبري ٢٨٠/٣ ، ياقوت ٤٨٦/٤ ، ٨٤١/٤، ويقول اليعقوبي . إنه سمي برجل اسمه طابق بن الصمة (البلدان ص ٢٥٠) أنظر أيضاً ج . فييت : ترجمة البلدان ص ٣٤ التعليق ٤ . أما قصر عيسى فينبغي أن لا يخلط بالإقطاع الذي كان في الشاطئ الشرقي من الصراة قرب باب المحول (اليعقوبي ص ٢٤٤) ، وكان يقع على الرفيل حيث يصب في دجلة،وكان في زمن ياقوت قد تهدم وزال أثره . غير أن الاسم بقي يطلق على سوق لهذه المنطقة الآهلة بالسكان ، وكان يدعى سوق قصر عيسى (ياقوت ١١٧/٤ ، ٨٤١ أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٤٦ ، الخارطة ٤ ، مفتاح رقم ٤٣) .

(٦٠) وصف الخطيب نهر عيسى في فصل أنهار بغداد (١ / ١١١ فما بعدها) . أما دور المعبديين فكانت تقع في إقطاع بهذا الاسم قرب قنطرة عبدالله بن المعبدي (ياقوت ١٩١/٤ ، ٨٤٢) ، ثم أصبحت هذه الأرض فيما بعد لمحمد بن الزيات وزير الواثق ، وقد جعلها بستاناً (أعلاه أنظر أيضاً ليسترانج ص ٧٥ ، الخارطة ٤ ، مفتاح رقم ٤٠) .
أما دار البطيخ فانظر عنها: الخطيب ٨١/١ ، ١ ، ٦ ، وعن دار القطن أنظر : ياقوت ٢ / ٥٢٣ ، وكذلك ليسترانج ص ٨٤ ، الخارطة ٤ مفتاح رقم ٣٢ ، أما قطيعة النصارى فينبغي أن لا تخلط مع دار الروم في الجانب الشرقي ؛ وفي هذه القطيعة كان يقع دير

العذارى (ياقوت ٦٨٠/٢ ، ١٤٣/٤) أنظر أيضاً ليسترانج ص ٨٢ – ٨٣ ، الخارطة ٤ ، مفتاح رقم ٣٠) .

(٦١) كان إقطاع مسجد الواسطيين يقع على كرخايا قرب رحى أبي القاسم (سهراب : عجائب ص ١٣٣ – إبن سيرابيون ص ٢٥٠ أنظر أيضاً ليسترانج ص ٦٣ ، الخارطة ٤ ، مفتاح رقم ٩). ولم أستطع حتى الآن التحقق من خندق الصينيات ، ومن المعروف أن قنطرة بهذا الاسم ، وان كانت قراءة إسمها غير مثبتة كانت على الصراة قرب أرحاء البطريق (أنظر الخطيب ١١٢/١) ، أما الأرحاء فانظر عنها النص أدناه .

(٦٢) في النص « يمتد الى خندق الصينيات الى الياسرية » ولعل هناك عبارة ساقطة . إذ يبدو أنه يصف المواضع التي على نهر كرخايا (في جهة نهر عيسى ؛ إلى الجنوب) . أما الياسرية فكانت تقع على نهر عيسى ، تحدها كرخايا وهي على بعد ميلين من بغداد ، وميل من المحول ، وكانت معروفة ببساتينها وبقنطرة على النهر (سهراب : عجائب ص ١٢٣ – إبن سيرابيون ص ١٤ ، ياقوت ٨٤٢/٤ ، ١٠٠٢ ، أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٥١/٧٤ ، ١٥٢ ، الخارطة ٦ ، مفتاح رقم ٧٣) . وكانت براثا تقع عند نهر عيسى حيث يتفرع كرخايا إلى ضواحي بغداد ، قرب المحول (اليعقوبي ص ٢٤٤ ، الإصطخري ٨٤ ، إبن حوقل ص ١٦٥ ، ياقوت ٥٣٢/١ – ٣٤ ، ٢٥٢/٤) وكان هذا القسم في زمن ياقوت خراباً . أما أصل اشتقاق كلمة براثا فانظر عنه فرانكل . الكلمات الأجنبية. ٢٠ أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٥٣ – ٥٦ خارطة ٦ ، وأفضل أن أقرأ « محلة » بدل « شارع » أي أن براثاً تقع في الغرب من شارع الياسرية ، والفروسيج يقع إلى الشرق .

(٦٣) يقع درب الحجارة على كرخايا في مكان ما قرب باب المحول (سهراب : عجائب ص ١٣٢ إبن سيرابيون ٢٦ ، كذلك ياقوت ٢٥٢/٤ معتمداً على الخطيب) أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٥١ ، الخارطة ٦ ، مفتاح رقم ٢٠) ، وإنني أميل إلى الاعتقاد أنه يقع في مكان ما غربي المكان الذي وضع في خارطة ليسترانج ، وأقرب إلى براثا . ونص الخطيب صعب فهمه ، إذ يبدو أنه يشير إلى وجود قسم يدعى نهر كرخايا كان يقع بين الصراة شرقي قنطرة العباس ، وكرخايا شرقي درب الحجارة ، وكان قسم من براثا يقع غربي هذه الأماكن بين النهرين .

(٦٤) يشير ياقوت خطأ ، معتمداً على الخطيب ، إلى أرحاء أم جعفر التي كانت تقع على خندق طاهر في الحربية (أنظر ياقوت ٤ / ٢٥٢ ، وعن أرحاء أم جعفر أنظر : سهراب : عجائب ص ١٣٢ – ابن سيرابيون ص ٢٤) والاشارة الوحيدة التي وجدتها عن أرحاء أبي جعفر وردت في الطبري (٣ / ٨٨٧) . غير أن موضعها لم يذكر . أما محاولة ليسترانج اعتبار مكانها في أرحاء البطريق فيبدو غير ممكن ، لأن الأخيرة تقع مفترق الصراتين ، وبذلك لا يمكن أن تكون على كرخايا كما أشار الخطيب (أنظر ليسترانج ص ١٤٢) . ثم ان أرحاء البطريق بنيت في زمن المهدي . ومن الطريف أن نلاحظ أن نهر الرفيل بالرغم من أنه كان معروفاً منذ أوائل العصور الإسلامية (المئة

السابعة الميلادية) ++ لم يذكره سهراب (أنظر : ياقوت ٨٣٩/٤) وذلك لأن ياقوت يذكر أنه يصب في دجلة عند قصر عيسى ، أي حيث كان نهر عيسى يصب في النهر (أعلاه ص ١١٧ ، ١٩٠) أنظر أيضاً ليسترانج ص ٧١ - ٧٢) .

++ :- تدل إشارات كثيرة ، خاصة من سجلات الدواوين ، أن نهر عيسى هو الذي كان يسمى قبلا نهر رفيل ، وأن اسم نهر رفيل ظل مستعملا في السجلات الرسمية دون نهر عيسى (المترجم) .

(٦٥) هي الجزيرة التي بين الصراتين الأعلى والأسفل ، كان يزرعها العباس بن محمد أخو الخليفة ، ويقال انها كانت تزرع طوال السنة (اليعقوبي : البلدان ص ٢٤٢ - ٤٣ ، ياقوت ٣٠٠/٦ - ١١)، وكانت على الصراة الأسفل ثلاثة قناطر تتصل بالجزيرة (أنظر الخطيب ١١٢/١) ، وقد أخذ العباس إقطاعاً في الجانب الشرقي (اليعقوبي ص ٢٥٢ ، أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٤٣ ، ١٤٩ ، الخارطة ٦ ، الملحق ب) .

(٦٦) كانت الأرحاء تقع حيث تتفرع الصراتان : العليا والسفلى ، في شرقي العباسية (اليعقوبي البلـــدان ص ٢٤٣ ، ســـهراب : عجائب ص ١٣٢ - إبن سيرابيون ص ٢٤ ، ياقوت ٧٩٠/٢) . وقد ذكر أن فيها مئة حجر ، وأنها تغل مليون درهم في السنة (اليعقوبي ٢٤٣ ، أنظر أيضاً التعليق ٦٨ أدناه) ، ولم يبق من هذه الأرحاء شيءٌ في القرن الثامن / الرابـع عشر (مراصد ٤٦٣/١) أنظر أيضاً ليسترانج. ص ١٤٢-١٤٤، سنة ٣٠٦ ، الخارطة ٦ ، مفتاح رقم ١٠)، وقد ذهب سالمون الى أن هذا البطريق هو تاراسيوس الأرمني الذي انتصر على المســـلمين في معركة المالح سنة ١٦٥ هـ / ٧٨١ م (التاريخ ص ١٢٠ هامش ٢ ناقلا عن ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٤) وعلى أي حال يذكر ياقوت أن هذا الرومي توفي سنة ١٦٣ هـ /٧٧٩ م .

(٦٧) أبو عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع: ت ١٠٣١/٤٢٢ (الخطيب ١٠٥/٨ - ٦) يعقوب بن المهدي أي ابن الخليفة .

أما الفضل بن الربيع المتوفى سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٣ - ٢٤م ، فانظر عنه سورديل : الوزارة العباسية ٢ ، الفهرست ٧٦١) . وفي ياقوت مثل هذه الرواية ، ولكنها لا تعتمد على الخطيب (ياقوت ٢ / ٧٥٩ - ٦٠)

(٦٨) إن رواية ياقوت (٧٦/٢) تؤكد أنه ٥٠٠/٠٠٠ والأخيرة هي بلا شك تكرار زائد للكلام السابق (أنظر ص ٣٨ التعليق ١٢) وهذه القصة ليست دليلا على سخاء الخليفة فحسب ، بل على قدرته أيضاً في تقدير المشاريع المالية الجيدة . وعن مناقشة كاملة للسياسة الاقتصادية الجديدة للعباسيين ، أنظر الملحق ب .

(٦٩) لا أعلم أي إقطاع بهذا الاسم في الجانب الغربي . وقد ذكر الخطيب واليعقوبي إقطاعاً لخزيمة في الجانب الشرقي (أنظر الخطيب ص ٩٣ ، ١٣ - ١٤ اليعقوبي ص ٢٥١، ٢٥٣ ؛ أنظر أيضاً ليسترانج ص ٣١٨ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٥٩) .

(٧٠) يقع قرن الصراة عند ملتقى دجلة بالصراة (اليعقوبي ٢٣٥؛ أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٠١، الخارطة ٥) . أما إقطاع عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس ، فلم يكن موقعه على الشاطئ

بل نحو الداخل أكثر قرب باب المحول++ (أنظر اليعقوبي٢٢٤ وكذلك ياقوت ١٤٣/٤ ولا يحدد موضعه) ، والظاهر أن الخطيب يشير إلى اقطاع عيسى بن جعفر الذي يذكر اليعقوبي أنه يقع على شاطئ دجلة (أعلاه ص ٢٤٥ ؛ أنظر ليسترانج ص ١٤٦ ، وكذلك التعليق ٧١ أدناه) . ويقول ليسترانج إن إبن سيرابيون ذكر أن نهر عيسى حفره عيسى بن موسى ، ابن عم الخليفة المنصور ، غير أني لم أجد مثل هذا النص في ابن سيرابيون (أنظر ليسترانج : بغداد » ص ٧٢ ، إبن سيرابيون ص ٧٣ . التعليق على النص) .

++ : – المعروف أن قصر عيسى بن علي وإقطاعه كانا على نهر عيسى ، وهو بعيد عن باب المحول (المترجم) .

(٧١) س ، ج « عيسى بن جعفر وجعفر بن أبي جعفر » ، والتعديل المقترح « لعيسى ولجعفر « أنظر ص ٣٩ التعليق ١ » ، وإني أحتفظ بالقراءة الأصلية في ترجمتي . ويبدو أن الأرجح أنالنص مضطرب ، أشك أن تكونالقراءة الصحيحة «القسم من شاطئ دجلة الذي يمتد من قصر عيسى إلى الدار التي على قرن الصراة التي يسكنها اليوم إبراهيم بن أحمد قد أقطعت الى عيسى بن جعفر . وسمي قصر عيسى بعيسى بن علي، أي ابن عبدالله بن العباس ، الذي سمي النهر باسمه . أما الفرضة وإقطاع جعفر فقد سميا بجعفر بن أبي جعفر « وهذه القراءة تزيل التثبيت الصعب المذكور في التعليق ٧٠ أعلاه .

(٧٢) ينبغي أن لا يخلط بينه وبين قصر حميد بن قحطبة ، الذي سمي باسم حميد بن عبد الحميد ، وهو أحد قواد المأمون ، وكان يقع على شاطئ دجلة قرب الجسر الأسفل (أنظر ليسترانج ص ٤٥ – ٩٦ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ١ ، مقتبساً من الأغاني) .

(٧٣) علي بن محمد بن عبدالله المعدل : ت ١٠٢٤/٤١٥ (الخطيب ٩٨/١٢ – ٩٩) .
الحسين بن صفوان البرذعي : ت ٣٤٠ / ٩٥٢ (الخطيب ٨ / ٥٤ .
أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا : ت ٨١٦/٢٠١ (بروكلمان الملحق ٢٤٧/١) .
الحسن بن أبي هاشم الكوفي : لم تتحقق هويته .
وقد أخبرني ف . روزنثال : أن هذه الأبيات وردت في كتاب « الاعتبار » لا بن أبي الدنيا « مخطوطة برنستون » .

(٧٤) تقع في إقطاع البغيين تحت سوق الفرضة والزبيدية . وكان هذا القصر لحفص بن عثمان الذي كانت جماعته تقيم قربه (اليعقوبي ٢٤٩ – ٥٠) أنظر أيضاً التعليق ٢٤ أعلاه .

التعليقات على الفصل السادس

(١) يتكلم ليسترانج في تتبعه تاريخ بغداد الخططي ، عن الانتقال الى الجانب الشرقي إبان المئة الخامسة / الحادية عشرة . والواقع أن انتقال الموقع نحو الجنوب كون مدينة جديدة يحيط بها سور المستظهر (٢١٧ – ١٨ ، ٣١٦ – ١٧ ، ٣٢٣) . أما ماسينون فانه يناقش (ويؤيده في ذلك ، هرزفيلد) موقـع المدينـة على أساس انه عمل مستمر وعـام وان تثبيت مكان الاصناف في المواقـع الخططية في أية مدينة اسلامية يرجـع الى بداية تأسيسها (بعثة ٢/٩٠-٩٢ ، رحلة آثارية ١٤٧/٢ – ٤٨) ويتفق كانارد مع ماسينون على تثبيت الأسواق ، ولكنه يناقش مؤيداً الانتقال الجنوبي للجانب الشرقي (الحمدانيين ص ١٥٨ – ٦٣) أنظر أيضاً ج . مقدسي : خطط ص ١٧٩ وقسم ٢

(٢) أنظر الخطيب ١ / ٩٢ س ١ – ١٣ / عن اقطاع خزيمة بن خازم في الجانب الغربي . وكان هذا الاقطاع اول ما يلقاه المرء بعد الجسر العام حين يدخل منطقة باب الطاق . وكان خزيمة ابن خازم على الشرطه في زمن المهدي . ولعل اختيار هذا الموضع له لكي يحمي مداخل الرصافة والقسم الأعلى من المخرم ، أي قصر الخليفة والمركز الإداري للحكومة .

(٣) كان طاق أسماء طاقاً كبيراً في قصرها ، وهو يقع بين الرصافة ونهر المعلى (أي في المخرم)، ثم أصبح اسمه يطلق على كل المحلة التي أصبحت تسمى محلة باب الطاق . وقد روى أنها كانت مجتمـع الشعراء في زمن الرشيد (ياقوت ١ / ٤٤٥ – ٣ / ٤٨٩) أنظـر أيضاً ليسترانج ص ٢١٨ ، ٣٢٠ خريطة ٥ مرجـع رقم ٥٩ ، مقدسي خطط ص ١٨٥ التعليق ٤ . ويقول ياقوت : إن الموفق أقطعه لإبن جهشيار (أعلا ص ٤٨٩/٣) أما بين القصرين ، فان ياقوت يذكر أنه موضع كبير في باب الطاق بين قصر أسماء وقصر عبدالله (اعلاه ١/٧٩٩) أنظر أيضاً ليسترانج ص ٢١٨ ، أما باب الطاق ، فانظر عنه قسم ٢ ج

++ :– المعروف ان طاق أسماء يقـع في المحلة المسماة بباب الطاق وفيها مدفن ابي حنيفة وكثيراً ما كانت تسمى في المصادر المتأخرة محلة أبي حنيفة وهي تقـع فى شمال الرصافة ، أي بعيداً عن المخرم وعن المعلى (المترجم) .

(٤) يقع على الشارع المؤدي إلى إقطاع الفضل بن الربيع (اليعقوبي ٢٥٣) ، ويذكر اليعقوبي أن فيه تجار الطرائف من الصين (أعلاه أنظر أيضاً ج . فيت: ترجمة كتاب البلدان ص ٤١ ، التعليق ٣) ، ويذكر ياقوت أن فيه سوقاً للجرار ، وفي المئة السابعة / الثالثة عشرة كان إسمه يطلق على كل المحلة المسماة الخضيرية (ياقوت ٤٥٣/٢ ،مراصد ٣٥٧/١) أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٧٣ – ١٩٧ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٤٣) .

(٥) تقع قرب الجسر بين قصور الأمراء والوزراء (اليعقوبي ٢٥٣ ، وذكر إبن عقيل كما ورد في « مناقب بغداد » ١٧ ، ٢٦ ، والمنتظم ٤٦/٥ ، ٨٢/٩ ، ياقوت ١٩٥/١) أنها كانت سوقاً كبيرة لأهل باب الطاق ، ويقول سالمون وليسترانج إنها تدمرت عند دخول السلاجقة بغداد في سنة ٤٤٧ هـ/١٠٥٥ م (سالمون ص ٦٥ ليسترانج ص ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، الخارطة رقم ٥ ، مفتاح رقم ٤٥) . غير أنها ذكرت في « مناقب بغداد » (أنظر أعلاه » وفي المنتظم ٨٥/٩ ، أن أهلها شاركوا في بناء سور المستظهر

سنة ٤٨٨ هـ /١٠٩٥ م ، ولا بد أنها خر بت في زمن ما بعد ذلك ، لأن ياقوت (في المئة السابعة (١٣ م) يذكر أنه لم يبق لها أثر في زمانه . ويقول الخطيب إنها سميت بيحيى بن خالد البرمكي ، ثم صارت بعد ذلك إلى أم جعفر ، وبعد الحرب بين الأمين والمأمون ، أقطع المأمون سوق يحيى لطاهر بن الحسين (أعلاه ص ١٩٥ ، ولكن اليعقوبي ص ٢٥٣ يذكر أنها سميت باسم يحيى بن الوليد) أنظر أيضاً م . كانارد : الحمدانيون ١٦١/١ ، ١٦٤ مقدسي : خطط ١٨٠ التعليق .

(٦) ج ، س « عضاة » يقرأ « يسار » . وكانت السويقة تقع بين الرصافة ونهر المعلى، وهذا هو التعبير الذي يحدد به ياقوت عادة المخرم (ياقوت ٢٠١/٣) ، وهو يقرأ بصورة صحيحة : معاوية بن عمرو) ، ويذكر الخطيب أيضاً مربعة بهذا الاسم في الجانب الشرقي (الخطيب ١٣٦/١٣) .

(٧) ج « عمارة بن أبي الخطيب مولى روح بن حاتم ، وقال بعضهم : « إنه مولى المنصور » ، وكانت تقع على شارع الميدان ، ثم أصبحت فيما بعد للربيع بن يونس ، ثم لأم حبيب في أيام المأمون ، وفي الأزمنة المتأخرة صارت مقام الأمراء قبل أن يتخذوا مقامهم في قصر المهدي بالرصافة « ياقوت . معجم ١٠٨/٤ . يقرؤها عباد بن الخصيبي » .
ولم أجد دليلا يؤيد ليسترانج في أن أسسها كانت ملاصقة لقصر المهدي (ص ١٩٧ الخارطة ٥) .

(٨) تقع على نهر المهدي (سهراب ؛ عجائب ص ١٣١ — إبن سيرابيون ص ٢٣ ، أنظر أيضاً ياقوت ٢٠١/٣ ، ولم يحدد موقعها بالضبط) أنظر أيضاً ليسترانج ص ٢٠٧ ، ٢١٤ ١٥ الخارطة رقم ٥٧ .

(٩) س « الجرشى » ج « الخرسى»، وهو فيما يقول اليعقوبي يقع قرب إقطاع بدرالذي لم يحدد موقعه (البلدان ٢٥٢) ، ويحدد سهراب موقعها في مكان ما بالمخرم (عجائب ص ١٣٠ إبن سيرابيون ص ٢٢) ، وكان في زمن ياقوت قد خرب تماماً وجهل مكانه ، غير أنه يذكر أنه كان في المنطقة التي بين نهر المعلى والرصافة،أي في المخرم ، وفي نص آخر لياقوت يجعل موقعها بين الرصافة وباب الشماسية قرب مسناة معز الدولة (ياقوت ١٩٤/٣) . ويذكر اليعقوبي (أعلاه) أنها كانت فيها أسواق من كل صنف ، وقد شبهها بالكرخ . وسوق العطش كانت السوق الرئيسة للقسم الأعلى من الجانب الشرقي ، كما كان الكرخ سوق القسم الأدنى من الجانب الغربي وسوق الثلاثاء للقسم الأدنى من الجانب الشرقي (انظر أيضاً ليسترانج ص ٢٢١ — ٢٤ ، الخارطة ٥ مفتاح رقم ٦٦ وكانارد : « الحمدانيون ص ٦٦١ ، والأخير يحاول أن يقرنها بسوق الثلاثاء (أنظر هامش ٢٥ أدناه) وقد تابع كانارد ما سينون في تحديد أسواق المدينة (أنظر القسم ٢ ج) فمن الضروري له أن يضع كل الأسواق الكبيرة في الجانب الشرقي في تلك المنطقة العامة ، أي في القسم الأدنى من المخرم . وعلى أي حال فمن الواضح أن هذا السوق كان يقع على النهر أكثر شمالا قرب الجسر العام في القسم الأعلى من المخرم (عريب ص ٢٨-٢٩ الصولي : أخبار الراضي والمتقي ٩٠) .

(١٠) س « ابو النصر » .

(١١) أنظر الخطيب ١١٥/١ ، ١ - ١٠ . ويقول ياقوت: إن ابن الحطم بنى جسر البردان، وكان يملك ما حوله (ياقوت ١٨٧/٤) .

(١٢) علي بن محمد بن المغيرة الجوهري ، اواخر القرن السادس (الخطيب ١٠٥/٨) .

(١٣) يفترض سالمون أن الأبواب الثلاثة هي باب البردان ، وباب الحديد ، وباب خراسان في الجانب الشرقي (التاريخ ص ١٢٣ هامش ١) ويبدو أن الأقرب إلى الاحتمال هو أنه يشير هنا إلى الأبواب الثلاثة التي تقع على سور بغداد الشرقية وهي : باب الشماسية ، وباب البردان، وباب خراسان ، فالمنطقة المذكورة إذاً تشمل معظم الجانب الشرقي (أنظر كانارد : ١ / ٢٠٣ ، التعليق ٤ مقتبساً من الطبري ٣ / ١٥٧٦ ، المسعودي : مروج ٤٤٣/٦) ويذكر ليسترانج مكاناً خارج سور المدينة « الثلاثة ابواب » التي يذكر اليعقوبي أنها خارج حدود المدينة الشرقية (البلدان ص ٢٦٩) غير أنه لا يوجد ذكر فيما يقول ليسترانج ، لمكان يكتب بأل التعريف (ثلاثة الأبواب) أنظر ليسترانج ٢٠٣ التعليق ٢ ، الخارطة ٥ وكان شارع الميدان شارعاً طويلا يمتد من الشماسية إلى سوق الثلاثاء (ياقوت ٢٣١/٣ - ٣٢ ، وعن سوق الثلاثاء أنظر التعليق ٢٥ ، وانظر أيضاً ليسترانج : الخارطة ٥) .

(١٤) تقع في إقطاعه (اليعقوبي ص ٢٥٣ ياقوت ٤٨٥/٤) ، ولم يحدد موقعها بالضبط . (أنظر ليسترانج ٢٢١ - ٢٢ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٦٧) .

(١٥) تقع فوق سوق يحيى (أنظر التعليق ٥ أعلاه) ، ويقول ياقوت : إنه إقطاع أقطعه الرشيد إياه . وقد خربت مع دار إبنه عمر حين عاقب المتوكل هذا الابن (ياقوت ٢ / ٥٥٢ وكذلك أنظر النص أدناه) وكان فرج وابنه واليين للعباسيين (أنظر سورديل الوزارة العباسية ٢ الفهرست ٧٦٢، ٧٨٥ ويقصد بأم الولد الجارية للتي تصبح حرة بعد وفاة سيدها (أنظر دائرة المعارف الاسلامية / مادة (أم ولد) .

(١٦) توفي يزيد في سنة ٦٤ ﻫ / ٦٨٣ م ، فيكون عبدالصمد قد توفي بعد ١٢١ سنة ، أي في سنة ١٨٥ ﻫ / ٨٠١ م - (أنظر ابن خلكان : وفيات ٢٩٦/١)،ويقول ابن خلكان: إن محمد بن علي توفي سنة ١٢٦ ﻫ /٧٤٣ م - وأن داود بن علي توفي سنة ١٣٣ ﻫ/ ٧٥٠ م . ولما كان عبدالصمد قد توفي ، فيما يروى ، بعده باثنتين وخمسين سنة ، فان هذه الرواية تتفق مع تاريخ ٨٠١/١٨٥ - ٢ المذكور سابقاً .

(١٧) أنظر ياقوت ٥٩٤/٢ ، ولم يحدد موقعها ، وقد شيد الوزير أبو الحسن بن الفرات فيها بيمارستاناً في سنة ٣١١ ﻫ / ٩٢٤ م (أنظر ابن الجوزي : المنتظم ١٧٤/٦ ، إبن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٢٢٤/١) . أما بيمارستانات بغداد فانظر عنها الفصل العاشر، التعليق ٩ .

(١٨) تقع قرب باب المقير (اليعقوبي ٢٥٣ ، وكذلك ياقوت ٧٦٧/٢) غير أنه لم يحدد موقعها بالضبط .

(١٩) تقع في المخرم ، وقد ذكر أن نهر موسى ينتهي عند أساس القصر (سهراب : عجائب ص ١٢٩ - إبن سيرابيون ٢١) أنظر أيضاً ليسترانج ص ٢٢٦ - ٧ الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٧٥ ، وهو يقرأها « بانوجه » .

(٢٠) س « العباسية ». وقد ذكر ياقوت السويقة (٢٠٠/٣) من غير تحديد لموقعها . أما القصر ، فالمفروض أنه كان يقع هناك . وقد أخذ العباس اقطاعه بعد أن عمر العباسية في الجانب الغربي (اليعقوبي : البلدان ٢٥٢) . ولا ريب في أن الانتقال إلى الجانب الشرقي حدث يوم انتقلت الخلافة إلى الرصافة . أما العباسية في الجانب الغربي فانظر عنها النص أعلاه .

(٢١) ج « عبيد الله بن أحمد الصيرفي » .
إبن دريد : ت ٣٢١ / ٩٣٤ (بروكلمان : الملحق ١٧٢/١ – ٧٤) .

(٢٢) أبو علي الخرقي : لم تتحقق هويته .
عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل ، ت ٩٣٠/٢٩٠ (الخطيب ٣٧٥/٩ – ٧٦) .

(٢٣) محمد بن أبي علي : لم تتحقق هويته .
محمد بن عبدالمنعم بن إدريس : ورد ذكر أبيه في الخطيب (١٥١/١١ – ٥٤) . غير أني لم أجد ترجمة له .
هشام بن محمد : ت ٢٠٦ / ٨٢١ (بروكلمان : الملحق ٢١١/١) .

(٢٤) أنظر البلاذري : فتوح ص ٢٤٩ . المخرم هي المنطقة العامة بين الرصافة ونهر المعلى (ياقوت ٤٤١/٤) .

(٢٥) تقع عند الجسر الأسفل ، وكان هذا القسم يسقيه نهر المعلى (سهراب : عجائب ص ١٣٠ إبن سيرابيون ص ٢٢) ، وكان يقام فيه قبل بناء مدينة المنصور سـوق يوم الثلاثاء مرة في كل شهر لأهل كلواذى وبغداد، وبه سمي هذا السوق (ياقوت ١٩٣/٣–٤) وينبغي عدم خلط هذا السوق بآخر يسمى باسمه ، ويقع في الجانب الغربي (البلدان ص ٢٤٦) أنظر أيضاً ليسترانج، الفهرست ص ٣٧٨، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٧٩ ، ما سينون : « بعثة ٩٢/٢ – ٩٣ – في الأزمنة الحديثة ؛ كانارد : الحمدانيون ١٥٩/١ – ٦٢ وخاصة ص ١٦١ حيث يقرنه بسوق العطش (انظر هامش ٩ أعلاه) ، وعن اسم سوق الثلاثاء أنظر: هرزفيلد ، رحلة آثارية ٢ / ١٠٥ – ٦. وكلواذى: طسوج في الطرف الشرقي من بغداد ، وكان خراباً أيام ياقوت (أنظر ياقوت ٣٠١/٤) أنظر أيضاً ليسترانج : الفهرست ص ٣٦٨ ، الخارطة ٣) .

(٢٦) كانت في أيام ياقوت خربة (ياقوت ٢٠٠/٣) ، ولم يحدد موضعها . أنظر أيضاً ليسترانج ص ٢٢٦ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٧١ – حيث يضعها قرب دار ابن الخصيب، ولعله يشير في ذلك إلى ابن أبي الخصيب الذي سيذكر أدناه .

(٢٧) يقع في المخرم ياقوت ٥٢١/٢) أنظر أيضاً ليسترانج ص ٢٢٧ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٧٦ – حيث يشير إليه « الخصيب . أما قصر عمارة بن أبي الخصيب ، فكان يقع إلى الشمال أعلى من ذلك على شارع الميدان (أنظر التعليق ٧ أعلاه) .

(٢٨) لا يعرف بالضبط موقع عيساباذ ، ويذكر ياقوت أن المهدي أقطعها لابنه عيسى ، ثم بني فيها بعد ذلك قصر السلام « الذي كلف بناؤه مليون درهم (ياقوت ٧٥٢/٣ – ٥٣ والنص أدناه) أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٩٤ التعليق ١ ، ومع أن قصر الخليفة كان في الرصافة، إلاّ أن هنالك ما يسوغ الاعتقاد بأنه لمابنى قصر السلام كان كثير من الأعمال الإدارية

تتم في عيساباذ (الطبري ٥١٧/٣) . وقد بنيت في البداية محال موقته من اللبن ، ثم أقيمت بعد ذلك مساكن بالآجر ، ويقول الطبري : إن الأسس وضعت في ذي القعدة سنة ١٦٤ هـ / ٧٨١ م ، وإن الخليفة صار يقيم فيه في سنة ١٦٦ هـ / ٧٨٢ – ٨٣ م (اعلاه ص ٥٠١ ، ٥١٧) .

(وقد بحثناه بتفصيل في مقالنا : « منازل الخلفاء العباسيين وقصورهم في العهود العباسية الأولى » المنشور في مجلة سومر (المترجم) .

(٢٩) يبدو أن هذا يناقض الكلام السابق ، غير أن النص واضح وصريح ، لا لبس فيه .

(٣٠) ولى الرشيد ابراهيم بن الأغلب على إفريقية ، بمشورة هرثمة ، على أن يدفع ٤٠/٠٠٠ دينار (سنوياً)، وكان هذا في سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م،وانظر عن دولة الأغالبة : دائرة المعارف الا سلا مية / الطبعة الثانية / مادة « أغالبة » .

(٣١) أنظر ياقوت ٣٦٣/٣ ، ولم يحدد موقعها ، وكان له أيضاً إقطاع في الجانب الغربي على شـاطئ دجلة (أنظر الخطيب ص ٨٧ س ١٠ – ١١) . ولعل هذه الدار بنيت عند انتقال الخلافة إلى الرصافة .

(٣٢) تقع خارج بغداد على طريق خراسان (ياقوت ٢٥/٤ – وهو يذكر الحسين بن سكين) .

(٣٣) كان موقعه قرب حوض هيلانة وحوض الأنصار ، وهذه الثلاثة تأخذ ماءها من فرع من نهر موسى (سهراب : عجائب ص ١٣٠ – إبن سيرابيون ص ٢٢) . ويذكر ياقوت أنها سميت بداوود بن المهدي بن المنصورالذي يروىأنه كان له إقطاع قرب سوق العطش (ياقوت ٣٦٢/٢) ، ولما كان داوود بن علي ، عم المنصور، قد توفي قبل بناء مدينة السلام (الخطيب ٧٨/١ ، والتعليق ٤٩) فيبدو أن رواية الخطيب غير صحيحة . وعن شؤون أخرى لداوود أنظر النص أدناه ، وأنظر أيضاً ليسترانج ص ٢٢٣ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٦٠ .

(٣٤) يقع قرب حوض الأنصار وحوض داوود (أنظر التعليق ٣٣) وهي فيها يقول ياقوت قهرمانة للمنصور ، وكانت تدعى هيلانة لأنها كانت تسرع ترديد القول « هيا لانه » (انظر التعليق ٣٦ الآتي) ، وكان لها أيضاً إقطاع في الجانب الغربي قرب باب المحول (ياقوت ٣٦٢/٢ – ٦٣ ، ويذكر في ص ٧٥٢ أن هيلانة محظية الرشيد . أنظر النص أدناه) . وعن ربض هيلا نة أنظر ليسترانج ص ١٤٦ .

(٣٥) س « الجوهري» الحسن بن علي بن محمد : أنظر الفصل ١٢ التعليق ٢٢ .

أحمد بن محمد بن عيسى المكي : ت ٩٣٤/٣٢٢ (الخطيب ٦٤/٥) .

محمد بن القاسم بن خلاد : أنظر الفصل الثاني ، التعليق ٢٢ .

الأصمعي : ت ٨٢٨/٢١٣ (بروكلمان الملحق ١٦٤/١–٦٥) .

(٣٦) يبدو أنه اصطلاح عامي ، وجدير بالملاحظة أن ياقوت يذكر هذا الخبر عن هيلانة قهرمانة المنصور (أنظر التعليق ٣٤) ، ولعل هذا الأسم يوناني (سالمون . المصدر أعلاه) .

(٣٧) إن الإسناد المذكور أعلاه قد ورد في كتاب الأوراق للصولي ، غير أني لم أستطع الحصول على مادة لترجمة الاصفهاني والكلابي ومحمد بن عبدالرحمن .
العباس بن الأحنف : ت ٨٠٨/١٩٣ (أنظر دائرة المعارف الاسلامية / الطبعة الثانية / مادة (العباس بن الأحنف) .

(٣٨) تقع على شاطئ دجلة تحت سوق الثلاثاء . وقد بنى هذا القصر في الأصل جعفر البرمكي وأهداه إلى المأمون الذي سمح للحسن بن سهل بالإقامة فيه . فلما مات الحسن انتقل القصر إلى ابنته بوران التي أعطته فيما بعد للمعتضد (أنظر الخطيب ٩٩/١) .

(٣٩) لعله دار دينار الصغرى الذي كان فيما يقول ياقوت يقع في الجانب الشرقي (بين سوق الثلاثاء ودجلة) ، وهو يذكر أيضاً دار دينار الكبرى ، ولكنه لا يذكر شيئاً عن موقعها (١٩٦/٣ الصولي : أخبار ١٣٩) ، ويذكر هذا أن السجن الأدنى نقل إلى دار دينار في سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠م في خلافة المتقي) . أما دار رجاء فقد ذكرها ياقوت ، غير أنه لم يحدد موقعها بالضبط (أعلاه ص ٥١٩).ويستنتج من الخبر أن فصرالمعتصم كان أقرب إلى الشاطئ مما ذكره ليسترانج (الخارطة ٥) ، والأرجح أن القصر كان على كان على الجانب الأيسر من طريق الشاطئ الأكبر (أنظر سهراب : عجائب ص ١٣٠ إبن سيرابيون ص ٢٢) ، ومن المحتمل أيضاً قرن قصر المأمون بالمذكور هنا ، فالمعروف أنه كانت للمأمون ثلاثة قصور في الجانب الشرقي هي : القصر الحسني الذي يقع أسفل من ذلك عند سوق الثلاثاء ، وقصران آخران أحدهما قرب القصر المأموني (الحسني) ، والثالث قرب بستان موسى (إبن أبي طاهر طيفور : تاريخ ، ط القاهرة، ص ٩ — ١٠)، والقصر المذكور هنا هو أحد القصرين الأخيرين ، والمفروض أنه الذي عند بستان موسى .
أما آل وهب فانظر عنهم سورديل : الوزارة العباسية ، الفهرس ص ٧٨٦ .

(٤٠) هذه الأرقام مذكورة في اليعقوبي (٢٥٠ ، ٢٥٤) .

تعليقات على الفصل السابع

(١) إن المهدي كان مقامه الرسمي في الرصافة ، الا أنه كثيراً ما كان يقيم في قصر لهوه بعيساباذ التي كانت أيضاً مركزاً إدارياً للخلافة (أنظر الخطيب ٩٦/١ س ١-١٢) . وبعد أن توفى الهادي فيه ، انتقل الرشيد إلى الجانب الغربي فأقام في « الخلد » ، وكذلك فعل إبنه الأمين ، وبعد قيام الحرب بين الأمين والمأمون ومقتل الأمين ، اختار المأمون البقاء في خراسان بين أنصاره الفرس ، ولم يعد إلى بغداد ، وصار قصره ببغداد للحسن بن سهل ، فلم يسكنه المأمون بعد أن أصبح خليفة . فلما عاد من خراسان سنة ٢٠٤ هـ/ ٨٤٩ م ، أقام أولا بالرصافة ، ثم بنى لنفسه قصراً على شاطىء دجلة الأيسر عند المخرم (أنظر هامش ٢ أدناه) . وقد أقام المعتصم قبل انتقاله إلى سامراء في قصر هناك . أما الخلفاء السبعة الذين تلوه فقد أقاموا في سامراء ، ما عدا المستعين السيء الحظ الذي انتقل إلى مدينة المنصور . ثم عاد الخلفاء العباسيون إلى بغداد منذ أن انتقل المعتمد من سامراء (٨٩٢/٢٧٩). غير أن المعتمد لم يقم فيالخلد كما فعل الخلفاء السابقون ، بل اتخذ مقامه في الجانب الشرقي تحت سوق الثلاثاء . وكانت دار الخليفة ، أو دار الخلافة، تطلق على المنطقة التي حول داره، وكان « حريم الخلافة » يتكون من ثلاثة قصور كبيرة: (قصر الفردوس ، وقصر الحسني ، والتاجي) ، وحولها عدد من الأبنية الصغرى ويحيط بها سور شبه دائري . وكان الصعود إلى دار الخلافة » يتم عن طريق من شاطىء دجلة أو من أحد الأبواب الثمانية التي كانت في سوره . والعلاقة بين هذه الأبنية بعضها ببعض غير واضحة . ثم بني قصر رابع (الثريا) على بعد ميلين (٤ كيلو مترات) من دار الخلافة ، وكان يرتبط بها بآزاج تمر تحت الأرض . ويذكر هلال الصابي (رسوم ص ٢٨) أنها أصبحت في زمنه (ت ١٠٥٦) نصف ما كانت عليه سابقاً بسبب الاضطرابات التي حدثت منذ زمن المقتدر ، أي أن الأبنية التي كانت ترتبط بالأبنية الرئيسة ، وحديقة الحيوانات ، وقصر الثريا ، قد أصبحت خراباً « أنظر سهراب : عجائب ص ١٢٩= إبن سيرابيون ص ٢١-٢٢ ، ياقوت ٢٥٤/٢-٥٥؛ ليسترانج : بغداد ص ٢٤٢-٧٨ الخارطة ٨ كانارد : الحمدانيون ١٦٩/١-٧٤ الخارطة ٤ .

(٢) لقد انفق على بناء القصر في الأصل جعفر البرمكي مربي المأمون ، لإبنه . ولما خشي عدم رضى الخليفة الرشيد عن مثل هذا البناء الفخم ، أعطاه للمأمون إبن الخليفة ، وبذلك تغير اسمه من القصر الجعفري إلى القصر المأموني ، ثم بنى فيه المأمون قبة وحديقة للحيوان وأجرى نهراً ساقه من نهر المعلى (انظر الخطيب ١١٥/١) ليمده بالماء للشرب ، ثم فتح له باباً شرقياً إلى جانب البرية التي بقربه ، وابتنى قريباً منه منازل برسم خاصته واصحابه سميت « المأمونية » . ولما انتهت الحرب بين الأمين والمأمون بقي المأمون في خراسان فسكن الحسن بن سهل القصر . فلما عاد المأمون إلى بغداد سنة ٨١٩/٢٠٤) ، أقام في قصور الخلافة والخلد ، ثم بنى دارين على شاطىء دجلة قرب قصر المأمون وبستان موسى (إبن أبي طاهر طيفور : تاريخ بغداد ، ط القاهرة ، ص ٩-١٠ . ومن الواضح أن الخطيب ذكر أحد هذين القصرين في وصفه لشاطىء دجلة (الخطيب ٩٨/١) .

وقد زوج الحسن ابنته بوران من المأمون في سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م) غير أن الزواج لم يتم الا في سنة ٢١٠ هـ /٨٢٥-٦ م) . ولما كانت بوران تقيم في القصر المأموني ، أعطى الحسن القصر فأصبح يسمى القصر الحسني (انظر ياقوت ١/٨٠٦-٨ ، دائرة المعارف الاسلامية . مادة : « الحسن بن سهل ، الطبعة الثانية مادة « بوران » . أنظر أيضاً ليسترانج ص ٢٤٣-٤٦ الخارطة ٨ مفتاح رقم ١ أما عن مدعي المعتضد فانظر التعايق ٣ الآتي) .

(٣) يقول ياقوت إن المعتضد هو أول من بدأ بناء « التاج » ، ويذكر أنه جمع الرجال لحفر الآساس ، ثم اتفق خروجه الى آمد ، فلما عاد رأى الدخان يرتفع الى الدار فكرهه . (ابن الجوزي ٥-٢ / ١٤٤) وترك خطته في هذا المكان وابتنى على نحو ميلين(٤ كيلو مترات) قصراً سمي (قصر الثريا) . أما (التاج) فقد أكمله المكتفي بأن أخذ مواد البناء من خرائب القصور الساسانية في المدائن ، فهدمت شرفات تلك القصور واستعمل طابوقها في بناء التاج . ثم أضيف اليه حرم . ثم تدمر القصر بحريق في سنة ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤ م ، وأعيد بناء بعضه بعد ذلك . ويرى ليسترانج أن القصر تدمر كلياً . غير أن ج مقدسي رد على ليسترانج وقال بأنه لم يرد دليل على أن القصر كان قد تدمر كلياً في ذلك الوقت (خطط ص ١٣٤ / التعليق ٢) ونقل كلاماً عن ابن الجوزي : (المنتظم ١٠ / ١٥٧ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، وإبن الأثير الكامل ٩ / ٥١) . ثم هدم أخيراً وبني مكانه بناء جديد في عهد المستضيء (٥٧٤ / ١١٧٨) (أنظر ياقوت ١ / ٨٠٨ - ٩ ، ليسترانج . الفهرست ص ٣٦٨ خارطة ٨ مفتاح رقم ٢) .

(٤) الثريا بناه المعتضد ، وكلفه أربعمائة الف دينار وكان يشغل نحو ثلاثة فراسخ (!)، ويبعد ميلين (٤ كيلو مترات) من دار الخلافة ويرتبط بالقصر الحسني بآزاج . وقد تدمر ، فيما يقول ياقوت ، بالفيضان الأول الكبير في بغداد ، ولعل هذا يشير الى سلسلة الفيضانات التي اجتاحت الجانب الشرقي في أواسط المئة الخامسة (١٢م) . ويشير ليسترانج إلى أنه تدمر في سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣ - ٤ على الرغم من أن من المحتمل أن القصر تدمر بالفيضان الأول (٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م) إذ ورد ذكره بالعلاقة بهذا الفيضان، وليس الفيضان الذي تلاه (أنظر المسعودي : مروج ٨ / ١١٦ ، إبن الجوزي : المنتظم ٨ / ٢٥٤، ٢٨٥ ياقوت ١ / ٨٠٨، ٩٢٤ ، أنظر أيضاً ليسترانج الفهرست ص ٣٧٩، الخارطة ٣ جورج مقدسي خطط ص ٢٨٦ - ٩٠) .

(٥) يذكر ياقوت في كلامه على انتقال بوران أن الخليفة هو المعتمد (ياقوت ١ / ٨٠٨) ، غير أن المعتمد لم يقم ببغداد إلا في السنة الأخيرة من حياته (٢٧٣ هـ/٨٩٢ م) ، ويرى ليسترانج أن الانتقال حصل إبان الزيارة الموقتة في سنة ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣ م) (ص ٢٤٨-٤٩) أما ابن الجوزي فيقول في حوادث سنة ٢٨٠ هـ/٨٩٣-٨٩٤ م إن المعتضد هو أول خليفة أقام في القصر الحسني (المنتظم ٥-١٤٣/٢) . ومن الممكن طبعاً أن هذا القصر قد أعطي للمعتمد ، غير أنه لم يتخذه قصراً رسمياً له . ثم أن المعتضد جدد هذا القصر وأحدث فيه مطامير للحبس (أنظر الخطيب / ١٠٩ ، إبن الجوزي : المنتظم ص ١٤٣-٤٤) ، وفي خلافة المكتفي هدمت هذه المطامير ، وحول السجن الى جامع (أنظر الخطيب ١ / ١٠٩ ،

إبن الجوزي : المنتظم ٣٣/٦). وفي سنة ٩٠٧/٢٩٤ أضيفت غرفة مجلس تدعى « التاج » الى القصر (إبن الجوزي : المنتظم ٦٠/٦) .

(٦) س « علي بن محمد الخوارزمي »

احمد بن علي المنجم ، من المئة الرابعة (١٠) م . (الخطيب ١١٩/١٣-٢٠) .

علي بن محمد الحواري ، صاحب خزانة الفرش (أنظر التعليق ١٣) .

(٧) نجد أيضاً مواد مفصلة عن توزيع رجال القصر ومن في خدمته في الصابي (رسوم ص ٨ ، ٩) حيث يذكر أنه في زمن المكتفي (٢٨٩هـ/٩٠٢ م-٢٩٥ هـ/ ٩٠٨ م) كان هناك عشرون ألفاً من غلمان الدار (أنظر أدناه) وعشرة الآف من السودان والصقالبة . أما في زمن المقتدر فقد كان هناك أحد عشر ألف خادم ، منهم سبعة آلاف من السودان وأربعة الآف من الصقالبة البيضان ، وكان عدد الخدم النساء من الأحرار والمماليك أربعة آلاف ، يضاف إلى ذلك عدة آلاف من الحرس الحجرية ، وكان هؤلاء الخدم في القصر يسمون أيضاً غلمان الحجر لانهم ، على ما يقول كانارد يقيمون في محال جعلت كالحجر ، بالرغم من أنه يبدو أن أسمهم مشتق من عملهم ، وهو الحراسة في حرم القصر ، وعلى أي حال يبدو أنهم كانوا يرافقون الخليفة في حملاته . وأول من أقامهم هو المعتضد ، وكانوا بقيادة رؤساء الخصيان ومساعديهم (كانارد : الصولي ٤٩/٢ التعليق ٣ وهو يقتبس من الطبري ٢٢٦٢/٣-٢٢٦٥ ، هلال : الوزراء ص ١٢-١٣) أما النوبة فكانت تتكون من خمسة آلاف من « الرجاله المصافية » وأربع مئة من الحرس ، وثمان مئة من الفراشين . أما شحنة البلد فكان يشرف عليها صاحب المعونة ، وعددها أربعة عشر ألفاً من الرجالة والخيالة .

(٨) ج ، س « ابو القاسم » تقرأ « ابو الحسن »

أبو أحمد يحيى المنجم ت ٩١٢/٣٠٠ (بروكلمان . الملحق ٢٢٥/١) .

أبو الحسن علي بن يحيى ت ٢٧٥ / ٨٨٨-٨٩ (الخطيب ١٢١/١٢) .

(٩) رأى ليسترانج (بغداد ٢٥٩) أن معنى هذا النص أن دار الخليفة ببغداد تشغل مساحة بقدر مساحة كل مدينة شيراز ، وهي المدينة الرئيسة في فارس ، وعاصمة الأمير البويهي عضد الدولة . والتشابه بين المكانين هو أقرب إلى الاحتمال من حيث أن كلا من شيراز ودار الخلافة كان يحيطه سور فيه عدة أبواب (انظر ليسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ٢٤٩) .

(١٠) الغرض من هذه السفارة تنظيم مبادلة الأسرى ، وقد وردت أخبار هذه الزيارة في مسكويه : تجارب ٥٣/١-٥٥ ، وابن الجوزي : المنتظم ١٤٣/٦-٤٤ ،وابن الأثير : الكامل ٧٩/٨ ، وخاصة الصابي : رسوم ص ١١ فما بعدها ، وابن الزبير : الذخائر ص ١ج١-٣٩ . وقد ترجم ليسترانج هذا النص من الخطيب ، وناقشه في مقال بعنوان « سفارة إغريقية الى بغداد سنة ٩١٧ م » ، ونشره في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية (١٨٩٧) ص ٣٥-٤٥. وانظر أيضاً محمد حميد الله : « وثائق جديدة » مجلة « العربية » المجلد ٧

(١٩٦٠) ص ٢٩٣ – ٩٧ ب دولجر . المجموعة ٦٩/٢ . أما مسألة الاحتفال العباسي فانظر عنه سورديل : « مسائل في الاحتفالات العباسية » مجلة الدراسات الاسلامية ٣٨ (١٩٦٠) ص ١٢٠–٤٨ .

(١١) تكون الوفد الرومي من شاب وشيخ وعدة خدم (عريب ص ٦٤ ، ابن الجوزي : المنتظم ١٤٣/٦) ، ويقول ابن الزبير إن الشاب كان في الأربعين من العمر ، والشيخ كان في الستين (ذخائر ١٣٢) ، وكان الأول هو السفير ، أما الثاني فكان ترجماناً فاذا مات الأصغر حل الشيخ محله في السفارة (انظر النص ادناه) .وكان يرافقهم أبو عمر (ذخائر : عمير) عدي بن أحمد بن عبد الباقي الطرسوسي قائد الثغور الشامية . وان تعاقب سير الحوادث التي أدت الى المقابلة الفعلية للخليفة ، تبدو مختلطة مع المقابلة التي تلتها ، والظاهر من هذا التقرير أن السفراء ساروا أولا من باب الشماسية في طريق الشاطىء الكبرى حتى وصلوا الى دار الخلافة ووقفوا في دار نصر القشوري الحاجب ، وكانت ملاصقة لدار الخليفة (الصابي :رسوم ص١٢،وعن نصر القشوري أنظرسورديل: الوزارة العباسية ج ٢ الفهرست ص ٧٧٦) ، و لم يقابلوا الخليفة ، ولكنهم أخذوا الى دار ابن الفرات الوزير ، وهذه الدار لم تكن قرب دار الخلافة ، بل كانت عند الجسر في سوق العطش بالقرب من بين القصرين » (أنظر سهراب : عجائب ص ١٣٠ = إبن سيرابيون ص ٢٢ ، عريب ص ٢٨--٢٩، الصولي : أخبار الراضي والمتقي ص ٩٠،هلال وزراء ص ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ليسترانج : الخارطة ٣) .

وقد وصفت غرفة الوزير للإستقبال بأن سقفها كان مذهباً ،وأنها كانت مفروشة بما قيمته ثلاثون ألف دينار ، وقد جلس الوزير على سجادة فخمة ووراءه كرسي عال ، وكانت الغرفة مزدحمة بكبار الموظفين والخدم،ولما طلب الروم بحضرة الوزير افتكاك الأسرى ذكر الوزير أنه سيخاطب الخليفة في الأمر ،فعادوا الى دارصاعد حيث كانوا يقيمون (مسكويه : تجارب ٠ / ٥٣ –٤ ، إبن الزبير : المصدر أعلاه ص ١٣٢ فما بعدها) . ورواية الخطيب تحمل المرء على الاعتقاد بأن قصر الوزير كان في دار الخلافة ، وأن كل هذه المقابلات حصلت مرة واحدة ،ولكن يبدو أن الأمر قد سار على غير ذلك(أنظر التعليق ١٢ الآتي) .

(١٢) إن مصدر هذه الرواية هو علي بن الحسين المتوفى سنة ١٠٥٥/٤٥٠ م (المنتظم ٢٠٠/٩) وليس في روايته ذكر لزيارة دار نصر القشوري أو زيارة للوزير ابن الفرات .ويبدو أن السفراء أوقفوا في تكريت التي تقع على بعد ١٨٠ كيلو متراً عن بغداد على طريق الموصل، أي في اتجاه الحدود الشمالية (أنظر ياقوت ٨٦١/١–٦٣)، وبعد أن حجزوا فيها مدة شهرين وصلوا الى المدينة وأقيموا في دار صاعد بن مخلد (انظر سورديل : الوزارة العباسية ٣١٥/١ فما بعدها عن صاعد بن مخلد) ،وكانت تقع على الشاطىء الشرقي من دجلة ، والمفروض أنها في « الشماسية » (هلال : وزراء ص ٢٦٢ ، ٤٣٥) ، وقد أمر الوزير ابن الفرات أن تؤثث الدار بكل ما يلزم من الفرش والاثاث . وقد طلب الروميان مقابلة الخليفة ، غير أنهما أخبرا بأن عليهم مشاورة الوزير أولا . ورتب

اللقاء أبو عمر عدي بن أحمد بن عبد الباقي الذي سار معهم من الحدود ، وكان ترجماناً لهم (تجارب ١/٥٣) ، ثم أخذوا إلى ابن الفرات (بعد زيارة نصر القشوري (؟) . وبعد تلك المقابلة عادوا الى دار صاعد ، ومن هناك ذهبوا لمقابلة الخليفة .

(١٣) ج « البضغائية » س « البصينية » تقرأ « البصنائية » نسبة الى بصنا ،وهي بليدة في أطراف الاهواز مشهورة بنساجيها (أنظر ياقوت ١ / ٦٥٦) . أما البهنسا فهي مدينة في مصر على غربي النيل (ياقوت ١/٧٧١) ،ودبيق هي في مصر أيضاً (ياقوت ٢/٥٤٨) ، والمواد التي تنتج هناك كانت لها من الشعبية ما جعلها تصنع في الشرق أيضاً ، برغم أنها احتفظت باسم الألبسة الدبيقية (انظر ر . سارجنت : المنسوجات الاسلامية في مجلة الفنون الاسلامية م ١٣ ص ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، م ١٥ ص ١٥ ، ٧٦ ، م ١٦ ص ٢٨٢ — ٨٣) . ج . فييت « المنسوجات والبسط » مجلة « سورية » . م ١٦ صى ٢٨٢ — ٨٣ .

أما جهرم فهي مدينة بفارس مشهورة بعمل البسط (ياقوت ٢/١٦٧) ، أما دورق فمدينة في الاهواز (أعلاه ص ٦١٨ — ٢٠) .

وقد ذكر إبن الزبير (الذخائر ص ١٣٣-٢٤) توزيع الستائر أيضاً ، وقال إن الستائر من واسط ، وبصنا ، وأرمينية ، بلغ عددها خمسة وعشرين ألفاً . منها ثمانية آلاف صنعت للمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمكتفي .

أما باب العامة فهو الباب الخامس في سور حريم دار الخلافة (أنظر ياقوت ٢ / ٢٥٥ ، ليسترانج ص ٢٧٤-٧٦ ، كانارد: الحمدانيون ، الخارطة ٦ ، مفتاح رقم ٥) .

(١٤) يقول ياقوت إن المقتدر هو الذي بناها ، وقد سميت بهدا الاسم لأن شجرة كانت تقع في البركة المستديرة مقابل الإيوان ، وكانت الشجرة محملة بالجواهر مصوغة بشكل أثمار (ياقوت ٢/٥٢٠-٢١) . والمعروف أن شجرة أخرى كانت في بلاط تيمور (نحو سنة ١٤٠٥ م ، وكان طولها قامة رجل ، وفيها الياقوت والزمرد والفيروزج واللالىء صيغت بشكل أثمار ، وكان عليها طيور من الذهب ثبتت على الأغصان وكأنها تأكل الفاكهة (انظر روى جوننر اليس دي كلافيجو . سفارة إلى بلاط تيمور ، جمعية هكليوت : السلسلة الأولى ٢٦ (١٨٥٩) ص ١٦١) . أما الشجرة التي في « دار الشجرة » فينبغي أن لا تخلط مع شجرة ثانية مثلها كانت في قاعة عرش الخليفة . ولم يذكر الخطيب هذه الشجرة الثانية ، ولكن وصفها الزبير (الذخائر ص ١٣٨) ، والشجرة الأولى كانت طيورها تتحرك بالريح . أما شجرة قاعة العرش فكانت مبتدعات ميكانيكية تتحرك بالماء . ولما وقف السفيران أمام الخليفة ، أمر ففتحت القبة ، فظهرت من الأرض طيور تصفر وتتمايل على شجرة في الوقت الذي تنصب فيه المياه في البركة فتتحرك كل آلة . ومثل هذه الآلآت معروفة في القديم ، وقد استمرت إبان العصور الوسطى في أوربة وفي الشرق الأدنى . ومما له طرافة خاصة عرش ثيودوسيوس البيزنطي (المئة الرابعة (١٠ م) ، والمدعو عرش سليمان (أنظر بريت : « الآلآت المتحركة بذاتها في عرش سليمان البيزنطي » مجلة سبيكيولوم م ٢٩ (١٩٥٤) ص ٤٧٧ فما بعدها) .وقد قبل إن قصر ثيوفيلوس في برياس

قد بني على مثال ما في بغداد ، وذكر أن الآلات التي تتحرك بذاتها فيه قد جلبت من بغداد في ذلك الوقت (أنظر أ .جرابار : « نجاح الفنرن الشرقية في البلاط البيزنطي في عهد الأسرة المكدونية » (الكتاب السنوي لميونيخ في الفنون التصويرية ، سلسلة ٣ قسم ٢ (١٩٥١) ص ٥٦) ترى هل أثارت زيارة السفراء في إبداع الحيل البيزنطية !

(١٥) ج « في ناورد خاهابان تقريباً) س (خيان تقريباً) ويبدو النص مضطرباً .
وقد وصف ياقوت هؤلاء الفرسان ، وقد أصلحنا النص من وصف ياقوت وهو يذكر أنه كان في اليمين خمسة وعشرون ، ومثلهم في اليسار : يرتدون الحرير المزركش ، ويتمنطقون السيوف ، ويحملون الرماح ، وقد وقفوا صفاً واحداً ، فكان الفرسان على اليمين يقابلون الذين على الشمال (ياقوت ٢ ٥٢١) .

(١٦) يذكر كتاب « الذخائر» لابن الزبير (١٣٦) أرقاماً تختلف ، فهو يقول : إنه كان في قصر الفردوس خمسة آلاف درع (الخطيب عشرة آلاف)وأن السفراء أخذوا الى الصحن التسعيني بعد أن داروا في ثلاثة عشر قصراً (الخطيب : ثلاثة وعشرين قصراً) .

(١٧) لقد خاطب المترجم الوزير وسلم الرسالة إلى الخليفة الذي كان جالساً على بعد مئة ذراع من السفراء (عريب ص ٦٤ ، إبن الجوزي : المنتظم ١٤٤/٦) . أما مؤنس ، وهو المترجم الثاني للخليفة ، فانظر عنه سورديل : الوزارة العباسية ٢ فهرست ٧٧٤ –٥) . وكان على الوزير بموجب الرسوم الوقوف على خمس أذرع يميناً او شمالا . وتذكر الرواية أن أن السفراء لم يقبلوا الأرض ، ولكن لاحظ أن مسكويه يذكر أنهم قبلوا الأرض إذ أخبرهم نصرالقشوري أين ينبغي أن يقفوا،والظاهر أنه في بعض الأزمنة لم تكن العادة تقبيل الأرض أو البساط ، إذ يذكر هلال الصابي أن عدة رجال ذوي خطر كانوا يظهرون احترامهم بأساليب أخرى ، غير أن في وقته (١٠٠/٣٩٧) أصبحت من الرسوم المقررة تقبيل اليد أو الأرض أو البساط (رسوم ص ٣١ ، ٧٨ ، ٧٩) . ثم قرأ السفراء الرسالة وطلبوا مبادلة الأسرى ، فوافق الخليفة وأمر بارسال مؤنس لتسهيل الأمر ، ثم غادر السفراء ، وأرسل مؤنس مع بعض رجال الجيش مع مئة وسبعين ألف دينار لتنظيم المبادلة ، وقد تم تبادل الأسرى في شهر ربيع الثاني من تلك السنة ، وكان عدد الأسرى الذين بودلوا ألفاً ومئة وستة وستين (تجارب ٥٥/١ إبن الزبير : الذخائر ص ١٣٩) .

(١٨) تذكر روايات أخرى أن العدد هوعشرون ألف درهم (عريب ٦٤ ، إبن الزبير الذخائر ص ١٣٩) ، ويذكر ابن الزبير أيضاً أن كيسين وضعا امامهما ، وحملت خمسون أخرى في كل منها خمسة آلاف درهم . ويبدو أن في هذا بعض الاختلاف عن رواية الخطيب والأرقام المذكورة أعلاه . فاذا كانت الأكياس فيها مال الفدية (ويبدو أن المئة وسبعين ألف دينار مبلغ عال جداً) تكون تقديرات الخطيب الكبيرة أقرب الى الصحة ، لأن سعر التبادل الرسمي للدينار بالدرهم هو تقريباً ١٠/١ (علما بأن السعر الحقيقي يختلف) . أما أذا كان في الأكياس نقود مهداة،فان التقدير الأقل (وهو أيضاً عال) يبدو أقرب إلى الصحة . وإني أميل إلى الاعتقاد بأن العشرين ألف درهم هي نقود مهداة للسفراء ، وأنها لذلك جلبت بكيسين قدما لهم . أما الباقي ، فيكون مبلغ الفدية . ويقول الخطيب إنهما عادا بالزوارق من دارالخلافة إلى دار صاعد حيث كانا يقيمان.غير أن إبن الزبير يذكر أنهما سارا في البر (اعلاه ص ١٣٩).ولعل ابن الزبيريشير بذلك إلى عودتهمامنبغداد .

التعليقات على الفصل الثامن

(١) نقصد بـ « دار المملكة » هنا مقام الأمراء البويهيين ثم السلاطين السلاجقة من بعدهم . ومن الواضح أن هذا التعبير لا يقصد به قصر واحد ، بل عدة قصور تقع حيثما كان يقيم السلطان (أنظر ج . مقدسي : خطط ص ٣٠٢ – ٠٢٥) .ويشير الخطيب هنا إلى قصر كان يقع في أعلى المخرم ، وينبغي أن لا يخلط مع دار المملكة لمعز الدولة ، فان هذه« الدار المعزية » كانت في الشماسية بلا ريب .وكانت أول « دار للمملكة » هي أيضاً دار معز الدولة (ت ٣٥٦ هـ ٩٦٧ م) وكانت تقع في الأصل في موضع قصر مؤنس التي لم تكن في باب الشماسية كما يدعي ليسترانج (ص ٢٣٢) بل كانت في سوق الثلاثاء (أنظر مسكويه : تجارب ٣٩٦/١ ، الصابي : رسوم . ص ١٣٦ – ٣ ، ابن الجوزي : المنتظم ٢/٧ ، ٨ ، ٣١) . وفي سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م وضع معز الدولة خططاً لبناء قصر جديد قرب باب الشماسية ، فاشترى البيوت المجاورة لبستان الصيمري ، وهدمها ليبني قصوره على أرضها التي كانت فيها ساحة للعرض وإصطبلات ، وأخذ أبواب الحديد التي على الرصافة والقصر الذي كان فيها ، وكذلك أبواب مدينة المنصور ، كما أنه هدم الحبس الجديد ليأخذ أنقاضه ، وقيل إنه جلب الصناع من عدة بلدان ومنها الأهواز والموصل وإصفهان . وقد بدأ معز الدولة بعمل مسناته ، وتوفي قبل أن يتم العمل (ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ٣١) ويذكر ابن الجوزي أن كلفة هذا العمل قدرت اثني عشر مليون درهم ، أي مليون دينار ، أما مسكويه وياقوت فيذكران الكلفة ثلاثة عشر مليون درهم (مسكويه ١٨٢/١ – ٣ ، إبن الجوزي ٢/٧ ، ياقوت ٣١٨/٣ أنظر أيضاً ليسترانج ص ٢٣١ – ٤١ الخارطة ٧ ، كوركيس عواد « الدار المعزية » سومرم ١٠ (١٩٥٤) ص ١٩٧–٢١٧) ، غير أن خلفه عز الدولة (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) قرر أن يتخذ مقامه في القصر الذي كان يقيم من قبل فيه المتقي في الجانب الغربي ، واستعمل دار المملكة معسكراً (إبن الجوزي ٨ / ٢٣١) . وكانت المنطقة المجاورة لباب الشماسية كثيراً ما تتخذ لإقامة الجند قبل بناء الدار المعزية وبعد . أما عضد الدولة فانه بنى قصره في المخرم ، أي إلى الجنوب أكثر وقد وصفه الخطيب في هذا الفصل . ويرى ج .مقدسي أن هذا القصر نفسه الدار المعزية (خطط ص ٣٠٣ – ٤) ، وهذا هو رأي ليسترانج أيضاً ، برغم أن الأخير يرى أن بعض القصور البويهية لابد أنها امتدت نحو الجنوب الى المخرم . غير أن الخطيب لا يذكر في أي مكان كان دار المملكة التي أعاد عضد الدولة تجديدها أو أنها كانت في الأصل لمعز الدولة ، فان نصه صريح بأن القصر كان لحاجبه سبكتكين . وينص إبن الجوزي مصرحاً بأن سبكتكين بعد أن أخذ السلطة ترك الدار المعزية إلى قصر المتقي (في الجانب الغربي) . ويستنتج ليسترانج ومقدسي أن سبكتكين شغل بعدئذ الدار المعزية الخالية . غير أني لا أعرف دليلا على هذا الانتقال ، ثم ان المنتظم يضيف أنه بعد أن انتقل عز الدولة إلى الجانب الغربي، ظلت دار المملكة المعزية خالية برغم تعاقب الأمراء البويهيين على السلطة (المنتظم ٣١/٧) فالدار المعزية ودار المملكة العضدية هما مكانان متمايزان ، الأولى في الشماسية والثانية في القسم الأعلى من المخرم (أنظر أيضاً التعليق ٢ الآتي) .

(٢) يبدو أن صمصام الدولة (ت ٣٧٦ هـ/٩٨٧ م) الذي خلف عضد الدولة أقام في المخرم أيضاً وكذلك فعل شرف الدولة الذي عاد في آخر سنة من عمره ، بوصاة من أطبائه ، إلى الدار المعزية (إبن الجوزي : المنتظم ١٤٧/٧ حوادث سنة ٢٧٩ هـ / ٩٨٩ م) . أما بهاء الدولة فلم يكن كأسلافه ، إذ لم يختر البقاء في دار المملكة العضدية ، وإنما جدد قصر معز الدولة الذي يقع جنوباً في سوق الثلاثاء . وبعمله هذا شارك في تدهور منطقة القصر بالشماسية إذ أخذ الطابوق من إصطبلاتها واستعمله في بنائه الجديد ، وفي مناسبة أخرى حاول انتزاع السقف المذهب من قاعة الطعام ، ليستعمله في قصره بشيراز . غير أنه ظهر أن هذا العمل باهظ الكلفة ، وتركت الدار المعزية بحالة متدهورة ، وأخذ الجند مواد بنائها وأثاثها . (ابن الجوزي ٣١/٨) ، إبن الأثير : الكامل ٢٥٦/٩) ولا ريب في أن البويهيين المتأخرين ظلوا في سوق الثلاثاء ، فمكن ذلك جلال الدولة من الاستمرار في هدم الدار المعزية (للاستفادة من انقاضها (؟) وأن يجعل البيت الستيني في المخرم إصطبلا لخيله وحشمه . ولما دخل طغرلبك بغداد بني سوراً واسعاً يمتد حول قسم واسع من المخرم ، وأراد بناء قصر هناك ، فجدد دار المملكة العضدية (أنظر ابن الجوزي ١٩٦/٨ ، إبن الأثير ٤٢/٩ ، ج . مقدسي : خطط ص ٣٠٤) .

(٣) « ما كان وهى منها » .

(٤) ويقصد بذلك النقود التي لم تزيف ، ولا توجد حتى الآن دراسة كاملة للعملة البويهية ، غير أن نسبة كبيرة من النقود الذهبية البويهية في مجموعة جمعية النميات الأمريكية تظهر دلائل على التزيف ، فأما النقود الأولى (لمعز الدولة وعضد الدولة) فجودتها ٩٠ ٪ ، غير أنه في زمن بهاء الدولة صارت جودة الدينار أقل من ٥ ٪ ، وبذلك تظهر سوء حالة النقد في المناطق المركزية من الخلافة العباسية (أنظر أ . إهرنكروز : دراسات في التاريخ النقدي للشرق الأدنى في العصور الوسطى : القسم الثاني ، (معيار الجودة في الدنانير الغربيــة والشرقية قبل العهد الصليبي) مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق م ٦ (١٩٦٣) ص ٢٤٣—٢٧٧ ، وخاصة ص ٢٥٦ .

(٥) لقد بدأ حفر هذا النهر في سنة ٣٧١ هـ/ ٩٨١ م) غير أن العمل لم يتم إلا في السنة التالية (إبن الجوزي : المنتظم ٧ / ١٠٧ ، ١١٢) . أما نهر الخالص فلم يكن يصل الى بغداد ، بل كان يصب في دجلة تحت « الراشدية » بفرسخين ، وكانت مياهه تدخل بغداد بنهر المهدي الذي يذهب أحد فروعه إلى الأنهار فوق باب الشماسية،ويبدو أن هذا يدل على أن الأنهار التي تأخذ من الخالص لم تعد مستعملة في هذا الوقت (أنظر : الخطيب ١١٥/١) . أما الأحوال السيئة لأنهار بغداد في الأزمنة البويهية فانظر عنها مسكويه : تجارب ٢ / ٤٠٦ . والإشارة إلى درب السلسلة مرتبكة ،لأن هذا الدرب كان يوصل الى المدرسة النظامية قرب سوق الثلاثاء ، أي الى الجنوب أكثر . فاذا كانت هذه الرواية صحيحة فانها تبدو وكأنها تشير الى أن هذا الطريق كان يمتد على طول المدينة .

التعليقات على الفصل التاسع

(١) ذكرت الأرقام نفسها لقصر الحجاج بن يوسف وجامعه في واسط (أنظر ياقوت ٨٨٥/٤)، وأيدتها الحفريات هناك (أنظر فؤاد سفر : واسط : حفريات المواسم الستة . القاهرة ١٩٤٥) وقد كشف في الكوفة بناء له الابعاد نفسها (أنظر محمد علي مصطفى : التقرير الأول) سومر م ١٠ ص ٧٣ – ٨٥) وعن تشابه هذه الأبنية : أنظر و . جرابار « المشتى وبغداد وواسط » عالم الاسلام: دراسات على شرف فيليب حتى (لندن ١٩٥٩ ص ٩٨ – ١٠٨ وكذلك قسم ٢ أ) .

وقد وضع الحجاج بن أرطاة تخطيط هذا الجامع وأساسه (الطبري ٣٢١/٣ – ٢٢) ، وعن تخطيط جامع بغداد أنظر الأشكال ١٠ – ١٤ . والنص عن الأعمدة صعب ، فليس من الواضح أكانت الاعمدة المذكورة في الجملة الأخيرة تشير الى الخمسة أو الستة التي قرب المنارة ، أم كانت أعمدة الجامع عموماً ؛ فان هرزفيلد يرى أن الأعمدة التي قرب المنارة تتميز عن غيرها ببساطة أسسها ، وهذا لم يذكره النص العربي مباشرة ، ولكن هرزفيلد يرى أنه يدل عليه . أما الجملة التالية فتبين اتجاهاً جديداً من الفكر يبحث في الأعمدة عموماً ؛ فان كلمة (ملفقة) صعبة ، ولكن يجب أن نفهم منها « مركبة » ، وفي العامية العربية في منطقة الموصل نجد أن كلمة « دكه ملفوف » فهي لذلك تجعل هرزفيلد يرى احتمال قراءتها (ملفوفة) أنظر : رحلة آثارية ١٣٥/٢ التعليق ٦ ، ليسترانج ص ١٤ – ، والأخير لم يدقق في الترجمة، كما أن سالمون لم يدقق ترجمتها ++ .

++ : – أورد المؤلف النص الذي ترجم فيه كل من ليسترانج وسالمون هذه الجملة ، ولم نر فائدة منها هنا (المترجم) .

(٢) إبن الأعرابي من أهل المئة الرابعة (١٠ م) (الخطيب ٣٧٣/١١) . وكانت جهة القبلة غير مضبوطة ، لأن الجامع بني على محور القصر الذي كان متناظراً مع الأبواب ، وليس مع جهة القبلة . أما جامع الرصافة فقد بني قبل قصر المهدي ، ولذلك لم تكن به حاجة إلى ضبط جهة القبلة (أنظر الطبري ٣٢٢/٢ ، وكذلك المقدسي ص ١٢١) .

(٣) يرى هرزفيلد (ص ١٣٦ التعليق ١) أن الأعمدة الخشبية ظلت مستعملة، أو وضعت محلها أعمدة مثلها ، لأن النقش الذي كتب على جدار الجامع يذكر اسم النجار صريحاً . كما أن إبن الفقيه (حوالي سنة ٩٠٠ م) يذكر أن الجامع بني بالطابوق والجص ، ورفع على أعمدة من الساج (ص ١٠٩) . غير أن الحاجة إلى خدمات النجار كانت ضرورية أيضاً للسقف الذي عمل من الساج وزخرف باللازورد (أعلاه) ، وأن النقش على الجدار الخارجي المقابل لباب خراسان يؤيد اعتقاد كريسويل أن الجامع كان يقع على الحائط الشمالي للقصر ، وليس على الحائط الجنوبي كما افترض هرزفيلد . وان كريسويل الذي يوافق عموماً تصورات هرزفيلد الشكل ١٠ ، ١١) يشير إلى أنه لو كان الجامع يقع الى الحائط الجنوبي ، فان حائط القبلة لا يمكن أن يصبح استمراراً للقصر ، وأن الخليفة لن يكون باستطاعته المرور من القصر إلى المقصورة مباشرة كما كانت العادة جارية في

العصور الإسلامية الاولى. يضاف إلى ذلك صعوبة دار القطان التي ستبحث أدناه في التعليقين (٥) و (٧) ، انظر كريسويل ٣٣/٢ – ٣٤ ، هرزفيلد ١٣٥/٢ ، وكذلك ليسترانج ص ٣٤ والأخير يضع الجامع على الحائط الشرقي للقصر ، ويبدو أن رأي مصطفى جواد وأحمد سوسة في أن الجامع كان يقع على الزاوية اليمنى من الحائط مقابل باب خراسان ، وأن أبنية القصر والجامع كانت خارجة عن الخط الذي مع الباب ، هو رأي غير مقنع (أنظر « مدينة المنصور وجامعها » سومر . مجلد ٢٢ (١٩٦٦ ص ٤ فما بعدها ، الشكلان ١ ، ٦) .

(٤) لم تذكر أبعاد هذا البناء الذي صار يعرف بعد بالصحن القديم . غير أنه لما كان النص صريحاً أن الجامع لما أعيد بناؤه،تم توسيعه ، فمن الواضح أن البناء الجديد زاد على مئتي ذراع مربعة الأصلية) . وعلى هذا ينبغي أن تعدل خطط هرزفيلد وكريسويل (٢٠٠ × ٢٠٠) ذراع ، ذلك لأنها معتمدة على وصف الجامع الأصلي الذي بناه المنصور ، وليس البناء الذي عمله حفيده في المئة الثالثة (٩ م) (أنظر الأشكال ١٢ و ١٣ و ١٤) وقد اقترحت عدة خطط تخمينية لهذا البناء في الملحق ج .

(٥) أنظر: ابن الجوزي : المنتظم ٥ – ٢١/٢ حوادث سنة ٢٦٠هـ ، غير أن هذا ليس دليلا على كيفية استنباط شكل هذا البناء بالجامع . فأما هرزفيلد فانه يرى أنه كان امتداداً للحائط الجنوبي للجامع الذي يضعه على طول الحائط الجنوبي للقصر (أنظر الشكل ١١) . فاذا كان هذا صحيحاً ، فمن الضروري له أن يفترض أنه عندما بني الجامع الجديد باضافة جزء من القصر ، فان الحائط الذي بين دار القطان والجامع قد اخترق ، وإن المنبر والمحراب والمقصورة قد نقلت جميعاً هناك للحفاظ على وجه البناء ، بدل أن تؤخذ إلى الجامع الجديد ، كما يذكر الخطيب صراحة . غير أني أميل إلى الاتفاق مع كريسويل في أن الجامع كان يقع على الحائط الشمالي للقصر ، فقد نقل المنبر والمحراب والمقصورة الى ذلك القسم من القصر الذي أصبح جزءاً من الجامع . غير أنه ليس من الواضح الفائدة التي جنيت من دار القطان بعد أن بني الجامع الجديد (أنظر هرزفيلد ص ١٣٧ فما بعد ، كريسويل ٣٢ – ٣٤ ، وكذلك هامش ٦ ، ٧ أدناه) . ولم يذكر عدد الأروقة في صدر المسجد . ويرى هرزفيلد أنها كانت خمسة ، كما كان الحال في جامع الكوفة الذي كان مربعاً أيضاً ، ولأن نسبة ١٧/٥ توجد أيضاً في جامع ابن طولون (أعلاه ص ١٣٦) ويمكن أن يدخل المرء أيضاً جامع أبي دلف في سامراء ، وجامع الرافقة ، وجامع القصر الذي بناه الحجاج بن يوسف في واسط الذي حاكاه المخطط الأصلي لجامع بغداد (انظر كريسويل ص ٢٨٠ شكل ٢٢٣ ، وعن جامع الرافقة ص ٤٦ الشكل ٣٣ – حيث يظهر المخطط ثلاثة أروقة فقط ، غير أن الفسحة تدل بوضوح على وجود مجال لخمسة) . ومن هذه الملاحظة العامة يستطيع المرء أن يستخلص أن نسبة ١٧/٥ قد تكون شائعة في كل من الجوامع المربعة والمستطيلة في المنطقة . لاحظ أن ابن طولون جاء من سامراء . إن نص الخطيب يشير إلى أن الطاقات كانت مفتوحة مباشرة على الصحون فيمنطقة الجامع . ويظهر أن هذه الطاقات كانت مسقفة ؛ لأن المقدسي ذكر في وصفه جامع « فسا » فى فارس أن (له صحنين على عمل جامع مدينة السلام ، بينهما سقيفة) (٤٣١ أنظر أيضاً كريسويل ص ٣٢.

(٦) عهد بناء منطقة المسجد الجامع الجديد الى القاضي يوسف بن يعقوب ، وقد كلف عشرين ألف دينار (إبن الجوزي : المنتظم ٥ – ١٤٣/٢) . ولما روى الخطيب أن المعتضد أضاف الجامع الثاني لضيقهاضاف « وأن الناس يضطرهم الضيق إلى أن يصلوا في المواضع التي لا تجوز في مثلها الصلاة » . وهو يذكر ، فيما يقول كريسويل،دار القطان . أي أن دار القطان أصبحت بالمعنى الفني مصلى ، ولكن حيث لا تجوز أو في الأقل تكره فيه صلاة الجمعة، ولم يذكر كيف تم ربط هذا البناء بالجامع ، غير أنه إذا كان كريسويل مصيباً ، فانه لا يمكن أن تكون قد أصبحت جزءاً متكاملا في البناء الأكبر ، والا لم تكن ضرورة لتوسيع المصلى (أنظر ملحق ٢) . لاحظ أن اليعقوبي في وصفه « المدينة المدورة » يقول : إن الساحة الوسطى كان فيها الجامع والقصر وحدهما ، ولم يكن فيها غيرهما سوى بناءين (البلدان ص ٢٤٠) أحدهما عند باب الشام وكان لصاحب الحرس . أما البناء الثاني فلم يذكر موقعه ، وهو ظلة لصاحب الشرط ، والمفروض أيضاً غرف لرجالهما . لذلك كانت ظلة الشرط ، كدار القطان ، بناءاً حكومياً . ثم إن اليعقوبي الذي كتب في أواخر المئة الثالثة (٩ م) ذكر أن الظلة كانت تتخذ في زمانه مصلى ، وقد يدل ذلك على أنها هي دار القطان التي ذكرها الخطيب .

(٧) إن هذه العبارة في النص غير واضحة ، لاني لم أستطع أن أجد معنى ما لكلمة (مسقطات) ، ويظن هرزفيلد أنها قد تكون إشارة الى مكان يعرف بدار القطان ، غير أنه لا يعزز ظنه بالأدلة . لاحظ أن دار القطان كانت متصلة بالجامع في خلافة المعتمد ، وهو الخليفة السابق (أنظر هرزفيلد ص ١٣٧ أيضاً الشكل ١١) يضاف إلى ذلك أن النص يذكر أن المسقطات أضيفت من قصر المنصور ، أو اليه وليس من الجامع أو اليه . فقرن البدرية بدار القطان أمر غير ممكن .

(٨) س (نزل)

(٩) لقد ذكر مثل هذا النص جغرافيو المئة الرابعة (١٠ م) (الاصطخري ص ٨٤) الذي يذكر أنه كان في بغداد ثلاثة مساجد جوامع كبرى : في مدينة السلام ، وفي الرصافة ، وفي دار الخلافة ، فما الذي حدث للمسجد الجامع في الكرخ الذي بناه المنصور لما بنى الكرخ ؟ (أنظر الخطيب ١/٨٠ ؛ ٢ (٢١ – ٢٢) . لا بد أن هذا هو المسجد الجامع الذي ذكره اليعقوبي في الشرقية ، ذكر أن منبره قد نقل في زمنه ، أي أنه لم يعد مسجداً جامعاً (أنظر البلدان ص ٢٤٥) . والسبب في نمو المسجد الجامع بالكرخ هو لتمكين أهل السوق من أداء صلاة الجمعة من غير حاجة إلى دخول « المدينة المدورة » ، وهذا لا يساعد على تخفيف الازدحام في جامع المنصور فحسب ، بل يساعد أيضاً على حفظ الأمن في منطقة القصر (أنظرالقسم الثالث(٢)). وعلى مر الأيام لم تبق المدينة المدورة المركز الاداري الأكبر كما كانت في أول الأمر ، فقد انتقل الخليفة من قصره فيها ، بل انتقل من بغداد نهائياً لمدة نصف قرن . ولما أعاد المعتضد الخلا فة إلى بغداد اتخذ مقامه في الجانب الشرقي ، وهدم بعض غرف قصر المنصور ليوسع ساحة المصلى ، فهل يحتمل أن يكون أهل السوق عادوا الى أداء صلاة الجمعة في الجامع القريب منهم بعد أن زالت الأسباب الامنية التي

كانت تمنعهم من ذلك . وهل اصبحت الان الاقسام الباقية من المدينة المدورة امتداداً للضواحي الجنوبية ؟ إن هذا قد يفسر حاجة أهل الحربية ، وهي الضاحية الشمالية ، الى أن يطلبوا لأنفسهم مسجدا جامعاً (أنظر النص أدناه) .

(١٠) حدثت الكبسة على جامع براثا في سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م على أثر بعض المشكلات مع داعي القرامطة الذين كانوا قد كونوا دولة صغيرة في جنوب العراق . وقد أرسل الخليفة المقتدر نازوك (صاحب الشرطة) للقبض على جميع الحاضرين ، « فوجدوا فيه ثلاثين إنساناً يصلون في وقت الجمعة ، ويعلنون البراءة ممن يأتم بالمقتدر ، فقبض عليهم ، وفتشوا فوجدوا معهم خواتيم من طين أبيض يختمها لهم الكعكي (داعي القرامطة) عليها محمد بن اسماعيل الإمام المهدي وليّ الله ، فأخذوا وحبسوا ، وتجرد الخاقاني لهدم مسجد براثا ، وأحضر رقعة فيها فتوى جماعة من الفقهاء : أنه « مسجد ضرار وكفر وتفريق بين المؤمنين » ، وذكر أنه إن لم يهدم كان مأوى الدعاة والقرامطة ، فأمر المقتدر بهدمه ، فهدمه نازوك ، وأمر الخاقاني بتصييره مقبرة ، فدفن فيه عدة من الموتى ، وأشعلت النار في باقيه » (ابن الجوزي : المنتظم ١٩٥/٦) . ولما أعاد بجكم بناء الجامع في سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م كان للمصلين فيه إمام سني،غير أنه في المئة التالية عطلت الصلاة فيه موقتاً ثم اعيدت بعد مدة .(ابن الجوزي : المنتظم ٣١٧/٦ ياقوت ١ : ٥٣٢ ، ابن الأثير : الكامل ٢٧٨/٩ حوادث سنة ٤٢١ هـ حيث يشير الى الحادثة الأخيرة) .

(١١) يظهر أن هذا المنبر هو الذي صنع لجامع الرشيد في سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م (الصولي : أخبار الراضي والمتقي ص ١٩٢) . أما أحمد بن الفضل بن عبدالملك الهاشمي فقد توفى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م (الخطيب ١٣١/٤) .

(١٢) القطيعة المشار إليها هنا هي الزبيدية ، وكانت تقع شمالي المدينة وراء خندق طاهر الذي يكون الحد بينها وبين المدينة . ورواية الخطيب هذه تخلط بين هذة القطيعة وأخرى تسمى بالاسم نفسه تقع في جنوبي المدينة في نهر القلائين (الخطيب ٧١/١ ٣ – ٤) .

التعليقات على الفصل العاشر

(١) إن القسم الأعظم من فصل أنهار المدينة في كتاب الخطيب مأخوذ من عبد الله بن محمد بن علي البغدادي الذي لا نعرف عنه شيئاً ، وهو مطابق في محتواه ولغته لما ورد في كتاب سهراب : (عجائب ص ١٢٣-٢٤ ، ١٣١-٣٤ = إبن سيرابيون ص ١٤-١٥ ، ٢٤-٢٦) . وكتاب العجائب أقدم مصدرمعروف ذكر هذه الأنهار وقد ألف في نحو سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ، وما دون الخطيب من مواد عن الأنهار لا يمثل عصره ، بل يمثل زمناً أسبق بكثير ، إذ كانت بعض الأنهار والجسور في بغداد قد تخربت بانحطاط بغداد في المئة الرابعة (١٠) م . وقد أشار الخطيب إشارات عرضية إلى هذا التطور في أماكن أخرى من كتابه (أنظر الخطيب ٧٩/١) ، وأبقى وصف الأنهار القديمة من غير تبديل ومن غير تعليق . وعدم تصرفه بالمواد الخططية التي كانت تحت تصرفه هو دليل على اهتمامه وتمكنه في في العلوم الدينية أكثر من اهتمامه في الجغرافيا ، وهي حقيقة ذات أهمية كبيرة في تقدير كتابه بالنسبة الى التواريخ المحلية الأخرى . وللتفاصيل الوافية أنظر المقدمة ص ٣٣ . ولرواية الخطيب أهمية خاصة ، لأنها تصف مختلف أماكن المدينة التي تقع على المجاري المائية العظمى ، وكثير من الأماكن لم يذكر في أي وصف من الأوصاف الأخرى الباقية للمدينة. وهذه الأماكن التي ذكرت أيضاً عند الخطيب في وصفه المطول للجانبين الشرقي والغربي من بغداد ، قد درست بتفصيل في الفصول الأولى ، وتمكن معرفتها بالرجوع الى الفهرست .

(٢) كان نهر عيسى أحد الانهار الأربعة الكبرى التي تخترق المناطق المجاورة لبغداد .أما الثلاثة الاخرى ، فهي نهر الملك ، ونهر صرصر ، ونهر الصراة (المقدسي ص ١٢٤) .وهو من الأنهار الآخدة من الفرات ، وكان عميقاً تسير فيه القوارب الكبار القادمة من الرقة حاملة المواد الغذائية من مصر وبلاد الشام (اليعقوبي ٢٥٠) . وكان هذا النهر يصب في دجلة أسفل قصر عيسى ويربط بين النهرين الرئيسين (الإصطخري ٨٤ – ٨٥ ، إبن حوقل ص ١٦٤-٦٥) ، وقد نتج عن ذلك أن أصبحت المدينة في موقع سوقي وسط الطرق المائية الداخلية الكبرى في الدولة ، اضافة إلى الطرق البرية الكبرى إلى الشرق وإلى جزيرة العرب. ولما أدت السدود المقامة على الصراة إلى استحالة وصول القوارب الكبيرة إلى دجلة ، بقي نهر عيسى مفتوحاً للنقل الكثيف . وقد وصف ياقوت مجرى نهر عيسى معتمداً في وصفه على الخطيب (ياقوت ٨٤٢/٤) ، فهو يقول :لم يبق في زمنه إلا قنطرة الزياتين وقنطرة البستان . غير أن كتاب المراصد يذكر أن هذه القناطر كانت قد تدمرت قبل ذلك ، وأن القناطر الوحيدة التي بقيت في زمن ياقوت هي قنطرة الياسرية ، وقنطرة الشوك ، وقنطرة بني زريق (مراصد ٢٥٠) .أنظر أيضاً ياقوت ١٩٠/٤ ، ١٩١ ، ٨٣٩) . ويذكر ابن الجوزي الذي ألف كتابه في المئة السادسة (١٢ م) أن قنطرة بني زريق التي كانت على نهر عيسى سقطت سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٢٢ م ،ولا يوجد دليل على أن هذه القنطرة قد أصلحت (المنتظم ١٠٨/٨) . وقبل هذا بقرن من الزمن (٩٣٥/٣٢٣) ، كانت قنطرة الاشنان وما يجاورها قد دمرها الحريق . ويقول الصولي « إن آثاره كانت باقية الى وقته، ما رد الى حالته» (أخبار الراضي والمكتفي ص ٦٨) أنظر أيضاً ليسترانج

ص ٤ ، ٦ . وتقع قنطرة دمما عند قرية بهذا الاسم قرب الفلوجة (ياقوت ٦٠٠/٢) . أما طسوح فيروز سابور فهو المنطقة الإدارية للأنبار (أنظر ياقوت ٣ / ٩٢٩ ليسترانج : الخلافة الشرقية ص ٦٥-٦٦) .

« نشرت في مجلة سومر دراسة لمجرى نهر عيسى وما عليه من قرى ومعالم الى أن يدخل بغداد (المترجم) .

(٢) يقول ياقوت إن سوقاً كبيرة كانت تقع عند قنطرة الأشنان (ياقوت ١٩١/٤، ٨٣٩، أنظر أيضاً ليسترانج ص ٧٥ ، الخارطة ٤ ، مفتاح رقم ٣٥ ، أما الأرحاء عند قنطرة المغيض ، فينبغي أن لا تخلط بأرحاء البطريق التي كانت عند ملتقى الصراة العليا والسفلى (أنظر الخطيب ٩١/١ فما بعد) ، أما قنطرة المعبدي فقد سميت باسم عبد الله بن محمد المعبدي الذي كان إقطاعه وأرحاؤه يقعان هناك (أنظر الخطيب ١ / ٥٩١) . أما التاريخ التالي لهذه الأماكن فأنظر التعليق (١) .

(٣) يتكون هذا النهر من قناتين : الصراة الكبرى » وهي فرع من نهر عيسى ، والصراة الصغرى يجتمعان فيكونان نهراً واحداً يصب في دجلة (اليعقوبي ٢٤٢ الإصطخري ص ٨٤ إبن حوقل ص ١٦٥) . وترجع الصراة إلى الأزمنة الساسانية (ياقوت ٣٧٧/٣) ، وهي شريان تجاري كبير . ولكن بعد إقامة سد عليها لم يعد صالحاً لسير القوارب الكبيرة فيه إلى دجلة ، فكانت البضائع تفرغ إلى زوارق صغيرة (الإصطخري ٨٥ ، إبن حوقل ١٦٥ المقدسي ١٢٠) . أما القوارب الكبيرة فكانت تتابع سيرها في نهر عيسى . وقد وصف ياقوت مجرى نهر الصراة معتمداً في وصفه على الخطيب (ياقوت ٣ / ٣٧٧- ٨) ، وهو يذكر أنه في زمنه لم تبق قائمة إلا القنطرة العتيقة والقنطرة الجديدة . ويقول إبن الجوزي إن جميع القناطر التي على الصراة سقطت في فيضان سنة ٣٧٠ هـ/٩٨١ م ، غير أنها اعيد بناؤها بأقوى مما كانت من قبل (المنتظم ١٠٥/٧) . وعن القنطرة العتيقة والقنطرة الجديدة ،أنظر النص أدناه (وانظر أيضاً ليسترانج ، الخارطة ٤ و ٦) .

(٥) في ياقوت « الصبيبات » (ياقوت ٣ / ٣٧٨) غير أن اشتقاق هذه الكلمة غير واضح . أما ليسترانج فيسميها قنطرة الخزف الصيني ، غير أنه يذكر أنه قد تكون هذه الكلمة آرامية الأصل ، ومعناها التمر (أنظر ابن سيرابيون ص ٢٩٠ التعليق ٢١) ، ويذكر ياقوت « الزبد» مكان في غربي بغداد ، ولكن لا توجد إشارة الى تحديد موقعها بالضبط (ياقوت ٩١٤/٢) .

(٦) القنطرة العتيقة ترجع الى الأزمنة الساسانية ، وهي تقع في المكان الذي تتفرع فيه الصراتان . الصغرى والكبرى ، وكانت قنطرة محكمة البناء من الطابوق والجص (اليعقوبي ص ٢٤٣ - ٤٤ الطبري ٣ / ٢٨٠) ، وقد أصابها كثير من التشعث في فيضان سنة ٣٢٩ هـ/٩٤٠ م ، وذكر أنها تدمرت حين سقطت قناطر الصراة في فيضان سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨١ م (إبن الجوزي : المنتظم ٣٠٠/٦ ، ١٠٥/٧ . إبن الأثير الكامل ٦/٩-٧) ، ثم أصلحت القنطرة ، ولكنها خربت مرة أخرى في سنة ٤٣٣ هـ/ ١٠٤٢ م (إبن الجوزي ١٠٨/٨) . ومن الواضح أنه أعيد بناؤها فيما بعد ، لأن ياقوت يذكر أنها كانت لا تزال

قائمة في زمانه (ياقوت ٣٧٨/٣؛ أنظر أيضاً ليسترانج ص ٦٠–الخارطة ٤ ، مفتاح رقم٤) .
أما القنطرة الجديدة ، فكانت تقع قرب باب البصرة ، وكانت هنالك سوق كبيرة فيما ذكر (اليعقوبي ٢٤٥) ، وقد بناها المنصور ، ثم تدمرت في الحرب بين الأمين والمأمون (الطبري ٣ / ٩٠٦) ، ثم جددت عدة مرات (عريب ص ٣٢ ، إبن الجوزي : المنتظم ١٠٥/٧ ، إبن الأثير : الكامل ٩/٦–٧) ، وكانت أطلا لها ظاهرة للعيان في زمن ياقوت ، بالرغم من إنشاء قنطرة أحدث على الصراة في مكان تحتها (ياقوت ٤ / ١٨٨ – ٨٩) أنظر أيضاً ليسترانج ص ٩٢–٩٣ ، الخارطة ٤ ، مفتاح رقم ٥٠ .

(٧) وصف ياقوت مجرى خندق طاهر ، غير أنه لم يكن مصيبا في قوله إن هذا النهر يصب في دجلة مقابل باب البصرة (ياقوت ٣ / ٣٧٨ ، مراصد ٢ /١٥١) . وقد ذكرت هذه القناة بأنها الحد الشمالي لمدينة المنصور (الخطيب ١ / ٧١) ، كما أنها تكون الحد الغربي للحربية ، وتكون حاجزاً دفاعياً للمقتربات الغربية إلى المدينة ، فليس من العجيب إذن أن يقرر المستعين لما كان يدافع عن المدينة خصومه بناء سور دفاعي يمتد على الخندق ، ثم يدور شرقاً فيحيط المدينة المدورة وبعض أنحاء الكرخ ، حتى يصل دجلة.أما بعد ذلك فلا يعرف شيء عن تاريخ هذا الخندق. وإني أشك في أنه كان حاجزاً دفاعياً ، أو كان أكثر من سلسلة عوائق وتحصينات ، وأنه سرعان ما تدمر ، واستخدمت انقاضه في الأبنية المحلية ، كما أنه ليس من الواضح متى حفر هذا الخندق ، ولكن الأرجح أنه يرجع الى الأزمنة الأولى التي حدث فيها استيطان الحربية في عهد المنصور . أنظر أيضاً ليسترانج الخارطة ٥ و ٦ .

أما الأماكن التي تقع على مجراه ولم يرد ذكرها في هذا النص، فان ياقوت يذكر أنه لم يبق في زمنه أثر لباب الحديد (ياقوت ٢ / ٦٥٠) . أما باب حرب فكان في الحربية قرب قبر احمد بن محمد بن حنبل (ياقوت ٢٣٤/٢ أنظر أيضاً ليسترانج ص ١١٢ الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ١١) . أما باب قطربل فكان قرب الزبيدية (ياقوت ٢ ٩٦٤؛أنظر أيضاً ليسترانج الفهرست ص ٢٦٩ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ١٣) .

(٨) وصف ياقوت مجرى كرخايا معتمداً في ذلك على الخطيب ، وهو يذكر أنه لم يبق لهذا االنهر أثر في زمنه (ياقوت ٤ / ٢٥٢) . أنظر ليسترانج الخارطة ٤ ، ٦ .
أما نهر رزين فقد وصف مجراه ياقوت أيضاً معتمداً على الخطيب (ياقوت ٢٥٢/٤) .
أما القسم الأدنى من نهر رزين فانه يصب في الصراة الكبرى ، فهو يعرف بنهر أبي عتاب (سهراب ص ١٣٢= إبن سيرابيون ص ٢٥) أنظر أيضاً ليسترانج ، الخارطة ٤ .

(٩) هذا يشير إلى أول بيمارستان في المدينة أنشأه هارون الرشيد في الجانب الغربي (راجع ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ١٧٤/١–٧٥ ، القفطي تاريخ الحكماء ص ٣٨٣–٨٤) ، وقد أنشيء بيمارستان ثان في عهد خلافة المعتضد ، وكان يقع في الجانب الشرقي في المخرم (إبن أبي أصيبعة : المصدر السابق ص ٢٢١) ، وفي سنة سنة ٣٠٢ هـ/٩١٤ م وقف علي ابن عيسى وزير المقتدر بيمارستاناً في الحربية ، وهي الربض الذي يقع في الشمال الغربي . وقد عهدت إدارة هذه المؤسسات كلها الى أبي عثمان سعيد بن ياقوت الدمشقي ، ثم عهدت أموره بعد ذلك الى سنان بن ثابت (المصدر السابق ص ٢٣٤) . وقد أنشأ سنان هذ بيمارستانين

في سنة ٣٠٦ هـ/ ٩١٨ م (إبن الجوزي : المنتظم ١٤٢/٦ إبن أبي أصيبعة ص ٢٢١–٢٢)
أولهما في الجانب الشرقي في سوق يحيى وصار يعرف باسم « بيمارستان السيدة » والثاني عند باب الشام وكان بيمارستاناً أصغر، وكان يدعى «البيمارستان المقتدري» . وفي سنة ٣١١هـ/ ٩٢٤ م بنى الوزير أبو الحسن بن الفرات بيمارستاناً آخر في درب المفضل (إبن الجوزي ١٧٤/٦ ابن أبي أصيبعة ٢٢٤/١) . وعن البيمارستانات عموماً ، أنظر دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الثانية / مادة « بيمارستان » ++ .

++:– لا يزال كتاب « تاريخ البيمارستانات في الاسلام » للدكتور أحمد عيسى أوسع الكتب في الموضوع برغم قدمه بعض الشيء (المترجم) .

(١٠) يذكر ياقوت نهر الدجاج فرعاً من كرخايا ، ولكنه لا يصف مجراه (ياقوت ٨٣٨/٤– ٣٩) ، والظاهر أن المنصور هو أول من حفره لينتفع به أهل الكرخ ، وسمي نهر الدجاج لأن باعة الدجاج كانوا يقفون هناك (اليعقوبي ٢٥٠ الخطيب ٧٩/١) . وقد أطلق اسمه أيضاً على المنطقة المحيطة التي دمرها الحريق الكبير في الكرخ في سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧ م (ابن الجوزي ١٨١/٨) ، وقد تدمر في هذا الحريق أيضاً سوق الطعام الذي كان على نهر الدجاج (المصدر أعلاه) . وقد ذكر سوق للطعام أيضاً في الجانب الشرقي (مناقب بغداد ص ٢٦) ، وكانت في هذا السوق أطعمة معدة للأكل (أنظر أيضاً ج . مقدسي : خطط ص ص ١٨٨ ، التعليق ١٣ ، ٣٨٣ ، التعليق ٤ ، ليسترانج : الخارطة ٦ ، أما « الخرازين» فانها في س « الخزازين » .

(١١) إن مجرى نهر بطاطيا وصفه ياقوت معتمداً في ذلك على الخطيب (ياقوت ٤ / ٨٣٥ . أنظر أيضاً ليسترانج : الخارطة ٣) . أما مسكن فانظر عنها ياقوت ٤ / ٥٢٩) . وأما دجيل فهو يشبه كرخايا الذي يصب في الكرخ ، اذ كان النهر الكبير الذي يحمل ماء الشرب للحربية ، وهي الربض الشمالي الغربي . غير أن دجيل يختلف عن كرخايا من من حيث أن كرخايا يأخذ ماءه من الفرات ، ودجيل كان من أنهار دجلة . وقد جلب ماء الشرب الى المدينة بقنى بنيت بالطابوق والصاروج (اليعقوبي : البلدان ص ٢٥٠) ، كانت كلها فيما يقول الخطيب فوق سطح الأرض ما عدا قني الحربية ، أي المياه التي التي تأخذ من دجيل (أنظر النص أدناه) ، ومثل هذه القني التي تجري تحت الأرض وجدتها في « الفسطاط» بعثة آثارية برئاسة ج. سكانلون. غير أن مكتشفاتهم لما تطبع بعد كافة .

(١٢) ج ، س « الكرخ » تقرأ « الكوخ » ، كما في سهراب ص ١٣٣= إبن سيرابيون ص٢٧

(١٣) س « الجديد» .

(١٤) في سهراب ص ١٣٤ = إبن سيرابيون ص ٧٧ نهر يقال له : « دكان الأبناء» ، غير أنه يلاحظ أن سهراب ص ١٣٤ يرى أن قراءته : نهر يقال له [. .] يمر بدكان الأبناء . وتعبير « أبناء الدولة » في أوائل العصور العباسية يطلق على أبناء البيت العباسي ، ثم على بعض مواليهم (أنظر: دائرة المعاف الإسلامية ، الطبعة الثانية ، مادة « الأبناء» . لاحظ أن الحربية كانت مزدحمة بسكانها من الموالي الفرس للعباسيين .

(١٥) ج ، س (البانوجة) ، والاشارة الى « البانوقة » ابنة الخليفة المهدي .

(١٦) إن وصف أنهار الجانب الشرقي مستند الى سهراب ص ١٢٩-١٣١ = إبن سيرابيون ص ٢١-٢٣ . أنظر أيضاً ليسترانج . الخارطة ٥ ، وقد وصف ياقوت مجرى نهر موسى وصفاً مقتضباً ، وكان معتمداً في وصفه على الخطيب (ياقوت ٤ / ٨٤٢) .أما نهر بين فهو نهر يتفرع من النهروان ، ولا يصب في بغداد ، بل يسقي كلواذي قبل أن يصب في دجلة على فرسخين أسفل المدينة (أنظر سهراب ص ١٢٩ = ابن سيرابيون ٢١ الاصطخري ص ٨٣ ، ابن حوقل ص ١٦٤ ، أنظر أيضاً ليسترانج ، الخارطة ٣ و ٥) .

(١٧) ج ، س « خندق العباس ، قنطرة العباس » (سهراب ص ١٣٠ = ابن سيرابيون ص ٢٢)، وكان في الجانب الغربي (ص ٧٥ اعلاه) .

(١٨) ج ، س « المعرش » يقرأ « العرش » كما في سهراب ص ١٣٠ = ابن سيرابيون ص ٢٢ .

(١٩) هو فرع من نهر بين يجري تحت الأرض (ولعله في داخل المدينة) حتى يصل الى قصر الفردوس ، وهذا النهر والمحلة المسماة بهذا الاسم ، التي كانت لا تزال مزدهرة في زمن ياقوت ، سميت باسم المعلى بن طريف مولى الممهدي (ياقوت ٤ ٨٤٥) .

(٢٠) ج ، « بيايارز » س ،« بيابراز » : تقرأ « إبرز » كما في سهراب ص ١٣٠ = ابن سيرابيون ص ٢٢++ ورد في المنتظم « باب سرر » .

(٢١) ج ، س « مشاجر » : أما في سهراب ، فهي « مشاجن »(ص ١٣٠= ابن سيرابيون ص ٢٢) والقراءة مشكوك فيها .

(٢٢) لقد كان نهر الفضل عند وصوله الى باب الشماسية يصب في دجلة (سهراب ص ١٣١= ابن سيرابيون ص ٢٣) ، والنهر الذي يأخذ منه هو نهر الخالص الذي كان كنهر بين في الجنوب ، لا يدخل بغداد ، بل يصب في دجلة على بعد فرسخين تحت الراشدية ، وهو يأخذ من نهر تامرا ، وكان نهرا كبيراً تحمل فيه القوارب الكبار (سهراب ص ١٢٨ ، ١٣١ = إبن سيرابيون ص ٢٠ ، ٢٣ ، الإصطخري ص ٧٤ ٨ ، إبن حوقل ص ١٦٥) ولما بنى عضد الدولة قصره في المخرم جر له نهراً من الخالص الى بغداد (أنظر الخطيب ١ / ١٠٨ أنظر أيضاً ليسترانج خارطة ١) . أما الشماسية فهي أعلى محلة بالجانب الشرقي من بغداد وهي الحد الشمالي الشرقي للمدينة (ياقوت ٣ / ٣١٨) . ولما حصن المستعين بغداد ، بنى سوراً يمتد من هذا الباب الى سوق الثلاثاء ، وأصلح الأبوابالتي على تحصيناته (الطبري ٣/١٥٥١) . ولدراسة أسوار الجانب الشرقي التي بنيت في المئة الخامسة (١١م) : أنظر ليسترانج الفهرست ص ٣٨٠، ماسينون : البعثة ٩٦/٢ – ٩٩ ، كانارد : الحمدانيون ١ / ١٦٢ – ٠٣، ج . مقدسي: خطط ص ٢٩٨ – ٣٠٢ . وهذه الأنهار لا يدخل منها المدينة إلاّ نهر المهدي الذي يقول سهراب إنه يبدأ من فوق باب الشماسية، وبعد أن يدخل

يدخل المدينة في هذا المكان يجري الى سويقة جعفر ، ويمر بشارع نهر المهدي (ص ١٣١ = إبن سيرابيون ص ٢٣ أيضاً اليعقوبي : البلدان ص ٢٥١) . ولما بنى عضد الدولة قصره في المخرم اضطر الى ارواء هذه المنطقة من نهر حفره من الخالص (أنظر الخطيب١/١٠٨) ويبدو أن هذا يدل على أن هذا النهر والأصل الذي يأخذ منه ، وهو نهر الفضل ، لم يظلا يأخذان من ماء الخالص . أما قنطرة البردان فقد ذكرها ياقوت ولم يحدد موقعها بالضبط (ياقوت ١٨٧/٤) . وقد بنيت لما بنى المستعين سوره من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء (الطبري ١٥٥١/٣) أنظر أيضاً ليسترانج . الفهرست ص ٣٦٠ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٥٢ ، كانارد : الحمدانيون ١ / ١٦٣) . أما دار الروميين فان موقعها فيما يذكر ياقوت ، في محلة النصارى بأعلى الجانب الشرقي من بغداد (ياقوت ٦٦٢/٢ ، ٣١٧/٣)

(٢٣) ج ، س « الفضل » تقرأ « السور » كما في سهراب ص ١٣١ = ابن سيرابيون ص ٢٣) .

التعليقات على الفصل الحادي عشر

(١) لقد استعملت جسور القوارب لربط الجانبين الشرقي والغربي من بغداد ، لأن فيضان النهر يجعل إقامة القناطر الحجرية غير ممكنة . ولجسر القوارب أيضاً منفعة أخرى ، هي أنه يمكن نقله ويسهل إصلاحه ؛ ففي أوقات الاضطراب يمكن قطع الجسر فتنقطع المواصلات بين الجانبين ، وبالعكس من ذلك يمكن إقامة الجسور بسهولة لتيسير نقل الرجال والمواد (أنظر مثلا المنتظم ٥٦/٨ – ٥٧ ، ١٣٢) .

وقد ورد نص الخطيب في الطبري أيضاً (٣٨٠/٣) . وهذا الجسر عده ليسترانج الجسر الأول ، أي الجسر الذي يذكر اليعقوبي أنه كان يربط الجانب الغربي بالمخرم ، ويعده ليسترانج الجسر الأسفل للمدينة (ص ١٧٥ ، الخارطة ٤ ، وأنظر أيضاً اليعقوبي : البلدان ٢٥٤) . ويرى كانارد أن هذا هو الجسر الرئيس الذي يربط أسواق الكرخ بسوق الثلاثاء (الحمدانيون ١٦٨/١) . وهو لهذا يتفق مع ليسترانج في عده الجسر الذي يربط القسم الأسفل من الجانب الغربي بالقسم الأسفل من الجانب الشرقي . غير أن ليسترانج يرى أن الجسر الرئيس للبلد كان يقع شمالا فوق باب الطاق (أنظر التعليق ٦) .

إن تعيين جسور بغداد يزداد صعوبة بسبب التعابير الغامضة المستعملة ، مثل : مثل : « الجسر الأول » ، و« الجسر الأعلى » . ومن الواضح أن هناك بعض الاوتباك في تحديد ما تدل عليه هذه الأسماء في الأزمنة المختلفة .

فالجسر الأول الذي ذكره اليعقوبي، ينبغي أن لا يخلط مع الجسر المسمى بنفس الاسم و الذي يقع على دجلة بين الحربية والجانب الشرقي في المئة الرابعة / ١٠م (الطبري ٢٢٤٢/٣ ، ٢٢٥٢ عريب ٥ ، ٨) .

(نشرت في مجلة المورد المجلد ٨ العدد ٤ / ١٩٧٩ ص ١٧٠ – ١٤٨ مقالا ضم كثيراً من النصوص التي وردت في كتب التاريخ عن جسور بغداد في العهود العباسية (المترجم) .

(٢) أحمد بن الخليل بن مالك من أهل المئة الرابعة (١٠ م) (الخطيب ١٣١/٤) والإشارة الى باب البستان يقصد بها إما بستان الزاهر ، أو البستان الملاصق لقصر الخليفة في الخلد ، وهو الأرجح .

إن هذه الجسور الثلاثة تمكن الخليفة من العبور إلى المعسكر في الجانب الشرقي ، وبذلك تبين الأهمية السوقية للخلد بين الرصافة والمدينة المدورة وربض الحربية (أنظر القسم ٢ ب) . غير أنه لما كان موقع هذا الجسر متطرفاً في الجانب الشرقي ، وكان لا بد من إنشاء سور لمنطقة السوق الجديد ، أنشئت الأسواق بالقرب من باب الطاق ، وكان الخليفة المهدي يقيم آنذاك في قصره الجديد في الرصافة . والمفروص أنه في هذا الوقت حلت محل جسور المنصور ، أو ربما أكملها جسر عام للمدينة على دجلة في هذه المنطقة (أنظر التعليق ٦).

(٣) موقعه جنوبي بغداد في منطقة كلواذى (ياقوت ٦٦٥/٢) ، ويرى ليسترانج أن هذا هو الجسر المزدوج الذي كان يربط قصر الخليفة في الزندورد بالجانب الغربي (ص ١٧٥، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، الخارطة ٣) .

(٤) يقول اليعقوبي أنه كانت ببغداد ثلاثة جسور على دجلة في زمن الرشيد (التاريخ ٥١٠/٢) . أما كلام الخطيب فقد يدل على أن الخليفة إما أصلح جسراً قديماً ، وإما وضع جسراً مكان

الجسر القديم في باب الشماسية ، كان يربط الجانب الشرقي بالغربي ، لأن هذا الجسر (الجسر الأعلى) ذكر الطبري أنه كان موجوداً في عهد المهدي (الطبري ٤٧/٣) . وكان هذا الجسر يسمى في المئة الرابعة /١٠م) الجسر الأول (الطبري ٢٢٤٢/٣ ، ٢٢٥٢ ؛ عريب ٨/٥) . وينبغي أن لا يخلط هذا بالجسر الأول الذي كان يقع في جنوبه كما أشرنا في التعليق الأول . ويظهر أن هذا الجسر قد خرب في وقت لا نعرفه في المئة الرابعة (١٠ م) كما يقول الصولي في حوادث سنة ٣٢٧ هـ (أخبار الراضي والمتقي ١٣٨ ؛ أنظر أيضاً الإصطخري ٨٤ ، وإبن حوقل ١٦٥ ، وإبن الجوزي : مناقب بغداد ٢٠ ، ليسترانج ١٧٩ الخارطة ٥ ، كانارد : الحمدانيون ١٦٨/١) .

(٥) س « عزية » . ولعل الأصح « المعزية » . وتذكر المصادر العربية عن سنوات متعددة من المئة الرابعة (١٠ م) أنه لم يكن ببغداد إلا جسران على دجلة (الإصطخري ٨٤ ، إبن حوقل ١٦٥ ، الصابي : الوزراء ٢١ ، الصولي : أخبار الراضي والمتقي ١٣٨) . ويبدو أن هذا حدث من إهمال موقت في الاصلاح ، أو تعمد في تخريب جسر من الجسور . أما في سنة ٤٢٢ هـ فالجسر الوحيد الباقي هو الجسر الرئيس العام الذي يربط باب الطاق بالجانب الغربي (أنظر : إبن الجوزي : المنتظم ٥٦/٨ – ٥٧ ، أنظر أيضاً ج مقدسي : خطط ١٨٦ التعليق ٢) .

(٦) كان الجسر الذي يربط باب الطاق بالجانب الغربي هو الجسر الرئيس في المدينة ، ويرى ليسترانج أنه كان يربط الجادة الشرقية العظمى التي في باب خراسانفي الجانب الشرقي بباب خراسان في المدينة المدورة ، ولذلك كانت نهايته الغربية قرب قصر الخلد ، أما نهايته الشرقية فكانت قرب باب الطاق . ويبدو أن رواية الخطيب تشير إلى أن الجسر الأعلى قد رفع ونقل إلى باب الطاق مكوناً جسراً مزدوجاً . أما ماسينون فلا يتفق مع ليسترانج ، ويرى أن الجسر الأعظم بقي زمناً ما في مكانه ، وأنه كان أقرب إلى موقع الجسر الحالي (أي في سنة ١٩٠٧ م) . وعلى هذا لا يمكن أن يكون موضع هذا الجسر بعيداً في الشمال ، كما ادعى ليسترانج ، وإنما كان موضعه بين الكرخ وسوق الثلاثاء ، وبذلك كان يربط أسواق الجانب الشرقي بأسواق الجانب الغربي (ما سينون ٨٨/٢ ، ٩١) غير أن رواية ذكرها إبن الجوزي في حوادث سنة ٤٢٢ هـ تشير إلى أن الجسر الوحيد الباقي على دجلة كان الجسر الذي يربط باب الطاق بالجانب الغربي . والمفروض أن هذا هو الجسر الأعظم ، أما كانارد » وهو يتابع « ما سينون » في تحديد موقع الجسر ، فقد اضطر لذلك أن يستنتج أن باب الطاق وسوق الثلاثاء كانا يقعان في تلك المنطقة على الرغم من أن كل الأدلة تناقض ذلك (أنظر : كانارد : الحمدانيون ١ / ١٦١ ، ١٦٨ ، ج / مقدسي : خطط ١٨٥ التعليق ٤) .

أما نظرية ما سينيون فانظرها في القسم الثالث (٣) .

(٧) يرى ابن الجوزي أن الجسر أصلح ووضع في باب الطاق ، فكان يوصل إلى بستان الزاهر الذي كان معسكراً لجيوش الوزير البساسيري (المنتظم ١٣٢/٨ حوادث سنة ٤٥٠ هـ) . ولعل هذا الجسر رفع بعد مقتل البساسيري ، ووضع في مشرعة القطانين التي كانت تقع في جنوبى ذلك بالقرب من سوق الثلاثاء .

التعليقات على الفصل الثاني عشر

(١) أحمد بن محمد بن عمران : لم تتحقق هويته .

محمد بن يحيى النديم ، أي الصولي .

إن كتاب بغداد « لأحمد بن أبي طاهر طيفور ، المفروض أنه هو كتاب « أخبار الخلفاء » (أنظر روزنثال : تاريخ ص ٣٣٥ التعليق ٦ ، وينقل عن السخاوي : الإعلان ص ١٢٣) ، وهذا ككتاب الخطيب ، يتسم بمقدمة خططية تبحث في أقسام المدينة: خططها ، ومنازل سكانها البارزين (الحميدي : جذوة المقتبس ص ٩٨) ، وتحتوي كتب أخرى عن بغداد ، مثل نشوار المحاضرة ، ورسالة مهبنداذ الكسروي أيضاً ، إحصائيات عن المدينة (أنظر التنوخي : نشوار ١٦٥/١، الصابي: رسوم ص ١٨ فما بعدها . ميخائيل عواد : « فضائل بغداد ليزدجرد بن مهمندار الفارسي « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م ١٩ (١٩٤٤) ص ٣٢٢ فما بعدها – طبعت مستقلة في بغداد (١٩٤٧ م) . هل كان هنالك تقليد في تواريخ بغداد المحلية أن تحتوي فصلا يبحث في الشؤون الاحصائية ؟ وعن مناقشة كاملة لعلاقة كتاب الخطيب بالتواريخ المحلية الاخرى لبغداد : أنظر المقدمة ص ٣٤ – ٤٠)

(٢) الجريب = ١٥٩٢ م ٢ (أنظر د . هينز : المكاييل والمقاييس العربية ص ١٦٥) ، ويفسر الدوري التقدير الاكبر من التقديرين بأنه نتيجة امتداد البناء في الجانب الشرقي إبان خلافة المقتدر (دائرة المعارف الاسلامية ،الطبعة الثانية ص ٨٩٨) . غير أن مصدر هذه الرواية هو أحمد بن أبي طاهر طيفور وقد توفي سنة٢٨٠/٨٩٣م ، أي قبل خمس عشرة سنة من تولي المقتدر الخلافة . ثم إن التقرير الأقل يتفق مع رواية أخرى لأحمد بن أبي طاهر طيفور الذي يورد إحصائيات من زمن الموفق (نحو سنة ٢٧١/٨٨٤ أنظر التعليق١٠) . غير أن أرقاماً أخرى ذكرها ابن حوقل (ص ١٦٤ ، الإصطخري ص ٨٣ ، تقرر أن طول بغداد على شاطئ دجلة من باب الشماسية إلى دار الخلافة خمسة أميال ، وأن عرضها من باب خراسان (في الجانب الشرقي) إلى الياسرية خمسة أميال أيضاً . وقد حسب ليسترانج ص (٣٢٤ فما بعدها) معتمداً على هذه الأرقام ، مساحة بغداد خمسة وعشرين ميلا مربعاً على الرغم من أن الميل العربي يساوي ألفي متر والميل الإنكليزي يساوي ١٧٢٨ ياردة – ١٥٠٠ متر ، فهما ليسا متساويين . يضاف إلى ذلك أنه لم تكن لديه عن المقاييس العربية المعلومات التي جمعت منذ ذلك الوقت . فقد افترض أن هذه الأرقام تتسق الى حد ما مع المعلومات التي ذكرها الخطيب . غير أن واقع الحال ليس كذلك (أنظر التعليق ١٠) .

فالمساحة الكلية التي ذكرها ليسترانج هي أكبر من الأرقام التي ذكرها الخطيب ، وذلك لأن ٢٥ ميلا مربعاً = ١٠٠ كيلو متر مربع ، في حين أن ٤٣٫٧٥٠ جريباً هي إلى حد ما أقل من ٧٠ كيلو متراً مربعاً ، وأن ٥٣٫٧٥٠ جريباً هي إلى حد ما أقل من ٨٦ كيلو متراً مربعاً . ويمكن إزالة الصعوبة إذا استطاع المرء أن يفترض أن عرض بغداد قد قيس تبعاً لنقاط مختلفة من المراجع . لاحظ أن رواية أخرى للخطيب تذكر أن طول بغداد

يساوي ٢٥٠ حبلا ، وأن عرضها ١٧٥ حبلا فقط (أنظر التعليق ١٠ أدناه) إما الإشارة إلى الياسرية فالمفروض أنه إلى الحد الغربي الأقصى لبغداد . أما طول بغداد كما قيس على دجلة فقد كان بلا ريب ثابتاً في الجانبين الشرقي والغربي ، فطول بغداد إذا قيس على طول شاطىء دجلة كان بلا ريب متسقاً في كلا الجانبين الشرقي والغربي . وليس من الضروري أن ينطبق هذا على قياس عرض بغداد ، وهذا التمييز قد يساعد على تفسير الاختلاف بين إحصاءات الخطيب والاحصاء الذي استنبطه ليسترانج من ابن حوقل . على أي حال لا يمكن قبول حسابات ليسترانج .

(٣) يدعي الدوري أن الرقم ١٫٥٠٠٫٠٠٠ الذي ذكره الخطيب ، هو كل سكان المدينة (أنظر دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الثانية، ٨٩٩). وهو يروي اضافة إلى الحمامات (أنظر التعليق ٦) نصاً فيه : أن جامع المنصور قد قيس لمعرفة مقدار استيعابه ، وأن الرقم الذي توصل إليه هو ٦٤/٠٠٠ ، وهو رقم المبالغة فيه واضحة بالقياس الى حجم الجامع (إبن الفقيه ص ٦٢ أ) . وهناك أرقام أخرى تؤيد كثرة تقدير السكان ، أوردها اليعقوبي الذي ذكر أن بغداد كان فيها أيام المنصور عشرة آلا ف درب وسكة ، وخمسة وثلاثون ألف مسجد ، وخمسة عشر ألف حمام (البلدان ص ٢٥٠ ، ٢٥٤) وينقل الدوري أيضاً رواية تذكر أن المقتدر أمر سنان بن ثابت بامتحان الأطباء وأن لا يجيز منهم إلا من تثبت كفايته ، وقد بلغ عدتهم ستين وثمان مئة (إبن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٢٢١/١ ، ٢٢٤، ٣١٠ ، إبن الأثير: الكامل ٨٥/٨) . ويقول الخطيب : أحصيت السميريات والزوارق المعبرانية التي في دجلة في زمن الموفق ، فكانت ثلاثين ألفاً (أنظر النص أعلاه ، وكذلك ابن الجوزي : مناقب بغداد ٢٤) . وقد حاولت روايات أخرى تقدير كثافة السكان من معرفة مقدار استهلاك الأطعمة (أنظر التعليق ٩ أدناه) . ويبدو أن محاولة تقدير عدد سكان المدينة بعدد الحمامات كان شائعاً . وقد ذكر هلال الصابي (رسوم ص ١٨ فما بعدها) رواية يزدجرد بن مهمندار الفارسي الكسروي ، ومع ان أرقامه متواضعة إلا أنهاجديرة بأن تقارن بما ذكره الخطيب . فهو يذكر أن تقدير البعض عدد الحمامات مئتي ألف وثلاثين ألفاً ومئة وعشرين ألفاً، هي تقديرات مبالغ فيها للسامع ولا يقبلها الاالعامة.وقدجعل الصف أقل تقدير ، وتوصل إلى رقم معتدل وهو ستون ألف حمام . ثم ذكر عدد المستخدمين في كل حمام ، وذكر إضافة إلى الخمسة الذين ذكرهم الخطيب — سادساً هو « صاحب الصندوق » ، فحصل ثلاث مئة وستون الفاً . ثم إنه بالمقارنة بما كان في عهد المنصور ، قرر أن عدد البيوت بالقياس إلى عدد السكان إثنا عشر ألف ألف ، فنصف بتواضع الرقم المقبول وهو ٤٠٠ ، وبذلك صار عدد البيوت اثني عشر ألف ألف ولما كان في بعض البيوت عشرون نفساً ، وفي بعضها اثنان أو ثلاثة ، فانه نصف العـــدد الاكبر (٢٠) وضاعف الأصغر (٣) ، ثم نصف مجموعهما (١٦) ، فحصل له (٨) ، وهو معدل عدد من يسكن الدار ، فضربها في عدد الدور ، فنتج عن ذلك أن عدد السكان هو ستة وتسعون ألف ألف ، وهو رقم مستحيل طبعاً . ويبدو من غير الممكن إيجاد إشارة إلى أية احصائية في كل هذه المناقشات ، وأن دراسة دقيقة للمصادر سوف تقدم معلومات نظرية أكثر من هذا النمط . وهذه الاحصاءات كبيرة جداً ، وهي مشكوك فيها . ولا تبدو في الوقت الحاضر أية وسيلة

أخرى لجعل هذه الأرقام مقبولة ، إلا أن أدلة أخرى تشير فيما يظهر إلى أن الرقم ٢٠٠،٠٠٠ – ٦٠٠،٠٠٠ للسكان ، لم يكن مستحيلا . أنظر القسم الثالث (٣) .

(٤) للمسلمين عيدان دينيان هما : عيد الفطر وعيد الأضحى . فالأول ثلاثة أيام من غرة شوال والثاني أربعة أيام عاشر ذي الحجة . (انظر دائرة المعارف الاسلامية مادة « عيد الأضحى » « عيد الفطر » وقد أصلحت الأرقام التي وردت في الخطيب . لأنها غير منسجمة . وفي س ، ج هي ٢/١ ١١٥٨ جرة و ٥١٠ و ٦٠٩ أرطال .

(٥) إبراهيم بن هلال الصابي : ت ٩٩٤/٣٨٤ (بروكلمان / الملحق ١٥٣/١ وانظر أيضاً مقدمة ميخائيل عواد لطبعة الرسوم . وعن قصة مشابهة أنظر : التنوخي : نشوار ٦٥/١ ، وكذلك الصابي : رسوم ص ٢٠ فما بعدها — ولعل هذه الرواية التي رواها الخطيب = ياقوت ٢٥٥/٢ — مقتبسة من كتاب بغداد لهلال الصابي : أنظر المقدمة ص ٣٨ .

(٦) يذكر اليعقوبي أنه كان ببغداد في زمن المنصور (؟) خمسة آلاف حمام في الجانب الشرقي ، وعشرة آلاف في الجانب الغربي ، وأن ذلك العدد إزداد بعد ذلك (البلدان ٢٥٠ ، ٢٥٤) . ويروى هلال الصابي عن جده أن الحمامات في زمن المقتدر كانت ٢٧٠٠٠ ، غير أن هذا العدد استمر في التناقص في عهد البويهيين ، فكان ١٧٠٠٠ في زمن معز الدولة (٣٣٤–٩٤٥/٣٥٧–٩٦٧م) ثم صار ٥٠٠٠ في زمن عضد الدولة (٣٦٧–٩٧٧/٣٧٣–٩٨٣م) ونحو ١٠٠٠ في عهد بهاء الدولة (وكان إحصاؤها سنة ٩٩/٤٨٢ ه ، وصار في زمن هلال (ت ١٠٥٦/٤٤٨ م) (أنظر رسوم ٢٠ فما بعدها) . والرقم الذي ذكر عن عهد طغرلبك يختلف عما ذكره الخطيب . ومن الطريف بصورة خاصة أن تكون الحمامات في زمن معز الدولة أكثر مما هي في زمن عضد الدولة الذي تذكر المصادر أن بغداد ازداد فيها الإعمار والتوسع (أنظر مسكويه : تجارب ٤٠٤/٢ – ٩ ، ٦٩/٣ ، ابن الأثير : الكامل ١٥٨/٨) . وقد تعجب هلال من عدد الحمامات في زمنه إذا قورن بعددها في الأزمنة السابقة ، وحاول أن يؤيد الأرقام الكبيرة . وقد لاحظ أن ثلاثين داراً في باب المراتب كان فيها خمسة عشر حماماً ، وهو يذكر أن هذه المحلة التي تعد محلة ارستقراطية ظلت إلى زمن المعتضد وفيها مالا يقل عن خمسين ألف من السكان ، ففي ذلك الزمن كان في كل بيت حمام واحد في الأقل . وفي بعضها أكثر من حمام . ومن الطبيعي أن تقدير عدد سكان هذه المحلة مبالغ فيه . يضاف إلى ذلك أنه يمكن أن يلاحظ المرء أن التاجر الحنبلي الواسع الثراء أبا عبدالله ابن جردة يقيم هناك في دار تعدل عشرات الآلاف من الدنانير ، وكان فيها مالا يقل عن ثلاثين بناءاً ، ولكن ليس فيهما إلا حمام واحد (أنظر مقال ج . مقدسي : خطط بغداد ص ٢٨٨ ؛ الترجمة الشخصية لمؤرخ بغدادي في المئة الحادية عشرة المنشور في مجلة مدرسة اللغات الشرقية / ١٨ (١٩٥٦) ص ٢٤٨ ، التعليق ٦١ — وأرقام الحمامات تظهر انحطاط المدينة في العصر البويهي (أنظر أدناه) ، وإلا فمن الصعب تقدير قيمتها .

(٧) ج « طرز » ولعلها ينبغي أن تصلح « الطرازون » أي صانعو الطراز .

(٨) يقصد من ذلك الحرب التي نشبت بين الأمين والمأمون (أنظر في . جابرايللي : « ولاية العهد لهارون الرشيد والحرب بين الأمين والمأمون » مجلة الدراسات الشرقية .

م ١١ (١٩٢٨) ص ٣٤١ — ٩٧ . وقد وصف المؤرخون العرب حصار بغداد (في نحو سنة ١٩٨/٨١٣) بسبب هذهالحرب بين الأخوين، وذكروا الدمار الواسع الذي أصابها (أنظر الطبري ٨٦٤/٣ فما بعدها . المسعودي : مروج ٤ / ٤٤١ فما بعدها) . وقد لخصها ليسترانج ص ٣٠٦ فما بعدها . غير أنه لا يذكر الاشارات الى الاماكن التي تدمرت فعلا وهي قليلة جداً، كما أن بعض الأماكنالتي ذكر أنها تخربت كالقنطرة العتيقة والقنطرة الجديدة ظلت قائمة في الأزمنة التالية كما هو معروف (أنظر نص الخطيب)، ويضاف إلى ذلك أن تركيب المدينة المدورة لم يمس،وظل مسكوناً في المئة الرابعة (١٠م). (أنظر الفصل الثاني)، التعليق ٣٨) ، وإني أميل إلى الاعتقاد بان الخراب الذي منيت به خطط المدينة من هذا الحصار كان صغيراً ، وأن معظم المناطق التي خربت أعيد بناؤها ، ولذلك أمكن وصفها في الروايات الخططية المتأخرة ، والواقع أن مكانة المدينة كعاصمة للدولة الاسلامية هو الذي أخذ ينحط ببطء إن كان قد انحط . فالدولة الاسلامية بعد هذه الحرب الأهلية ازدادت فيها اللامركزية وتناقصت مكانة الخلافة ، ولم يتخذ المأمون بغداد عاصمة ، بل اتخذ عاصمته في مرو بين حلفائه الفرس في خراسان . أما المعتصم الذي أعقبه في الخلافة فقد نقل العاصمة رسمياً إلى مركز إداري جديد في سامراء التي ظلت كذلك مدة تزيد على قرن على الرغم من المحاولة الخائبة التي قام بها الخليفة المستعين في سنة٢٥٨/٨٦٥هـ لاعادة نقلالعاصمة إلى بغداد (الطبري ١٥٥٣/٣ — ٧٨) ، وقد كانت هذه المحاولة هي التي أحدثت بعض التغييرات في خطط المدينة ، وخاصة في إقامة تحصينات دفاعية في الجانبين الشرقي والغربي (وقد أجملها ليسترانج ص ٣١٠ فما بعدها) . غير أنه بعودة الخلافة فيسنة٢٧٨/٨٩٢ أخذتتنفذ برامج بناء واسعة في الأطراف العامة للعاصمة الجديدة (أنظر النص الفصلالسابع)، ومع هذا فقد روى أنه في بداية خلافة المقتدر المضطربة (٢٩٦ — ٣٠٢ / ٩٠٨ — ٩٣٢)أخذت هذه المناطق « الملكية الجديدة » وما يجاورها تتقلص حتى أصبحت هذه المنطقة في زمن الخطيب (٤٦٣/١٠٥٥) نصف ما كانت عليه من قبل (رسوم ص ٧ فما بعدها) . وينبغي رد السبب الأكبر في التدهور الطبيعي الكبير إلى التبدلات الكبرى التيحدثت في ادارة العراق في العهد البويهي والعهد السلجوقي الذي تلاه . ومن سوء الحظ أنه لا تتوفر حتى الآن دراسة كاملة للمدينة في هذهالعهود المتأخرة .

(٩) أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي : ت ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م (الخطيب ٣٦٣/٥ — ٦٥) . لهذه القصة رواية في نشوار المحاضرة للتنوخي،وهناك روايات مماثلة تحاول تقدير السكان تبعاً لاستهلاكهم المواد الغذائية ، فالتنوخي يلاحظ أن مقدار الخس المزروع في كلواذى وقطربل والمناطق المجاورة يبلغ ألفي جريب ، تعدل قيمتها خمسين ألف دينار ، وهو يستنتج « ما حجم مدينة تستهلك في فصل واحد من السنة ، ومن نوع واحد من الخضر ، ما قيمته خمسون ألف دينار » المصدر أعلاه .

ويلاحظ هلال الصابي أن يزدجرد الكسري فيما عدا الأرقام التي ذكرها عن الحمامات (أنظر هامش ٢٣ اعلاه) حاول تقدير سكان بغداد على أسس الألبسة والمواد الغذائية ، فهو يقول : إنه كان يصرف في كل من جانبي بغداد ستون ألف دينار على الباقلاء كل يوم أي عشرين ومئة ألف دينار لكل المدينة مما يؤيد العدد الكبير الذي ذكره للسكان (أنظر رسوم

ص ٢٠) ، غير أنه ليس من الممكن أن نقيم معلومات من هذا النوع . والكر من الباقلاء الذي يذكر أدناه يساوي ٢٤٣٧ كيلوغرام (هينز ص ٤٢ – ٤٣) .

(١٠) يرى ليسترانج أن هذه التقديرات ربما تمت بعد أن عاد الموفق إلى بغداد من حملته على الزنج في سنة ٢٧١ / ٨٨٤،وأنهذه الأرقام يجب أن تقلب لتجعل الجانب الغربي هو أوسع الجانبين من المدينة (أنظر التعليق ٢ أعلاه ، وانظر ابن حوقل ص ١٦٤ = الإصطخري ص ٨٣ ، ليسترانج ٣٢٤ – ٢٥ وليسترانج يذكر خطأ أن الجانب الشرقي كان أوسع الجانبين ، استناداً الى هذه الرواية وقد قدر طول المدينة وعرضها بالحبل . أما المساحة فقدرت بالجريب . وبموجب احصائيات الخطيب ، يمكننا أن نقرر أن الحبل المربع = جريب (٢٥٠×١٠٥=١٥٠٠ر٢٦) . ويذكر هينز أن الحبل=٢١٦١٦ متراً، غير أن معلوماته تتعلق باسبانية ، وليس بالأقسام الشرقية من العالم الاسلامي (ص ٦٢) لاحظ أن طول بغداد قدره ابن حوقل (ص ١٦٤) ، والإصطخري (ص ٨٤) خمسة أميال . وكل ميل يساوي كيلو مترين (= ٢٠٠٠ متر : أنظر هينز أعلاه ص ٦٣) . أما الدوري فيقدره ١٨٤٨ متراً ، فالطول الكلي لبغداد إذا قيس من النهر ، يبلغ عشرة آلاف متر ، فالحبل إذن يساوي أربعين متراً (٠٠٠ر١٠ ÷ ٢٥٠) ، وأن الجريب على ما يقول هينز ، هو ١٥٩٢ متراً مربعاً ، أو ٩ر٣٩ ميلا مربعاً (أعلاه ص ٦٥ وبحسب تقدير الدوري ٩ر٣٦) ، فالأرقام متقاربة . وقد تقرر بالضبط مقدار طول الحبل كما هو معروف في بغداد . إن قول الخطيب يشير إلى أن طول المدينة كان أكثر من عرضها بنسبة ٧/١٠ ، وأن عرض الجانب الغربي أكثر من عرض الجانب الشرقي بنسبة ٢/٣ ، وهذا يخالف ما يقوله ابن حوقل والإصطخري من أن طول بغداد وعرضها متساويان . وعلى كل يمكن أن يفترض أن طول المدينة إذا قيس على شاطئ دجلة كان ثابتاً ، غير أن عرضها كان يختلف تبعاً للنقطة التي يقاس منها ، وهي عند ابن حوقل باب خراسان في الجانب الشرقي من بغداد ، والياسرية في الجانب الغربي . وتشير دراسة دقيقة لخارطة الدوري إلى أن الخط الذي يصل بين باب خراسان في شرقي بغداد ، وباب الكوفة في المدينة المدورة ، ينسجم مع نسبة الطول والعرض ، وكذلك نسبة عرض الجانب الغربي إلى عرض الجانب الشرقي . فاذا كانت النسبة المروية صحيحة ، كانت الخارطة دقيقة ، فقد تكون هذه المواضع هي التي أخذت نقاط البداية في مقياس المدينة كما ذكرها الخطيب . ولمناقشة كاملة انظر ليسنر « حبل بغداد وأبعاد المدينة » ملاحظة قياسية – مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق ، المجلد ٦ (١٩٦٣) ص ٢٢٨ – ٢٩ .

التعليقات على الفصل الثالث عشر

(١) تقرن مقبرة قريش بمقبرة باب التبن ، وكانت قرب خندق طاهر بالقرب من باب التبن . وتقرن أيضاً بمقبرة الشونيزي (أنظر النص أدناه) وبمقبرة الكاظمين باسم الإمامين المدفونين فيها ، وهما موسى الكاظم وحفيده محمد بن علي . لذلك يبدو أن هذه المقابر كلها كانت أقساماً من مدفن واحد يمتد مساحات واسعة وراء حدود المدينة . واسم قريش كان يطلق أيضاً على مقبرة الخيزران في الجانب الشرقي (ياقوت ٤٤٣/١ ٥٢٢/٢ ، ٣٣٩/٣ ، ٧٩/٤ ، ٥٨٧ ، إبن حوقل ص ١٦٤ ، أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٥٨ ، ١٦٠ – ٦٣ ، ٣٥٠–٥٣ ، الخارطة ٥ ، ماسينون: بعثة ٨٧/٢ ، ١٠٥–٦) وموسى بن جعفر هو الإمام موسى الكاظم، توفي في سنة ١٨٣هـ /٧٩٩ – ٨٠٠ م أو في سنة ١٨٠هـ/١٨٠٢ م ،وكان قبره يدعى «مشهد باب التبن » ، وقد أخرب هذا المشهد ومشهد حفيده في الاضطرابات التي حدثت في سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١ م (ابن الجوزي : المنتظم ١٤٩/٨–٥٠ ، إبن الأثير : الكامل ٣٩٥/٩– ٣٩٦) ، غير أنه أعيد بناؤه بعد ذلك (أنظر ليسترانج ص ١٦٢ فما بعدها ، وكذلك ماسينون : بعثة ٩٩/٢–١٠٠) .

(٢) س الحسن بن إبراهيم – علي الخلال .

الحسن بن الحسين الأسترابادي : ت٤١٢/١٠٢١–١٠٢٢ (الخطيب ٣٠٠/٧) .

أحمد بن جعفر القطيعي : ت ٣٦٨/٩٧٩ (الخطيب ٧٣/٤–٧٤) .

الحسن بن إبراهيم الخلال : نحو سنة ٣٢٩ / ٩٤٠ م (الخطيب ٧٢/٧) .

(٣) محمد بن الحسين الحنبلي : ت ٤٥٨ /هـ –١٠٦٦ م (الخطيب ٢٥٦/٢) .

أبو طاهر بن أبي بكر : لم تعرف هويته .

(٤) يقصد بالقطيعة قطيعة أم جعفر التي كانت تسمى أيضاً (الزبيدية) وكانت قرب مقبرة باب التبن . أما قبر ابن حنبل ، فيقصد به مدفنه في مقبرة باب حرب كما ذكر الخطيب (أنظر أيضاً ياقوت ٥٨٦/٤ مراصد ١٢٩/٣ ، إبن الأثير : الكامل ٦٣/١٠ ، ١٦٤/١١ ٢١٦/١٢) . ويلاحظ ليسترانج أن ابن جبير وابن بطوطة ، وهما مصدران متأخران ، يجعلان القبر قرب قبر أبي حنيفة في أعلى الجانب الشرقي ، ولكنهما يذكران أيضاً قبراً لابن حنبل في الجانب الغربي ، وكذلك فعل معاصرهم الجغرافي الفارسي القزويني ، وقد قاده هذا إلى الاعتقاد بأن أحمد بن حنبل لم يدفن في الحانب الشرقي قط . ولكن بعد أن خرب قبره قرب الحربية بالفيضان ، صار يخلط خطأ بمدفن ابنه عبد الله الذي كان في القطيعة (في الجانب الغربي مقابل ضريح أبي حنيفة عبر النهر (ليسترانج ص ١٥٩ ٦٠ ، ١٦٥ –٦٧ ، الخارطة ٥ مفتاح رقم ١٢) ، غير أنه تجب ملاحظة اعتراض ماسينون على النظرية المذكورة أعلاه ، وعلى اعتقاده أن جثمان أحمد بن محمد بن حنبل نقل الى مدفن في الجانب الشرقي (بعثة ١٠١/٢–٢) . أما بشر بن الحارث الذي ذكر أنه دفن أيضاً في مقبرة باب حرب ، فقد توفي سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤٠ م أو سنة ٢٢٧هـ/٨٤١ م(أنظر دائرة المعارف الإسلامية . مادة بشر الحافي) . أما موقع قبره في الأزمنة الحديثة فانظر عنه : ماسينون : بعثة ٧٩–٨٠ .

وأن ابنه عبد الله دفن عند باب حرب ، وكلا الموقعين في الجانب الغو الغربي .
« وقد اكتشف في السنوات الأخيرة شاهد قبرفي محلة الميدان ذكر فيه أنه مقام على قبر أحمد بن حنبل،وهذا قد يدل على أن رفات أحمد نقل في المئة السادسة (١٢م) الى الجانب الشرقي، غير أن المصادر لم تذكر هذا النقل (المترجم) .

(٥) إسماعيل بن أحمد الحيري : ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨-١٠٣٩ م (الخطيب ٣١٣/٦) .
محمد بن الحسين السلمي : ت ٤١٢هـ/١٠٢١ م (بروكلمان الملحق ٣٦١/١ فما بعدها) .
أبو بكر الرازي : ت٣٧٦هـ/٩٨٦ م (السلمي : طبقات الصوفية ص ١٨ فما بعدها) .
عبد الله بن موسى الطلحي : لم تتحقق هويته .
أحمد بن العباس : لم تتحقق هويته .

(٦) معروف الكرخي : ت ٢٠٠ هـ/٨١٥ – ٨١٦ م (دائرة المعارف الإسلامية، مادة « معروف الكرخي » وقد أصاب قبره حريق في سنة ٤٩٥ هـ / ١٠٠٧ م علقت النار ببعض الأخشاب والحصر فأحرقت الحيطان والقبة ، غير أنه أعيد بناؤه بأمر من الخليفة (القائم) . وكان بناؤه بالطابوق والجص ، وكمل البناء في السنة التالية (أنظر ابن الجوزي : المنتظم ٢٤٦/٩ ، إبن الأثير : الكامل ١٠ / ٣٧ – ٣٨ ، وكذلك ج . مقدسي : خطط ص ٢٨٦) وكان يقع في مقبرة باب الدير قرب باب البصرة على أقل من ميل من دجلة (على مجرى الصراة الادنى (؟) . والظاهر أن هذه المقبرة كانت مدفن سكان القسم الشرقي من الكرخ (ياقوت ٦٥٠/٢ ، ١٣٧/٤ ، وكذلك ليسترانج : الفهرست ص ٣٧١ ، ما سينون : بعثة ٢ / ١٠٨ وأنظر أيضاً مصطفى جواد « العمارة الاسلامية العتيقة القائمة في بغداد « سومر / مجلد ٣ (١٩٤٧) ص ٥٥ فما بعدها) .
منصور بن عمار : ت ٢٢٥/٨٤٠ (الخطيب ٧١/١٣ فما بعد) .

++ : – مقبرة معروف الكرخي ، لا تزال أكبر مقابر الجانب الغربي ببغداد . وقد رددت المصادر أنها عند باب الدير ، غير أنها بعيدة عن باب البصرة ، ولعل المقصود أنها قريبة من مدينة المنصور المدورة التي صارت منذ المئة الخامسة تسمى « باب البصرة » (المترجم) .

(٧) الحسن بن أبي طالب (الخلال) .
يوسف بن عمر القواس : ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م (الخطيب ٣٢٥/١٤-٢٧)
محمد بن شجاع : لم تتحقق هويته .
أبو يوسف بن بختان : (الخطيب ٢٨٠/١٤) .

(٨) س : إسماعيل بن بكر السكوني. ج : أبو بكر .
الحسين بن علي الطنا جيري : ت ٤٣٩ هـ / ١٠٤٨ م (الخطيب ٧٩/٨-٨٠).
محمد بن علي المؤدب : لم تتحقق هويته .
عثمان بن إسماعيل السكري : ت ٣٢٣/٩٣٤-٨٣٥ (الخطيب ٢٩٦/١١) .
إسماعيل بن بكر / ت ٢٨٠/٨٩٣ (الخطيب ٢٩٣/٦-٩٤) .
أحمد بن إبراهيم الدورقي : ت ٢٤٠/٨٥٥ (الخطيب ٦/٤-٧) .

(٩) هذه المقبرة قرنها شتريك بالمكان المسمى الكناسة (بابل ص ١٥٩) ، وعن الكناسة أنظر اليعقوبي : البلدان ص ٢٤٤ ، وكذلك ليسترانج ص ١٥٠-٥١ ، الخارطة ٦ مفتاح رقم ٢١) . أما مقبرة الشونيزي فانظر عنها هامش ١ أعلاه والنص أدناه . وقد ذكر ياقوت أنه كان عندها رباط للصوفية (ياقوت ٣٣٨/٣) .

أما سري السقطي ، فقد توفي سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م أو سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م (إبن خلكان : وفيات ٢٠١/١ ، وكذلك ليسترانج ص٧٩-٨٠)،ويقول ياقوت: إن الزهاد كانوا فيمابعد يدفنون هناك ، ومنهم الجنيد ، وجعفر الخلدي، ورويم، وسمنون المحب (ياقوت ٣٣٨/٣). أما التوثة فتقع مقابل قنطرة الشوك ، وكانت مأهولة حتى زمن ياقوت ، وكانت كالمدينة (ياقوت ٨٨٩/١ ، وأنظر أيضاً ليسترانج ص ٧٥ ، الخارطة ٦ ، والفقرة الأخيرة عن مقبرة قريش اقتبسها ابن خلكان في ترجمته لسري السقطي .

++:- مقبرة الشونيزي : من أشهر مقابر الجانب الغربي وأكبرها ، وموقعها عند الشيخ جنيد المعروف مكانه حالياً . أما التي عند مقابر قريش فكانت تسمى الشونيزي الصغير ، ولم تشتهر (المترجم) .

(١٠) أبو الحسن بن مقسم : ت ٩٩٠/٣٨٠ (الخطيب ٤٢٩/٤) .
أبو علي الصفار : لم تتحقق هويته .

(١١) إبراهيم بن عمر البرمكي : ت ٤٤٥ هـ / ١٠٥٤ م (الخطيب ١٣٩/٦) .
عبيدالله بن عبدالرحمن : ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م (الخطيب ٣٦٨/١٠-٧٠) .
عبدالرحمن بن محمد : ت ٣٥٦ هـ / ٩٩٧-٩٤٨ م (الخطيب ٢٨٩/١٠-٩٠) .

(١٢) سورة الاخلاص ، الآية الأولى .

(١٣) س « الحسين » ، ج « أبو الحسن » .
محمد بن علي الصوري : ت ١٠٤٩/٤٤١ (الخطيب ١٠٣/٣) .
محمد بن أحمد بن جميع لم تتحقق هويته .
أبو عبدالله المحاملي لم تتحقق هويته .

(١٤) يبدو أن هذه أيضاً هي مقبرة قريش نفسها (في الجانب الشرقي)++ أنظرالتعليق (١) أعلاه . وكانت المقبرة تقع بعض الشيء شمالي الرصافة (أنظر ليسترانج ص ١٩١ فما بعدها ، الخارطة ٥ . ومحمد بن إسحق بن يسار المتوفى سنة ١٥١ هـ / ٧٦٧ م ، وقد ألف كتاب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في جزءين، اشتهر ثانيهما، وهو كتاب المغازي، الذي سيذكر أدناه (أنظر بروكلمان.الملحق٢٢٦/١) ، وكان قبر أبي حنيفة يقع عند مقابر الخلفاء في الرصافة (أنظر ياقوت ٧٨٣/٢ ، وكذلك ليسترانج ص ١٩٠ فما بعدها ، الخارطة ٥) . وأقدم ذكر للضريح موجود في المقدسي (ص ١٣٠) الذي يذكر أن رجلا اسمه أبو جعفر الزمام بنى صفة قرب القبر على مايظهر ، وكانت للصلاة والتعبد . وفي سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤-١٠٤٥ م بنى على قبره مسجد، وفي سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦٠-١٠٦٢ م قرر شرف الملك تشييد ضريح ، فهدم الأبنية التي كانت قائمة عليه والأبنية المجاورة ، كيما يمكن إقامتها على أسس جديدة فوق أرض واسعة . وقد تكون الضريح الجديد من بناء بالطابوق ، تعلوه

قبة بنيت فوق الضريح ، ومدرسة بنيت وراءه ، وقد استلزم هذا البناء الواسع الحصول على أراضي أخرى ، ولذلك نقل رفات عدد من الموتى إلى أمكنة أخرى . وقدكمل البناء في سنة ٤٥٩ ﻫ / ١٠٦٧ م (أنظر ابن الجوزي : المنتظم ٨/٢٤٥). أما التاريخ التالي للبناء فأنظر عنه ليسترانج ص ١٩٠–٩٢، ومصطفى جواد : « النظامية في بغداد » سومر / مجلد ٩ (١٩٥٣) ص ٣٢٤ ، وجورج مقدسي : « مؤسسات التعليم الاسلامية في بغداد في القرن الحادي عشر » مجلة مدرسة اللغات الشرقية مجلد ٢٤ (١٩٦١) ص ١٩ فما بعدها ص ١٧– ١٩ عن مؤسسات حنفية أخرى.ومع أن أبا حنيفة يعود الىالجيل الأول منبغدادإلا أنهلم ينبن على قبره مسجد حتىسنة ٤٣٦ ﻫ ، كما أنه لم تنشأ عليه قبة حتىسنة ٤٥٩ ﻫ ،ومن الواضح أن هذا يؤيد الرأي القائل إن نمو مثل هذه الأضرحة يعود إلى زمن ليس أقرب من المئة العاشرة .

++:– لم تشتهر المقبرة التي دفن فيها أبو حنيفة باسم « مقبرة قريش » ، بل اشتهرت بأنها « مقبرة الخيزران . وقبره مشهور اليوم . وهي قريبة من باب الطاق ، ولذلك أشارت بعض المصادر المتأخرة إلى قبر أبي حنيفة فيباب الطاق . أما مقابر الخلفاء ،فكانت عند الرصافة، أي في الجهات الجنوبية من كلية العلوم الحالية (المترجم) .

(١٥) عمر بن ابراهيم المقرئ : ت ٣٩٣/١٥٠٢ – ١٠٠٣ (الخطيب ١١/٢٦٩)
مكرم بن أحمد : ت ٣٤٥/٩٥٦ (الخطيب ١٣/٢٢١) .
عمر بن اسحق بن ابراهيم : لم تتحقق هويته .
علي بن ميمون : لم تتحقق هويته .
الشافعي : ت ٢٠٤/٨٢٠ (دائرة المعارف الاسلامية . مادة « الشافعي » .

(١٦) أنظر ياقوت ٣٩٧/٤ – وهو يذكر قرية بهذا الاسم قرب بغداد ، غير أنه لا يذكر موقعها بالضبط ، ويقول ليسترانج : إن هذه المقبرة تقع خارج باب البردان وكانت تعرف أيضاً بمقبرة باب البردان (ص ٢٠٤ ، ٢٠٧ – الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٥١) ، غير أن نص الخطيب يبدو أنه يشير إلى مكانين منفصلين هما : مقبرة المالكية ، ومقبرة باب البردان .

(١٧) س « قبر النذور مشهد النذور » .
كان في زمن ياقوت يقع على نصف ميل من سور المدينة ، ويذكر المراصد أنه كان في الأصل في الرصافة ، غير أن هذا القسم الذي حولها قد أصبح خرباً . فهي لذلك تبعد اليوم (نحو سنة القرن الثامن/١٣٠٠ م) نصف فرسخ عن بيوت المدينة (ياقوت ٢٨/٤ مراصد ٣٨٥/٣) أنظرأيضاً ليسترانج ص ٢٠٥ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ٥١ ماسينون : بعثه ٣٨/٢ ، كانارد : الحمدانيون ١ / ١٦٣ – ٦٤ ج . مقدسي خطط ص ٢٨٩ – ٢٩٦ ، التعليق ٣وهو يقتبس من كتاب الزيارات للهروي (وقد طبعه ج. سورديل ثومين ١٩٥٣) . ص ٧٤ ، وهو يذكر موضعها قرب مقبرة الخيزران .

(١٨) نقل ياقوت مختصراً القصة التالية ، معتمداً في ذلك على التنوخي (ياقوت ٢٩/٤) .

(١٩) س : « عبيدالله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب » ، ولم يرد له ذكر في كتاب « مقاتل الطالبيين » لابي الفرج الأصفهاني ، وأقرب اسم إليه محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب .

(٢٠) أحمد بن عبدالله الوراق : ت ٩٨٩/٣٧٩ (الخطيب ٢٣٤/٤) .
محمد بن همام : ت ٩٤٤/٣٣٢ (الخطيب ٣٦٥/٣)
محمد بن موسى البربري : ت ٩٠٨/٢٩٤ (الخطيب ٢٤٣/٣) .
سليمان بن أبي شيخ : ت ٨٦٠/٢٤٦ – ٨٦١ (الخطيب ٥٠/٩) .

(٢١) س « الحسن » ، ج « الحسين »

(٢٢) الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب : ت ٧٨٤/١٦٨ – ٧٨٥ (الخطيب ٣٠٩/٧)
هشام بن عروة (أنظر إبن خلكان : وفيات ١٩٤/٢ – ٩٥ ، وكذلك النص أدناه .

(٢٣) الحسن بن علي الجوهري : ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م (الخطيب ٣٩٣/٧) .
محمد بن العباس الخزاز : ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ – ٩٩٣ م (الخطيب ١٢١/٣ – ٢٢) .
أحمد بن محمد بن موسى : ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م (الخطيب ٩٤/٥ فما بعدها) .
أبو الحسين بن المنادى : ت ٣٣٦ هـ /٩٤٧ م (الخطيب ٦٩/٤ فما بعدها) .

(٢٤) حمزة بن محمد ت ٤٢٤ هـ / ١٠٣٣ م (الخطيب ١٨٤/٨) .
أحمد بن عبدالله بن الخضر : ت ٤٠٢ هـ /١٠١٢ م (الخطيب ١٣٧/٤) .
إبن المبارك : ت ١٨١ هـ / ٧٩٧ م (انظر بروكلمان : الملحق ٢٥٦/١) .

(٢٥) أبو بكر البرقاني : ت ٤٢٥ هـ / ١٠٣٤ م (بروكلمان الملحق ٢٥٩/١) .
عبدالرحمن بن عمر : ت ٣٩٧ هـ /١٠٠٧ م (الخطيب ٣٠١/١٠) .
محمد بن أحمد : ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ – ٩٤٣ م (الخطيب ٣٧٣/١ – ٧٥) .
يعقوب بن شيبة : ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٦ م (الخطيب ٢٨١/١٤ – ٨٣) .

(٢٦) الحسن بن الحسين : ت ٤٣١ هـ / ١٠٤٠ م (الخطيب ٣٠٠/٧ – ٣٠١) .
إسحق بن محمد : ت ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ – ٩٨٠ م (الخطيب ٤٠٠/٦ – ١) .
عبدالله بن إسحاق : ت ٣١١ هـ /٩٢٤ م (الخطيب ٤١٣/٩ – ١٤) .
قعنب بن المحرز : لم أجد ترجمة له ، غير أنه ذكر انه مدرس محمد بن الحسين القطائعي ت ٣٢٠ / ٩٣٢ (إبن الجوزي : المنتظم ٢٤٦/٦) .
عبدالملك بن أبي سليمان : (الخطيب ٣٩٣/١٠ فما بعدها) .

(٢٧) تقع على ما يقول ياقوت ، قرب قنطرة باب حرب (أنظر ياقوت ٥٨٦/٤) أنظر أيضاً ليسترانج ص ١٥٨ ، الخارطة ٥ ، مفتاح رقم ١٢ . ينبغي أن تقع على يسار الطريق الرئيس كما ذكر ياقوت .

مخطوطات تاريخ بغـــداد (**)

يمكن ان يعرف المرء قائمة تصف كل مخطوطات تاريخ بغداد من المصادر التالية :

J — Horovitz " Aus den Bibliothekcen Van Kairo, Damascus und Konstantinople " MSOS 10 (1907) 61 H.

H. Ritter : Orientalia 1 (Istanbuler Mitteilungen 1) Istanbul (1933) pp 67 ff.

G. Salmon Histoire de Baghdad pp 13 f.

والقائمة التالية مقصورة على المخطوطات التي فيها أجزاء من المقدمـــة التخطيطيـــة .

A	لندن ١٢٧١ (نحو ٥٠٠/١١٠٦)
B N	باريس ٢١٢٨ (٦٣٣/١٢٣٥)
B	ملحق لندن ٦٦٥ (نحو القرن السابع /١٣م)
A L	الجزائر ١٦٠٦ (٩٤٣/١٥٣٦ ـ ٧)
K	كوبرلـّو ١٠٢٢ ـ ١٠٢٣ (١٠٨٤/١٦٧٣)
A R	عاشر رئيس الكتاب ١٦٠٤ (نحو ١٠٠٠/١٥٩١ ـ ٢)
D I	داماد ابراهيم ٨٨٩ (١٠٩١/١٦٨٠ ـ ١)
N O	نور عثمانية ٣٠٩٣ ـ ٣٠٩٤ (١٠٩١/١٦٨٠)
H	حكيم أوغلو ٦٩٣ ـ ٣٩٤ (نحو ١١٠٠/١٦٨٨)
(C s)	لندن : ملحق ٦٥٦ (١٢٤٣/١٨٢٥ ـ ٩)
D	لندن ١٢٨٤ (١٢٥٤/١٨٣٨ ـ ٩)
T	القاهرة : تاريخ ٦٣٥ (فهرست ٥/٢٦ لم يذكر تاريخها) .

** الصفحات التسع التالية وردت في الأصل الانكليزي في ملحق H بعنوان « اضافة الى المقدمة » ، ونظراً لارتباطها بكتاب الخطيب فقد نقلناها الى موضعها التالي لما نقله عن الخطيب (المترجم) .

طبعة سالمون معتمدة على نسخ لندن ، باريس ، ملحق لندن ، القاهرة النسخة المطبوعة اعتمدت على مخطوطة كوبرلو •

لم يتوافر لي من هذه النسخ الا النسخة الاولى والثالثة (لندن ١٢٨١ ، ملحق لندن ٦٦٥) كما حصلت على رُقيقة مصورة لمخطوطتي نور عثمانية وداماد ابراهيم ؛ ولذلك اعتمدت كثيرا على النسخة المطبوعة التي يظهر انها تقدم نصا معتمدا •

الطبعات (باريس)

G. Salmon. L'Introduction Topographique a l'histoire de Baghdad. d'Abu Bakr Ahmad Ibn Thabit Al-Khatib Al-Baghdadi.

(مكتبة مدرسة الدراسات العليا • مصورة ١٤٨ (باريس ١٩٠٤) المقدمة (١ ــ ٧٣) الترجمة الفرنسية والتعليقات (٧٤ ــ ١٨١) يعقبها فهارس اسماء واماكن • النص العربي (٩٣ صفحة) يبدأ النص بفصل عن بناء مدينة السلام وينتهي بالفصل الذي عن المدائن • اعتمدت الطبعة على نسخة لندن ١٢٨١ ونسخة باريس ٢١٢٨ وملحق لندن ٦٦٥ وملحق لندن ٦٥٦ ومخطوطة المكتبة الخديوية بالقاهرة ٥٢٠ (لم يرد ذكرها في قوائم هوروفتز وريتّر ، لانهما أدخلاها في قائمة القاهرة تاريخ ٦٣٥ •

طبعة القاهرة (C) كملت في أربعة عشر مجلدا ؛ المقدمة في الجزء الاول • اعتمد الناشر في طبعته على نسخة كوبرلّو (انظر ٤٤٧/١٤) ورجع الى طبعة باريس في القسم الخططي •

جدول بمصادر الخطيب في الخطط المنظمة لبغداد

ان هذا الجدول مقصور على الفصول التي تحتوي على أوصاف منسقة للمدينة، والاشارات هي الى الروايات التي يفترض أنها في الاصل من كتب تبحث في خطط بغداد ، وليست مواد خططية . أما الفصول الاخرى التي تتضمن أوصافا للمدينة منسقة طويلة ففيها أحيانا روايات تكوّن جزءا من كتاب خططي ، وقد أحصيت هذه الروايات في نهاية الجدول . أما قائمة « رواية عن » فهي مقحمة بسطر واحد . وأما القوائم التالية فتشير الى المصدر المرقم حتى يأتي المقتطف الثاني «رواية عن» مدينة المنصور .

المصدر

١ ــ محمد بن خلف [1]

رواية عن يحيى بن الحسن بن عبدالخالق ٧٠/١٩

٧٠/٢٠ــ٧٠/٢١

٧٠/٢١ــ٧١/١

٧٢/ ٩ ــ٧٢/١٨

٧٢/١٩ــ٧٣/١٤

٧٣/٢١ــ٧٥٩/٦

رواية عن أحمد بن الحارث ــ العتابي ٧٥/٩ــ٧٥/١٥

٧٦/ ٣ ــ٧٦/١٥

٧٦/١٦ــ٧٦/١٨

الجانب الشرقي والجانب الغربي من بغداد

---

(١) الاسناد هو : محمد بن علي الوراق ، واحمد بن علي المحتسب ــ محمد بن جعفر النحوي ــ الحسن بن محمد السكوني ــ محمد بن خلف .

١ ــ محمد بن خلف وكيع [٢] ١٧/٨٣ ــ ١/٨٤

رواية أحمد بن أبي طاهر طيفور ٨/٨٤ ــ ١٢/٨٤
١٢/٨٤ ــ ١٥/٨٤
١٧/٨٤ ــ ٤/٨٥

رواية أحمد بن الهيثم ٤/٨٥ ــ ٧/٨٥
١٢/٨٥ ــ ١٦/٨٥

رواية : أبو زيد الخطيب ١٧/٨٥ ــ ١٩/٨٥
١٩/٨٥ ــ ١/٨٦
٧/٨٦ ــ ١٢/٨٦
٧/٨٧ ــ ٢٢/٨٧
٣/٨٨ ــ ٤/٨٨

رواية : أحمد بن أبي طاهر طيفور ٩/٨٨ ــ ١١/٨٨
١٢/٨٨ ــ ١٥/٨٨
٤/٩٠ ــ ٥/٩٠
١/٩١ ــ ١٦/٩١
١٨/٩١ ــ ١١/٩٢ (٣)
١٣/٩٣ ــ ٢/٩٤

رواية : أحمد بن الحارث ٥/٩٤ ــ ١٠/٩٤ (٤)
١٢/٩٤ ــ ١٣/٩٤

---

(٢) الاسناد هو : محمد بن علي الوراق ، واحمد بن علي المحتسب ــ محمد بن جعفر النحوي ــ الحسن بن محمد السكوني ــ محمد بن خلف وكيع .

(٣) الاسناد هو أبو عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع ــ علي بن محمد ابن السري الحمداني ــ القاضي أبو بكر محمد بن خلف .

(٤) الاسناد هو ما ذكر أعلاه « ٨٨ » نفسه .

١٧/٩٥ـ ١/٩٥
٣/٩٦ـ٢٠/٩٥
٧/٩٦ـ ٥/٩٦
١٠/٩٦ـ ٧/٩٦
٥/٩٧ـ ١/٩٧
١٠/٩٧ـ ٩/٩٧

٢ ـ ابراهيم بن محمد بن عَرَفَة نفطويه (٥) ٩/٨٥ ـ١٠/٨٥ (٥)
١/٨٩ـ١٧/٨٨
٣/٩٠ـ ١/٨٩
٢١/٩٢ـ١٣/٩٢
٩/٩٣ـ ٧/٩٣
٢٢/٩٤ـ١٤/٩٤
١٢/٩٥ـ ٨/٩٥
٣٠/٩٦ـ١١/٩٦
٩/٩٧
٢١/٩٨ـ١٥/٩٨

فصول غير التي تحتوي على اوصاف منسقة

١ـ محمد بن خلف

رواية محمد بن موسى القيسي ـ الخوارزمي ٩/٦٧ـ١٢/٦٧
رواية الخوارزمي ١٣/٦٧ـ١٤/٦٧
١٦/١٠٧ـ٢٠/١٠٧

(٥) الاسناد هو : ابو القاسم الازهري ـ احمد بن ابراهيم بن محمد بن عرفة.

رواية ابن الأعرابي (٦)	١٠٧/٢٠ــ١٠٨/٤
رواية أحمد بن الخليل ــ أبيه (٧)	١١٦/٢ــ١١٦/٦
	١٢٠/١٥ــ١٢١/٢
	١٢٥/١٧ــ١٢٥/٢٠
نفطويــه	٩٧/٢٠ــ٩٨/١٤

انهــار بغــداد

١ــ مجهــول (٨)	١١١/١٢ــ١١٢/٥
٢ــ عبدالله بن محمد بن علي البغدادي	١١٢/٦ ــ١١٥/١٤

---

(٦) عاش في المئة التاسعة . أنظر الخطيب ٣٧٣/٢ .

(٧) عاش في المئة التاسعة . أنظر الخطيب ١٣١/٤ .

(٨) ان هذا الفصل كله ، ومنه الرواية المنسوبة الى عبدالله بن محمد بن علي البغدادي الذي كان المصدر المباشر للخطيب ، متطابق في المحتوى واللفظ مع كتاب سهراب : عجائب الاقاليم السبعة ، لذا يمكن أن يفترض أن سهراب كان مصدر هذه المعلومات .
(نشر الدكتور اكرم ضياءالدين العمري كتابه :«مصادر الخطيب في تاريخ بغداد » ، وهو دراسة قيمة لمصادر الخطيب في كل اجزائه الاربعة عشر . وقد أعد فهرسا قيما في مصادر الخطيب وشيوخه وموسماند راوياتهم ، لما ينشره) .
وقد أكملت استيعاب الاشارات الخططية في بقية اجزاء كتاب الخطيب، أو سأضعها في دراستي لخطط بغداد وهي معدة للنشر . (المترجم) .

التواريخ المحلية لبغــداد

الكتب الاتية اعتدها الصفدي[1]، والسخاوي (ص ١٢٣ من طبعة روزنثال الملحقة بعلم التاريخ ص ٣٨٧ فما بعدها) وحاجي خليفة (ص ١١٩ ــ ١٢١)، كتبا محلية قائمــة في الغالب على كتب التراجم التي تلت الخطيب ؛ والقائمة غير مستوعبة ، ولكنها فيما يبدو مقصورة على الكتب الرئيسة التي كان يشار اليها في الازمنة المتاخرة (المئة العاشرة/الخامسة عشرة) . ولما كان ابن عقيل معاصرا للخطيب ، فان طبع كتابه «الفنون»[2] قد يكشف كتبا جديدة من عهود متقدمة كما يؤمل ان تكون فيه اشارات الى تنظيمها ومحتواها .

	الصفدي	السخاوي	حاجي خليفة
ابن ابي طيفور	×	×	×
الكسروي	ــ	ــ	×
الخطيب	×	×	×
مسعود بن البخاري[3]	ــ	ــ	×
السمعاني[4]	×	×	×
محمد بن حميد الكاتب[5]	ــ	ــ	×
ابن الدبيثي[6]	×	×	×

---

(١) طبعة وترجمة م. عمار مجلد ١٠ ، ١٩ (١٩١٢) انظر ص ٢٤٣ فما بعد .
(٢) انظر جورج مقدسي : ابن عقيل (دمشق ١٩٦٣) الفهرست .
(٣) ت ١٠٦٨/٤٦١ (؟) انظر بروكلمان ٥٦٣/١ ــ رواية مختصرة للخطيب .
(٤) ت ١١٦٧/٥٦٢ انظر بروكلمان الملحق ٥٦٤/١ ــ ٦٥ .

القطيعي[7]	×	×	×
ابن النجّار [8]	×	×	×
ابو بكر المارستاني	×	—	×
ابن الساعي[9]	×	×	×
محمد بن أحمد الذهبي[10]	—	—	×
ابن رافع[11]	—	×	×
أحمد بن محمد البرقي[12]	—	—	×
روضة الاريب[13]	—	—	×

---

(٥) ت ٥٩٧/١٢٠٤ أنظر بروكلمان الملحق ٢/٥٤٨ ــ ٤٩ .
(٦) ت ٦٣٧/١٢٣٩ أنظر بروكلمان الملحق ١/٥٦٥ .
(٧) ت ٦٣٤/١٢٣٦ ــ ٣٧ أنظر روزنثال : التاريخ ص ٣٨٧ ، التعليق (١) . (وقد طبع الدكتور بشار عواد قسماً صغيراً منه في جزئين) (المترجم) .
(٨) ت ٦٤٣/١٢٤٥ أنظر بروكلمان الملحق ١/٦١٣ .
(٩) ت ٦٧٤/١٢٧٥ أنظر بروكلمان الملحق ١/٥٩٦ .
(١٠) ت ٧٤٨/١٣٤٨ أنظر بروكلمان الملحق ٢/٤٥ــ٤٧ . (وقد طبع قسم منه في حيدراباد) (المترجم) .
(١١) ت ٧٧٤/١٣٧٢ أنظر بروكلمان الملحق ٢/٣٠ .
(١٢) ذكر حاجي خليفة أنه مؤلف كتاب التبيان ، ولم أجد معلومات عنه .
(١٣) وصفه حاجي خليفة بأنه تاريخ في سبعة وعشرين مجلدا .

القسم الثالث

نمو خططي لمدينة دولية

دراسات وملاحق



(١)

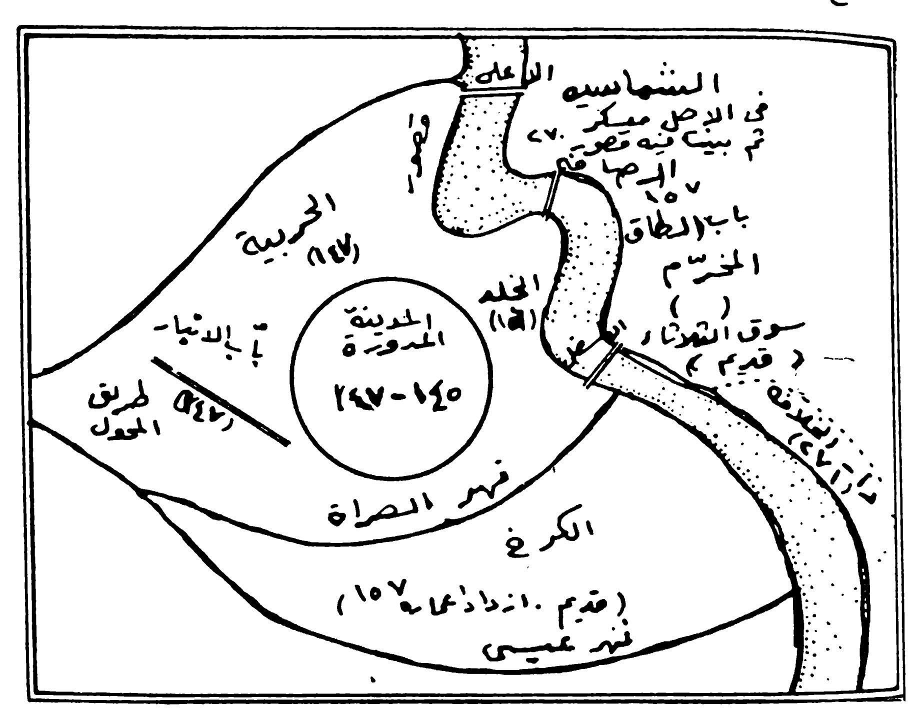
البحث عن عاصمة عباسية

لما ولي علي بن أبي طالب الخلافة غادر المدينة المنورة وانتقل الى الكوفة للاعداد لقتال معاوية ، وبهذا بدأت سلسلة من الحوادث التي كان لها تأثير عميق في مجرى القرن التالي ، فهو بتركه المدينة وانتقاله الى العراق ، نقل رسميا عاصمة العالم الاسلامي نحو الشرق ، مشيراً بذلك الى نهاية سيادة الحجاز . وقد نجم قراره عن الضرورة ، ثم أثبت فيما بعد أنه منطقي تاريخيا ، وكان مبكرا جدا . وقد تلا المعركة غير الحاسمة مع أهل الشام سلسلة من المناورات « الدبلوماسية » التي كان لها أثر كبير في المكانة المعنوية والسياسية للخليفة . وبعد مقتله أصبحت دمشق المركز الجديد للجاذبية في العالم الاسلامي ، والعاصمة الرسمية للامويين ، وبذلك احتفظت بمكانتها البارزة حتى سقوط تلك الدولة . ولكن الامويين المتأخرين — على الرغم من هذا — أخذوا يتجهون تدريجيا نحو الشرق الى العراق وايران والبلاد التي انضمت مؤخرا الى الدولة فيما وراء النهر .

ان استيعاب الاقاليم الشرقية كان بمقدوره تمكين السيطرة الاموية على منطقة جغرافية واسعة ، غير أن المكانة الاقتصادية والاجتماعية التي فرضتها « الارستقراطية » العربية على الموالي المسلمين في العراق والبلاد المضافة حديثا ، حالت دون كل نجاح . وبسبب النقص الكبير في الجبايات أخفقت المحاولات لاجتثاث بعض التذمرات الاقتصادية ، مما أدى الى ظهور تحالف القوى العربية مع غيرها ، وقاد في الاخير الى ازاحة الامويين عن الحكم . وكان الاندحار الاخير لجيوش الخليفة عند الزاب أكثر من كارثة عسكرية ، اذ أنه يشير الى التدمير الكامل لكثير من المؤسسات التي كان الامويون قد أقاموها واحتفظوا لانفسهم وانصارهم بمكانة متميزة فيها ، كما انها مهّدت

الطريق لاعادة تحديد المجتمع الاسلامي على أسس أوســـع جدا ، وهو عمل هائل يتطلب تغييرات أساسية في صميم طبيعة الدولة الاسلامية ، ومن أبرز هذه التغييرات نقل الحكومة من الشام الى العراق ، وهي خطوة لا تمثـــل التبدل الرسمي في الاسرة الحاكمة فحسب ، وانما تمثل أيضـــا تفهما عميقا للاهمية السياسية والاقتصادية للاقاليم الشرقية التي احتضنت الثورة العباسية وغذّتهـــا .

وفي مدة تكوين الحكم العباسي ، نُقِل مركز الحكومة في العراق من مكان الى مكان بحثا عن موضع تنشأ عليه عاصمة ، وقد انتهى هذا البحث حين بنى المنصور مركزا اداريا قرب ملتقى الصراة بدجلة، وسمى هذا المركز «مدينة السلام » وسرعان ما نما وأصبح مدينة اتخذت لها اسم قرية كانت في ذلك الموضع ــ بغداد .



خارطة زمنية لتطور توسع بغداد

لقد كانت العاصمة الادارية للعباسيين قبل بناء بغداد تسمى « الهاشمية » • وهذا الاسم لا يشير الى مكان واحد ، بل الى أي مكان اختاره الخليفة ليكون مقامه ؛ ويرجع التشويش في تحديد موقع «الهاشمية» الى وجود أكثر من مكان بهذا الاسم ، اذ كان يطلق على كل مكان يتخذه الخليفة مدة من الزمن مقاما له ، وذلك كالمكان الذي اتخذه السفّاح بعد تركه الكوفة ، فقد أقام مقابل «قصر ابن هبيرة»[1] حيث بنى مدينة سماها « الهاشمية » وقد بدأ الخليفة ببناء « قصر ابن هبيرة » ، غير أنه تركها لان الاهالي ظلوا يسمونها باسم مؤسسها الاول يزيد بن عمر بن هبيرة آخر الولاة الامويين في العراق • وكان هذا الوالي قد بنى مدينة على الفرات بجانب الكوفة[2] ، غير أنه تركها بناء على أمر من الخليفة الاموي مروان بن محمد[3] • وفي سنة ١٣٤/٧٥٢ ، اتخذ السفّاح لدولته عاصمة بالقرب من الأنبار[4] ، وكانت مدينة تسمى عند الفرس « فيروز سابور » ، غير أنه مات قبل أن يكملها في سنة ١٣٦هـ/٧٥٤م[5] •

---

(١) هي في منتصف الطريق بين الكوفة وبغداد (ياقوت٣/٩٤٦)، وقد خلطت مع مدينة ابن هبيرة : الاصطخري ٨٥ ، كذلك ابن حوقل ص ١٦٦ ، المقدسي ص ٥٣ ، ١١٥ ، ١٣٠ رايتماير انشاء المدن العربية في الاسلام ، (ليبزج) ١٩١٢ ، ص ٤٩ (بالالمانية) •

(٢) المفروض أنها مدينة ابن هبيرة التي يخلطها الطبري وياقوت مع قصر ابن هبيرة (انظر الطبري ٣/٨٠ ، ١٨٣ ياقوت ١/٦٨٠ ، ٣/٢٠٨ ، ٤/١٢٣ ، ٩٤٦ انظر ايضاً ليسترانج ص ٦ هامش ١ •

(٣) البلاذري : فتوح ص ٢٨٧ •

(٤) البلاذري : الفتوح ص ٢٨٧ ؛ اليعقوبي : التاريخ ٢/٤٢٩ ؛ ابن رستة ص ١٠٩ ، الطبري ٣/٨٠ وتقع الانبار على الفرات على بعد عشرة فراسخ (٦٠ كيلومترا من بغداد) ، انظر دائرة المعارف الاسلامية : مادة «أنبار».

(٥) البلاذري : فتوح ص ٢٨٧ ؛ اليعقوبي : التاريخ ٢/٤٢٩ ــ ٣٠ ؛ البلدان ص ٣٢٧ ؛ ابن قتيبة : كتاب المعارف ص ٢٨٩ ؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ص ٣٧٢ ــ ٣٧٣ ؛ الطبري ٣/٨٧ ؛ المسعودي : التنبيه ٢٣٠ ؛ انظر ايضا كتاب العيون ٢١١ •

وتذكر المصادر أن المنصور الذي خلف السفّاح اتخذ مقامه في مكان جديد قرب الكوفة[٦] . ويذكر الطبري أن هذا الموضع كان ملاصقا لمدينة ابن هبيرة[٧] ، وينبغي أن لا يخلط هذا الموضع بقصر ابن هبيرة التي كانت تقع ، كما أسلفنا ، في منتصف الطريق بين الكوفة وبغداد . ويبدو أن هذه الروايات تدل على أن مركز ادارة المنصور كان المدينة التي بناها ابن هبيرة قرب الكوفة، ثم ترك السكنى فيها ، لذلك كان يوجد ما لايقل عن اربع عواصم عربية هي عواصم السفّاح في قصر ابن هبيرة ، والموضع الذي يقابلها ، والانبار، ومدينة المنصور في مدينة ابن هبيرة . ولم يفسر حتى الان هذا القلق عند الخلفاء العباسيين وتنقلهم المستمر ، غير أنه يدل على أنهم كانوا يبحثون عن موقع يسد حاجات خاصة معينة .

تكرّر الروايات أن قرار المنصور نقل مقر الحكومة الى بغداد كان نتيجة عدة عوامل : فان اقامة الخليفة أولاً قرب الكوفة ، وهي المعقل المعارض المضطرب ، كان مصدر خطر يهدد حكمه ، وكان قلقه من احتمال حدوث الثورات قد وصل الى أوجه في سنة ١٤١هـ / ٧٥٨م عندما أثار الراوندية المتطرفون اضطراباً في ساحة قصره نفسه[٨] ، وهناك اشارات الى أن الخليفة أضطر على أثرها الى القيام بنفسه بجولة بحثا عن مكان آخر لعاصمة[٩] ، فصعد على دجلة الى بغداد وجرجرايا[١٠] ، ثم مضى الى الموصل ، وأرسل

---

(٦) اليعقوبي : التاريخ ٤٣٠/٢ الطبري ٢٧١/٣ – ٢٧٢ .
(وقد بحثت عن هاشمية الكوفة وموقعها في مقال نشرته في مجلة كلية الاداب ببغداد سنة ١٩٦٢ بعنوان « منطقة الحيرة » (المترجم) .

(٧) الطبري ٧١/٣ ، ٣١٩ رويتماير : انشاء المدن ص ٤١ فما بعد .

(٨) الطبري ١٢٩/٣ – ٣٣ ، ٢٧١ ، ٣١٨ وذكر أيضا تاريخ سنة ١٣٦ ، ١٣٧، ياقوت ٦٨٠/١ .

(٩) الدينوري : اخبار ص ٣٧٩ ؛ الطبري ٢٧١/٣ .

(١٠) تقع أسفل النهروان بين واسط وبغداد (أنظر ياقوت ٣٤/٢) .

خلال رحلته جندا مع بعض جماعته أمامه للبحث عن محل ملائم[١١] فلما عاد هؤلاء وصفوا له مكانا قرب بارما ، وهي قرية تقع قرب الموصل على شاطىء دجلة الايسر[١٢] . وبعد أن بات فيه المنصور ليلة سأل مستشاريه ، فقالوا له ان مناخه جيد ، غير أن المكان لا يكفي لاقامة الجند والاهلين من السكان[١٣]، فعاد الى بغداد ووضع خطة المدينة[١٤] ، بالرغم من أن البناء الفعلي لم يبدأ حتى سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م[١٥] .

ان النصوص العربية التي تتحدث عن قرار المنصور بناء مدينة في بغداد، هي مزيج من عدة روايات تظهر منها مجموعتان متمايزتان ، أولاهما فيها طابع التنبؤات ، والثانية فيها بعض الادلة التاريخية .

قصة المقلاص(١٦)

لقد ذكرت هذه القصة في عدة روايات فيها بعض الاختلاف ، وهي تذكر أن المنصور ذكر له قول" قديم أن رجلا يدعى مقلاصا سيبني مدينة بين دجلة والصراة . فلما سمع المنصور ذلك قال انه كان يلقب في صغره مقلاصا ، وبذلك لم تبق في طريقه مشكلة لتأسيس العاصمة الجديدة ، فيروى الطبري أنه بينما كان المنصور يجول بحثا عن مكان يؤسس فيه مدينته

(١١) الطبري ٢٧٥/٣ ؛ ياقوت ٦٨٠/١ .
(١٢) ياقوت ٤٦٤/١ .
(١٣) الطبري ٢٧٣/٣ ، ٢٧٦ .
(١٤) اليعقوبي : البلدان ص ٢٣٧ ــ ٣٨ ؛ الطبري ٢٧٢/١ .
(١٥) عن تاريخ البناء أنظر الخطيب ٦٦/١ ــ ٦٧ .
(١٦) الطبري ٢٧٢/٣ ــ ٧٣ ، ٢٧٦ ؛ الخطيب ٦٨/١ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ٢١٧ ــ ١٨ .
(١٧) الخطيب يقرؤها (نقلاص) لاحظ أن (مقلاص) مذكورة في مخطوطتين للخطيب (القرن السابع عشر ، داماد ابراهيم ٨٨٩ ص ٧ ب ؛ نور عثمانية ٣٠٩٣ (ص ١٧) واسم مقلاص يطلق أيضاً رئيس المانوية الذي كان يقيم في طيسفون ، أنظر أدناه .

اذ رمد بعض أصحابه ، فأقام يعالج عينه عند طبيب نصراني [١٨] « فسألـه الطبيب : أين يريد أمير المؤمنين ؟ قال : يرتاد منزلا ، قال فانا نجد في كتاب عندنا أن رجلا يدعى مقلاصا يبني مدينة بين دجلة والصراة تدعى «الزوراء»[١٩] ، فأذا أسسها وبنى عرقا منها ، أتاه فتق من الحجاز فقطع بناءها وأقبل على اصلاح ذلك الفتق . فاذا كاد يلتئم أتاه فتق من البصرة هو أكبر عليه منه ، فلا يلبث الفتقان أن يلتئما ، ثم يعود الى بنائها فيتمه » .

ولاريب في أن هذين الفتقين هما اشارة الى ثورة محمد بن عبدالله في المدينة وثورة أخيه ابراهيم في البصرة . وللقضاء على هذا الخطر أضطر المنصور الى مقاتلتهما في سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م ، ولم تكن المدينة قد استتم بناؤها بعد ، فتوقف البناء لانشغال الخليفة في القضاء على الثورتين . فلما قضى عليهما في آخر تلك السنة[٢٠] ، عاد الى اكمال البناء ، فلما كمل نقل الدواوين وبيوت الاموال من الهاشمية الى بغداد ، وكان هذا يدل على تبديل العاصمة رسميا[٢١] .

فمن الواضح اذن أن مؤلف هذه الرواية تعزيزاً لصحتها وتثبيتاً لمكان الخليفة ، استعمل فناً أدبياً قديماً في ارجاع حدث تاريخي حديث الى أزمنة قديمة ، بصياغته في قصة يتعمد فيها الغموض والتنبؤ . وقد رويت قصة المقلاص أيضا عند بناء الرافقة ، وهي مدينة أسسها المنصور في سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م مما يدل على أن هذا الحدث أصبح رسما يستعمله المؤلفون المسلمون

---

(١٨) الطبري ٣/٢٧٢ .
(١٩) أحد الاسماء التي استعملت لبغداد . انظر الخطيب ١/٧٧ .
(٢٠) الطبري ٣/٢٧٨ ، ٢٨١ .
(٢١) البلاذري : فتوح ص ١٩٥ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ١٩٢ ؛ الطبري ٣/٣٨١ ، ٣١٩ ؛ المسعودي : التنبيه ص ٣٩٠ .

لتمجيد برامج الخليفة في البناء[٢٢] • ولعل هذه القصة ذاتها نبهت اليها قصة تتعلق برئيس المانوية ، اذ يدعى المانوية أن ابن المقلاص كان يقيم في بابل ثم أصبح رئيسا على جماعته في دير كان قرب طيسفون [٢٣] •

(٢) الاحوال المناخية والاعتبارات السوقية

يتردد في مدح بغداد اطراء لمناخها[٢٤] ، فيذكرون أن الخليفة لما اختار بغداد موقعا لمدينته ، كان متأثرا بأحوالها المناخية الواضحة في طول السنة وقلة البق فيها • وكانت هذه العوامل نفسها هي التي دفعت الى اختيار موضع الكوفة من قبل[٢٥] • ويمكننا أن نضيف الى هذه الاخبار رواية الخطيب التي تذكر أن المنصور فضّل موضع بغداد بعد أن فحص التربة في عدة مناطق، وان

---

(٢٢) البلاذري : فتوح ص ٢٨٧ ، اليعقوبي : البلدان ص ٢٣٨ ، الطبري ٢٧٦/٣ . ياقوت ٧٣٤/٢ ـ ٣٥ لاحظ أن اليعقوبي (التاريخ ٤٣٠/٢ ، ٤٤٥) يذكر أن المدينة خطت في زمن السفاح .

(٢٣) انظر الفهرست ص ٣٣/٤ .

** يذكر ابن النديم أن المانوية كانت لها أئمة « وكانت الامامة لا تتم الا ببابل ، ولا يجوز أن يكون امام في غيرها » . غير أنه ظهرت فيهم فرقة يعرفون بالديناورية قالوا بخلاف ذلك ، وقد أراد أحد المتنفذين عند المانوية في خلافة الوليد أن ينضم الى الدينلورية ، ولكن أحد كتاب الحجاج نصحه بالبقاء في بابل . فلما حضرته الوفاة سألوه أن يجعل لهم رئيسا ، فقال : هذا مقلاص قد عرفتم مكانه ، وأنا أرضاه ، وأثق بتدبيره لكم ، فلما مضى زاد هرز ، اجمعوا على تقديم مقلاص ، فصارت المانوية فرقتين، المهرية والمقلاصية . وخالف مقلاص الجماعة الى أشياء من الدين . وقد ظل الخلاف الجاد بين المهرية والمقلاصية ، ولم تنجح محاولات التوفيق بينهما ، وكان المقالصة يرخصون لاهل المذهب والداخلين فيه أشياء محظورة في الدين ، وكانوا يخالطون السلاطين ويؤاكلونهم » (٣٩٧ ـ ٨) « المترجم » .

(٢٤) أنظر مثلا الخطيب ٦٨/١ .

(٢٥) أنظر مثلا : البلاذري : فتوح ص ٢٧٦ ؛ الطبري ٢٧٤/٣ ؛ ٢٧٧ ؛ المقدسي ص ١١٣ ؛ ياقوت ٦٨٠/١ .

هذا الاختيار عزّزه فيما بعد بزيارته للمكان [٢٦] • غير أننا اذا حكمنا من الاحوال المعاصرة ، لانجد ما يؤيد أن بغداد كانت تفضل غيرها في المناخ بما لم يكن في عدة أماكن أخرى •

وتذكر المصادر أيضا أن اختيار الخليفة كانت تتحكم فيه اعتبارات سوقية[٢٧] ، وهذا التفسير هو الذي لقى قبولا عاما عند العلماء الغربيين[٢٨]، ويذكر في وصف جولة المنصور بحثا عن موقع لعاصمته أنه اتبع مجرى دجلة ولم يتبع مجرى الفرات • وقد ذُكِر أن للموقع الذي على دجلة منافع واضحة[٢٩] • فالاراضي على جانبي النهر خصبة ، كما أن دجلة والانهار المتفرعة منه كانت تسير فيها السفن الى الخليج العربي • غير أن الفرات كان النهر الذي يربط العراق ببلاد الشام وبطريق التجارة الغربية الى مصر ، اضافة الى أنه يربط المدن الكبرى ـ وهي : الرقة والانبار والكوفة ـ وييسّر الاتصال بجزيرة العرب عن طريق الحج الى الحجاز • فالسيطرة على الدولة الاسلامية الواسعة كان لذلك يحتاج الى الاتصال بكلا النهرين ، وكذلك بالطرق الرئيسة الكبرى التي تربط الاقاليم الشرقية بالعراق •

ولبغداد موقع ملائم جدا لواجبات الادارة العباسية ، فقد كانت تقع على دجلة ، غير أنها مرتبطة أيضا بالفرات عن طريق نهر عيسى وهو شريان تجاري

---

(٢٦) الخطيب ٦٦/١ •

(٢٧) اليعقوبي : البلدان ص ٢٣٧ ـ ٣٨ ؛ الطبري ٢٧٢/٣ ـ ٧٣ ، ٢٧٦ ـ ٧٧ ؛ المقدسي ص ١١٥ ـ ٢٠ ؛ ياقوت ٦٨٠/١ ـ ٨١ •

(٢٨) أنظر مثلا ، نولدكه ، صور من التاريخ الشرقي (لندن ١٨٩٢) ص ٢٩ ـ ٣٠ (بالانكليزية) ؛ ليسترانج ص ٦ ـ ١٠ ؛ لويس : العرب في التاريخ (لندن ١٩٥٠) ص ٨١ ـ ٨٣ (بالانكليزية) م. شتريك ، أراضي بابل القديمة ص ٥٤ ، رايتماير نشأة المدن العربية ص ٥٠ ـ ٥١ •

(٢٩) بغداد ص ٧ ـ ٩ •

كبير يرجع الى العصور الساسانية[٣٠] ، وقد ذكر هـذه الاعتبارات عدد من المصادر العربية ، ومنها اليعقوبي الذي ينسب الى المنصور قوله :ـ

«•• فجزيرة بين دجلة والفرات : دجلة شرقيها ، والفرات غربيها، مشرعة للدنيا ، كل ما يأتي في دجلة من واسـط والبصرة والابلة والاهواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين وما يتصل بذلك ، فاليها ترقى وبها ترسي ، وكذلك ما يأتي من الموصل وديار ربيعة وأذربيجان وأرمينية مما يحمل في السفن في دجلة ، وما يأتي من ديار مضر والرقة والشام والثغـور ومصر والمغرب مما يحمل في السفن في الفرات فيها يحتط وينزل ، ومدرجة أهل الجبل واصبهان وكور خراسان ، فالحمد لله الذي ذخرها لي وأغفـل عنها كل من تقدمني ، والله لأبنيها ثم أسكنها أيام حياتي ، ويسكنها ولدي من بعدي ، ثم لتكونن أعمر مدينة في الارض[٣١] » •

لايوجد ما يسوغ انكار أن هذا الكلام وأمثاله هو صدى لرغبة الخليفة في موضع ذي موقع مركزي • واذا كان موقع بغداد الجغرافي الملائم واضحا الى هذا الحد ، فمن العجيب أن لا تستطيع أيـة من المستوطنات المنتشرة في تلك المنطقة في أوائل الاسلام أن تظفر بأية أهمية سـياسية أو تجارية[٣٢] • فطيسفون[٣٣] الواقعة على دجلة وعلى بعد نحو ثلاثين ميلا ، كانت عاصـمة الدولة الساسانية وموقعا لمدينة مهمة يرجع تاريخها الى القرن الرابع قبل الميلاد

---

(٣٠) ياقوت ٣٢٧/٣ ، اليعقوبي : البلدان ص ٢٤٢ ؛ سهراب : عجائب الاقاليم ص ١٢٣ ــ ١٢٤ ، ابن سيرابيون ص ١٤ ــ ١٥ ؛ الاصطخري ص ٨٤ ؛ ابن حوقل ص ١٦٥ ؛ الخطيب ١٢٢/١ استنادا الى سهراب •

(٣١) البلدان ص ٢٣٧ ــ ٣٨ وقد ترجم برنارد لويس نص اليعقوبي هذا في كتابه « العرب في التاريخ » ص ٨٢ •

(٣٢) عن وصف مجمل لبغداد قبل الاسلام ، انظر « الدوري ، دائرة المعارف الاسلامية » مادة « بغداد » ، الطبعة الثانية •

(٣٣) انظر ، دائرة المعـارف الاسـلامية مادة « المدائن » وهو الاسـم العربي لطيسفون •

في الاقل ، غير أنها أخذت تنحط بسرعة بعد الفتح الاســلامي حينما أسس العرب أمصارهم ، الكوفة والبصرة ، على نهر الفرات وشط العرب • ومع ان واسط التي أصبحت فيما بعد مقر الحكم الاموي في العراق كانت تقع على دجلة ، الا أن أهميتها السياسية كانت ترجع الى موقعها بين المصرين المضطربين• فالعاصمة الساسانية كانت الطريق الى امبراطورية في المشرق • أما الامصار فكانت مراكز ادارية لدولة كان مركزها الاول في الحجاز ، ثم أصبح في زمن الامويين في بلاد الشام • أما العباسيون الذين جاؤوا الى الحكم من خراسان، فقد كانوا يختلفون عمن سبقهم من حيث أنهم أدركوا تماما الاهمية السياسة والاقتصادية للاقاليم الشرقية ، واستطاعوا أن يؤثروا في الاحداث بالاعتراف بهذه الحقائق • فاذا كان اختيار بغداد مميًزا بتفكير العباسيين عموما ، فقد يبدو أن العباسيين أكدوا أن من الشروط الضرورية للحكم هي جمع العناصر البائسة التي كانت قبل الاسلام جزءا من الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية• فاختيار بغداد يبدو منطقيا وقائما على وحدة سياسية لكل العالم الاسلامي ؛ فلتقوية هذه الوحدة كان من الضروري تدمير التركيب المفكك لما كان أساس المجتمع الأموي الذي كان قد اصبح على مر الايام جامدا، ولعلها أضعف نقاطها، وكان لابد أيضا من ابداله بدولة اسلامية تأخذ بنظر الاعتبــار آمال رعاياها من غير العرب وحاجاتهم ، دون الاقتصار على الخلفاء العباســيين والفرس الأقوياء في خراسان • ان هذه العلاقة المتبدلة بين الرعية والسلطان تورد على الخاطر بعض المسائل الاضافية عن تأسيس مدينة المنصور •

بعض افــكار تــامليــة

ربما كان قرب العاصمة العباسية من طيسفون مصادفة ، غير أن هذا القرب يقود الى أفكار تأملية أوسع ، فمن الجدير بالملاحظــة أن الخطيــب البغدادي ينهي مقدمته لتاريخ بغداد بفصل عن المدائن (طيسفون) ، ويذكر

فيه خبرا تاريخيا عن بناء مدينة المنصور (٣٤) ، فيروي أن المنصور أراد الحصول على مواد لبناء بغداد ، فأمر بهدم ايوان كسرى في المدائن ، ونفذه بالرغم من معارضة مستشار أعجمي قال له : ان هذا الايوان رمز لانتصار العرب على الفرس ، وأنه لذلك ينبغي أن لايهدم • غير أن هذه النصيحة لم يؤخذ بها لأنها كانت مريبة في الميول الفارسية للمستشار • غير أن المنصور وجد كلفة الهدم كبيرة فأوقفه ، ويروي الطبري أن هذا المستشار هو خالد بن برمك ، وأنه نصح بمتابعة الهدم لئلا يقال ان الخليفة عجز عن هدم ما بناه الفرس مما ينقص من مكانته في أعين الناس •

لاتوجد وسيلة لتبرير الأساس التاريخي لهذا الخبر عن طريق النقد الداخلي ، غير أنه من الواضح أن المنصور صار يواجه في ظاهر حكمه معارضة جماعات مستاءة مختلفة ، وخاصة في المناطق التي كانت سابقا تابعة للساسانيين ثم أصبحت في العهود الاسلامية مركزا للثورة العباسية ، ويستطيع المرء أن يضيف الى ذلك المتاعب التي واجهها المنصور من ادعاء عمه عبدالله بن علي الخلافة (٣٥) ، وكذلك عدم الولاء الحقيقي أو التصوري لحليفه القديم أبي مسلم وهو القائد السابق للحركة الثورية العباسية في خراسان (٣٦) • ومع أن المطامح التي نسبت الى أبي مسلم قد تكون الى حد كبير من مختلقات كتاب

---

(٣٤) الخطيب ١٢٧/١ ــ ٣٠ وتوجد رواية مشابهة في الطبري ٣٢٠/٣ ابن الطقطقي : الفخري ص ٢١٢ .

(٣٥) اليعقوبي : التاريخ ٤٣٧/٢ ــ ٣٩ ؛ الطبري ٩٣/٣ ــ ٩٨ .

(٣٦) أنظر يوليوس ولهاوزن الدولة العربية وسقوطها (كلكتا ١٩٢٧) ص ٤٨٨ فما بعد ؛ فان فلوتن (دراسات في السيادة العربية) (آمستردام ص ١٨٩٤) ص ٦٥ ــ ٧٠ ريتشارد فراي « دور أبي مسلم في الثورة العباسية » « العالم الاسلامي » ٣٧ (١٩٤٧) ٢٨ ــ ٣٨ أيضا فأن فلوتن : الثورة العباسية في خراسان (ليدن ١٨٩٠) ص ٧٠ ــ ٣١ ، س. موسكاتي « دراسات عن أبي مسلم » ١ ــ ٣ (١٩٤٩) ص ٣٢٣ ــ ٣٥ ، ٤٧٤ ــ ٩٥ (١٩٥٠) ص ٨٩ ــ ١٠٥ (وقد ترجم كتابا ولهاوزن وفان فلوتن الى العربية (المترجم) .

الفرق المتأخرين [٣٧] ، الا أنه يمكن التمييز بين طموحه الشخصي وآمال الآخرين التي يبدو أنها أثيرت باسمه ، ولا يوجد مسوغ للشك في أن قوته المستمرة وسمعته العالية عند الفرس في خراسان كانت مبعثا لاهتمام الخليفة. وبالنظر لخطر حدوث ثورة واسعة في الشرق ، قرر المنصور نقل ابي مسلم الى ولاية اقليم آخر ، فلما لم ينجح في ذلك استدعاه الى مكان قرب طيسفون ، ثم أمر بقتله في سنة ١٣٧هـ /٧٥٥م [٣٨] ، ومن الغريب أن القضاء على أبي مسلم لم يذلل الصعوبات ، بل أدى الى سلسلة من الثورات الواسعة التي قامت باسمه [٣٩] ، ولعل عدم ذكر المؤرخين لهذه الحوادث راجع الى أنها كانت أمورا ثانوية . غير أن ثورات سنباذ واسحاق الترك وأستاذ سيس ، لم تكن غير مهمة : أنها تمثل نوع المعارضة التي واجهت العباسيين في أوائل حكمهم وعادت الى الظهور في ثورة بابك في القرن التالي ، وثورة سنباذ معروفة أكثر من غيرها ، فهي لذلك تفيد في تصوير الأسس الايديولوجية لتحدياتها مرتكزات المنصور في الحكم [٤٠] .

فعلى أثر مقتل أبي مسلم قام سنباذ بثورة في خراسان امتدت من نيسابور الى قومس والري. وكان سنباذ أحد معاوني أبي مسلم، فأراد الثأر له وثار، فأرسل اليه الخليفة جيشا قوامه عشرة آلاف رجل انتصر على سنباذ وقتل ستين ألفا من أتباعه . أما مدى هذه الثورة التي نعرفها من خبر قصير في

---

(٣٧) انظر : فريدلندر « الفرق الشعبية في بحث ابن حزم » مجلة الجمعية الشرقية الامريكية ٢٨ (١٩١٧) ص ٣٦ فما بعد هامش في ٢٩ (انظر الفهرست ص ١٦٣) .

(٣٨) اليعقوبي : التاريخ ٢/٤٤٠ ــ ٤١ ؛ الدينوري : الاخبار ص ٣٧٦ ــ ٧٨ ؛ الطبري ٣/١٠٥ ــ ١٧ .

(٣٩) بارتولد شبولر : ايران في العهود الاسلامية الاولى (ويسبادن ١٩٥٢) ص ٤٨ فما بعد أنظر أيضا بلوجية « فكرة المسيح في الفرق الاسلامية » (باريس ١٩٠٣) ص ٤٠ فما بعد .

(٤٠) الطبري ٣/١١٩ فما بعد .

الطبري فقد تكون فيه مبالغة ، غير أنه تبقى فيه حقيقتان واضحتان ، أولاهما أن سنباذ استند في الشرعية الى سلطة أبي مسلم ، وأن ثورته كانت من الأهمية مادفع الى الغاء حملة كان مقررا انفاذها في صيف تلك السنة (٤١) ، أما طبيعة هذه الثورة فقد صُوِّرت بشكل أدق في « سياسة نامة » لنظام الملك ، بالرغم من أن روايته فيها كثير من الصنعة (٤٢) ، غير أنه اذا أمكن الافتراض بأن الرواية الساسانية ليست محض اختلاق قامت به الأجيال التالية، فان وصف المؤلف قد يفيد في اظهار بُعْدٍ مهم آخر للثورة التي لم يفصّل الطبري الكلام عليها ، ألا وهو مدعياتها الايديولوجية واستجابتها الخاصة للمشاعر الوطنية للشعوب الايرانية ، والواقع أن الطموح الموصوف به سنباذ لايمكن التوفيق بينه وبين الرغبة في استقلال اقليمي ، غير أنها ليست أقل من ادعاء باستعادة امبراطورية ايرانية ، وكذلك وضع دين فارسي ملائم مكان الاسلام • وقد صيغ التعبير الباطني لهذه المدعيات بأفكار تنبؤية معتادة ، لذلك أصبح مصرع أبي مسلم حلما يتراءى للناس ، وصوِّر وكأنه استطاع أن يجعل من نفسه حمامة بيضاء ، وبذلك يهرب بمعجزة من الموت على يد جلادي المنصور ، ومن الطبيعي أن كثيرين كانوا ينتظرون عودته كمهدي يأتي بعد انهيار حكم العرب •

ان القوى التي مارستها هذه الجماعات الناقمة كانت تحدياتها الجدية لسلطة الخليفة ظاهرية أكثر منها حقيقية • غير أن الصراع على السلطة يذهب في المجتمعات المرتبطة بالأسر الى مدى أبعد من العناصر الشكلية للقوة ، فيمتد الى مسألة الشرعية الأساسية • انها الحاجة التاريخية لكل سلطان ، وخاصة مؤسس كل دولة جديدة ، أن يعلن نفسه الوريث الصحيح للأسرة العظيمة من الملوك الذين سبقوه • ولاشك في أن هذه الحاجة نفسها كانت أوضح

---

(٤١) كذلك ص ١٢٠ .

(٤٢) نشرها وترجمها الى الفرنسية س. شيفر (باريس ١٨٩٣) ص ٢٦٦ فما بعد .

عند العباسيين الأوائل، اذ كانت أسس قوتهم معتمدةاعتمادا كبيرا على التعاون المستمر مع مؤيديهم من الأعاجم •

اذا كان هناك أساس تاريخي للأخبار التي ذكرها الطبري والخطيب عن هدم ايوان كسرى وما تلاه من استعمال أنقاضه لبناء قصر الخليفة في بغداد، فان الوسيلة التي أنشئت فيها العاصمة العباسية في ذلك الموقع كانت أكثر من مجرد نتيجة منطقية لبعض الاعتبارات الجغرافية • اذ أنها قد تكون لها اختلافات ضئيلة اضافية في اظهار أن الخليفة كان حريصا على اظهار نفسه كوريث للامبراطورية الساسانية المنقرضة ، فهو لذلك يستطيع الادعاء بولاء الشعوب التي كانت تسكن في أراضي تلك الامبراطورية ، وفي ضمنهم أتباع أبي مسلم ، ولا نقصد من هذا أن الخليفة حاول عن قصد تقليد ملك ساساني معين ، كلا بل انه أراد أن يربط نفسه بأسلوب معين من الحكم العظيم الذي ميّز ماسبقه منالامبراطوريات التي تقدمالأشكالالساسانية منها أكثر النماذج ملاءمة له • حقا ان طيسفون وقصورها الفخمة قد أصبحت في أعين العرب مرادفة للحكم الساساني ، غير أنها من حيث العموم غدت أيضا مدينة جاء اليها الملوك العظام لتأسيس ملكهم • ويذكر ياقوت في محاولة لتفسير اسم « المدائن » وهو جمع مدينة ، فيقول : «والذي عندي فيه أن هذا الموضع كان مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية وغيرهم ، فكان كل واحد منهم اذا ملك بنى لنفسه مدينة الى جنب التي قبلها وأسماها باسم ، فأولها المدينة العتيقة التي لزاب كما ذكرنا ، ثم مدينة الاسكندر ، ثم طيسفوذ من مدائنها، ثم أسفانبر ، ثم مدينة يقال لها رومية ، فسميت المدائن بذلك » [٤٣] • فقائمة الملوك الذين يذكر اتخاذهم مقر حكمهم فيها تشمل الاسكندر الكبير ، وترجع في قدمها الى زمن الملك زاب الذي كان معاصراً للنبي موسى •

---

(٤٣) ياقوت : مادة « مدائن » ٤/٤٤٦ •

فاختيار عاصمة جديدة اذن هو ليس مجرد اختيار مدينة جديدة ، لاحظ المحاولات المخفقة في الهاشمية – انه يحمل معه مكانة الخلافة وسلطانها نفسها • فالبحث عن الشرعية تهمّه التعابير المتصلة بتلك السلطة • وتدل الدلائل من المصادر الآثارية والأدبية على أن خلفاء الدولة الاسلامية منذ زمن عبدالملك الأموي أصبحوا مدركين جيدا للرموز المرئية لمناصبهم [(٤٤)] ، وأن نمو مراسيم البلاط الدقيقة والقائمة الى حد كبير على الانماط الفارسية قد يمكن تفسيره كانعكاس مباشر لهذا الأمر • وقد جلب مجيء العباسيين بدعا مهمة في الأسلوب العام للحكم وتبدلات في أساليب المراسيم وتطبيقاتها، وهي مقتبسة ، مع بعض التعديلات ، من الأساليب القديمة • غير أن التصور الملكي للخلفاء الأمويين كان محصورا في نطاق قصورهم • أما العباسيون وحاشيتهم فقد صوّروا بمظهر ملكي أمام رعاياهم الكثيرين ، وبشكل ينسجم مع الصورة الرسمية التي يمكن أن يفهمها الفارسي ، وهذه ليست تطورات ذاتية ، بل هي نمو من الظروف التاريخية التي كانت تعتمل في مجتمع كان ينظر الى سلطانه ورموز وظيفته كسلطة بشرية عليا • فالحاجات الناجمة عن تحدي مدعيات المنصور بالشرعية ، لم يكن لها الا أن تخدم كدافع مباشر لهذه الأشكال •

ان مثل هذه الرموز التي نمت للسلطة كان بالامكان التعبير عنها في الأشكال المعمارية والفنون الزخرفية، وهي تدفع الىالتساؤل : هل أن الترتيب المعماري الغريب لمدينة المنصور كان محاولة مدركة للاستفادة من عظمة أسلافه من الملوك بأسلوب مؤثر ماديا ؟ وبالرغم من عدم وجود حفريات في المدينة المدورة ، فان كلا من اليعقوبي والخطيب قدم عنها أوصافا مفصلة [(٤٥)] ،

---

(٤٤) انظر : جرابار « في الاحتفالات الاموية » أطروحة لم تطبع ، جامعة برنستون ١٩٥٥ .

(٤٥) البلدان ص ٢٣٩ ، الخطيب ٦٩/١ فما بعد .

والصورة التي نحصل عليها من هذين المصدرين هي مدينة كاملة التدوير مع سورين دفاعيين يحيطان بها ، بينهما فصيل ، ويحيط بالأسوار خندق . والسور الداخلي الذي تحيطه فسحة من الأرض يحيط المنطقة السكنية، وفي التحصينات الخارجية أربعة أبواب منحنية مع أبنية محكمة وطاقات ، وتبعد هذه الابواب بعضها عن بعض مسافات متساوية ، وبذلك تقسم المدينة الى ارباع ؛ ومركز المدينة ساحة واسعة مغلقة فيها المسجد الجامع وقصر الخليفة ، وهو قصر في مؤخرته قاعة استقبال عليها قبة خضراء ترى من أطراف المدينة [٤٦] .

وبالرغم من أن ظواهر عامة للمدينة المدورة كانت موجودة في عدة مواقع قديمة في ايران والجزيرة (وهي : الحضر ، ودارابجرد ، وجور ، وطيسفون) فان الادلة الآثارية والأدبية المتوفرة لاتدل على أن مدينة المنصور قلّدت أيا منها ، ويرى كريسويل [٤٧] أن تخطيط مدينة المنصور ربما كان متأثرا بصورة مباشرة بتخطيط دارابجرد ، غير أن هذا يبدو غير محتمل ، اذ يصعب الاعتقاد ، على مجرد الأسس التاريخية ، أن هذه البلدة الاقليمية المغمورة كانت هي الأنموذج الذي احتذي في بناء العاصمة العباسية العظيمة. ومن الممكن توجيه الاعتراض نفسه الى « جور » التي كانت العاصمة الأولى لأردشير أول ملوك الساسانيين ، الا أن «طيسفون» هي التي سرعان ما أصبحت المدينة الرئيسة في تلك الدولة . فالراجح اذن أن طيسفون بتقاليدها كمدينة للأكاسرة وبعمارة قصورها ، هي التي أوحت الى العرب تقليدها مباشرة لما قاموا ببناء مدينة على نحو ثلاثين كيلومترا منها . غير أن الحفريات التي قامت بها البعثة الألمانية في ذلك الموقع لم تكشف أدلة كافية لقبول مثل

---

(٤٦) ك ، أ . س كريسويل : العمارة الاسلامية الاولى (أكسفورد (١٩٤٠) ، ٢/٤٤ فما بعد وعن نموذج أصل ، انظر ص ١٨ ــ ٢١ وكذلك قسم ٢ ب.

(٤٧) كذلك ص ٢١ .

هذا الاستنتاج [٤٨] .

غير أنه اذا لم يكن يوجد لمدينة المنصور شبيه مباشر ، فانه توجد علاقة واضحة بين المظاهر العامة للمدينة والأسلوب المعماري الذي تختص بـه ، وبين المواقع القديمة الأخرى المعروفة ، وقد وصفنا هذه المظاهر من قبل . أما الأسلوب فقد لخصه رويثر في وصـفه لخطة المدينـة الساسانية [٤٩] ، فقال : «ان أي مجتمع منظم على أسس طبقية متسلسلة يعلوها حكم فردي ، فان الخطط المتناظرة والمحاور فيه لاتسود في خطط الابنيةالفردية فحسب، بل تسود أيضا في ترتيب مجموعات البناء ، ثم في تكوين الجماعة المنحصريـن في المدينة » . ان هذا الحكم العام لرويثر يقدم أكثر من وصـف لشـكل تخطيط المدينة ، انه اشارة الى كيف أن الأفكار والأشـكال المعمـارية هي انعكاس لفكرة أعم — هي أسلوب حكم مدرك لعلاقة رسـمية بين السلطان ورعيته . فالأسلوب الفخم للحكم الذي ميّز حكومة الأكاسرة ، والاسلوب الفخم في المعمار الذي ميّز المدينة ، كلاهما وظائف فرعية للوظيفـة العـامة نفسها .

اذا كان تأسيس بغداد انعكاسا لأسلوب مكشوف لحكومة قد يساعد الخليفة في السيطرة على ولاء الأقاليم الشرقية ، فلابد أن تدابـير اتخـذت للظفر باعتراف العرب الذين كانوا يقيمون في المعاقل السـابقة في العـراق وبلاد الشام . وقد كشفت الحفريات الآثـارية المهمة منذ الحرب الثـانية أدلة لها دلالات مهمة على هذه المشكلة نفسها ، فهي تشير الى أن الأمـلاك الشخصية للسلطان هو الذي يقدم أقوى نموذج مكتشف احتذته المدينـة

---

(٤٨) و. رويثر ، تقرير عن البعثة الالمانية الاثرية الى طيسفون في شتاء سنة ١٩٢٨ — ٣٠ ص ٦ — ٩ .

(٤٩) و. رويثر « العمارة الساسانية » « تخطيط المدن » . ارثر . و. بوب — عرض للفن الفارسي ١/٥٧٥ .

المدورة ، غير أن هذه ليست نماذج لعمارة قديمة في المنطقة كما قد يتوقع المرء ، وانما هي في قصور الحكومة الأموية في الكوفة وواسط [٥٠] ، والظاهرة المشتركة في جميع هذه الأبنية هي علاقة القصر المربع بجامع ملاصق له وذي أبعاد أقصر • ويلاحظ أن الساسانيين كانوا يشيدون الأبنية الدينية على محور يمر خلال ايوان القصر الملكي •

من الواضح أن مجموعة القصر والمسجد أصبح مظهرا مقبولا في العمارة الاسلامية التي ترجع الى عهد الفتوح ، اذ أننا أشرنا الى أن سعد بن أبي وقاص شيّد في خلافة عمر جامع الكوفة وكان ملاصقا لقصر الامارة [٥١] ، غير أن هذا الترتيب غير معروف في العمارة الأموية ، ماعدا خضراء معاوية التي روى أنها تقع على الحائط الجنوبي من مسجد دمشق [٥٢] ، ومن المحتمل أن هذا الترتيب كان مألوفا أكثر في الأفكار الساسانية ، ولذلك لم يصبح قط مظهرا بارزا في العمارة الأموية في بلاد الشام وفلسطين • غير أن وجود خضراء معاوية في دمشق استلزم تفسيرا أكثر اقناعا ، ولعل هذا التفسير موجود في وظائف مناسبة للأبنية •

ان القصور الأموية في بوادي بلاد الشام وفلسطين كانت تقع على مسافة من المراكز الحضرية الكبرى ، أما قصور العراق فقد أقيمت في الكوفة وواسط والبصرة ، كما أن دار الامارة التي بناها أبو مسلم كانت على شكل الطراز نفسه في نحو سنة ١٣٣/٧٥٠ في مرو[٥٣] • وأبنية العراق مع أنها تتسم بمظاهر مشتركة مع العمارة الملكية الساسانية ، هي كدار الامارة التي بناها

---

(٥٠) محمد علي مصطفى « التنقيب في الكوفة » سومر « مجلد ١٢ » (١٩٥٠) ص ٣ ــ ٢٢ ، التقرير الاول ، مجلد ١٦ (١٩٥٤) ص ٧٣ ــ ٨٥ لفؤاد سفر واسط (تنقيبات الموسم السادس) القاهرة ١٩٤٥ .

(٥١) الطبري ٢٤٩١/٣ ــ ٩٢ .

(٥٢) كريسويل ٣١/١ .

(٥٣) كذلك ٣/٢ .

أبو مسلم ، كانت قصورا لولاة الأقاليم ، بل حتى خضراء معاوية في دمشق ، وهي العاصمة الرسمية للخلافة الأموية ، كانت قد بنيت أيام كان واليا علـى بلاد الشام في خلافة عثمان بن عفان . فمن الواضح أن مجموعة القصر والجامع كانت تتكون من مجموعات كبيرة من وحدات تشمل بيوت الأموال والمخازن والدواوين وأمثال ذلك ، لقد كانت المركز الاداري الذي تُسَيّر فيه الشؤون اليومية للحكومة ، كما كانت تعبيرا مرئيا لسلطة الدولة ، وفي هذا التقليد بنيت المدينة المدورة لتظهر بصورة علنية القوة الفريدة للسلطان ، وبذلك تميزها عما يدعى عمارة الخلافة الأموية في بلاد الشام وفلسطين .

كان الولاة في العراق مرادفين للحكم الأموي ، وهذا ينطبق بصـورة خاصة على الحجاج بن يوسف الذي قضى على ادعاء عبدالله بـن الزبـير الخلافة ، وهدأ الأقاليم ، وأصلح الاراضي بحفر ترع جديدة واصلاح القديمة منها ، كما أنه منح الشرف الكبير بضرب النقود ، وقد أخضع من العاصمة التي بناها في واسط كلا من الكوفة والبصرة المضطربتين ، وبذلك قوّى السيطرة الأموية على هذا الاقليم المضطرب . فالتشابه الكبير بين قصر الحجاج وجامعه في واسط وبين قصر المنصـور وجامعه في بغداد ، ينبغي أن يبحث ببعض الاعتبارات .

ومع أن الأدلة الآثارية من واسط لاتزال غير كاملة (٥٤) ، فان أوصاف هذه الأبنية معروفة من المصادر الأدبية (٥٥) ، ويتبين مما ذكره ياقوت أن أبعاد القصر والجامع تتطابق مع الأبعاد التي ذكرها الخطيب لقصر المنصور وجامعه في بغداد ، والأجدر بالملاحظة أن الأبعاد التي ذكرها هي مئتا ذراع مربعـة

---

(٥٤) و. جرابار « المشتى وبغداد ، وواسط » « عالم الاسلام » / دراسـات على شرف فيليب خوري حتى (لندن ١٩٥٩) ص ٩٩ ـ ١٠٨ .

(٥٥) الخطيب ٧٣/١ ، ١٠٧ ـ ٩ ؛ البلاذري : فتوح ص ٢٩٠ ؛ ياقوت٨٨٥/٤ .

للجامع . وأربع مئة ذراع مربعة للقصر ، قد أيدتها حفريات البعثة العراقية في ذلك الموقع . وقد ذكر أن كلا من القصرين كانت عليه قبة خضراء سامقة الارتفاع يمكن أن ترى من مسافة من المدينة ، فكانت علامة بارزة للمنطقة المجاورة (٥٦) ، ثم ان رصافة الشام التي كانت العاصمة الفعلية للأمويين ابان خلافة هشام ١٠٦ ـ ١٢٤/٧٢٤ ـ ٧٤٣ كانت أيضا تتسم بقبة خضراء مشيدة فوق قاعة الاستقبال ، كما روي أن معاوية كان يستقبل وفوده تحت «خضراء» قصره في دمشق (٥٧) ، فالمسألة التي أثارها جرابار في بحثه هذا الموضوع هي مسألة مثيرة : هل هناك تقليد أموي شامي لمثل هذه القباب ربما يرجع الى «خضراء» معاوية في دمشق «العاصمة الرسمية للدولة» التي قد يكون الحجاج(٥٨) حاكاها . فاذا وجد حقا مثل هذا المحاكاة فانه يكون فيما يظهر معبرا عن أكثر من طرافة معمارية ، حيث قد تبدو القبة الخضراء رمزا لسلطة الدولة . وليس من المحتمل أن تكون قبة المنصور مصادفة تاريخية ، لأن الطبري في وصفه ثورة الراوندية عند القصر السابق للخليفة ، يذكر أن بعض الثائرين صعدوا الى الخضراء ، فألقوا بأنفسهم وكأنهم يطيرون (٥٩) ، فاذا كانت الرواية التي تذكر وقوع هذه الحادثة في الهاشمية ولاتخلط بين القصرين ، فان الخليفة يكون مدركا تمام الادراك لمعنى القبة الخضراء الرمزي .

يضاف الى ذلك أن هناك رواية تذكر أن أبواب الحديد في القصر بواسط قد نقلت الى بغداد ، ووضعت على قصر المنصور (٦٠) ، وهي رواية

---

(٥٦) البلاذري : فتوح ص ٢٩٠ اليعقوبي ص ٣٢٢ ابن رستة ص ١٨٧ .

(٥٧) انظر التعليق (٥٢) .

(٥٨) جرابار : دراسات ص١٠٦ مقتبسا من ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٢٨٤/٣ .

(٥٩) الطبري ٣١٨/٣ فما بعدها .

(٦٠) الخطيب ٧٥/١ .

(تذكر المصادر ان الابواب الحديد وضعت على ابواب المدينة ، وليس على ابواب القصر) (المترجم) .

تذكرنا بمحاولة الخليفة هدم قصر كسرى في المدائن ليستعمل أنقاضه في بناء بغداد. ويعد نقل الأبواب من مدينة الى أخرى في العصور الوسطى في الشرق الاوسط عملا رمزيا يدل على تعبير عن السلطة ، فان سعد بن أبي وقاس بعد أن فتح طيسفون أقام في الكوفة ، وبنى قصره على غرار ايوان كسرى ، ونقل أبواب الحديد من الايوان الى قصر الكوفة* . وكذلك فعل الحجاج في بنائه واسط ، اذ نقل الأبواب الى مدينته مـن زندورد ، وهي بلـدة تنسب الروايات بناءها الى سليمان بن داوود ، ومن الجدير بالملاحظة أن واسطا كانت العاصمة الأموية في العراق وظل سكانها يقاومون العباسيين حتى بعد سقوط الدولة الأموية (٦١) . والمفروض أنه كان من الضروري أن تتمتع ببغداد بما للسلطة من المظاهر الرمزية التي اتسمت بها واسط وعواصم الحكم الأموي .

فبناء بغداد يمكن أن ينظر اليه كمحاولة لتوحيد أقاليم الدولة الاسلامية الواسعة توحيدا سياسيا وجغرافيا تحت أجنحة الخلافة العباسية ، والوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها الخلافة التأثير في هذه الوحدة هي بالاستجابة الى السكان الأصليين باللغة البَصَرية التي يفهمونها ، باعتبارها الوريث لأباطرة الشرق الادنى الكبار التقليدين ، وهذا يتضمن فكرة أن هذه الشعوب قد تقبل سلطانا حاكما من أصل وطني مختلف ، على شرط أن يرى نفسه وريثا كفؤا للأسرة الكبيرة من الملوك الذين سبقوه . ومن المؤكد أن الأمويين حاولوا الحصول على هذه المكانة. ان الصورة التقليدية للخلفاء الأمويين وهم يقيمون في أطراف الصحراء ويحيون حياة البداوة، لا تنصف نظرتهم الواقعية، فان صلابة تكوين المجتمع الأموي ، وليس حب البادية ، هو الذي حال دون خلفائهم ان يتوصلوا الى وحدة حقيقية للنظام وغرسه بما يثبت دولتهم ، لذلك

---

* (لم اجد في المصادر اشارة تؤيد هذا القول) (المترجم) .
(٦١) الدينوري : أخبار ص ٣٦٧ ـ ٧٢ ؛ الطبري ٣/٦١ ـ ٦٦ .

يمكن أن يعدوا وقد بدؤوا بالانتقال من «الاسلام الأول» المتركز على العرب، الى دولـة عالمية أكثر كان رمزها العـاصمة الكبيرة في بغداد • والواقـع أن بناء بغداد يعبر عن بدع كبيرة في تخطيط المدينة ـ تغييرات كان عليهـا أن تضع تأثيرا ملحوظا في نمو العاصمة التخطيطي والاقتصادي •



(٢)

الأملاك الشخصية للخليفة
« اعادة الدراسة لخطة مدينة بغداد »

يلاحظ الباحثون في الحياة الحضرية الاسلامية وجود نوعين متمايزين من مناطق السكن الكبرى ، وذلك بتمييزهم بين المدن التي نمت من ذاتها ، والمدن التي أحدثت في العالم الاسلامي ، أي بين مدن بنيت تبعا لخطة مدروسة سابقا ، ومدن كالامصار التي كان نموها استجابة لحاجات معينة للفتح الاسلامي[1] . فأما انموذج القديم الذي كانت تتميز به المستوطنات العسكرية كالبصرة والكوفة ، فقد كان سريعا ومن غير ادراك حقيقي للعناصر الرسمية لتخطيط المدينة . غير أن المعسكرات الأولى سرعان ما حلت محلها أبنية دائمة ، وحل محل مسالك التموين الممتدة أسواق ثابتة وتنظيم صناعي أولي ، وأخذت تنمو مدينة خارجة من الصناع والتجار حول المستوطنات العسكرية الأصلية . فنمو مدينة الأمصار كان اذاً موجها من الداخل الى الخارج ، مما يعطي انطباعا ان هذه المناطق الحضرية لم تكن تنفيذا لخطة منظمة ، بل كانت ثمرة عدة أدوار من التطور الذاتي .

أما النمو التاريخي لبغداد ، ابتداء من «المدينة المدورة» الفخمة التي شيدها المنصور في سنة ١٤٥ هـ /٧٦٢م ، فانه يدل على نوع مختلف من

---

(١) انظر عن عرض عام للمدينة الاسلامية ، جورج مارسيه : «فكرة المدن في الاسلام» ، مجلة الجزائر م٢ (١٩٤٥) ٥١٧ ـ ٣٣ (بالفرنسية) .

التطور الحضري. فالمدينة المدورة ، أو مدينة السلام كما كانت تسمى أيضا ، لم تكن معسكرا أعد تنظيمه سلفا للاستقرار في محيط مستقر تام ، بل هو ابداع لذلك التخطيط والتنفيذ الشامل الذي دفع الأديب المشهور الجاحظ أن يقول : « كأنما صبت في قالب وكأنما أفرغت افراغا » . فمن الواضح أنها مشروع كبير ، قام على خطة مدروسة اختارها الخليفة بنفسه [٢] . فما هو اذن تخطيط وظيفة التركيب الاسلامي ؟ وما صور تطورها الأول ؟

الأشغال العامة وتخطيط المدينة

ان الانجاز الناجح لمثل هذا المشروع العظيم لا يفترض مجرد مخطط معماري قد أعدت دراسته سلفا ، بل يقتضي أيضا نوعا من الاشغال عظيمة التنظيم والكفاية . والواقع أن البناء لم يبدأ الا بعد جمع عدد كبير من العمال، كما أن العناصر الكبرى في « المدينة المدورة » لم تتم الا بعد أربع سنوات ، يخرج منها سنة انقطع فيها البناء بسبب انشغال الخليفة بالثورات العلوية في البصرة والحجاز . والمظهر الاكبر في هذا المنهاج من الاشغال العامة هو جمع الصناع والعمال من الاقاليم الاخرى في بلاد الشام والعراق ، ومن الموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة . وقد تحددت الرواتب تبعا لنوع العمال . وكانت تدفع فيما يظهر في أزمنة معينة ، معطية انطباعا عن ظهور الرخاء في المدينة . ويذكر اليعقوبي أن عدد الصناع زاد على مئة ألف ، وهو رقم يعكس فخامة البناء ، وان كان من المحتمل مبالغا فيه . وقد جعل كل ربع الى قائد يشرف عليه ويقوم جنده بحفظ الامن ، أما الامور الفنية ، فقد جعلت الى رجال خبراء في مثل هذه الامور[٣] .

---

(٢) الخطيب ١/٧٠ ؛ الطبري ٣/٢٧٧ ؛ ياقوت ١/٦٨٢ .

(٣) أنظر نص الخطيب ١/٦٧ هامش ٤ .

ولاريب في أن اجتماع الاف من الصناع من مختلف الارجاء ، وفيهم المهرة وغير المهرة ، والصناع والعسكريون ، كان يتطلب لهم فيها بيوتا كافية ، وأسواقا لتوفير الخدمات ، ومشاريع صناعية لانتاج مواد البناء[٤] ، وكل هذه العوامل تشير الى ان بغداد كانت تتخذ صفة الاستقرار حتى قبل أن تكمل المدينة المدورة . وعلى مر الزمن تمت المنطقة الحضرية حول الاسوار الاصلية لمدينة السلام ، وتطورت الى مجموعة متنامية من العناصر المعتمدة بعضها على بعض ، وكل منها يحتوي على أسواقه الخاصة ومساجده ومقابره ، وله أيضا مؤسساته الخاصة شبه المستقلة . ومن وصف القطائع الواقعة هناك نستطيع أن نحكم بأن « الحربية » كانت آهلة بسكانها من قواد المنصور ورجال جيشه[٥] ، ومما قيل يبدو أن الارجح أن القطائع الاولى أقطعت مع نمو المدينة الاصلية ، وأنها كانت تقع في مختلف مستوطنات الجند ، أو بالقرب منها ، وقد رتبت في القطاع تبعا للتجمعات القبلية أو العرقية ، أما الفعلة والصناع فلا شك في أنهم أقاموا في المناطق المأهولة قديما عند السوق في الكرخ الواقع في جنوبي المدينة الجديدة ، ومن قبل أن يكمل بناؤها [٦] لذلك ، وبعكس الاعتقاد السائد ، لابد أن يكون نمو الضواحي في الجانب الغربي من دجلة قد سبق ولم يتل بناء مدينة السلام ، بالرغم من وجود نصوص قد تدل على عكس ذلك .

ومن المؤكد أنه كان يوجد توسع في مناطق الاطراف ، فأن الادلة من النصوص تشير الى الحاجات التي ولدها التزايد الطبيعي في استيطان هذه المناطق في مدى اثنتي عشرة سنة[٧] ، فبغداد ، وهذه حالتها ، كانت تختلف عن

---

(٤) كذلك ص ٧٠ هامش ٩ ، ١١ ، وهو يذكر أن البناء توقف عندما قامت ثورة العلويين .
(٥) كذلك ص ٨٥ اليعقوبي : البلدان ص ٢٤٨ .
(٦) ليسترانج ، خارطة ٣ .
(٧) الخطيب ١/٧٩ – ٨٢ .

مدن الامصار ، من حيث انها لم تنم من الداخل الى الخارج ، بل كان نموها من الخارج الى الداخل •

ان هذا الانموذج الفريد من النمو قررته الى حد كبير الصفة القديمة للمكان ، وهو عامل كان حتى اليوم مهملا كل الاهمال ، فقد كان الموقع الستراتيجي للجانب الغربي مثاليا لمركز حضري كبير ، ولكن برغم ذلك اختار الملوك عاصمتهم جنوبا في « المدائن » ، غير أن منطقة السوق لطيسفون والمناطق المجاورة لها كانت تقع عبر النهر في « سلوقيا » ، فأدى ذلك الى ترتيب غريب لعاصمة تقع على مسافة قصيرة من المركز التجاري العام • ولابد أن انحطاط طيسفون في أوائل العصر الاسلامي كان له تأثير عميق على مناطق السوق القديمة ؛ غير أنها ظلت ، بلا شك ، تخدم بقية الزراع من المنطقة المجاورة ، ويبدو أن الخليفة أراد أن يكون مثل هذا النوع من التنظيم في بغداد ، ولم يشأ اتخاذ طيسفون ، بل أنشأ مركزا اداريا في ملتقى دجلة بالصراة • وليس موقع المدينة المدورة ، بل تنظيمها المعماري ، هو الذي مكّن الخليفة من أن يباري من سبقه من الساسانيين في سحب ادارته من الوجود المباشر لعامة السكان ، وهذه حقيقة تسندها الادلة التاريخية والمعمارية اسنادا تماما ، وتظهر الحاجة الى تعريف شكل آخر من الحرف الحضرية ، ألا وهي المركز الاداري •

الأوجه المعمارية للمركز الاداري

لقد ذكرنا من قبل أنه لم تجر حتى الان أية حفريات في الموقع الذي يعتقد أن « المدينة المدورة » تقوم عليه ، فالمعلومات عن تكوينها المعماري أو الطبيعي مستمدة من المصادر الادبية ، وأهم روايتين فيها، هما : القسم المكتوب عن بغداد في كتاب اليعقوبي ، والفصول الخاصة في تاريخ الخطيب التي

تبحث في تكوين مدينة السلام ومساجدها الجوامع[٨] ، ويبدو أن الخطيب واليعقوبي استعملا مصادر مستقلة ، فأما اليعقوبي فانه لم يذكر مصادره ، ولكنه أشار الى أن وصفه مستند الى أحوال المدينة كما كانت في أيام المنصور • وأما معلومات الخطيب فانها مستمدة بصورة أساسية من القاضي وكيع (المتوفى سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م) ، وهي تستند الى عدة مصادر أقدم عهدا ، والمصدران يكمل أحدهما الاخر من حيث التفاصيل ، ورواية الخطيب أوسع في وصفها ، ويوجد أحيانا بعض الاختلاف في الارقام مما قد يدل على أن المؤلفَين يشيران الى أنظمة مختلفة من المقاييس •

ان بعض الخصائص العامة لهذين الكتابين تثير مشكلات خطيرة تتعلق بقيمتهما لاية محاولة لوصف تكوين المدينة ، فرواية اليعقوبي سلسلة خالية من أية مناقشة أو معالجة نقدية للمادة ، وأما الخطيب فان اهتمامه كان مركزا على العلوم الدينية ، فهو يذكر بتأثير العادة عدة روايات لمختلف الامور، مع اسناد كامل عادة ، غير أنه اذا أخذت روايته ككل فانها تصف خطة المدينة المدورة بصورة مفتتة ، وتعوزها أحيانا التفاصيل في بعض التركيبات الرئيسة• ولما كانت الارقام في العربية متشابهة ويسهل التوهم والخلط فيها ، فالادلة الاحصائية التي هي أساس أي تركيب معماري هي ليست فوق الشكوك ، ومن حيث العموم فلعل الخطيب راوية معتمد للمعلومات التي في حوزته ، غير أنه يعوزه الميل الى المشكلات الفنية ، كما أنه ليست له معرفة اختصاصية في الامور المعمارية والخطط ، فهو لذلك يبدو اعتباطيا في اختياره الروايات، ولم يكن كثير الاهتمام بالمشكلات النقدية الممكن وجودها في النصوص الاصلية ، لذلك كانت اعادة تركيب المدينة المدورة أمرا نظريا جدا وتأمليا جدا • والكتاب المعماري الكبير في الموضوع ، هو كتاب أ• هرزفيلد الذي

(٨) انظر مقدمة النص •

كان بحثه عن تركيب المدينة ، قد قبله مع بعض التعديلات فيما بعد كـ٠ أ٠ س كريسويل في كتابه الضخم : « العمارة الاسلامية الاولى »[٩] ، ومن الواضح أن جهودهما تثير عدة مشكلات لن تحل الا اذا جرت حفريات منظمة في الموضع الذي يعتقد أن « المدينة المدورة » تقوم عليه ، غير أنه استنادا الى المصادر الادبية وحدها يمكن تقديم بعض الاراء المختلفة التي تقدم فكرة جديدة عن خطة المدينة ، ونظرية مختلفة عن وظيفتها المعمارية ونموها التاريخي في المدة الاولى ٠

تكونت مدينة المنصور ، بعد اكتمالها ، من ثلاثة عناصر معمارية ، هي : التحصينات الخارجية ، والمنطقة السكنية الداخلية بشوارعها المرتبة تناظريا ، والساحة الداخلية ؛ فكانت محاطة بسورين لهما مركز واحد يفصلهما فصيل ، ويحيط بهما خندق ٠ وكان السور الداخلي هو أوسع السورين ، لانه هو السور الذي يحمي المدينة ، وكانت تحيط به ساحة ٠ وكان الوصول الى المنطقة السكنية والساحة المركزية يتم من أربعة أبواب محكمة وطاقات تبدأ من السور الخارجي وتنتهي بالساحة الدائرية الكبرى في الوسط ٠ والابواب الاربعة يبعد بعضها عن بعض بمسافات متساوية ، وهي على طول محور قصر الخليفة ، وتقع في الجهات الشمالية الشرقية ، والشمالية الغربية، والجنوبية الشرقية ، والجنوبية الغربية من المنطقة السكنية ٠ وقد فصل فصيل ثان بين البيوت والتحصينات الخارجية ، كما أن فصيلا ثالثا كان يفصلهما عن سور الساحة الداخلية الكبيرة التي يقع فيها القصر المسجد والجامع[١٠] ٠

تتضارب المصادر في معلوماتها عن المساحة الكلية التي تحيط بها أسوار البناء، حيث يوجد ما لايقل عن سبعة روايات تذكر أرقاما تراوح من ٥٧٦ر٠٠٠ ذراعا الى ٦٤ر٠٠٠ر٠٠٠ ذراعا ، ويميل هرزفيلد وكريسويل الى ترجيح

(٩) هرزفيلد ، بعثة آثارية ٢/١١٣ فما بعد ؛ كريسويل ٢/٤ فما بعدها .
(١٠) انظر الشكل (١) .

رواية رباح مهندس الاسوار من بين هذه الروايات ، واستنادا الى تلك الرواية حصلا على رقم يقرب من ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ذراع مربع ، وذلك بأن حسب المسافة بين كل بابين متقابلين ميلا واحدا[١١] . واذا أعطينا تسامحا لاكبر المقاييس ، ووضعنا نصب أعيننا خطة « المدينة المدورة » ، نجد الرقعة التي تحيط بها أسوار مدينة المنصور أصغر من ان تكفي لمركز حضري كبير للدولة العباسية . يضاف الى ذلك أن بعض الظواهر المعمارية للمدينة المدورة تعطي انطباعا أنها بنيت كمركز حكومي احتفظ ببعض المظاهر الخارجية لمدينة متماسكة ، غير أن العنصر الاكبر فيها هو في الحقيقة القصر الذي يشمل حرم القصر والجامع في الساحة الوسطى[١١أ] .

والخطيب لايذكر في هذه الساحة وجود أي مبنى . غير أن اليعقوبي يذكر مبنيين اضافيين ، أحدهما عند باب الشام وفيه صاحب الحرس ورجاله ، والثاني لم يحدد موقعه ولكنه ذكر أنه سقيفة قائمة على عمد من الطابوق والجص ، فيها دار لصاحب الشرطة ، وطبعا فيها غرف لرجاله ، وبذلك يوفرون أقصى درجات الامان لاملاك الخليفة الشخصية . وربما أريدت هذه الابنية للرجال الذين يقومون بالواجب الفعلي في الساحة المركزية[١٢] . أما بقية

---

(١١) انظر المقدمة ص ٣٢ .

(١١ أ) ان هذا شبيه بوصف ف. بارتولد لمدن ايران وتركستان قبل الاسلام ، فهي تتكون من قلعة ومدينة أصلية ، أما السوق فكان خارج المدينة الاصلية في الربض ، أو بيرون ، وفي بعض الاحيان كان يحاط بسور . انظر بارتولد ، «تركستان حتى فتح المغول» ترجمة هـ. أ. رجب ، (الطبعة الثانية لندن ١٩٤٨) ص ٧٨ . وانظر أيضا : الحضارة الاسلامية (كلكتا ١٩٣٤) ص ٣١ ــ ٣٢ ، وقد اقتبسها ج. فون جروينباوم : الاسلام (لندن ١٩٥٥) ص ١٤٨ .
نشرت في الكويت ترجمة عربية لكتاب بارتولد (المترجم) .

(١٢) البلدان ص ٢٤٠ . ويذكر اليعقوبي أن الطاقات كانت تستعمل في زمنه مصلى ، يدل هذا على أنها كانت في الواقع دار القطان التي ذكرها الخطيب (ص ١٠٨ ــ ١٠٩) ، أي حيث لم يكن مكان كاف للصلاة في

القوة ، فلابد أنها كانت تقيم في الدروب المخصصة للشرطة والحرس التي كانت تقع في المنطقة السكنية حول باب البصرة [١٣] • وهذه فيما يقول اليعقوبي هي الابنية الوحيدة في الساحة المركزية ، غير القصر والمسجد الجامع • ويذكر النص أيضا أنه كان يحيط بالساحة[١٤] بيوت لاولاد المنصور الصغار وخدمه وعبيده ، وكذلك بيت المال وخزانة السلاح وديوان الاحشام ومطابخ العامة وبقية الدواوين •

هذه النصوص صريحة في اليعقوبي ، ويمكن الافتراض أن هذه الابنية كانت عنصرا مهما في الخطة الاصلية للمدينة ، ولكن بالرغم من ذلك لا يوجد مكان لهذه الابنية في الرسم التوضيحي للمدينة المدورة الذي رسمه كل من هرزفيلد وكريسويل[١٥] ، فأما كريسويل فهو الى حد ما أكثر مراعاة للنص العربي ، ولذلك أدخل هذه الابنية في مخططه ، غير أنه لم تكن له فكرة واضحة عن موقعها ، ولذلك وضعها كيفما اتفق له في أماكن مختلفة حول قصر الخليفة[١٦] • غير أن نص اليعقوبي صريح ، اذ يذكر أنه لا يوجد في الساحة حول القصر والجامع الا بنايتان، هما : بناية الحراس، وصفّة الشرط• فمن الواضح اذاً ان الدواوين وبيوت صغار اولاد المنصور وخدمه لم تقع في الساحة ، بل كانت تحيط بها ، وبذلك تكون حلقة من الابنية بين الفصيل الثالث الذي يحدد الحدود بين المنطقة السكنية والساحة المركزية ذاتها • أما الخطة الاجمالية للمدينة ، فان هذه الابنية المحيطة يجب أن يذهب الفكر الى أنها كانت في الاصل عنصرا موحدا في عمارة الساحة المركزية ، أي

الجامع ، وقد أضيفت دار القطان الى الجامع في سنة ٣٦٠/٨٧٣-٤ أو في سنة ٣٦١/٨٧٤ - ٥ ، فبناء الأروقة (حول الصحن) تصبح ملائمة جدا لجعلها مكان صلاة .

(١٣) كذلك .

(١٤) « حول الرحبة كما تدور » .

(١٥) ينقل كريسويل هذا النص في كتابه (ص ١٧) .

(١٦) أنظر خارطة ٢ ، ٣ ، نص ليسترانج ص ٣٠ - ٣١ .

ومن الواضح أن الدواوين المتعددة وبيوت أولاد المنصور والخدم ، لم تكن في أملاك الخليفة الشخصية المكونة من قصره ومن دواوين الحكومة[17] .

ان الادلة العرضية من المصادر التاريخية تسند هذا التصور، كما أنها تحل عددا من الصعوبات الناجمة من نص الخطيب[18] . فمن النصوص التي أوردها الطبري عن بناء المدينة نص يذكر أن مقاصير جماعة من قواد أبي جعفر وكتابه تشرع أبوابها الى رحبة المسجد . ولما كان التعبير الذي استعمل هنا هو « الرحبة » ، وليس « الصحن » ، فمن الواضح أن النص لا يشير الى الصحن الداخلي في المسجد الجامع ، بل يشير الى الساحة العامة المركزية التي كانت تحيط به وتلتصق بالقصر ، وأن هذه الغرف لا يمكن ادخالها في حساب خطط هرزفيلد وكريسويل . غير أن هذه الرواية تتفق مع وصف اليعقوبي ، وكذلك مع اعادة رسم المنطقة الدائرة المقترحة فيما سلف . يضاف الى ذلك أن الطبري ، بعد أن يذكر هذا الخبر ، يتابع الكلام على الساحة الوسطى فيروي قصة وردت في الخطيب أيضا مفادها : أن « عيسى بن علي » (عم الخليفة) شكا الى أبي جعفر ، فقال : يا أمير المؤمنين ان المشي يشق عليّ من باب الرحبة الى القصر ، وقد ضعفت ، قال : فتحمل في محفة ، قال اني استحي من الناس ، قال : وهل بقي أحد يستحيى منه[19] ؟ قال : يا أمير المؤمنين : فأنزلني منزلة راوية من الروايا ؛ قال : وهل يدخل المدينة راوية أو راكب ؟ قال : فأمر الناس بتحويل أبوابهم الى فصلان الطاقات[20] ، فكان لا يدخل

---

(١٧) انظر رسمي شكل ٢ ، ٣ و ٩ .

(١٨) الطبري ٣/٣٢٢ — ٢٣ .

(١٩) كذلك ص ٣٢٣ الخطيب ١/٧٧ فما بعدها ، ويخلط الخطيب بين روايتين، احداهما عن داوود بن علي والاخرى عن عبدالصمد ، لاحظ أن داوود بن علي روى أنه توفي في سنة ١٣٣هـ /٧٥٠م ، أي قبل بناء المدينة (الطبري ٣/٧٣) . أما رواية الطبري فيبدو أنها توضح الاشكال ، فيبدو أن الذي كان يشكو النقرس هو عيسى بن علي عم الخليفة .

(٢٠) أي أن الفصيل الثالث كان يحدد القسم السكني (انظر شكل ٣ ، ٩).

أحد الا ماشيا .. ولما أمر المنصور بسد الابواب مما يلي الرحبة وفتحها الى الفصلان ، صيرت الاسواق في طاقات المدينة الاربعة (التي كان يشغلها الجند من قبل) ، وفي كل واحد سوق ، فلم تزل على ذلك مدة ، حتى قدم عليه بطريق .... فأمر باخراج السوق من المدينة »[٢١] .

ان قصة محاولة عيسى بن علي الركوب في الرحبة والتغلب على آلامه من النقرس تؤيد وجود رحبة مستديرة ، كما أنه بهذا العمل يقدم تفسيرا مقبولا لتكون وظيفة الطاقات التي على كل باب يؤدي الى الرحبة المركزية ، وكانت محاطة بغرف للمرابطة (الحرس) الذين يبلغ عددهم ألفا في كل باب بامرة قائد مختار . وكان على كل باب عدة موظفين ملحقين بمن أوكل اليهم أمر الباب ، والطاقات الكبيرة ثلاثة وخمسون طاقا ، وعرض الطاقات خمس عشرة ذراعا ، وطولها من أولها الى الرحبة التي بين هذه الطاقات والطاقات الصغرى مئتا ذراع[٢٢] . ويذكر الخطيب أنه كانت توجد مجموعة ثانية من الطاقات ، ولكن لا توجد اشارة الى عدد هذه الطاقات أو تركيبها[٢٣] .

ولما كان هرزفيلد وكريسويل لم يعطيا تصورا للتركيب الدائري ، فانهما افترضا بأن الرحبة الداخلية الكبيرة كان يحيط بها سور سمكه خمسة أذرع فقط، وهو يفصلها عن الفصيل الثالث للمنطقة السكنية[٢٤]. ولما كانت الطاقات

---

(٢١) توجد رواية تخالف هذه في الخطيب ٧٨/١ ــ ٧٩ ، ٨٠ ؛ الطبري ٣٢٣/٣ ، ٣٢٤ ؛ ياقوت ٢٥٤/٤ .

(٢٢) الخطيب ٧٦/١ ، ٧٧ ويرى هرزفيلد ويتابعه كريسويل : أن الطول الذي ذكره الخطيب لايترك فسحة كافية للحرس (١٠٠٠ رجل) ، والمفروض أن هؤلاء الحرس كانوا يقيمون في غرف الأجنحة ، وعلى هذا فان الرقم الأكبر توصلنا اليه بالافتراض ، وهو أن كل غرفة كان عرضها ثماني أذرع، مع اضافة ذراعين للحوائط القاطعة ، انظر هرزفيلد ص ٢٩ ؛ كريسويل ص ١٦ وكذلك شكل ٧ .

(٢٣) الخطيب ص ٧٦ ، أما اليعقوبي ، فلا يذكر هذه المجموعة الثانية من الاقواس .

(٢٤) هرزفيلد ص ١٢٩ ؛ كريسويل ص ١٦ فما بعدها ، انظر شكل ٨ .

الكبيرة تنتهي بهذا الفصيل ، فأن غموض النص العربي أدى بهم الى مواجهة مشكلة وضع مكان مناسب للطاقات الصغيرة ، فسمح هرزفيلد لسلسلة من الطاقات القائمة بذاتها مرتبطة بالسور المحيط ، وقدر العرض الكلي للطاق خمس أذرع ، وذلك لتطابق التناظر للممر المؤدي الى الرحبة المركزية [٢٥] . غير أن هذا التركيب لا يقدم مسوغا كافيا لاختراق التقويسات بافتراض أنها كالطاقات الكبيرة ، تسند سقفا من الطابوق وليس من الخشب[٢٦] . يضاف الى ذلك أن رسوم هرزفيلد تتصف ببعض الصعوبات الوظيفية . فاذا استطاع المرء افتراض سمك ذراع لكل طاق ، يكون العرض الكلي للممر اربع أذرع فقط ، وبذلك يصبح ممرا ضيقا وغير مرتبط بأية غرفة ولا يؤدي الى شيء على دائرة واسعة جدا .

ولما كانت خطةالمدينة كما تصورها هرزفيلد لا تتيح مجالا لرسوم مقبولة للطاقات الصغرى ، اضطر كريسويل الى الاستنتاج بان هذه الابنية لم تكن طاقات قط ، بل مجموعات من الطاقات العمياء التي تقوم على قواعد نصف مستديرة ، على طول السور المحيط ، ما عدا المداخل الاربعة الى الرحبة العامة التي كانت محاطة بدعائم ربع مستديرة في الشكل العام نفسه . وهذا التخطيط قائم على المقارنة بساحة الشرف في « الاخيضر » وأسوار الزيادة في الجامع الكبير في « سامراء » ، وهي تعطي الطاقات الصغرى وظيفة زخرفية ، لا

---

(٢٥) يقول اليعقوبي انها بناء مقوس من الطابوق والجص ، وانه كان عليها بابان من حديد (البلدان ٢٤٠) وقد حرف فييت في ترجمة كتاب البلدان ص ١٥ ، ترجمة هذه العبارة ، لأنه قارنها بالأبواب الخارجية ، انظر الخطيب ٧٥/١ ، ولم يذكر النص العربي أبعاد الرواق . وقد اخترت أبعاد ٣٠ × ٢٠ بالقياس الى الرواق الاول في المدينة (الشكل ٤ وأعدت رسم أبنية الدائرة الداخلية كسلسلة من الصحون تحيطها غرف ، انظر الشكل ٦ .

(٢٦) البلدان ص ٢٣٩ .

معمارية[27] • فتخطيط كريسويل ممكن نظريا ، الا أنه غير مقنع ؛ لان الادلة التي من النص على بناء محيط ذي حجم غير صغير بين فصيل المنطقة السكنية والرحبة المركزية ، هي أقرب الى القبول من السور المحيط الذي اخترعه هرزفيلد ، يضاف الى ذلك أن وجود بناء محيط يؤدي الى اطالة الابواب الكبرى المؤدية الى قصر الخليفة ، وبذلك يتيح فسحة كافية لسلسلة ثانية من الطاقات ، فالطاقات الصغرى التي تحيط الدائرة الداخلية تكون مقترنة في التكوين بالوحدة الكبرى التي تحيط بالمنطقة السكنية ، فكلاهما يقع على طول الممر نفسه الذي يؤدي الى الرحبة المركزية الكبيرة ، فالتمييز بين هذين النوعين من الطاقات اذن هو في عدد الطاقات وليس في موضعها أو وظيفتها[28] •

فاذا افترضنا وجود هذه الحلقة الداخلية ومكملاتها ، فان الادلة المعمارية تميل الى الاشارة الى أن المدينة المدورة كانت في الواقع مركزا اداريا ، وليست مدينة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة قط ، والاكثر أن هذه النظرة تنسجم مع الادلة التاريخية ، وتشير الى الحاجة الى اعادة تقييم التطور التاريخي لمدينة المنصور في المدة التكوينية •

الوظيفة المتبدلة للمدينة المدورة

ان تبديل موقع أبواب الحلقة الداخلية والانتقال التالي لبعض الاسواق الى الطاقات الاربعة ، هما دليلان على الوظيفة المتبدلة للمدينة المدورة • فالحلقة الداخلية كما رسمت في الاصل ضمت الدواوين وبعض عناصر أهل بيت الخليفة ، كما ضمت قصر المنصور ومسجده ، وكانا وحدة واحدة تمثل أملاكه الشخصية • ولضمان أقصى درجة من الامن ، وتحاشيا

---

(٢٧) كريسويل ص ١٧ انظر الشكل ٨ •
(٢٨) انظر الشكل ٣ ، ٩ •

من تكرار حوادث الهاشمية، حدد الدخول الى الساحةالداخلية باربعة ممرات، كل منها في نهايته باب محكم تحميه قوة عسكرية • فأبنية الابواب يجب عدّها امتدادا الى منطقة القصر التي تقود اليها ، وبذلك تفسر الوجود الضروري للقائمين بمختلف واجباتالمراسيم والتشريفات وعدّها وبصورةأخصّ امتدادا أيضا الى غرفة للمجلس فوق كل من الابـواب الخارجية(٢٩) ، ولذلك كان الزائر العظيم أول ما تطأ قدمه عتبة البـاب الخارجي يساوره الشـعور بأنه بحضرة قصر الخليفة •

ولما نقل المنصور مداخل الحلقـة الداخلية بحيث جعلها مفتوحـة على الفصيل الثالث ، ربط الدواوين الادارية التي كانت من قبل جزءا من أملاك الخليفة بالمنطقة السكنية من الساحات ، وحصر أملاكه الشخصية بالابنية التي كانت تقع بالفعل في الرحبة المركزية الكبيرة ، وبقصره والمسجد الجامع وأبنية الامن ،فأصبح في الامكان الان نقل مختلف الاسواق الى الغرف التي حول الطاقات ، لان الابواب لم تظل عنصرا موحدا مع حرم القصر ، ولذلك لم تعد به حاجة الى وجـود الحرس الذي كانت واجباتـه ، بلاريب ، المشـاركة بالاحتفالات ، فضلا عن واجباته العسكرية ، ومكّنت الاسواق المقيمين في المدينة المدورة من أخذ ما يلزمهم دون ترك المنطقة المسورة(٣٠) • وعلى أي حال فان الفسحة المحدودة بالطاقات لهذه الاسواق هي دليـل على أن المركز التجاري الاكبر للمدينة ظل باقيا في ربض الكرخ ، وهو المكان الذي كانت فيه منذ الازمنة السابقة للاسلام(٣١) • ولما قرر الخليفة فيما بعد اعادة تنمية

---

(٢٩) اليعقوبي ، البلدان ص ٢٣٩ الخطيب ٧٤/١ — ٧٥ .

(٣٠) ان المنصور بعد أن نقل الاسواق اتبع مشورة أبان بن صدقة ، فوضع في كل ربع بقالا يبيع الخل والخضر (الطبري ٣٢٤/٣ — ٢٥) .

(٣١) لقد كان سوق بغداد ، وهو السوق القديم في الجانب الغربي ، يقع في الكرخ (الطبري ٩١٠/٣ ، ٩١٤) ، وقد حدد البلاذري موقعه قرب قرن الصراة ، وهي النقطة التي يصب فيها الصراة في دجلة (فتوح ص ٢٤٠ ؛ وعن الكرخ أنظر هامش ٣٢) .

الارباض ، ونقل الاسواق من الطاقات لاسباب أمنية ، فانه اختار أن يجعلها في منطقة الكرخ ، وعمل على تيسير النقل في المنـاطق التجارية وفي المدينة ذاتها[٣٢] .

ان قرار الخليفة تبديل أماكن الاسواق وارجاع الحرس الى الطاقات ، قد قررته كما ذكرنا سابقا مشكلات الأمن التي لفت نظره اليها سـفير رومي زائر . ولما كان الوصول الى الاسواق متيسرا للجميع ، أشار البطريق الى أن العدو يستطيع الدخول الى المدينة بزي تاجر ، وأن التجار بدورهم يستطيعون نقل معلومات مهمة عن نشاطات الخليفة ، لذلك أمر المنصور بنقل الاسواق الى الكرخ ، وباعادة انماء عام للمنطقة التي بين الصراة ونهر عيسـى ، طبقا لخطة وضعها بنفسه . فالنمو الكبير لمناطق الارباض في سنة ١٥٧هـ/٧٧٤م ربما كان يرجع بعضه الى النمو الطبيعي لبغداد منذ أيام تأسيس المدينة المدورة قبل اثنتي عشرة سنة. وكان من الضروري بعد تزايد السكان بناء مسجد جامع ثان لاهل الكرخ الذين كانوا من قبل يؤدون صلاة الجمعة في جامع «المدينة المدورة » ، فان وجود جامع ثان سيخفف الازدحام في المسجد الجامع الذي في الرحبة المركزية ، كما أنه لن تكون ضرورة لدخول أهل السوق المدينـة المسوّرة لاداء صلواتهم ، مما يستلزم تشديد تدابير الأمن في أملاك الخليفة. وقد أصبح الكرخ فيما بعـد مزدحما ببعض المعارضـين واصـبح مسرحا

---

(٣٢) أي أنه في المنطقة التي كانت تشمل الكرخ ، وهي الربض الجنوبي مـن المدينة (أنظر ليسترانج ، الخارطة ١) . ويذكر أن الخليفة اخذ طيلسانا وخطط فيه الاسواق ، وجعل سوق القصابين في آخرها لأسباب أمنيـة (الخطيب ٨٠/١) . وقد بحث الخطيب تطور الكرخ (٧٩/١ فما بعـد) وذكر ياقوت تفسيرا أقل اقناعا ، اذ قال ان الخليفة نقل الاسـواق من المدينة ، لأن دخانها كان يسود الجدران (ياقوت ٢٥٥/٤) . لاحظ تفسيرا مشابها لقرار المعتضد ترك سكنى قصر التاج (انظر ابن الجوزي ، المنتظم ٥ ـ ١٤٤/٢) .

لاضطرابات مذهبية متكررة[٣٣] . ويروى أن المؤرخ الواقدي (ت ٢٠٧هـ) ، وهو مؤرخ معتدل ، قال : ان الكرخ مغيض السفلة . وقد أضاف الخطيب الى ذلك توضيحا بأن الواقدي كان يقصد بعض أقسام من الكرخ كان يسكنها المعارضون[٣٤] . ومهما كانت الصحة التاريخية لرواية السفير البيزنطي ، فهناك سبب آخر للاعتقاد بأن الخليفة أقلقه وجود عنصر الشغب في طاقات « المدينة المدورة » ، اذا صدقنا التفسير الثاني لنقل الاسواق الذي ورد في الطبري والخطيب[٣٥] . فقد ذكر أن أبا زكريا يحيى بن عبدالله المحتسب على أسواق المدينة اتصل في سنة ١٥٧هـ/٧٧٤م بأتباع محمد بن ابراهيم بن عبدالله ، وحاول اثارة العامة ، ومعنى هذا أنه استغل مركزه كمحتسب على السوق للقيام بأعمال هدامة ضد الدولة[٣٦] وقد انتهت الثورة الفاشلة بقتل المحتسب وتعليق جثته علنا في الرحبة المركزية الكبرى ، وهي مظاهر علنية لسلطة الحكومة وقوتها . فنقل أسواق الطاقات الى المناطق التي أعيد اعمارها خارج المدينة المسورة ، وعودة الحرس الى الغرف التي في أطرافها ، يبدو أنها أرادت غرضين ، فقد خففت من الضغط المتزايد للنمو الحضري ، كما وفرت في الوقت نفسه أمنا زائدا للهيأة الحاكمة في الدولة .

وفي خلال هذه التطورات تركت مؤقتا فكرة حرم القصر الاولى . ومع أن المدينة المدورة ظلت تعمل كمركز اداري، فانالخليفة انتقلالى قصره الجديد « الخلد » الذي كان يقع على ضفة دجلة فوق باب خراسان[٣٧] ، كان الاول

---

(٣٣) ان هذا صحيح بصورة خاصة عن العهد البويهي في القرنين الثالث والخامس الهجريين .
(٣٤) الخطيب ٨١/١ .
(٣٥) الخطيب ٧٩/١ فما بعد ، الطبري ٣٢٤/٣ .
(٣٦) أي الاخوين اللذين قاما بثورة في البصرة والحجاز ، أنظر الطبري ٢٧٨/٣ ، ٣٨١ .
(٣٧) الخطيب ٧٥/١ ، ٨٠ ، ٩٢ - ٩٣ اليعقوبي ، البلدان ٩ ٢٤٩ .

في سلسلة الممتلكات الممتدة على طريق الشاطىء[٣٨] ، غير أن فكرة مزج الاجهزة الادارية لقصر الخليفة في داخل وحدة مكتفية اكتفاء ذاتيا ظلت مع ذلك أمنية مختلف الحكام العباسيين ، وتتضمن هذه الفكرة الرغبة في توجيه كل شؤون الحكومة من مكان مركزي يقع على مسافة عن مكان العامة، وذلك كيما يظهر وحدة الحكومة وسلطتها .

لماذا بنى المنصور الرصافة

ان موقع «الخلد» بالنسبة الى الجانب الشرقي الذي نما حديثا مكّن الخليفة من الاحتفاظ ببعض المظاهر الخارجية للمجمع الاداري ، فتبديل المنصور اقامته ، وتوسع الضواحي الغربية ، سبقهما بناء كبير على الجانب الثاني من النهر ، اذ أنه عندما عاد ابنه المهدي ، الذي أصبح ولي عهده ، من « الريّ » في شوال ١٥١هـ/٧٦٩م ، بدأ المنصور يبني له « الرصافة » مقابل « الخلد » تماما على الجانب الشرقي من دجلة[٣٩] ، وهذا البناء الذي يبدو أن اتمامه استغرق ثماني سنوات ، كان عملا فخما ، فقد أحيط بسور وخندق، وكان فيه ميدان لعرض الجند ، عدا مناطق جعلت حدائق ، وقد بنيت جميع هذه الابنية بالرهوص[٤٠] ، ما عدا قصر المهدي . وكان قصر الرصافة بلصق المسجد الجامع ، كما كانت الحال في « المدينة المدورة » . وهو أوسع من قصر المنصور وأفخم[٤١] ، ومن سوء الحظ أن الرصافة لا توجد عنها مواد تقارن

---

(٣٨) الخطيب ٨٧/١ البلدان ٢٤٩ .

(٣٩) يذكر اليعقوبي انه بدىء ببناء الرصافة سنة ١٤٣ هـ / ٧٦٠ ـ ٧٦١ م ، غير أن هذا يصعب قبوله لأن كافة المصادر تذكر أن بناء المدينة المدورة لم يبدأ حتى سنة ٧٦٢/١٤٥ ، أنظر البلدان ٢٥١ .

(٤٠) الطبري ٦٤/٣ فما بعد ؛ الخطيب ٨٢/١ ـ ٨٣ ، ياقوت ٧٨٣/٢ وفي رواية أخرى في الطبري ٤٦١/٣ : لم يحفر الخندق أو يبني السور حتى سنة ٧٧٥/١٥٩ ـ ٦ .

(٤١) ياقوت ٧٨٣/٢ .

بأوصاف « المدينة المدورة » ، غير أنه يبدو أنها كانت تشغل مساحة واسعة ، وأن وظيفتها كانت تشبه الى حد ما وظيفة مدينة المنصور الاصلية .

ما الذي دفع الخليفة الى أن يبني على الجانب الشرقي من دجلة قصرا آخر وملحقاته شديد الشبه بمدينته ؟ لقد قيل ان الرصافة كانت تدعى في الاصل « عسكر المهدي » وانها سميت بذلك لان « المهدي » عسكر فيها حين توجه الى الري[42] . غير أن الاكثر اقناعا هو تفسير الطبري[43] الذي يذكر أن الخليفة ، بناء على اقتراح قثم بن العباس ، قسم جنده وفاقا لاقاليمهم وعشائرهم ، بعد أن أثار بمهارة العداوة التقليدية بين مضر واليمن ، فأسكن احداهما في الجانب الشرقي ، وأبقى الاخرى في الجانب الغربي قرب المدينة، وبذلك يستطيع الخليفة ضرب احدى الفرقتين بالاخرى . فاذا ثار جند في الجانب الشرقي ، فان الخليفة يعتمد على الجانب الغربي ، وجعل المهدي على الجانب الشرقي ، وبنى لاقامته قصرا باسمه[44] .

ولما بنى المنصور بعد ذلك قصره في « الخلد » ، ربط القسم الاسفل من الجانب الشرقي بالكرخ (في الجانب الغربي) بجسر أصبح فيما بعد الشريان الرئيس للموصلات[45] . وقد ذكر الخطيب أن الخليفة أمر أيضا باقامة ثلاثة جسور اضافية ، احدها للنساء ، والاخران في باب البستان لنفسه ولحاشيته[46] ، والمفروض أن الجسر الاكبر على دجلة في هذه الناحية ، أقيم

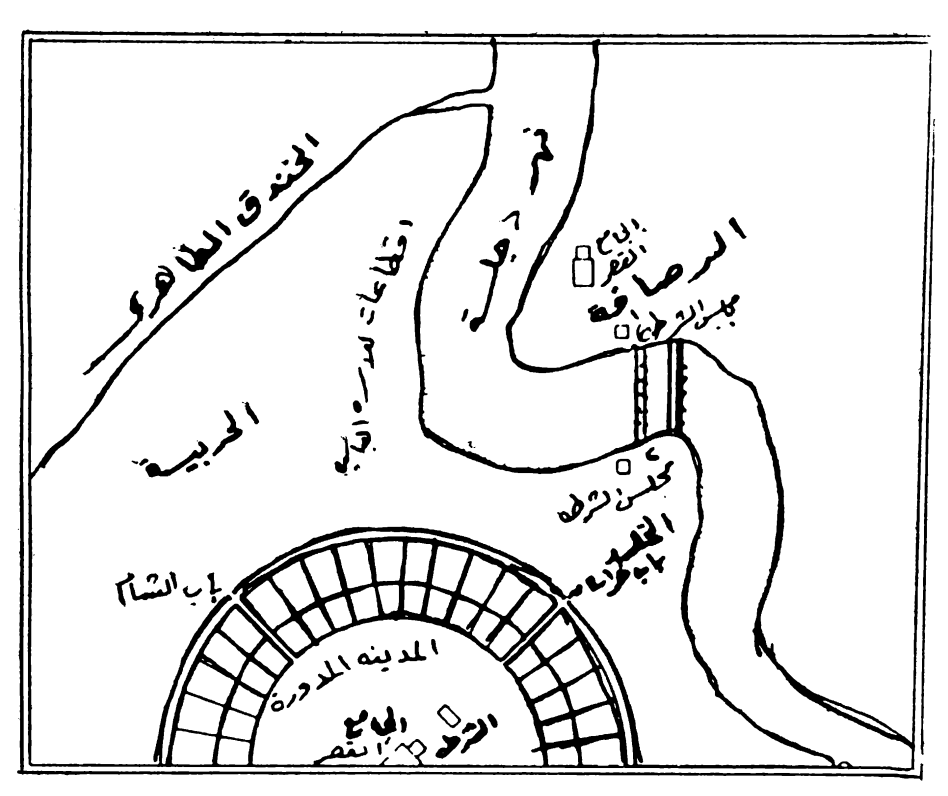
---

(٤٢) البلاذري ، الفتوح ص ٢٩٥ ، المسعودي : التنبيه ص ٣٦٠ ؛ الخطيب ٨٣/١ ، ياقوت ٦٧٧/٣ .

(٤٣) الطبري ٣٦٥/٣ فما بعدها .

(٤٤) لاحظ اليعقوبي : البلدان ص ٢٤٥ حيث يقول : « وانما سميت الشرقية لأنها قدرت مدينة للمهدي قبل أن يعزم على ان يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي من دجلة ، فسميت الشرقية ، وبها المسجد الكبير ، وكان يجمع فيه يوم الجمعة ، وفيه منبر ، ثم أخرج المنبر منه » .
ان الدراسة الدقيقة لتنظيم الجيوش العباسية الاولى لاتؤيد رواية الطبري (المترجم) .

(٤٥) الطبري ٣٨٠/٣ ؛ الخطيب ١١٥/١ . (٤٦) أعلاه ص ١١٦ .



الرصافة والجانب الاعلى الغربي

تتيجة لهذه التطورات • ويبدو مما رواه الطبري أن القصر الجـديد للخليفة كان يسيطر على الاقسام الشمالية من المدينة ، لذلك كان له موقع سوقي بين المعسكرين الكبيرين ، وكان يحرس الرأس الغربي للجسر العام مركز" لصاحب الشرطة • أما الخليفة وأهل بيته فكانت حركاتهما الخاصة ميسرة ، كما أن أملاكه النائية في الجهة الغربية تيسر لها الاتصال بالحربية واصطبلات الخليفة والمراكز الادارية في الجانب الغربي[٤٧] • ومع أن المنصور لم يعد يتمتع بأمان سور محكم واق،فانه ظل قريبا من قلب الحكومة وعلى شيء من البعد عن العامة،

(٤٧) البلدان ص ٢٤٩ •

مع قوة أمن كبيرة ومتيسرة بالقرب منه ، فالقصر الجديد للخليفة قد يكون أكثر تهددا من هجوم من الجبهة ، ولكنه يوفر له حماية أقوى ضد الاخطار المهددة الناجمة من أي انقلاب محتمل ، وعلى أي حال لايزال متصلا بقلعة المدينة المدورة المسوّرة ، وبقصر المهدي في الرصافة .

ورواية الطبري منسجمة مع ما هو معروف عن تنظيم الجيوش العباسية الاولى ، وتؤيدها الى حد كبير أيضا الروايات عن تقسيم الاقطاعات في بغداد . والواقع أن تأسيس عسكر المهدي أوجد مركزين متميزين لرجال الجيش : أحدهما الحربية في الشمال الغربي التي كانت مأهولة بموالي العباسيين من العجم ، والاخر هو المعسكرات المحكمة في الجانب الشرقي التي استمرت قاعدة لاقامة الجند في العهود التالية .

وقد انعكس هذا الترتيب أيضا على التنظيم الاجتماعي للأرباض كما يشير اليعقوبي [٤٨] ، اذ كان لكل أهل بلد في الحربية قائد (وهو يقود عددا غير قليل من الرجال) ورئيس المفروض أنه يشرف على الامور التي ليست ذات طبيعة عسكرية صرفة ، والنتيجة الاجمالية لنظام المستوطنات العسكرية ولتقسيم مناطق الاسواق تبعا للصناعات أيضا[٤٩] ، هو خلق نوع من الاعتماد المتبادل ، وكذلك وحدات مكتفية اكتفاءاً ذاتيا تستطيع أن تظهر على مر الزمن منظمات شبه مستقلة ضمن التركيب الأكبر للمدينة ، وتظهر نصيحة قثم بن العباس الصدى الباقي للانقسامات القبلية الكبيرة التي ساعدت على تعجيل سقوط الاسرة الاموية ، ومن المواضيع الجديرة بالانتباه الجدي هو مدى بقاء هذا الصدى في بغداد العباسية ، وأثر مثل هذه المستوطنات المتجمعة على أسس جغرافية أو صناعية والمكتفية ذاتيا ، في التنظيم الاجتماعي للمدينة.

ان هذا الدليل يساعد على معرفة سبب اقامة منشآت عسكرية في الجانب

---

(٤٨) البلدان ص ٢٤٨ .
(٤٩) كذلك ص ٢٤٦ .

الشرقي من دجلة ، ولكنه لا يفسر تفسيرا تاما الضرورة لعمـارة قصر فخم ، ترى ما حاجة المنصور غير رغبته في اقامة قلعة على جانبي المدينة ، في انشاء أبنية كبيرة ثانية في الوقت الذي كان لايزال فيه مقيما في المدينة المدورة ؟

ومما له أهمية خاصة أن خبر عودة المهدي ظافرا من الشـرق(٥٠) تلاه في الطبري خبر عن ولايته للعهد (٥١) • فقد ذكر أنه في تلك السنة جمـع المنصور وجهاء العباسيين وطلب منهم أن يجددوا البيعة له ولابنه وولي عهده المهدي ، ولابن أخيه عيسى بن موسى ولي عهد ثانيا • وقد ذُكِر أن أهل البيت العباسـي الذين أعطوا البيعة قبّلوا يد المنصـور والمهدي ، ولكنهم اكتفوا بلمس يد عيسى بن موسى •

ان السفاح عندما كان خليفة والمنصور وليا للعهد ، جعل عيسى بن موسى ولي عهد ثانيا بناء على رغبة الخليفة ، وتم القسَم تأييدا لهذه البيعة • فلما ولي المنصور الخلافة أبقى عيسى وليا للعهد ، ولكنه جعل المهدي ولي عهد ثانيا بعد عيسى، غير أنه خشي أن يقوم عيسى فيما بعد بتقديم ابنه على المهدي فيحرم المهدي حقه القانوني، لذلك قرر أن لايجعل عيسى ولي العهد الأول• الا أن عيسى رفض الموافقة على ذلك ، ولم يوافق الا بعد تهديد قوي ومستمر ، بل حتى بعد موافقته لم يُحرَم كليا ولاية العهد ، وانما اكتفى بتقديم المهدي عليه ، بعد أن أخذ من أجل ذلك تعويضا ماليا كبيرا (٥٢) • وتظهر المصادر التي تصف هذه الأحداث صعوبات المنصور مع ابن أخيه بسبب تخوفه من قيام عيسى بثورة علنية ، ولابد من افتراض أن عيسى ، وكان واليا على الكوفة ، كان له من البيت العباسي اسناد كاف لجعل المنصور يحذر من اتخاذ اجراءات مباشرة علنيـة •

---

(٥٠) الطبري ٣/٣٦٤ الخطيب ٨٢/١ •
(٥١) كذلك ص ٣٦٧ •
(٥٢) عن عيسى بن موسى انظر الطبري : الفهرست ، أما الحوادث التي أدت الى تدهور مكانته ، فأنظر عنها الطبري ٣/٣٣١ ـ ٥٢ •

ولما كانت الاهانة العلنية لعيسى بن موسى قد صدرت في مجلس المنصور [٥٣] ، فمن الواضح أن ذلك حدث بعد رجوع المهدي من خراسان ، لذلك يصح افتراض أن هذه الزيارة لم تكن اعتيادية ، لأنه لما عاد من المشرق استقبلته وفود من الشام والبصرة والكوفة والأقاليم الاخرى ، وكان بعضهم ممن جعلهم الخليفة في صحابة ابنه ، وقد أكرمهم المهدي بالهدايا ، وفعل الخليفة مثل ذلك فوصل كل رجل منهم بخمس مئة درهم •

ان مظهر الانتصار في عودة المهدي وتجديد البيعة لعيسى وبناء القصر وملحقاته في الرصافة ، كانت جميعها قد حدثت في وقت واحد ، كما أنها كانت أحداثا متصلة ، وهي تميل الى تصوير رغبة الخليفة في ضمان ولاية العهد لابنه ، كما أنها تظهر بصورة أخص رغبته الشديدة في اعطاء هذه الرغبة تعبيرا عاما • فبناء القصر الثاني الكبير في الجانب الشرقي للمهدي أزال كل شك في تصميم الخليفة في هذا الأمر ، وبذلك أقرّ مدعيات ولي عهده المنتخب• فلما توفي المنصور أصبح قصر المهدي في الرصافة المقام الرسمي للبيت العباسي • أما عيسى بن موسى فقد تجوهل شأنه ، وأجبر أن يعطي مكانه الى ابن المهدي ، موسى الذي أصبح فيما بعد الخليفة الهادي ، وبعد أن تكرر عليه التجاوز مرتين ، انسحب من الميدان السياسي وانزوى في حياة عزلة نسبية •

غير أن الرصافة لم تنجح في أن ترضي كليا حاجات الخليفة الجديد ، فكان في أواخر أيام خلافته يقضي معظم وقته في قصره الذي يلهو فيه بعيساباد ، وهو يقع في مكان ما بالجانب الشرقي من المدينة ، وقد أقام فيه الهادي أمدا قصيرا ، غير أن الرشيد عاد الى «الخلد» حيث أقام ابنه الأمين أيضا فيما بعد • أما المأمون فانه بعد أن انتصر في حربه وقتل أخاه الأمين ، ظل بعيدا عن

---

(٥٣) الطبري ٣/٣٦٧ •

الجماهير المعادية ، وقضى معظم حكمه خارج بغـداد • أما خلفه المعتصم فقد جعل الانفصال تاما حين نقل مقر الحكم الى سامراء التي تقع على دجلة على بعد ستين ميلا من بغداد • ولما عاد الخلفاء فيما بعد من سـامراء قاموا ببناء قصر كبير مع ملحقاته ، وكان في هذه المرة جنوبـا بالقرب من سـوق الثلاثاء ، وان كثرة تنقلهم من مكان الى آخر في محاولة لايجاد مركز اداري جدير بالبقاء كان له تأثير عميق في نمو المدينة ، وهـذا ينبغي أن يفهم بعمق في أية محاولة لتتبع صورة نموها الخططي ، وبصـورة أخـص في تطـور تنظيماتها الاقتصادية •

(٣)

تعقيدات النمو في مركز دولي

ماسينون واسواق بغداد

لقد ظل لويس ماسينون مدة أكثر من نصف قرن واحدا من أبرز المشاركين في فهم المدينة الاسلامية ومؤسساتها ، وقد شملت دراساته الخططية أماكن مختلفة مثل فاس والكوفة والبصرة والأخيضر وكذلك بغداد التي هي أكثرها صلة بدراستنا الحاضرة[١] ، وكانت تقود ماسينون خبراته في مدن الشرق الأدنى في أوائل هذا القرن ، لذلك أقام منهاجه في البحث على أساس الاعتماد على حقيقة ثابتة وعامة ، وهي أن ثبات المعالم الخططية لأهل الأصناف والحرف في المدينة الاسلامية يتقرر بعد خطة تأسيسها ، وطبعا صحيح أن خطط المدينة قد تتبدل ببعض الاحداث التاريخية، ولكن مثل هذا التبدل لا يعكس الا السطح المتغير للمدينة ، أي معالمها وليس وضعها الجغرافي ، ولما كانت هذه المكانة قد تمسكت فيها كافة المدن الاسلامية بصرف النظر عن تطورها التاريخي ، فان صورة بغداد ، كما يمكن الاستنتاج من نظرة ماسينون، هي صورة مدينة متّحدة تشغل مساحة ينبغي بحكم الضرورة أن تتحدّد ببعد أي مكان مأهول عن خدمات مجموعة أسواقها، اذ لايمكن أن توجد منطقة سكنية في مدينة كبيرة في حالة فقدان هذه المؤسسات[٢] .

---

(١) انظر فهرست مجموعته مؤلفاته الصغرى طبعه ى. مبارك (بيروت ١٩٦٣) وخاصة كتابه « بعثة » ص ٦٦ فما بعد .

(٢) « بعثة » ص ٩٠ ــ ٩٢ وكذلك الاصناف في المدينة الاسلامية في مؤلفاته الصغرى ٣٦٩/٢ فما بعد .

ان هذا الوضع الخاص الذي هو أساس آراء ماسينون المثيرة للجدل عن بغداد هي التي أدت به الى عدم الاتفاق مع ليسترانج على بعض المسائل الأساسية مثل موقع بعض الاسـواق ومكان جسـور المدينـة والانتقال المفترض الى الجـانب الشرقي في القرن السـادس[٣] ؛ والملاحظات التي جاءت فيما بعد عن تاريخ المدينة تعكس هذا الاختلاف في الرأي ، وهكذا يتفق هرزفيلد مع ماسينون في الانتقال أو في ثبات الاسواق[٤] ، أما كانارد فيفضل آراء ليسترانج في الانتقال وآراء ماسينون في الأسواق [٥] ، أمـا مقدسي فيتابع ليسترانج في الانتقال ، ولكن لأسباب غير التي يراها ليسترانج، ويتابع ماسينون عن الأسواق مع بعض التحفظات[٦] ، أما خطة المدينـة كما تظهر في خرائط الدوري [٧] وأحمد سوسة [٨] فهي تتابع الى حد كبير خطط ليسترانج .

ونظرا لعدم وجود فحوص آثارية واسعة فان الأدلة الأرضية الحاضرة غير كافية لاصدار حكم قاطع ، لذلك فان البرهان على نظرية ماسينون يعتمد على قيمة فرضيتين متصلتين ، هما الحجم المحدود للمدينة ومركزية مؤسساتها، غير أن أيا منهما لايبدو منطبقا على الوضع في بغـداد ، ذلك أن ماسـينون سمح لنفسه أن يسير وراء الاعتبارات النظرية ضد الأدلة الأدبيـة المثبتة ، وبصورة أخص فانه يبدو غير مدرك تماما للنمو التاريخي الفريـد للمدينـة وتكوينها الملكي ونموها التالي كمركز للدولة الكبـيرة ؛ فان ثلاثة عوامل

---

(٣) « بعثة » ص ٨٨ – ٩٢ ، ٩٣ ليسترانـج : بغـداد ص ٢١٧ – ١٨ ، ٣١٦ – ١٧ ، ٣٢٣ .
(٤) « بعثة اركيولوجية » ٢/١٤٧ – ٤٨ .
(٥) م. كانارد : الحمدانيون ١/١٥٨ – ٦٣ .
(٦) جورج مقدسي : خطط بغداد ص ١٧٩ ، ٢٩٨ – ٣٠٢ ، ٣٠٥ – ٦ .
(٧) مقال «بغداد» في دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الثانية .
(٨) « أطلس بغداد » (بغداد ١٩٥٢) .

مجتمعة تميز عاصمة العباسيين عن بقية المدن العباسية : المساحة الواسعة ، والعلاقات المسيطرة مع الأراضي المحيطة بها ، والرغبة في فصل المؤسسات الحكومية عن العاصمة .

لم تكن بغداد مدينة متوحدة ، أي مدينة بنيت حول نوع واحد من المؤسسات المدنية على أرض محدودة النطاق ، بل كانت مركزا حضريا مزدهرا ذا مساحة واسعة وسكان كثيرين ، وهي تتكون من عناصر أصغر تتبادل الاعتماد على بعضها ، وكل منها تحتوي على مؤسساتها الخاصة الى حد ما ، كما أن كلا منها هي تتيجة أحوال تاريخية معينة لها تتصل بتطور المؤسسات الادارية للحكومة . ويمكن ملاحظة بداية الانحطاط في هذا المركز الحضري الكبير منذ القرن الرابع / العاشر ، ويعتبر سقوط الدولة العباسية في سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م ، للاغراض الرسمية نهاية سيادة عاصمتهم ، رغم أنه في الحقيقة كانت في عدة أزمنة اخرى قد كسفتها مدن كبيرة أخرى . وكان سطح الارض في زمن رحلات ماسينون ، قد تركز حول دار الخلافة القديم في الجانب الشرقي وعلى قطعة من الأرض في الكرخ عبر النهر [٩] .

لذلك فمن الواضح أن مدينة « بعثة ماسينون » في سنة ٩٠٧ — ١٩٠٨ لم تمكن العاصمة العباسية الكبرى في العصور الوسطى ، وهو تمييز مهم وظاهر وينبغي أن يجعل المركز الأساسي لأية دراسة عن نمو المدينة والمنطقة المحيطة بها .

الفرضية الأولى : — مدينة محدودة الحجم أم مركز حضري كبير ؟

ان الترتيب الأرضي لسامراء والمعروف بعضه من الحفريات يظهر الرقعة الواسعة من الارض التي أصبحت تشغلها المراكز الادارية الكبرى لتلك الدولة . أما بغداد فمع أنها من حيث العموم لاتعرف الا من المصادر الأدبية ؛

---

(٩) انظر الخريطة الزمنية .

الا أن هناك أسبابا للاعتقاد بأن النصوص الواردة في الخطيب (ت ٤٦٣ / ١٠٧١م) عن أبعاد المدينة هي الى حد ما مضبوطة ، وبذلك تبرر مدّعى أهل بغداد أن مدينتهم أكبر من أية مدينة أخرى [١٠] . وتذكر احدى الروايات أن مساحتها ٥٣٫٧٥٠ جريبا ، وتذكر روايتان أخريان أنها ٤٣٫٧٥٠ جريبا ، ويبدو أن هذا الرقم القليل أخذ من مسح تمّ في زمن الموفق (حوالي ٢٧٣/٨٩٠م) ومن المهم أن الأرقام المذكورة في هذه الرواية لم تقدر بالجريب فحسب ، بل قررت أيضا بالابعاد، فقد ذُكِرَ أن الجانب الغربي يبلغ طوله ٢٥٠ حبلا ، وعرضه ١٠٥ حبلا ، فتكون مساحته الكلية ٢٦٫٢٥ جريبا ، أما الجانب الشرقي فيبلغ طوله ٢٥٠ حبلا وعرضه ٧٠ حبلا ، فتكون مساحته الكلية ١٦٫٥٠٠ جريبا ، وتكون كل المدينة ٤٣٫٧٥٠ جريبا ، وأبسط الحسابات تظهر أن هذه الأرقام تتطابق مع افتراض أن الحبل المربع يساوي جريبا واحدا .

ولما كان الجريب يساوي ١٫٥٩٢ متراً مربعا ، فيكون طول الحبل مساويا لجذر ١٫٥٩٢ أي أربعين مترا تقريبا ، وهذا الرقم والمعادلة كلها تتفق مع ما يذكره الاصطخري وابن حوقل [١١] من أن طول المدينة على دجلة هي خمسة أميال ، أي ١٠٫٠٠٠ مترا ، وعلى هذا فان الحبل يساوى أربعين مترا أو ١٠٫٠٠٠ ÷ ٢٥٠ ، وهي الأرقام التي ذكرها الخطيب لطول المدينة . ولايبدو محتملا أن العلماء الذين رووا هذه الروايات تعمدوا في جعل الأرقام متفقة . ان اتفاق أبعاد المدينة المذكور في ثلاث روايات مختلفة وتبعا لمقاييس مختلفة (حبل ، جريب ، ميل) تنهض دليلا على دقتها ، فاذا قبل المرء التقدير الأقل (٤٣٫٧٥٠ جريبا) باعتباره الأقرب الى الصحة ، فتكون مساحة بغداد ٧٫٠٠٠

---

(١٠) أنظر المقدمة ص ٣٢ الخطيب ١/١١٨ ، ١٢٠ عن الأقوال عن حجم المدينة، وعن مناقشة كاملة أنظر ج. ليسنر « حبل بغداد وابعاد المدينة ، ملاحظة قياسية » : مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق . م ٦ (١٩٦٣) ص ٢٢٨ — ٢٩ .

(١١) الاصطخري ص ٨٣ ابن حوقل ص ١٦٤ .

هكتارا ، أي أن سعتها كانت خمسة أضعاف القسطنطينية في القرن العاشر الميلادي ، وثلاثة عشر ضعف حجم طيسفون العاصمة الكبرى للامبراطورية الساسانية .

وطبعا توجد مسألة منهجية خطيرة تجدر مراعاتها ، فان هذه الأرقام عن بغداد رغم أنها رائعة ، الا أنها تعكس مجموع مساحة سطح الارض ، وليس الحجم الحقيقي للمدينة الذي يتقرر بمقارنة المساحة التي تحويها ضمن الحدود الجغرافية مع صفة المشغول بالسكن ، فمجموع مساحة سطح القسطنطينية في القرن العاشر كان حوالي ١٤٠٠ هكتارا فقط(١٢) ،غير أن هذه المساحة كانت محاطة بأسوار المدينة ، مما يدل عادة على كثافة في السكن أعلى مما قد يتوقعه المرء من موقع كموقع بغداد الذي كانت تشغله ضواحي واسعة، على أنه ينبغي ألا نضل في التفكير بأن كافة الأماكن المسماة أرباض كانت تتميز بالحدائق والبساتين والبيوت المتناثرة ، وأنها لذلك كانت قليلة السكان، بل على العكس فان الضاحية الجنوبية الكبيرة ، وهي الكرخ كانت أيضا منطقة السوق الكبرى في المدينة ، وانها أصبحت مكتظة في العقد الأول من تأسيسها ، وبذلك اصبحت عرضة لنمو هائل ، بما في ذلك انشاء تسهيلات تجارية جديدة ، وامتداد توسع في شرايين المواصلات (١٣) ؛ ثم أن الخطيب يذكر أن المنطقة التي في شماليها والتي تشمل المدينة المدورة والحربية قد أعمرت كلها من الصراة الى باب التبن الذي هو الحد الشمالي للمدينة (١٤) ، ومع أن معظم الحربية كان خربا في القرن السادس / الحادي عشر ، الا ان

---

(١٢) عن القسطنطينية أنظر د.جاكوبي «مسكان القسطنطينية» : مجلة بيزانطيوم ١١ (١٩٦١) ص ٩٤ فما بعد . لاحظ أن الحفريات في طيسفون لم تتم قط ، وعلى هذا فان الحجم قد يكون أكبر من ٥٤٠ هكتار وهو الرقم الذي ذكره آدمز « أطراف بغداد » (شيكاغو ١٩٦٥) ، ص ٦٢ — ٦٣ ، ٧٢ .

(١٣) الخطيب ١/٧٩ — ٨٠ .

(١٤) كذلك ١/٧١ .

اليعقوبي (ضوالي سنة ٢٧٨/٨٩١) يذكر أنه لم يكن في بغداد قسم أوسع أو أهم منها ، وأنه كانت فيها أسواق ودروب تساوي أي قسم آخر في المدينة [١٥] ، ومع أن هذا الكلام يشير بصورة خاصة الى ربض حرب (الحربية) وليس الى كل المحلة الشمالية الغربية التي صارت تسمى فيما بعد بهذا الاسم ، الا أن وصف المنطقة العامة لايترك مجالا للشك بأن الأقسام الاخرى من الحربية كانت مثلها آهلة بالدروب والأسواق .

أما غربي المدينة المدورة بين باب الكوفة وباب الشام ، فقد كانت توجد فيه محلات أصغر يحدها طريق باب الأنبار [١٦] . وكان آخرها محلة تدعى الكبش والأسد كانت تعتبر في أحد الأزمنة الحد الغربي للمدينة (مدينة المنصور) [١٧] ، ويقول الخطيب « والكبش والأسد الآن صحراء مزروعة ، وهي على مسافة من البلد ، وقد رأيت ذلك الموضع مرة واحدة خرجت فيها لزيارة قبر ابراهيم الحربي وهو مدفون هناك ، فرأيت في الموضع أبياتا كهيئة القرية يسكنها المزارعون والحطابون ، وعدت الى الموضع بعد ذلك فلم أر فيه أثراً للسكن ، وقال لي أبو الحسين هلال بن المحسّن الكاتب ، حدثني أبو الحسن بشر بن علي بن عبيد النصراني الكاتب قال : كنت أجتاز بالكبش والأسد مع والدي فلا أتخلص من أسواقها من كثرة الزحمة »[١٨] . ويبدو أنه فيما عدا أراضي الخليفة على الشريط الضيق الممتد على شاطيء دجلة ، فان المحلات المؤدية الى المحول هي وحدها التي كانت قليلة السكان ،

---

(١٥) البلدان ص ٢٤٨ ، أما في زمن ياقوت (ت ١٢٢٤) فقد كانت محصورة بمنطقة باب حرب على بعد ميلين (٤ كيلومترات) من المدينة الفعلية ، أما ما حولها فقد أصبح خراباً واصبحت كالمدينة المنفردة ، انظر ياقوت ٢٣٤/٢ وانظر ايضا ليسترانج . الفهرس ص ٣٦٥ خارطة (٥) .

(١٦) انظر الخريطة الزمنية .

(١٧) الخطيب ٧١/١ .

(١٨) كذلك .

حيث أنها كانت تختلف عن المناطق المذكورة أعلاه من حيث أنها تميزت بأملاك مختلفة ومن غير ذكر لأي مشاريع تجارية فيها [١٩] .

لذلك من المفهوم أنه عندما امتدت المدينة على الجانب الأيسر من دجلة وضعت عدة تنظيمات للبناء ، وذلك لتحديد البناء في الأقسام الجديدة ولتحاشي الاكتظاظ الذي قيل أنه من سمات المنطقة التي عبر النهر [٢٠] . فالانطباع العام الذي تعطيه المصادر الأدبية ، اذاً ، يساعد على الاشارة الى أن الجانب الغربي الذي كان يحتوي على ٦٠٪ من المساحة الكلية لسطح بغداد (٤٠٠٠ هكتار) كان مسكونا جيدا ، أما الجانب الأيسر فمع أنه كان أفسح ، الا أنه كان أيضا قد نما بالسكان بعد أن انتقلت اليه الأجهزة الادارية للحكومة أولا الى الرصافة وثانيا الى دار الخلافة التي تقع على مسافة جنوبا. ومع هذا فان جغرافيي القرن الرابع / العاشر ظلوا يذكرون أن الجانب الغربي كان أشد ازدحاما من الجانب الشرقي . والحق أن المصادر الارضية والبشرية لبغداد كانت واسعة بأي معيار من المقاييس [٢١] .

أما مدى تعبير الأرقام عن المصادر البشرية فأمر آخر ، فبعض التواريخ المحلية تحوي فصولا تبحث عن احصاءات المدينة [٢٢] . ومع أنه لم توجد أية اشارة الى أية احصاءات ، فقد جرت عدة محاولات لاحصاء عدد السكان ، والعادة أن هذا يتم عن طريق حسابات قائمة على بعض العوامل كاستهلاك المواد الغذائية أو عدد رجال بعض الحرف المتخصصة ، أو عدد البيوت والحمامات. والواقع أن بعض الاحصاءات المتفرقة كعدد الأطباء المجازين (ثمانمائةوستون) الذي ذكره ابن أبي أصيبعة[٢٣] ، قد يثبت أن له بعض القيمة . غير أن الأرقام التي ذكرت كانت كبيرة دائما ، فهي غير معتمدة ، وترفع عدد السكان الى

---

(١٩) أنظر ليسترانج خارطة ٥/٦ .
(٢٠) البلدان ص ٢٥١ .
(٢١) ابن حوقل ص ١٦٤ الاصطخري ص ٨٣ وكذلك البلدان ص ٢٥٤ .
(٢٢) أنظر المقدمة ص ٣٨ .

تقدير يتراوح بين ٥ر١ مليون (استنادا الى الحمامات)[٢٤]،و٩٦ر مليونا (استنادا الى عدد البيوت) [٢٥] ، والرقم الأخير هو باعتراف المؤلف رقم متواضع ، لان طبيعته العلمية منعته من الاندفاع في المبالغة التي تتسم بها استنتاجات الجهال ، ويبدو أنه لايوجد سبيل لاعطاء مثل هذه الأرقام تقديراً أقرب الى القبول • ولكن هل يبدو هذا غير معقول في حين ان القسطنطينة التي كانت مساحة ارضها في القرن الخامس الميلادي حوالي سبعمائة هكتار وكان يقيم فيها سكان يبلغ عددهم حسب أحدث التقديرات وأكثرها اعتدالا ، مائة وخمسين ألفا ، وان بغداد اذا راعينا طبيعة ضواحيها وأن سطحها كان عشرة أضعاف مساحة سطح القسطنطينية ، فانها تستطيع استيعاب ضعف سكان القسطنطينية أن لم يكن أكثر ، فاذا قبلنا التقدير الأقل ، فان كثافة المشغول في القسطنطينية كان حوالي ٢٠٠ للهكتار الواحد ، وحتى اذا قسمنا هذا الرقم على خمسة (وهو أكثر الافتراضات تحفظا وان لم يكن من الضروري قبوله) فان عدد سكان بغداد مع ذلك قد يصل الى ٢٨٠ر٠٠٠ ، غير أن ليس من المستحيل أن يكون ضعف هذا الرقم [٢٦] •

---

(٢٣) عيون الانباء ٢٢١/١ – ٢٢٤ ، ٣١٠ وكذلك ابن الاثير : الكامل ٨٣/٨ .

(٢٤) مثلا الخطيب ١٠٧/١ – ٨ وقد قبل الدوري هذا الرقم في مقاله «بغداد» في دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الثانية .

(٢٥) هلال الصابي : رسوم ص ١٨ فما بعد .

(٢٦) عن سكان القسطنطينية ، انظر د. جاكوبي في بيزانطيون ٨١/٣١ – ١٠٥ وخاصة ص ٨٣ هامش ١ وعن تلخيص معظم الاراء ص ١٠٢ فما بعد ، لاحظ ان الاقل تحفظا يقدرون عدد سكانها مليونا في مختلف العهود ، والتقدير الحالي معتمد على جاكوبي الذي يدعى انه في زمن ثيودوسيوس الثاني كان السكان ١٥٠ر٠٠٠ ومساحة المدينة الداخلة ٧٠٠ هكتار ، وقد ضاعف ثيودوسيوس حجم المدينة باضافة سورين ، ولكن هذه المنطقة كانت قليلة السكان ، ولهذا كان مجموع سكان كل المدينة ١٨٠ر٠٠٠ وكثافة السكان ١٣٠ للهكتار ، وهو يقدر أن السكان ازدادوا في القرن التالي فأصبح عددهم ٣٦٠ر٠٠٠ للمدينة ٣٧٥ر٠٠٠ للمدينة والضواحي .

الاراضي المحيطة بدست الخلافة

هل يمكن حقا وجود مدن في الشرق الأوسط لها مثل هذه الأبعاد المتناثرة ؟ ان المركز الدولي الذي له ما لبغداد ثم سامراء من حجم هائل يختلف نموه عن كافة بقية المدن ، لانه يفترض وجود مصادر بشرية وطبيعية ويثير مسألة مدى قدرة المجموعة الحضرية على اعاشة نفسها : من أين يأتي السكان وكيف يعتاشون ؟ اذ لما كانت صفة المدينة لايقررها المظهر الطبيعي وحده بل أيضا المنطقة المحيطة ، فان النمو الهائل لبغداد لابد أن يرتبط بالمنطقة المحيطة بها ، والى المدى الذي كانت فيه المدينة مركزا للحكم العباسي ، أي الى أحوال الدولة كلها .

ان الدراسة الحديثة التي قام بها ر. م آدمز [٢٧] عن الارض المجاورة لبغداد تظهر أن الميل الى ايجاد مراكز حضرية كبرى في العراق هو أمر ملاحظ منذ الأزمنة السابقة للاسلام ، رغم أنها لم تقدم الاحوال الضرورية للنمو الملحوظ للعواصم الاسلامية الا في الفترة المتأخرة . فاستنادا على كشوف آثارية قامت بها جامعة شيكاغو في سنتي ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ ثم فيما بعد الحرب، فقد تم تسجيل تسعمائة موقع تقريبا على منطقة سهول ديالى الدنيا ، في محاولة لتتبع النماذج السابقة من الاستيطان . وكانت الكشوف مقصورة الى حد كبير على الاستطلاع السطحي ، لذلك كانت المؤشرات الزمنية محدودة عموما بالمواد الخزفية ، ومع أن توزيع السكان يميل الى التفكك في العصور الساسانية ، ثم يزداد بعد ذلك في العصور الاسلامية ؛ الا أن الخلاصة العامة للاستيطان تبدو واضحة جدا رغم أن بعض الشكوك قد تظهر امكانية تطبيق الطرق الحديثة فيما يتعلق بالنموذج الأساسي للوفرة الزراعية وكثافة السكان.

---

(٢٧) أطراف بغداد ، تاريخ للاستيطان في سهول ديالى (شيكاغو ١٩٦٥) .
. (١٩٦٥

وباستعمال مختلف المعايير المنتخبة بصورة كيفية لتمييز مختلف أشكال المستوطنات ، فان الأرقام التالية تبين تزايد النمو الحضري في زمن الساسانيين.

المستوطنـات	
مدن	أكثر من ١٠٠ هكتار
مراكز حضرية صغرى	أكثر من ٣٠ هكتار
بلدان كبيرة	أكثر من ١٠ هكتار
قرى وأبيات	أقل من ٤ هكتار

في العهد السلوقي والبارثي	(استنادا الى آدمز ص ٦٢)
المجموع	١٩٩ موقعا ومجمعا سكنيا مسجلا
تقريبـا	١٥٠٠ هكتار من المستوطنات وهي تشمل:
مدن	٤ (٤٣٠ هكتار)
مراكز حضرية صغيرة	٥ (٢٥٥ هكتار)
بلدان كبيرة	٢٤ (٣٤٥ هكتار)
بلدان	٢٤ (٣٤٥ هكتار)
قرى	١١٦ (١٧٢ هكتار)

في العهد الساساني	(استنادا الى آدمز ص ٧٢)
المجموع	٤٣٧ (مواقع وتجمعات مسجلة)
تقريبا	٥ر٠٠٠ هكتار من منطقة مبينة تشمل :ـ
مدن	٩ (١٨٣٤ هكتار)
مراكز حضرية صغيرة	٤ (١٨٨ هكتار)
بلدان كبيرة	٣٥ (٦٠٠ هكتار)
بلدان	٥٩ (٣٥٦ هكتار)
قرى	٣٠٨ (٤٣٩ هكتار)
مآوي غير مستقرة	٢٢ موقعا (٧٢ هكتار)

لذلك فقد كانت في العصر الساساني زيادة تبلغ حوالي ١٣٠٪ في المساحة الكلية لمنطقة السكن ، وطبعا زيادة غير قليلة في السكان وفي المساحات المزروعة ، واستنادا الى الأرقام المذكورة أعلاه ، فتظهر دلائل على أن الاراضي القابلة للارواء في المنطقة ٨ر٠٠٠ كيلومتر مربع ، كانت كلها مزروعة في العصور الساسانية ، بالمقارنة مع حوالي ٤ر٥٠٠ كيلومتر مربع في الفترة السابقة للساسانيين [٢٨] ، ويبدو انحطاط في الأماكن الحضرية الصغيرة هو في الواقع نتيجة تبدل وضع بعض المواقع ، كما أنه توجد زيادة عامة ، وان كانت غير متوازنة ، في كافة أشكال الاستيطان سواء كانت هذه الزيادة في عدد المواقع أو في معدل المساحة التي تشكلها ، فالزيادة في المدن ١٢٥٪ وفي البلدان الكبيرة ٥٠٪ وفي البلدان ٢٠٪ ، والأهم أن الزيادة في القرى ١٦٠٪ .

المستوطنات	عدد المواقع		الزيادة	معدل مساحة المستوطن	
مدن	بارثي	ساساني		بارثي	ساساني
مدن	٤	٩	+١٢٥٪	١١٠ هكتار	٢٠٥ هكتارا
مراكز حضرية صغيرة	٥	٤	−٢٠٪	٥١ هكتار	٤٧ هكتار
بلدان كبيرة	٢٤	٣٥	+٥٠٪	١٤ر٣هكتار	١٧ر١هكتار
بلدان	٥٠	٥٩	+٢٠٪	٧ر٥ هكتار	٦ر٠ هكتار
قرى	١١٦	٣٠٨	+١٦٠٪	١ر٥ هكتار	١ر٤ هكتار

	مواقع بارثية (استمرت أو أعيد اشغالها في العصر الساساني — في أزمنة مع مختلف تصنيف المستوطن	مواقع ساسانية (جديدة التأسيس استنادا الى آدمز ص ٧٢)
مدن	٦	٣ (٤ لم يحدد موقعها ولكنها معروفة)

(٢٨) كذلك ص ٦٣ ، ٧٥ — ٧٦ ، ٧٧ .

مراكز حضرية صغيرة	٢	٢
بلدان كبيرة	١٩	١٦ (٢٢ ، ستة اخرى معروفة)
بلدان	١٨	٤١
قــرى	٦٢	٢٤٦

أن نمو الاستيطان الأساسي الذي يبدو كبــيرا هو في الحقيقة أوسع مما تشير اليه الأرقام ، وبالامكان الحصول على تقدير أقرب الى الواقع اذا أخذ المرء بنظر الاعتبار التدهور العام الذي كان يميز العهود البارثية المتأخرة أو مدى ما أنشأه الساسانيون من مواقع جديدة ، فمع أن الزيادة الكليــة في عدد البلدان في الفترة المتأخرة هو ٢٠٪ (٥٠ ــ ٥٩) فان ٧٠٪ من هــذه الأماكن كانت منشآت جديدة ، يضاف الى ذلك أنه لم يبق من الفترة السابقة سوى ٢٠٪ من القرى والأبيات [٢٩] ، أما البلدان الكبيرة والمراكز الحضرية الصغيرة فيبدو أنها كانت الى حد ما أكثر ثباتا ، حيث أن معظم المواقع البارثية الكبيرة ظلت مسكونة • أما الزيادة والنقصان في معدل المساحات المسكونــة فهو قليل ، وهذا ينطبق على البلدان والقرى • غير أن أكبر تبديل ملحــوظ هو في المدن ، وبصورة خاصــة في المركز الامبراطوري بطيسفون ، وهذه تشمل المواقع البارثية التي بقيت جميعها ماعدا واحدا منها ، كما تشمل بالاضافة الى ذلك بلدتين كبيرتين ومركزا حضريا صغيرا نما حجمه فأعيد تصنيفــه ، واربع مدن جديدة أنشأها الساسانيون •

تشغل المدن البارثية ٢٨ر٥٪ من المجموع الكلي للمساحة المسكونــة « ٤٣٠ هكتار » ، أما في العصر الساساني فانها تكون ٥٢٪ من المستوطنات الكلية (١ر٨٣٤) هكتار ، في حين أن الاراضي القابلة للارواء في المنطقــة ، وهي تبلغ حوالي ٨٠٠٠ كيلومتر مربع ، كانت كلها مزروعة ، ومن جهة أخرى

---

(٢٩) أحصيت استنادا الى قوائم آدمز ١٨ ، ١٩ ص ٦٢ ، ٧٢ .

فان البلدان الساسانية ، أي الوحدات الأصغر من المستوطنات الحضرية ، قد شملت ٣٣٪ من كافة المستوطنات ، بالمقابلة مع ٥٦٪ من الفترة الأقدم ومن الواضح أن هذه تظهر أن التحضر المتزايد قد تم على حساب البلدان والمراكز الحضرية الصغيرة ، وليس بسبب أن أهل الريف المتفرقين قد تجمعوا في المدن المنشأة حديثا [٣٠] ، ومعدل المساحة التي شكلتها هذه المستوطنات ، فيما عدا طيسفون ، هو ١٦٢ هكتار وهي زيادة ملحوظة فوق معدل الـ ١١٠ هكتار (بما في ذلك طيسفون) الذي يميز المدينة البارثية • وهذا يفسر بالدرجة الاولى بالنمو العظيم للمركز الامبراطوري الذي نما الى مدى خمسة أضعاف حجمها القديم • ولعل طيسفون نفسها كانت أكبر بـ ٢٥٪ من كل المستوطن الحضري في الفترة السابقة •

استنتاجات

ان انتقال الحكم من البارثيين الى الساسانيين أدى الى تبدل ملحوظ في أشكال الاستيطان ؛ وقد ظهر أشد الاضطراب في الوحدات الصغرى من أماكن التوطن ، أي في القرى والبلدان ، في المساحة الكلية للمستوطنات في كافة أشكال المواقع ، ولابد أنه رافق ذلك زيادة في السكان والاراضي المزروعة ، وقد ظهرت الزيادة بأوضح مظاهرها في المدن • ويبدو أن طيسفون بصورة خاصة نمت اضعاف حجمها السابق ، وبذلك سيطرت على كل منطقة سهول ديالى ، وميزت نفسها عن المستوطنات الحضرية الاخرى في المنطقة •

الرقعة الاسلامية

رغم أن طيسفون ذات موقع جغرافي جيد ، فان نموها العظيم لايمكن تفسيره الا كنتيجة لاعتبارات أوسع مستمدة من مكانتها كعاصمة للدولة الساسانية • ففي نفس هذه المنطقة ، وفي أزمنة تالية سيطرت بدرجة أوسع

---

(٣٠) كذلك ص ٧٢ •

على سهول ديالى مدن اسلامية أكبر كثيرا باعتبارها عواصم لدولة واسعة • والمدن الاسلامية ، حتى فيما عدا بغداد وسامراء ، تمثل ٣٣٪ من مجموع المنطقة المسكونة ، أما العواصم فكانت سبعة أضعاف المجموع بما في ذلك بقية المدن ، وأربعة أضعاف كل المنطقة المسكونة في العصر الساساني • اذ يبدو أن المزروع كان ستة الآف كيلومتر مربع ، مقابل ثمانية آلاف كيلومتر مربع في الفترة السابقة (٢٣٤ قرية مقابل ٣٠٨) [٣١] • فالنمو الهائل للمدن الاسلامية والذي وصفته الدراسة بأنه أقصى درجة من التحضر قبل الأزمنة الحديثة لم يكن متوافقا مع أقصى درجات الانتفاع من الاراضي ، بل كان فيما يبدو نتيجة لتقلص في الاستيطان في الأقاليم •

وقد يبدو من الصعب تفسير هذه الوضعية بأنها ظهرت كليا من انتقال واسع للسكان الاصليين من البلدان والمناطق الريفية • اذ أن انهيار الحكم الساساني يختلف عن الانهيار البارثي الذي سبقه ، من حيث أنه يتميز بما رافقه من انحطاط كافة أنواع المواقع ، وكان أشد الاضطراب قد أصاب المناطق الحضرية ، فان ٦٠٪ تقريبا من المستوطنات قد أخليت كليا أو جزئيا خلال أو بُعيد العهد الساساني ، بصرف النظر عن التصنيف • فقد نقصت المدن الى ٧٨٪ تقريبا والمراكز الحضرية الصغيرة ٢٥٪ والبلدان الكبيرة ٧٠٪ وبقية المستوطنات ٦٧٪ ، ومعظم هذه المواقع لم تسكن فيما بعد •

وكما حدث في الأيام الأولى من العهد الساساني ، فان الفتح الاسلامي أدى الى تأسيس عدة مواقع جديدة ، رغم أن الاستفاقة التامة لم تصبح ممكنة الا بعد اعادة تنظيم القوة السياسية والاقتصادية في العاصمة العباسية الجديدة بغداد •

والطريقة التي شيدت فيها المدينة معتمدة كليا على العمل المستورد ، فهي تدل أيضا على أن مصدر النمو السريع في سكان المناطق الحضرية لم يكن بالدرجة الاولى هجرة منالقرية الى المدينة، وانما كان هذا المصدر هو

---

(٣١) كذلك ص ٧٤ .

استيطان عناصر من غير أهل البلاد ، وهم يتكونون في الاصل من الصنّاع والعمال ورجال الجيش وأمثالهم ممن سرعان ما أصبحوا مع أسرهم مظهرا دائماً من المنظر الحضري. وينعكس هذا بأوضح مظاهره في خطط بغداد كما تظهر من المصادر الأدبية [٣٢] ولاريب في أن المركز الجغرافي لهذه الدولة الواسعة التي نشأت حديثا ، كانت له من الأبعاد ما يمكنه من اثارة حركة في الناس والثروات من مختلف الأقاليم الاخرى . ولابد أن يعكس الى حد ما بروز مثل هذا الازدياد في السكان في سهول ديالى ، وبصورة أخص في اعادة توزيع القوة السياسية والاقتصادية .

اذا أخذنا بنظر الاعتبار المنشآت غير الاسلامية فقط ، في محاولة قياس التقلص ، فان ١٤٩ موقعا مسجلا يبلغ مجموع مساحتها ٢٫٠٠٠ هكتار تقريبا من المنطقة المبينة .

أواخر العهد الساساني (؟) أوائل العصر الاسلامي (استنادا الى آدمز ص ٧٢)

	أقصى اشغال ساساني	هجرت كليا أو جزئيا	نسبة المهجور تقريبا
مواقع	٣٤٧	٢٨٨	٦٥٪
مدن	٩	٧	٧٨٪
مراكز حضرية صغيرة	٤	١	٢٥٪
بلدان كبيرة	٣٥	٢٥	٧٠٪
أماكن اخرى	٣٦٧	٢٥٦	٦٧٪

(٣٢) القى الدكتور صالح احمد العلي بحثا في «التكوين البشري لاهل بغداد» في مؤتمر المدينة الاسلامية في صيف سنة ١٩٦٥ في جامعة اكسفورد ، وسينشر البحث في وقائع ذلك المؤتمر .

(لقد ظهر البحث في كتاب «المدينة الاسلامية» ، وهو ملخص دراسة اشمل عن تطور سكان ومعالم بغداد في العصر العباسي سننشرها قريبا

مواقع اسلامية جديدة الانشاء

مدن (بما فيها العاصمة)	٣ (١٤٠٠٠ر هكتار)
مراكز حضرية صغيرة	٣ (١٤٦ هكتار)
بلدان كبيرة	٨ (١٢٦ هكتار)
بلدان	٣٧ (٢١٣ هكتار)
قــرى	١٦٠ (٢٠٤ هكتار)

المجموع الاسلامي الكلي : ٣٣١ موقعاً مسجلاً يشغل مساحة تقرب من ١٦ر٠٠٠ هكتار من منطقة مبينة وتشمل :

المواقــع

مراكز دولية	٢ (١٤ر٠٠٠ هكتار)
مــدن	٤ (٧٣٠ هكتار)
مراكز حضرية صغيرة	٦ (٢٦٥ هكتار)
بلدان كبيرة	٥٧ (٣٣٧ هكتار)
قــرى	٢٣٤ (٣٦٧ هكتار)

ان الصــورة المقارنة لعلاقــة المراكز الدوليــة بالمناطق المحيطــة بها تظهر في الجداول المذكورة أدناه ، وهي تشمل العهود البارثية والســاسانية والاسلامية الاولى • وقد ميزت المدن عن العواصــم التي ذكرت في هــذه الجداول مع المراكز الدولية •

المواقع ومعدل مساحات الاشغال

مراكز دوليــة	بارثية	ساسانية	اسلامية
مراكز دولية	• • •	١ (٥٤٠ هكتار)	٢ (٧٠٠٠ر٧ هكتار)
مــدن	٤ (١١٠ هكتار)	٨ (١٦٢ هكتار)	٤ (١٨٢ هكتار)
مراكز حضرية صغيرة	٥ (٥١ هكتار)	٤ (٤٧ هكتار)	٦ (٤٤ هكتار)
بلدان كبيرة	٢٤ (١٤ هكتار)	٣٥ (١٧ هكتار)	٢٨ (١٤ هكتار)
بلــدان	٥٠ (٦ هكتار)	٥٩ (٦ هكتار)	٥٧ (٦ هكتار)
قــرى	١١٦ (٥ر١ هكتار)	٣٠٨ (٥ر١ هكتار)	٢٣٤ (٥ر١ هكتار)

استنتــاج :

لقد كان المجموع الكلي للبناء في العهد الاســلامي ، ماعــدا المراكز الدولية** ، أكبر مما كان في العهد البارثي، غير أنه أقل بصورة ملحوظة أيضا مما في العصور الساسانية ، أما اذا دخلت بغداد في الحســاب ، فان البناء الاسلامي كان أكبر مرتين ونصفاً مما كان في الفترة الساسانية ، فاذا أضيفت سامراء فانه يصبح أربعة أضعاف مجموع المستوطنات • ومن الواضح أن النمو السريع للعواصم العباسية لم يكن مسبوقــا في التطور التــاريخي للمنطقة ، ولابد أنه اثارته تطعيمات من المصادر البشرية والطبيعية من خارج سهول ديالى •

ان المدى الذي بدّلته الفتوح الاسلاميــة ، وعلى الاخص الانتصــار العباسي ، في صورة الاستيطان في سهول ديالى مدهش جــدا • ومــع أن

** استعمل المؤلف كلمة «امبراطوري» وقد فضلنا استعمال كلمة دولي ونقصد به المدن الكبيرة ذات الاهمية الواسعة . ويرجع تفضيلنــا الى ان كلمــة امبراطورية ترتبط في ذهن القارىء العربي بمفاهيم معاصرة لاتنطبق على المفهوم عند العرب .

المؤشرات الزمنية لم تنسّق بصورة كافية للتمييز بين المواقع السابقة للعباسيين والتالية لهم في القرنين الأولين ، الا أنه على المرء أن يفترض مستندا على أساس الأدلة التاريخية العامة ، أن الاستيطان الكثيف الاسلامي لَم يبدأ قبل بناء بغداد في سنة ١٤٥/٧٦٢ ، فان النمو الحضري في العراق في العهود الأولى الذي تضبطه حاجات الفتوح الاسلامية أدى فيما بعد الى ظهور مدن المعسكرات (الامصار) في الكوفة والبصرة • وهذه الأمصار عندما كانت المراكز الادارية لدولة واسعة كان مركزها في الحجاز ثم أصبح في العهد الأموي في الشام ، فان لها مركزا ستراتيجيا مثاليا على طرف الصحراء وعلى طول نهر الفرات • غير أنه لما انتقل توجّه الأمويين فيما بعد شرقا بنيت واسط على دجلة ، والظاهر أنه روعي في أهميتها الستراتيجية موقعها بين المدينتين المصرين المتمردتين ، وبذلك أصبحت واسط المركز الذي يفرض منه الولاة الاقوياء النفوذ الأموي في جنوب العراق •

ليس في الأدلة الأدبية ما يشير الى أن طيسفون والمستوطنات المحيطة بها في سهول ديالى حققت أية أهمية تجارية أو سياسية في العهود السابقة للعباسيين ، يتجلى بعض هذا الانطباع من مسح شيكاغو ، وأن الاحوال العامة التي وصفها استمرت الى أن تأسست عاصمة المنصور ، وبذلك ظهرت لأول مرة منذ القرن الرابع قبل الميلاد مدينة ذات أهمية كبيرة في المنطقة • فالانحطاط الحضري والعام لسهول ديالى ترجع بعض أسبابه الى تحطم السلطة المركزية الناجم من التدهور ثم الانهيار الواقعي للحكم الساساني • غير أن استعادة السلطة في العصور الاسلامية لم ينتج حالا في استعادة الحيوية الاقتصادية والسياسية الكاملة للمنطقة ، لأن سيطرة طيسفون كان يتحكم فيها مكانتها كمركز اداري للدولة ، ولم تستعد سهول ديالى مكانتها كمناطق حافّيّة لمركز دولي الا بعد ظهور العباسيين وبناء بغداد • فالعباسيون كانوا يختلفون عن أسلافهم الذين كانوا ينظرون جنوبا

وغربا الى المدينة أولا ثم الى دمشق ، للتوجيه السياسي • اذ آن العباسيين جاؤا الى الخلافة من الأقاليم الشرقية الغنية ، وأقاموا حكمهم على تكتيل العناصر اليائسة التي كانت تكون الامبراطوريتين البزنطية والفارسية من قبل ؛ فكانت بغداد التي تقع في مركز الدائرة الجغرافية ، هي المكان المنطقي لتغذية مثل هذه الطموحات الامبراطورية •

وبالتوسع الهائل والسريع للمدينة اتخذت الظواهر الارضية لسهول ديالى خصائص بشكل ضامر صوري جدا ، أي رأس حضري هائل يعلو جسدا ريفيا متقطعا بنسبة تقرب من ٧ : ٢ ، فما هي الظروف التي سمحت لمثل هذا الكائن أن يزدهر وأن ينمو له رأس ثان عندما تأسست سامراء بعد نصف قرن ؟ لعل من المضلل أن تتكلم في هذا المقام عن رأس وجسد ، لأن الدولية الاسلامية لم ينظر فيها أن تتغذى من المناطق المحيطة بها ، وأن النمو الفريد لبغداد ولسامراء فيما بعد لم يكن نتيجة ازدياد الأعمال والتجارة والنمو الاقليمي وحده فقط ، فقد كانتا كالعواصم الساسانية الكبرى السابقة ولهما مثل مالتلك العواصم، بل واكثر من حيث انها وسائل في بلورة القوةالدولية،فهما بهذا المعنىكانتا مدنا مصطنعة لم تقرر نموهاالاعتبارات الاقليمية وحدها ، بل قررته ثروة الدولة الكبيرة التي كانت تعيشهما • فحيوية المدينة كانت صدى للحالة العامة للدولة ، وبذلك فالتفكك التدريجي للخلافة العباسية انعكس على انحطاط عاصمتها • وهذا لا ينطبق على المعالم الطبيعية فقط ، بل على المؤسسات التجارية والحرَفية أيضا• اذ أن انحطاط المدينة ، شأنه شأن انحطاط الدولة ، لم يكن مجرد مرافقة لفقدان المجال الطبيعي ، بل كان يتسم باضطراب ملحوظ لصورة الوجود المتزن بصورة دقيقة والذي لم يستطع أن يشفى منه • والواقع أن خصائص المدينة لم تتخذ مظاهر الضمور المذكور أعلاه الا عندما أصبحت القوة المنبعثة من بغداد محدودة بسهول ديالى ، جالبا معه حالة شلل أولا ، ثم تناقص تدريجي في

حجم الرأس ، ولما جاء ماسينون لزيارة بغداد لم ير محورا تجاريا وسياسيا لدولة مركز الكون ، وانما رأى ماكان يمكن اعتباره في الازمنة القديمة وفي زمنه ، مدينة اقليمية .

الفرضية الثانية : مؤسسات مركزية ، أم نمو في الأقسام

يبدو واضحا أن الصور التي تظهرها التعابير اللغوية للربض والمدينة ليست لها الا علاقة ضعيفة بموضع بغداد في العهود العباسية ، حيث أن « مدينة المنصور » أو « المدينة المدورة » مثلا ، انما كانت قصرا وملحقاته ، في حين أن ربض الكرخ ــ وهو الضاحية الجنوبية ــ كان في الأصل سلسلة من الأسواق المزدهرة ، فماذا كانت تستطيع الظروف التاريخية تقديمه لظهور هذا التجمع الحضري غير المحدد الذي أصبح مركز الحكم العباسي ؟ ولماذا يكون نموذج تطورها مخالفاً للتصنيف ضمن الهيكل المتصور السائد الذي قدمه ماسينون وآخرون ؟ أو اذا أردنا اعادة صياغة السؤال نقول : ما الذي تتميز به المدينة عن كل ما عداها في العالم الاسلامي ، اذ أن النمو العظيم لبغداد لايمكن تفسيره بأنه مجرد خاصية لتوجيه الاسلام الحضري التجاري المتزايد، وانما هو الدور الذي قامت هذه المدينة بأدائه كعاصمة ادارية للخلفاء العباسيين كما هو واضح .

النمو التاريخي لعاصمة ادارية

ان مدينة المنصور المدورة لم تكن في الأصل مدينة بالمعنى المتعارف ، وانما كانت مجموعة قصر عظيمة ، تجمع بين مقام الخليفة والدواوين الادارية للحكومة . فمنذ اللحظة التي كان يعبر فيها المرء الخندق ويدخل أول مجموعة الأبواب المعقدة يشعر وكأنه في ألاملاك الخاصة للخليفة ، فان المظاهر المعمارية للمنطقة المسورة ، ولاسيما القبة الخضراء في قصر المنصور ، تعكس الأسلوب الامبراطوري للخليفة ، وتقوم كرمز منظور لوحدة الدولة

وسلطتها[٣٣] • ولما كانت المدينة المدورة قلب دولـة واسـعة ، كانت وحدها تساوي في المساحة مدينة كاملة النمو (٤٥٣ هكتارا) برغم أنها لم تكن كذلك في سمات الاستيطان ، أي أنها كانت في الأصل مدينـة بلا أسـواق ، لأن العلاقة بين مثل هذه المدينة وما حولها عموما كان فيها توازن دقيق نتيجـة لعوامل الأمن والتموين • ولما كان على المركز الاداري أن يعمـل من بـُعـد مناسب عن عامة السكان ، وهم مصدر أساسي للاضطراب ؛ ولكن يجب أن يكون دائما قريبا قربا يكفي لحصوله على الخدمات الأساسية ، لذلك لم يكن من الغريب أن تبنى مدينة المنصور ملاصقة لمناطق السوق في الكرخ ، ولكـن متميزة عن تلك المناطق • ذلك أن أسواق الكرخ قبل العهد العباسي ربما كانت مهمة من حيث انها تموّن القرى والأملاك المحيطة بها ، وقد جلب بناء المدينة المدورة الى أطرافها آلاف العمال والجنود من أقاليم الدولـة[٣٤] ، وهـذا التجمع وحركة الناس التالية الى المدينة سرعان ما أصبح جزءا من السكان المستقرين في المنطقة ، وخلق تأزما على التسهيلات السوقية القائمة • وهكذا لم يمض على بنائها عقد من الزمن حتى أصبح من الضروري للحكومـة أن توظّف مواردها الخاصة في بناء أسواق جديدة وشوارع أوسع •

ومدينة بغداد ـ اضافة الى هذه الخدمات الأساسية ـ تحتـاج الى وجود قوات عسكرية كبيرة • ومن المعلوم أن الحاميات في العواصم الصغرى في الأقاليم الخارجية كان يعهد لها بالدرجة الاولى مهمة حفظ الهدوء في الاقليم ، غير أن المركز الاداري كان يختلف عن ذلك ، فان موارده العسكرية كانت أداة لتوسيع قوة الدولة ودعمها ، وهذه تشمل القوات الاحتياطية التي يمكن أن ترسل الى أي طرف من أرجاء الدولة حين تقتضي الأحداث ذلـك ، وهذا يساعد على تفسير الاختلافات المعقدة بين رجال الجيش في بغداد ، وبين

(٣٣) انظر قسم ٢ أ .
(٣٤) انظر قسم ٢ ب .

أولئك المقيمين في المراكز الاقليمية الكبيرة في الدولة ، فقد كان هنالك مع الجيش النظامي ، الجيش الخاص بالخليفة ، ومختلف فرق قوات الأمن ، والشرطة والقوات شبه العسكرية لحامية المدينة [٣٥] .

ولما كان الجيش النظامي يحتاج الى مستودعات ، فأن المنطقة الشمالية من المدينة المدورة التي تشمل ربض « الحربية » كانت تقطنه في الاصل مستوطنات عسكرية متنوعة ومنظمة تبعا للتجمعات الاقليمية أو القبلية ، وكان لكل منها « قائد » عسكري ، و « رئيس » مسؤول عن الامور التي ليس لها طابع عسكري صرف[٣٦] ، وكان لابد لهذه المناطق السكنية الجديدة من خدمات أساسية ، ثم انها لوقوعها على مسافة من الاسواق في جنوبي المدينة المدورة ، أصبح من الضروري أن تقام لها مجموعة ثانية من الاسواق التي ربما لم تكن بسعة أسواق الكرخ وشمولها ، اذ كانت هنالك شبكة من الانهار تقدم خدمات تجارية ممتازة ورائعة بمعظم المعايير ، كما لاحظنا من قبل[٣٧] . ومن الواضح أن بناء هذه الاسواق كان لابد أن يجلب عددا كبيرا من التجار والصناع الى المناطق التي أعدت في الاصل للعسكريين المحترفين ، وبذلك عادت تخل بالتوازن التقليدي في المركز الاداري ، ولما ظَيّق المنصور على نفسه بنمو المدينة اضطر الى ترك المدينة المسوّرة التي ظلت تضم مختلف الاجهزة الادارية ، وبنى لنفسه قصرا جديدا على شاطىء دجلة ، أعني قصر الخلد . وهذا المقرّ الجديد للخليفة لم يكن علامة على نهاية فكرة القصر وملحقاته ، وانما كان محاولة لتكييف فكرة مركز اداري ضمن الصعوبات التي واجهها الخليفة ، فقد أجبرته الاعتبارات السياسية والسوقية على القيام ببناء مجموعة قصر ومعسكر (عسكر المهدي أو الرصافة كما أصبحت تسمى) على

---

(٣٥) رسوم دار الخلافة ص ٨ ــ ٩ الخطيب ١/١٠٠ فما بعدها .
(٣٦) البلدان ص ٢٥١ .
(٣٧) عن القنوات أنظر الخطيب ١/٧٩ ، ١١١ ــ ١٥ .

الشاطىء الشرقى الذي لم يكن مسكونا . وقد طغى المسكن الخليفي الجديد على كل القسم الشمالي من المدينة . ومع أن المنصور لم يعد يتمتع بأي سور حارس محكم، فانه ظل يقيم قرب قلب الحكومة وعلى بُعد من العامة ، مع قوة أمن كبيرة ومتيسرة قريبة منه في « الحربية » وعبر النهر . فلما توفي نقل خلفه المهدي الحكومة الى الرصافة ، وبذلك حاول أن يعيد التوازن في المركز الاداري .

وبجانب نمو منطقة القصر الجديد ، تميز انتقال الحكومة بتغييرات مهمة في خطط المدينة ، فأن الجسر الذي أنشىء حديثا ليربط بغداد الشرقية بالغربية كان على رأسه قصر خزيمة بن خازم صاحب الشرطة ، وهو المكان الذي كان يحمي مقتربات الجانب الشرقي ، وتذكر المصادر مختلف الاقطاعات التي كان الخليفة قد أقطع بعضها منذ بداية البناء، وتبدأ من هذا المكان ، وتشمل القائمة عددا من قواد الجيش والموظفين وكذلك مختلف أفراد البيت العباسي الذين كان جميعهم ، بلا ريب ، حريصين على الحصول على المنفعة السياسية الضرورية والواضحة من الاقامة بقرب الخليفة والحكومة[٣٨] ، وكنتيجة لتنظيمات البناء التي حدّدت شكل البناء في المناطق الجديدة [٣٩] ، لم يكن نمو الجانب الشرقي محدودا بالمنطقة المحيطة بالرصافة ، بل امتد الى رقعة أوسع بكثير، حيث بنيت قصور مختلفة فيجنوبيالجسر الرئيسي وشرقيه في المحلة الواسعة التي أصبحت تسمى «المخرّم» ، ثم أقام المأمون والمعتصم هناك فيما بعد ، كما أن المنطقة الممتدة جنوبا بين الجسر الرئيس وسوق الثلاثاء والجسر الاسفل أصبحت معروفة بقصورها الساحلية الجميلة التي يمتلكها كبار موظفي الحكومة ، وكان للكثير منها مشارع توصل الى النهر[٤٠] .

---

(٣٨) البلدان ص ٢٥١ .
(٣٩) البلدان ص ٢٥١ .
(٤٠) انظر ، ليسترانج خارطة ،

أما أقسام الجزء الادنى من « المخرّم » ، فكان يمدها سوق الثلاثاء القديمة الذي كان يربطها الجسر الأسفل بالجانب الغربي والكرخ ، وقد أخذ هذا السوق اسمه من سوق شهري كان يعقد في الازمنة السابقة للاسلام في أيام الثلاثاء لأهل كلواذى والجانب الشرقي ، كما كان السوق المسمى بالاسم نفسه في الكرخ يخدم الجانب الغربي من النهر .

لقد اختير موقع المدينة المدورة لما فيه من ميزات قرب سوق الكرخ . أما دار الخلافة التي كانت مقر الخلافة في المئة العاشرة ، فكانت ملاصقة لسوق الثلاثاء ، غير أن الرصافة تختلف عنهما من حيث أن موقعها تقرر بالدرجة الاولى بسبب مكانها السوقي مقابل أعلى الجانب الغربي ، وبذلك خلق مشكلتين رئيسيتين : فقدان الماء ، والحاجة الى الخدمات بسبب عدم وجود منطقة سوق كبيرة قريبة . ولما كان لفقدان الماء والسوق تأثير خطير في وظيفة المركز الاداري ، مدّ المهدي أنهارا فرعية من أطراف المدينة عن طريق نهر الخالص ، وكان آخر هذه الانهار يصب في بركة في جوف قصره[41] . ولتجهيز السكان المتزايدين في أعلى الجانب الشرقي ، أي القسم الذي أصبح يدعى باب الطاق نسبة الى الطاق الذي كان أبرز الابنية فيه ، فان المهدي أمر سعيداً الحرشي أن يبني سوقا صارت تدعى فيما بعد سوق العطش بالقرب من الجسر الرئيس والى الداخل قليلا ، وقد نقلت اليها كل أنواع الصناعات والتجارات حتى صارت تشبه الكرخ ، وهي منطقة السوق الكبرى في الجانب الغربي . ان هذه المقارنة تساعد على توضيح أن سوق العطش لم تكن أقل من مركز تجاري كبير لاهل باب الطاق ، وبذلك تقدم الخدمات التجارية والصناعية عبر النهر[42] .

---

(٤١) الخطيب ٨٢/١ ، ١١٥ .

(٤٢) أنظر الخارطة ، الخطيب ٩٣/١ ؛ البلدان ص ٢٥٢ ؛ عجائب ص ١٣٠ ابن سيرابيون ص ٢٤ ؛ ياقوت ١٩٤/٣ ؛ عريب ص ٢٨ ــ ٢٩ الصولي :

ولما عاد مركز الحكم العباسي الى بغداد بعد عهد سامراء ، اختار الخليفة بقعة في جنوب سوق الثلاثاء مباشرة لاقامة قصره وملحقاته في دار الخلافة ، فعادت ادارة الدولة الى موقع ملاصق لتسهيلات سوقية قديمة ، وظلت هناك الى أن زالت الدولة العباسية . وهذه المنطقة العامة هي كل ما بقي من الجانب الشرقي في الازمنة الحديثة ، وقامت — اضافة الى ذلك — في مختلف الاماكن أسواق مختلفة ذات طبيعة محدودة أكثر ، وهي لاغراض التوزيع ، وتسمى أحيانا بصيغة التصغير (سويقة) . ولذلك كان في مقدور اليعقوبي أن يدعي أنه كان لكل محلة سوقها الخاصة[٤٣] .

سوق الثلاثاء وباب الطاق

من الواضح أن باب الطاق وأسواقه كان موقعها حاسما للمشكلة العامة في التنظيم التجاري ببغداد ، فبموجب فكرة ماسينون عن المدينة لا يصح وجود منطقة سوق متميزة ثانية ، وقد يمكن القول (وهو قول غير مقنع فيما أعتقد) أن أسواق « الحربية » كانت مجرد منافذ توزيعية كبيرة ، غير أن باب الطاق كان — كما هو واضح — منطقة سوق كبيرة فيها كل أنواع التجارات والسلع . فهناك — اضافة الى تعليقات اليعقوبي العامة عن سوق العطش — وصف كامل لتلك المحلة قدّمه أحد أهلها وهو أبو الوفاء بن عقيل، وهو معاصر صغير للخطيب[٤٤] ، فهو يذكر بفخر كبير مختلف الاماكن في محلته ، ويعدّد من ضمنها المؤسسات التجارية والصناعية ، وفيهم الصّرافون

أخبار الراضي والمتقي ص ٩٠ كانارد : الحمدانيون ص ١٦١ وهو يحاول أن يقرنها بسوق الثلاثاء مسايرا نظرية ماسينون في ثبات الاسواق ، أيضا ليسترانج . خارطة ٥ .

(٤٣) البلدان ص ٢٤٢ .

(٤٤) في ابن الجوزي : مناقب بغداد ص ٢٥ — ٢٨ ، ترجمها وعلق عليها جورج مقدسي : خطط ص ١٨٥ — ٩٧ .

الصاغة والاسواق التي تقع عادة في مركز القسم التجاري الكبير • ويرى ماسينون أن هذا القسم ينبغي أن يكون في الربع الجنوبي الشرقي من بغداد، في مكان قريب من سوق الثلاثاء ومقابل أسواق الكرخ التي في الجانب الغربي ، محتفظا بذلك بمركزية المؤسسات التجارية ، فهو لذلك يعارض رأي ليسترانج (الذي يستند الى مراجع أدبية متعددة) أن باب الطاق كان يقع قرب الجسر الرئيس مقابل المدينة المدورة ، وأنه في الواقع منطقة السوق العليا في الجانب الشرقي[٤٥] •

ولكن يجعل ماسينون مدعاه أكثر اقناعا فأنه يقتبس من الخطيب عدة روايات عن موقع المدينة[٤٦] يقول انه كانت على دجلة ثلاثة جسور ، أحدها مقابل سوق الثلاثاء ، والثاني عند باب الطاق ، والثالث في أقصى القسم الشمالي من المدينة قرب الدار المعزّية (الشماسية)، ثم نقل هذا الجسر الى باب الطاق ، وبذلك صار في هذا المكان جسر مزدوج • وفي سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م نصب جسر جديد في مشرعة القطّانين يربط الكرخ بالقسم الادنى من الجانب الشرقي ، غير أن هذا الجسر تعطّل ، فلم يبق بين الجانبين الا جسر باب الطاق الذي نقل في سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م ، وأقيم بين مشرعة الروايا في الجانب الغربي ومشرعة الحطابين في الجانب الشرقي • ولما كانت مشرعة الروايا تقع في نقطة على الجنوبي الشرقي أسفل من سوق الثلاثاء ، فباب الطاق في رأي ماسينون يقتضي أن يكون موقعه في القسم الجنوبي الشرقي من المدينة •

وتقتضي هذه المناقشة الافتراض بأن المشرعة التي تربط باب الطاق والجانب الغربي كانت في نفس المنطقة العامة التي نقل اليها الجسر سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م ، غير أن هذا الانطباع لا يدل عليه النص العربي ، بل

---

(٤٥) ليسترانج خارطة ٥ مفتاح رقم ٥٩ بعثة ص ٨٨ — ٩١ •
(٤٦) الخطيب ١/١١٦ •

بالعكس فان الجسر لمّا نقل لم يوضع في باب الطاق ولكن وضع في مكان أبعد نحو الجنوب ، وأنه لم تكن للموقع الجديد حاجة للجسر الرئيس الوحيد الذي يربط جانبي المدينة في المئة السادسة/الحادية عشرة، لان جميع الاسواق كانت تقع في الجنوب، أو لأن محلات أعلى الجانب الشرقي كانت قد خربت كليا، بل حتى لو كانت هذه المحلات قد فقدت بعض عظمتها ، فأن أعلى الجانب الشرقي كان لايزال محتفظا بحيويتـه ، وهذا يتجلى من الاشـارات المستمرة لمختلـف الاماكن الواقعة هناك(٤٧) ، كما أن الانحطاط المحتمل أيضا لاعلى الجـانب الغربي (ثم فيما بعد لأسفله أيضا) هو الذي جعل جسر باب الطاق عاطلا ، وذلك لان القصور الممتدة على الشاطىء الشرقي من دجلة كانت قـد هدمت واستعملت أنقاضها للابنية الجديدة عبر النهر ، أي مدينة طغرل ، ثم فيما بعد لتوسيع دار الخلافة في عهد الخليفة القائم(٤٨) .

---

(٤٧) مقدسي خطط ص ١٨٦ ، التعليق ٥ .

(٤٨) كذلك ص ٢٨٢ ــ ٨٣ ، ٢٩٨ لقد كانت المشاريع التجـارية في الجـانب الغربي الاعلى تقع في الداخل قليلا . أما خط الشاطىء فقد كان منذ أقدم الازمنة مخصصا للقصور والسكن . وأما الاقطاعات التي على الشـاطىء فنادرا ما ذكرت في أحداث المئة السادسة (١١م) . وقد يفترض المرء أن هذه المناطق كانت قد تدهورت قبل غيرها ، وعلى هذا لم تكن حاجة ملحة الى استمرار بقاء جسر باب الطاق ، لانه لم يعد يؤدي الى منطقة مأهولة. وقد أصاب الخراب أيضا المناطق السفلى من الجانب الغربي في أواخر عهود البويهيين ، فبعد سنة واحدة من شروع طغرل في بناء مدينته في المخرم شب حريق هائل سبب اضرارا كبيرة على أسفل الجانب الغربي (المنتظم ٨/١٨١ ، خطط ص ٢٨٣) ولم تبدأ اعـادة تعمـير الكرخ حتى سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م . غير أن هذه البرامج كانت محدودة باعادة بنـاء الاسواق ، وأما الدروب والدكاكين الصغيرة والبيـوت فقد تركت دون تعمير (المنتظم ٨/٢١٢ ، ابن الاثير الكامل ١٠/٥ ، خطط ص ٢٨٥) .

وفي سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م بدأ العمل بهدم بقية الابنية على الشاطىء الايمن في النهر بأمر الخليفة القائم (المنتظم ٨/٢٣٢) وفيما عدا منطقة السوق المزدوجـة في الكرخ ، فان المناطق الباقيـة من الجانب الغربي

أما أن باب الطاق يقع شمالي سوق الثلاثاء فهو واضح ، اذ أن ترتيب الجسور الثلاثة التي ذكرها الخطيب هو دليل على موقعها الجغرافي ، فأن أبا علي بن شاذان[٤٩] ، (وهو راويته) قد رأى جسرا في سوق الثلاثاء وآخر في باب الطاق (شماليا) وثالثا في أعلى المدينة ، ولما نُقِل الجسر الاعلى الشمالي الى باب الطاق ، نقل جسر باب الطاق الى المشرعة التالية أسفل النهر، فاذا كان جسر باب الطاق جنوبي سوق الثلاثاء ، فأنه يقتضي أن ينقل الاخير أيضا لكي يضع مكانه جسر الشماسية الذي كان قد تعطل ، وهو موقع لا يعد مستحيلا ، ولكنه حتما غير مناسب .

ثم ان توسط الاسواق كان يُظهر أيضا أن باب الطاق كان يقع الى الشمال قليلا من سوق الثلاثاء ، فمن الضروري أن يظهر أنهما كانا منطقتي نشاط متميزتين منفصلتين جغرافيا ، فرواية ابن عقيل التي لم يعرفها ماسينون حين بدأ دراسة خطط بغداد ، تضع باب الطاق بجوار الرصافة ، في حين أنه يوجد شيء من الجدل في أمر حرم القصر هل كان يقع عبر النهر مقابل الحربية ، أم كان يقابل المدينة المدورة كما يقول الدوري[٥٠] ، ولكن من المؤكد أنه كان

يحتمل انها أصبحت في أواسط المئة السادسة/الحادية عشرة وحدات مكتفية بذاتها الى حدما، وبذلك أصبح جسر واحد فقط ضروريا لربط أسواق الكرخ بالجانب الشرقي ، ويلاحظ أن الجسر تخرب في سنة ٤٥٠ هـ/١٠٥٩–٦٠ ، ثم أعيد نصبه في باب الطاق . ويبدو أن هذا لم يكن انعكاسا لحاجات المدينة ، بل لحاجات البساسيري الذي أقام معسكره قرب باب الطاق في بستان الزاهر (الخطيب ١١٦/١ المنتظم ١٣٢/٨ حوادث سنة ٤٥٠) وعلى اي حال فان الجسر نقل فيما بعد الى الجنوب أيضا . (من المعروف أن محلة باب الطاق هي المحلة التي فيها قبر ابي حنيفة ، أما البستان الزاهر ، فكان عند « المخرم » اي قرب المستشفى الجمهوري الحالي (المترجم) .

(٤٩) (ت ١٠٦٥) .

(٥٠) أنظر الملاحظات المرفقة بخارطة الدوري في مقاله عن بغداد ، في دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الثانية .

يقع على الشاطىء وعلى مسافة من الاسواق الجنوبية الشرقية • وهذه الصورة الخططية تؤيدها رواية ذكرها ابن الجوزي ، فهي تذكر أنه بعد وفاة الخليفة القادر (٤٢٣/١٠٣٢) « نقل تابوت القادر بالله من دار الخلافة الى التربة (في الرصافة) ••• وحمل التابوت الى الطيّار ، ثم حمل من مشرعة باب الطاق على أعناق الرجال الى التربة ، والجماعة مشاة بين يديه»(٥١)• ولما كان النص لايذكر بصراحة أن التربة كانت قريبة (ويبدو أن الامر كذلك) ، فمن الممكن أن يفترض أن التابوت حمل شمالا مسافة غير قصيرة من باب الطاق الذي كان يقع فوق سوق الثلاثاء تماما على الطريق الاعظم المؤدي الى الرصافة ، وهو طريق كثيرا ماكان يستعمل في المواكب الرسمية ، غير أنه اذا كانت هذه هي الحالة ، فلماذا كان من الضروري أن يحمل التابوت أولا بالسفن ؟ لماذا لم يبدأ الموكب من دار الخلافة ، وهي المنطقة التي يبدأ منها أو ينتهي اليها المشيعون عادة ؟(٥٢) هل يرجع ذلك الى أن باب الطاق كان يقع بعيدا في الشمال بالقرب من جوار الرصافة حيث بدأ الموكب في الواقع ماشيا ؟ ان هذا الانطباع تسنده رواية ثانية تصف مثل هذه المناسبة في وقت أسبق ، حين دخل أحمد بن الموفق بغداد « وركب في جيش لم يُرَ مثله من سوق الثلاثاء الى المخرّم وباب الطاق (المفروض أنه الموقع الخاص وليس المحلة العامة) وسوق يحيى (قرب الجسر الاعظم في تلك المحلة) « ومنها عبر دجلة» حتى هبط الحربية (أي أعلى الجانب الغربي) • فباب الطاق وسوق الثلاثاء كانا منطقتين متميزتين تحتوي كل منهما على مؤسساتها التجارية الخاصة •

---

(٥١) المنتظم ٦٨/٨ ـ ٦٩ وقد اقتبسها مقدسي في الخطط ١٨٥ التعليق ٤ • التعليق ٤ .

(٥٢) انظر مثلا الخطيب ١/١٠٠ فما بعدها .

استنتاجات

أدى انحطاط الخلافة الى اعادة توجيه كبير في خطط المدينة ، ولم يكن هذا اختفاء سريعا لجميع الارباض ، كما افترض ليسترانج ، بل كان تبرعما للمناطق المحيطة بالاسواق والجوامع، فان انحطاط أية مدينة لا يبدأ بالمؤسسات الاساسية ، بل يبدأ بالمناطق المجاورة الواسعة ، فأبنية قصور السلاطين والخلفاء في المئة السادسة/الحادية عشرة كانت أكثر من مجرد نتاج التدمير التام للمناطق السكنية الصرفة في جانبي المدينة ، لذلك كان الذي تبدل هو خصائص المنطقة المشغولة ، وليس السطح الكلي لبغداد[٥٤] .

وفي نهاية المئة السادسة/الحادية عشرة تتكرر الاشارات الى عدة محلات توصف بأنها «خراب». فقد لاحظ ياقوت أن الحربية في زمانه «خرب جميع ماكان يجاورها من المحال، وبقيت وحدها كالبلدة المفردة في وسط الصحراء ، فعمل عليها أهلها سورا وحيروها، وبها أسواق من كل شيء، ولها جامع تقام فيه صلاة الجمعة ، وبينها وبين بغداد اليوم نحو ميلين »[٥٥] وعلى مر الزمن أصبحت هذه أيضا آئلة الى الزوال ، ولم يبق من المدينة الا ما كان يحيط بدار الخلافة والقسم المتبرعم من الكرخ على الجانب الثاني من النهر . ويرى كاهين[٥٦] أن ظهور الخرابات يشير الى نهاية المدينة الموحدة التي أخذ يحل محلها تدريجيا بعد بداية المئة السادسة (١١م) مجموعات من محلات شبه مستقلة تفصلها عن بعضها خرائب أو أراضٍ خالية أو بساتين ، وهذا يفسّر سبب تكرر بعض الاسواق والجوامع الكبرى وتعددها . وهذه الصورة

---

(٥٤) عندما دخل طغرل بغداد كان هنالك مائة وسبعون قصرا على شاطىء النهر، وقد ذكر أنها هدمت كلها في سنة ٤٥٥هـ ، انظر المنتظم ٨/٢٣٢ .

(٥٥) ياقوت ٢/٢٣٤ .

(٥٦) مقال نشر في مجلة عن بغداد طبع خصيصا لمناسبة العيد الالفي لتأسيسها ص ٢٩٥ وطبع كمجلد ٩ من مجلة «العربية» (١٩٦٢) .

صحيحة جزئيا ، فأن نمو مؤسسات متفرقة في الخرائب لم يكن نتيجة انحطاط المدينة فقط ، كما افترض كاهين ، ولكنه كان أيضا نتيجة نمو الارباض وتطورها الى مدن •

ان انتشار أسواق بغداد يرجع الى الازمنة الاولى ، والمثل على ذلك هو المؤسسات التجارية للحربية التي تأسست في حياة المنصور مشيد المدينة ، لمواجهة الحاجات الملحة للسكان المتزايدين وبسرعة ، كما أن أسواق أعلى الجانب الشرقي نمت في عهد الخليفة المهدي • أما صورة النمو فقد قررته صفة المدينة كمركز اداري للدولة •



(الملاحق)

الملحق (١)

الوحدات المدنية والجوامع

من الواضح عندنا أن بغداد لم تكن مدينة بقدر ما هي «مدينة مدن» ، فهل وجدت هذه الفكرة أيضا تعبيرا عند البغداديين في العصور الوسطى ؟

في القسم الذي وصل الينا من « تاريخ بغداد » لابن طيفور [1] ، قصة عن أبي دلف ، وهو أحد رجالات الدولة العباسية وكان أيام المأمون مقيما ببغداد ، وكانت معه جارية اشتراها من بغداد ، فاشتاق الى الكرخ فخاطبها في الخروج معه اليه وهي الربض الجنوبي من بغداد ، غير أن الجارية لم ترض بنقل مسكنها ، ولا عجب فان الواقدي يقول ان الكرخ مغيض السفلة » [2] فأبت عليه وقالت : « بغداد وطني » . فلما عزم على الرحيل، تمثل :

وسلام عليك يا ظبية الكر
خ أقمتم وحان منا ارتحال

---

(١) تاريخ بغداد (القاهرة) ١/١٣٢ ـ ١٣٣ .

(٢) الخطيب ١/٨١ .

** « المعروف أن أبا دلف ولي الكرج ، وكانت له فيه أملاك ، والكرج بلد قرب همدان ، ويبدو أن المؤلف أخطأ في قراءة « الكرج » فقرأها الكرخ، مما أوقعه في بعض الاضطراب وجعل المثل الذي أورده مشوها .

كما أن قول الواقدي الذي أورده ادناه يدور حول وجود بعض معارضي الدولة في الكرخ ، ولا علاقة له بازدهار الكرخ أو انحطاطه ، فتحليله لايقوم على نص سليم (المترجم) .

ومقـام الكريـم في بلـد الهـو
ن اذا أمـكن الرحيـل محـال

حيث لا رافعـا لسـيف مـن الضـ
يم ولا للكمـاة فيـه مجـال

في بـلاد يـذلّ فيهـا عزيـز الـ
قـوم حـتى ينـاله الأنـذال

وبهذا عبّرت عن مشاعرها الداخلية بوصف كرهها للكرخ في تعـابير واضحة في الكلام وفي الشعر ؛ ولم يذكر النص ما حدث فيما بعد • ؛ ومع أننا نعطف على أبي دلف ، الا أن الخبر يذكر أن الامر انتهى بمصـلحة الجارية وبغداد ، وليس في مصلحة الكرخ •

ومن الصعب ، ان لم يكن من غير الملائم ، البحث عن دوافع الجاريـة أو فهم هذه الدوافع ؛ لذلك أصبحنا قلقين على المشكلة المحتملة الثانية التي أثارها هذا النص الذي يبدو عليه غير ذي أثر ، فما المقصود من تعبير « بغداد وطني » ؟ وكيف يميز المرء بين الكرخ وبغداد ؟ فاذا كان تعبير « وطن » يشير الى مجرد جزء خاص من المدينة، فان التعبير يصبح الى حدٍّ ما أوضح، اذ من المعروف أنه حدثت في المئة التالية مناوشات بين أهل الكرخ وباب البصرة ، وهي تعكس الصراع الاجتماعي والمذهبي بين أهل (الكرخ) وأهل (بـاب البصرة) كما أنها تعبر عن اعتزاز الأفراد بمحالهم [٣] ، غير أن كلام جاريـة أبي دلف يتضمن أمورا أكثر ، فهي ليست محلة ضد محلة أخرى من البلد ، ولكن هي بغداد ضد الكرخ ، فكأنها تشير الى أن الكرخ لم يكن مجرد ربض

---

(٣) انظر مثلا ابن الجوزي : المنتظم ١٥٣/٧ ، ١٧٤ مسكويه : تجارب ٣٨٧/٣، ٤٠٨/٤ ، ابن الاثير : الكامل ٧٤/٩ ، ١٣٩ .

من الأرباض المتعددة في المدينة ، بل وحدة مدنية تكافيء بغداد ذاتها ، واذا كانت منطقة ربض هي في الأصل جزءا من المدينة فانها تستطيع أن تكون وحدة مدنية ، فماذا تعني في الحقيقة « بغداد » ؟

الوحدات البلدية

ينسب الى الفقيه العظيم أحمد بن محمد بن حنبل نص له دلالة مباشرة على هذه المشكلة نفسها ، اذ يروي الخطيب أنه قال : «بغداد من الصراة الى باب التبن»[٤] ، ويضيف الى ذلك أن أحمد «قصد بهذا القول مدينة المنصور وما لاصقها واتصل بحائطها ، لان أعلى البلد قطيعة أم جعفر دونها الخندق يقطع بينها وبين البناء المتصل بالمدينة ، وكذلك أسفل البلد من محال الكرخ وما يتصل به يقطع بينه وبين المدينة الصراة ، وهذا حد المدينة وما اتصل بها طولا » [٥] .

فاذا كان فهمي لهذا النص صحيحا ، واذا كان الخطيب يعبر بدقة عن معنى قول ابن حنبل ، فانه يبدو من ذلك أنه ينبغي التمييز بين المدينة وبين الضواحي المختلفة، فالمدينة الأصلية تكون مكوّنة من المدينة المدورة القديمة (وكانت لاتزال في حياة ابن حنبل قائمة من غير تبدل)[٦] ، أما الضواحي التي لم يشملها قول ابن حنبل فهي قطيعة أم جعفر (ولا بد أنها كانت صغيرة نسبيا) والضاحية الجنوبية ، وهي الكرخ التي كانت تشمل الارض التي بين الصراة وهو حدها الشمالي ، ونهر عيسى وهو حدها الجنوبي ، أما الضواحي التي في غربي الكرخ وجنوبي الصراة فلم تكن أيضا جزءا من مدينة ابن حنبل حيث كانت في الحقيقة مناطق تعطي بصورة أدق انطباعا عن ضواح حقيقية ،

---

(٤) الخطيب ١/٧١ .
(٥) كذلك وانظر ١/١١٠ .
(٦) كذلك ١/٧٥ ، ٧٦ .

أي حدائق وساحات وأبنية الخ •• ، وليس مؤسسات تجارية • ولم يذكر الجانب الشرقي الذي كان المفروض أنه مدينة مستقلة لأغراض ادارية ، لذلك أن الانطباع يجمل الصورة التالية : وهي أن العاصمة الكبيرة للخلافة العباسية لم تكن مدينة موحدة، بل كانت مجموعة من التكوينات المدنية، وفوق الجميع مركز حضري أوسع صار يعرف باسم « بغداد » • غير أنه ضمن مجموعة واسعة الامتداد تبلغ ٧٠٠٠ هكتار مربع ـ وهي أوسع ما في الشرق الادنى في تلك العصور • وكانت توجد مجموعات مدنية أخرى احتفظ كل منها بميزة خاصة تميزها [٧] • فمن المعقول اذن أن تتساءل عن الظواهر المميزة لهذه المناطق الصغرى بالعلاقة مع التنظيم الحضري الأوسع •

ان الأصول اللغوية للتعابير المختلفة التي تصف في هذا النص أماكن جغرافية خاصة ، لاتفيد في القاء الضوء على هذه المسألة • فكلمة «رَبَض» و « قطيعة » ، لم تعرف معرفة تكفي في تحديد المعنى الدقيق في هذا السياق ، فربض الكرخ كان فيما يظهر مدينة قائمة بنفسها • غير أن هذا التعبير قد لايعني في مواضع أخرى سوى أرض مملوكة ، فقطيعة أم جعفر كانت ربضا في بغداد، في حين أن « القطيعة » قد تستعمل لما تعطيه الدولة من أي نوع كان ، ومثل هذه الصعوبات قد نصادفها في نطاق واسع من التعابير الخططية الأخرى ، ومنها « البلد » و « المدينة » ، اذ كيف نستطيع أن تتكلم عن «مدينة المنصور» أو « مدينة ابن هبيرة » في هذا الأمر ونقرنها بمدينة نائية الموقع مثل «قصر الحير الشرقي» حيث وجد هذا التعبير في نقش ربما يدل على معنى فني نسي على مرّ الزمن [٨] •

ان كلمة « بلد » أو « مدينة » هي مصطلحات خططية غامضة ، ولكن مع

---

(٧) انظر قسم ٢ .

(٨) معلومات شفهية قدمها و. جرابار الذي يشارك حديثا بعدة حفريات في المواقع .

هذا فان خصائص المركز الحضري محدّد الى حد ما بالاستعمالات القانونية • وان هذه الصورة المثالية ستساعد على تفسير تركيب بغداد وما يحيط بها من الأرباض ؛ فالمسلم يستطيع أن يصلي في أي مكان شاء ، غير أن صلاة الجمعة يجب أن يصليها مع الجماعة ويسمع « الخطبة » في مسجد جامع مقرّر لهذا الغرض ، ولا تجوز اقامة هذه المساجد الجامعة الا في المراكز المأهولة ، أي في المدن والبلدان ، والواقع أن وجود المسجد الجامع والقاضي هما من حيث العموم المعيار الذي يميز المدينة أو البلد عن القرية • وقد حاولت بعض الأماكن الصغيرة في المئة الرابعة/العاشرة الحصول على المكانة القانونية «بلدة» أو «مدينة» باقامة هذه المؤسسات • ويتحدد عدد المساجد الجامعة في أي مكان كان بالقانون عموما وبالتطبيق خصوصا ، في تركيب واحد • غير أنه يجوز بموجب المذهب الحنفي اقامة أكثر من مسجد جامع دون أي مسوغ خاص على أن يوافق الخليفة على ذلك • أما الشافعية فيرون ضرورة قيام مسوغ لاقامة أكثر من مسجد جامع اضافة الى موافقة الخليفة ، وبذلك يشيرون الى أن وجود مسجد جامع ثان لم يكن عاما (٩) ، وقد عدت مدينة واسط مثلا شاذة من حيث انها كان فيها مسجدان جامعان ، كل منهما على جانب من جانبي دجلة ، غير أن هذا كان ضروريا ، لأن النهر كان يقسم المدينة ، ويكون منطقتين متمايزتين•

جوامع بغداد

يلاحظ أن الخطيب الذي وصف جوامع بغداد بالتفصيل ، شاهد أن صلاة الجمعة كانت تقام بما لايقل عن ستة أماكن (١٠) هي : المدينة المدورة ،

---

(٩) تجد مناقشة عن هذه الامور في كتاب « الفقة على المذاهب الاربعة » ، قسم العبادات، الطبعة الثانية (القاهرة) ١٣٤٥/١٩٣١ ، ص ٣٤٦ ـ ٤٨ ، واني مدين هذه الملاحظة الى الاستاذ يوسف شاخت .

(١٠) الخطيب ١/١٠٩ فما بعدها .

(ويلاحظ أن المؤلف جانب الدقة في فهم هذا النص . فان قطيعة أم

والرصافة ، ودار الخلافة ، وبراثا ، وقطيعة أم جعفر ، والحربية ، وليس من هذه الا جامع براثا ، يقع خارج حدود المدينة التي ذكرها أحمد [بن محمد] ابن حنبل نظرا لانه يقع وراء الخندق الطاهري ، وهو الحد الغربي لبغداد • وقد عدّه الخطيب أحد جوامع بغداد ، ولكنه لم يذكر أنه «مسجد المدينة» بل عده مسجدا في أطرافها ، ولعله فعل ذلك اعترافا منه بهذه الحقيقة • وعلى أي حال فقد كان في المنطقة ما لايقل عن ستة جوامع ، منها خمسة كانت مشغولة في المئةالرابعة/العاشرة، علما بأنه كانت هنالك ثلاثة مراكز للقضاء[11] أحدها للجانب الشرقي (الرصافة) ، والثاني لمدينة المنصور ، والثالث للكرخ ، وهو يحمل على الاعتقاد بأننا قد نرى هنا دلائل أخرى على وحدات مدنية منفصلة ضمن المركز الحضري الأكبر ، وليس من الصعب جدا أن نفسر امكان وجود مثل هذه المحال في العصر السلجوقي حين خربت مساحات واسعة من المدينة • غير أن ايجاد مساجد جوامع اضافية وفتاوى فقهية كان تطورا قديما ، وذلك يدل على أن التكوين المعقد المدني الذي وصفته النصوص التي أوردها الخطيب هو من خصائص المدينة قبل عهده بقرنين ، فان لا مركزية التركيب الاقتصادي للمدينة الذي وصفته بالتفصيل في مكان آخر كان ، اذن ، يوازيه توجه مماثل في المؤسسات الاخرى •

جعفر كانت تقع أيضا وراء خندق طاهر ؛ كما أن الرصافة ودار الخلافة ، كانتا في الجانب الشرقي من دجلة ، فهما منفصلتان كليا عن المدينة المدورة) (المترجم) .

(١١) عن السلطات القضائية انظر القائمة التي جمعها لويس ماسينيون «قضاة ونقباء بغداد » مجموعة المؤلفات الصغرى ٢٥٨/٢ فما بعدها .
(وقد نشرت بحثا في مجلة المجمع العراقي م ١٨ (١٩٦٩) دراسة في قضاة بغداد، وجدولا باسمائهم، ويلاحظ منه أنه كانت في بغداد حتى أواخر المئة الرابعة ثلاثة مراكز قضائية هي : ١ـ مدينة المنصور ، ٢ـ الكرخ أو الشرقية ، ٣ـ الجانب الشرقي أو الرصافة. ثم أصبحت في أواخر المئة الرابعة اربعة مراكز قضائية (المترجم) .

ان هذا التعدد في الأسواق والمساجد والجوامع والمقابر كان ضرورة اقتضتها رقعة المدينة الواسعة جدا ، وان صورة نموها الذي كان يتحكم فيه في كل حالة وجود حرم قصر يتكون من مسكن الخليفة والاجهزة الادارية للحكومة • وكان المسجد الجامع الاكبر وتيسيرات السوق المجاورة مظاهر أساسية لهذا النوع من التكوين الحضري •

ولما أخذت المدينة وأسواقها تزحف على حرم القصر شعر الخلفاء بأن سلامتهم مهددة ، فعملوا على الانتقال الى أماكن أخرى في المنطقة المجاورة ، وبذلك تكرر كل الصورةالحضرية فيالرصافة أولا (١٥٧هـ/٧٧٦م)، ثم بعد قرن منالزمن فيالقسم الجنوبي الشرقي منالمدينة• غير أن المناطق العامة التي أخلاها الخليفة استمرت في الازدهار • والى ذلك كان هنالك مسجد جامع بناه المنصور ، مؤسس المدينة ، لأهل الضاحية التي أصبحت سوقا ، وقد كانوا من قبل يضطرون الى الذهاب الى جامع «المدينة المدورة» لاداء فريضة الجمعة، وقد أقيم المسجد الجامع في مكان يسمى « الشرقية » التي أختيرت في الأصل ليشيِّد فيها قصرا للمهدي ابنه وولي عهده • وقد عين لها قاض كان يسمى قاضي «الشرقية» ، ثم صار يسمى فيما بعد قاضي الكرخ • وعلى أي حال لم يُقِم الخليفة قط في الضاحية الجنوبية وهي أكبر ضاحية في المدينة ، ومع ذلك كان فيها مسجد جامع وقاض ، ولذلك يمكن عدّها وحدة قائمة بذاتها • وفي زمن ما في المائة الرابعة/العاشرة فقد مسجد الشرقية مكانته كمسجد جامع، غير أن مايذكره الخطيب من استمرار وجودالقاضي فيه يرجحأن الكرخ احتفظت بشخصيتها المدنية بشكل ما •

وقد ذكر الاصطخري في وصفه أحوال النصف الأول من المئة الرابعة (١٠ م) ثلاثة مساجد جامعة : في مدينة المنصور ، وفي الرصافة ، وفي دار الخلافة (١٢) • ويؤيد الخطيب هذه الصورة ، ولكنه يضيف أن الأمور تبدلت

---

(١٢) الاصطخري ص ٨٤ •

في أوائل خلافة المتقي [١٣] ، ففي الخمسين سنة التالية أضيفت جوامع جديدة في براثا ، وقطيعة أم جعفر ، وحتى في الحربية [١٤] التي كانت في رأي ابن حنبل والخطيب جزءا من المدينة الأصلية ، فما هي الأحوال التي كان في امكانها السماح بانشاء هذه الجوامع الجديدة ؟

(١) أما براثا فانها كانت بالمعنى الدقيق خـارج حدود المدينـة ، لذلك كان لهـا الحـق في اقـامة مسـجد جـامع ، والواقـع أنـه كان بهـا مسجد جامع ظـل حتى خلافـة المقتـدر حيث وهدم لأن الـذين كانـوا يختلفون اليه كانوا يقومون بأعمال اثارة ، غير أن هذا الجامع أعيد بنـاؤه في زمن الخليفة الراضي ، ثم جعله المتقى مسجدا جامعا باقامة منبر فيه نقـله من مدينة المنصور ، ثم بتعيين امام جامع الرصافة لاقامة الصلاة فيه ، ثم أصبح هذا التعيين دائما . وقد بدأت اقامة صلاة الجمعة فيه في سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م باحتفال كبير .

(٢) أما قطيعة أم جعفر فقد كان فيها مسجد لم يتخذ لصلاة الجمعة ، غير أنه في ذي الحجة ٣٧٠هـ/٩٩٠ « ذكر أن امرأة من أهل الجانب الشرقي رأت في منامها النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يخبرها بأنها تموت في غد عصرا ، وأنه صلى في مسجد بقطيعة أم جعفر من الجانب الغربي في القافلائيين، ووضع كفه في حائط القبلة ، وأنها روت هذه الرؤيا عند انتباهها من نومهـا ، فقَصِدَ الموضع ، ووجد أثر كف، وماتت المرأة في ذلك الوقت . وعمّر المسجد ووسّعه وكبره بعد ذلك ابو أحمد الموسوي وبناه وعمره واستأذن الخليفة الطائع لله في أن يجعله مسجدا يصلي فيه في أيام الجمعات ، وذكر أنه مـن وراء خندق يقطع بينه وبين البلد ، ويصير به ذلك الصقع بلدا آخر ، فأذن في ذلك ، وصار جامعا تصلى فيه الجمعات » .

---

(١٣) الخطيب ١/١٠٩ – ١١١ .
(١٤) انظر ليسترانج خارطة ٦ .

والأمر المهم هو ليس مدى صحة رؤيا المرأة أو موتها ، بل هو أن هـذه القصة تؤيد قول الخطيب أن قطيعة أم جعفر كانت وحدة مدنية منفصلة لأنها كانت وراء خندق طاهر الذي يفصلها عن المدينة .

(٣) ولكن ماذا عن جامع « الحربية » الذي كان يقع داخل المدينة نفسها كما حددها ابن حنبل والخطيب ؟ فهل كانت هذه أيضا وحدة مدنية متميزة ، واذا كانت كذلك فكيف ؟ فقد ذكر هلال بن المحسّن أن أبا بكر محمد بـن الحسن بن عبدالعزيز كان بنى مسجدا بالحربية في أيام المطيع لله ليكون جامعا يخطب فيه ، فمنع المطيع من ذلك ، ومكث المسجـد على تلك الحـال حتى استخلف القادر بالله ، فاستفتى الفقهاء في أمره ، فأجمعوا على وجوب الصلاة فيه ، فرسم أن يعمر ويكسى وينصب فيه منبر ، ورتب اماما يصلي فيه الجمعة، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م* . وبعد قرنين من الزمن كتب ياقوت [١٥] يقول : ان الحربية في زمنه كانت مقصورة على باب حرب ، على بعد ميلين من البلد ، مما يعطيها مظهر مدينة منفصلة بأسواقهـا من كل صنف ، وجامع الجمعة فيها ، وسور يحيط بها ؛ فهو بذلك يصف أحد الأقسام المنفصلة من المدينة التي كانت تتميز بأنها « خرابة » أي محال مأهولة كانت في الأصل متصلة بأقسام المدينة بسلسلة من الأبنية المسكونة ، ثم أصبحت على مر الزمن منفصلة بعضها عن بعض بسبب الانحطاط العام ، ويجدر أن نلاحظ أن الطلب الأول باقامة مسجد جمعة رفضه الخليفـة ، حيـث كانت الحربية جزءا من المدينة . فهل يصح القول بأن القرار الأخـير بالسماح في تأسيس الجامع استند الى ازدياد عزلة ذلك المكان بسبب انحطاط المنطقة التي بين باب حرب وبين ما بقي من المدينة المدورة ؟ وبذلك تكون الحربية قـد

---

* نقلت عن هذه الجوامع الثلاثة نص كلام الخطيب عنها ١/١١٠ ـ ١١١ (المترجم) .

(١٥) ياقوت ٢/٢٣٤ .

أصبحت في الواقع وحدة مدنية بنفسها .

عند ملاحظة نمو قصور الخلفاء والأجهزة الادارية والمؤسسات الاقتصادية للمدينة ، وكلها قد وصفت بالتفصيل في موضع آخر ، يتبين أن وجود وحدات مدنية متميزة ضمن الكيان الحضري الأوسع ، هو دليل آخر على أن النمو الخططي للعاصمة العباسية كان يختلف عن نمو جميع المدن الاخرى تقريبا ، وهذا يحمل المرء على التساؤل : أكانت النصوص التي تصف المدينة الاسلامية بتعابير عامة ، ينبغي أيضا أن تولى اهتماما خاصا بالفروق المهمة بين المراكز الحضرية الكبرى في المنطقة ؟ ولعل الدراسات يجب أن لا تتجه الى تعابير « المدينة الاسلامية » ، بل الى « المدن الاسلامية » وهو الأصح .



الملحق (٢)

تطور الأربـاض
والسياسات الاقتصادية للعباسيين الأوائل

اذا تركنا جانبا التغيرات الخططية المهمة جدا والناتجة من تطور الضواحي، بدا أن الاسلوب الذي طبق فيه الخلفاء العباسيون الاوائل منهاج البناء يدل على أفكار عقلانية جدا، ان لم تكن جديدة ، في استخدام رأس مال الدولة . وقد أدت هذه في الاخير الى انغمار مباشر للدولة في بعض المشاريع التجارية والصناعية ، كما ينعكس ذلك في رواية الخطيب عن الخليفة المهدي وزيارة السفير الرومي [١] ، فقد استجاب الخليفة لبعض عبـارات الاطراء ووعـد السفير بتلبية طلب كان يريده ، ثم ذكر البطريق الرومي فيما بعـد للوزيـر الفضل بن الربيع أنه يريد تنفيذ مشروع تجاري في مفترق الصراتين الكبرى والصغرى ، وطلب اقراضه خمس مئة ألف درهم ، وهو مبلغ يساوي ما يؤمل أن تغلّه في السنة ، وقد نقل هذا الطلب الى الخليفة فأمره باعطائه ضعف ما طلب لهذا المشروع على أن يحتفظ بالدخل السنوي بعد اكمال المشروع ، وهو اقامة أرحاء كبيرة أصبحت تسمى « أرحاء ابنـطريق » . ولما مات السفير ضمت الارحاء الى أملاك الخليفة . وهذه الرواية الخاصة ليست أنموذجا لسخاء الخليفة فحسب ، وهو ما أراده المؤلف من ايرادها ، بل تدل أيضا على قدرته على تقرير الاستثمار الجيد ، لان هذه الارحاء التي تقع حيث تفترق الصراتان الكبرى والصغرى ، أصبحت تغل مليون درهم سنويا .

---

(١) الخطيب ٩١/١/ فما بعدها .

وكلام المصادر عن المنصور ، أبي المهدي ، أقل حظوة ، فان شهرته في تدقيق الحسابات أكسبته لقب « الدوانيقي » والدانق يبلغ ١/٦ من الدراهم، غير أنه يوجد بُعد" آخر لصورة حرص الخليفة على الاقتصاد ، وهي صورة تظهر طرقه الاكثر عقلانية في جباية الدخل ، فالنمو الاكبر للارباض في سنة ١٥٧هـ/٧٧٤م موّله الخليفة من ماله الخاص تبعا لخطة رسمها بنفسه[٢] ، وبموجبها خصّص لمختلف أصاف التجارات أماكن خاصة اختارها الخليفة في المنطقة العامة التي كانت تشغلها الاعمال التجارية والصناعية . ولا ريب في أنه حدث بعض التخلخل الذي نجم بعضه من هدم بعض الابنية لتوسيع الطرق التي أريد منها أن يوسع ويسهل انتقال الناس والسلع القادمة الى هذه المدينة السريعة التناهي أو الخارجة منها .

ان هذه الصورة للسخاء الشخصي للخليفة في أعمال البناء تبدو لاول نظرة غير منسجمة مع الروايات التي تصوره يدفع الرواتب بنقود صغيرة ، والتقتير في المصروفات على مختلف المشاريع الحكومية ؛ غير أنه يصبح من الأيسر فهم أعمال المنصور اذا افترض المرء أن الاهتمام الاول للخليفة هو في الدخل وليس في النفقات . فتصميمه على تنمية المناطق الواقعة وراء أسوار المدينة الاصلية لا يمكن أن يعد عملا ذاتيا في التوسع ؛ لانه لم تفرض قبل هذا ، فيما يظهر ، ضرائب خاصة على أرض السوق ، غير أنه بعد نمو « الكرخ » وضعت ضريبة خاصة «غَلّة أو اجارة» تبعا لحجم الأبنية فيما ذكر . ولما حصل الرخاء في هذا المركز الدولي الذي نما بسرعة ، أصبحت الحاجة الى المساهمة في هذا المنهاج كبيرة جدا ، ونتيجة لذلك لم يتمكن المنهاج الحكومي من توفير التسهيلات الكافية لجميع المصالح التجارية المتوسعة . وفي مثل هذه الحالاتِ موّل مختلف الممولين لنمو مشاريعهم الخاصة . غير أنه لما كانت الدولة هي التي تقدم اليهم المنفذ الرأسمالي ، مُنحوا

---

(٢) كذلك ٧٩/١ فما بعدها .

الافضلية في المعاملة في البناء الضريبي[٣] ، وبذلك صارت الحكومة تقدم دوافع مباشرة لزيادة التجارة والانتاج الصناعي لتوفير الحاجات للمدينة المتنامية وللحصول على مصادر اضافية مستمرة لدخل الدولة في الوقت نفسه ، اذ أن التوظيف الاصلي سيزداد عدة أضعاف من جباية الضرائب • وتذكر روايات أخرى أن الضريبة على منطقة السوق لم تفرض الا في زمن المهدي ، ولعل هذه الروايات تشير بصورة خاصة الى بعض أسواق الجانب الشرقي التي لم يكتمل نموها الا بعد انتقال الحكومة الى الرصافة حيث بنيت منطقة القصر له بصراحة ، فأدى الى تبدل في التكوين الضريبي •

ولعل مما يؤيد هذا التفسير الثاني الرواية التي تذكر أن برنامج المهدي في الضرائب قد طبق بناءاً على نصيحة وزيره معاوية بن عبيدالله بن يسار ، وهو خبير في مثل هذه الامور ، وكان قد أصلح من قبل النظام المالي « السواد » بتطبيق نظام المقاسمة ، أي أخذ الضريبة تبعا لمقدار الحاصل بدلا من نظام المساحة الذي كانت تؤخذ فيه الضريبة تبعا لمساحة الارض القابلة للزراعة • غير أن نظام المساحة لم يُلْغ كليا • وكان الغرض ، نظريا، أنتجعل الضريبة أكثر مرونة باتاحة المجال للحصول على الحد الاعلى من الدخل مع التخفيف عن بؤس الفلاحين الى أدنى حد• اذ أن الضرائب الباهظة اذا رافقها تدهور الزراعة تؤدي في المدى البعيد الى تدهور المدخولات والى تخلخل اجتماعي خطير ، فهل أراد ابن يسار القيام باصلاحات مماثلة لحماية الممولين مع تزويد الدولة بمصدر ثابت من الدخل في نفس الوقت ؟ ومثل هذه التدابير لن تكون بدعة ، لان منهاج ضرائب حرا كان قد قام منذ عهد المنصور الذي عامل بالافضلية التجار النشطين والصناع الذين لم يأخذوا على اعمالهم مساعدات مالية حكومية • وقد ذكر أن الضرائب فرضت على « تقدير

---

(٣) الطبري ٣/٣٢٣ ، ٣٢٤ ، اليعقوبي : التاريخ ٢/٤٨١ ؛ البلاذري : فتوح ٣٩٥ . ياقوت ٤/٢٥٤ .

الذراع » ، أي على حجم الابنية • غير أن مصدرا آخر يقول انها فرضت «على قدر الصناعة »[٤] ، أي تبعا لاختلاف غنى الحرفة • فاذا كان التعبير الاخير لا يخلط بين الطريقتين ، فانه يبدو أنه يشير الى أن المقدار الثابت من الضريبة « على تقدير الذراع » كان قد أكمله (أو حل محله) تقدير ثان يتناسب مع موارد المشاريع الاكثر كمالية • وفي مثل هذه الطريقة يقع عبء الضريبة ، نظريا ، على من له قدرة أكبر على احتمالها ، فتاجر الحرير الذي يشتغل بسلع غالية في دكان صغير بعض الصغر يصبح مصدرا أحسن للدخل من فخّار ينتج مقادير كبيرة من السلعة الرخيصة • ومن حيث المبدأ يبدو أن في هذا «عقلانية» تشابه الاصلاحات في نظام الضرائب الزراعية ، مما يدفع الى التفكير في أن الضريبة الجديدة التي نسبها الى المنصور مصدر متأخر جدا بصورة عرضية ، هي في الحقيقية من ابداع المهدي ، وبذلك يمكن التوفيق بين الروايتين • ولم تذكر طريقة جباية هذه الضريبة ، غير أن المرء يشك في أنها فرضت على السلع ، وأنها جبيت بالنقود • ولما كانت وسائل الانتاج الواسع محدودة في العصور الوسطى ، كان لا بد للثروات الكبيرة أن تتكون بالتجارة التي تنقل من مسافات شاسعة ، أو من امتلاك الاراضي •

وقد أوكل الاشراف على هذا المنهاج الى سعيد الخرسي ، وبلغ الدخل فيما يقول اليعقوبي (حوالي ٢٨٠هـ/٨٩١م) من ضريبة الاملاك على السوق اثني عشر مليون درهم في السنة ، منها مليون من مستغلات « أرحاء البطريق »[٥] • ومن سوء الحظ لاتوجد اشارة الى جزئيات الضرائب التي تدفع على المشاريع الفردية ، فاذا أقررنا احتمال مثل هذا الدخل ، فلن يكون من العجيب اهتمام الدولة في تشجيع ازدهار المشاريع الصناعية والتجارية ، وهي سياسة لعلها تفسر الارتفاع المحتوم « للبورجوازية » (الوسطية) ضمن

(٤) ياقوت ٢٥٤/٤ .
(٥) اليعقوبي ، البلدان ص ٢٥٤ .

ادارة الحكومة العباسية[٦] ، حيث دخل التجار في الازمنة التالية الى أعلى الدوائر الحكومية ، وكان موظفو الدولة يشتغلون في مختلف الاعمال التجارية. أما في النصف الثاني من المئة الثالثة/الثامنة ، فالارجح أن المكانة الشخصية للخلفاء العباسيين الأوائل قد أعطت لنمو منطقة السوق دافعا للابداعات الفردية لصغار موظفي الحكومة الذين كانوا جميعا توّاقين لان يحصلوا لانفسهم على مصادر مستمرة من الدخل. ولعله لم يكن من قبيل المصادفة أن يكون المذهب الحنفي هو الذي ساد في بغداد ، وأن يكون الحنفية أكثر الناس مرونة في معالجتهم الامور التجارية [٧] .

ما هي الامكانيات التي فتحت بعد توسع السوق مباشرة لمن كانت تعوزهم المساهمة المباشرة بالتجارة والصناعات في حين أن رواتب الاعمال الحكومية كانت مثبتة . ان الرقعة التي بنيت بها منطقة الاسواق كانت محدودة في الجانب الغربي ، ولكن بالرغم من ذلك كان النمو التجاري والصناعي السريع للمدينة وما أداه من تخلخل لابد أن يخلق في الاراضي مضاربات واسعة تقوم على ازدياد قيمة الارض ، ويبدو أن هذا هو الحال الذي كان في سامراء ، وهي المدينة الدولية التي كان نموها يشبه نمو بغداد من عدة أوجه ، أي أنه كان هناك برنامج محموم لبناء أبنية فخمة جدا وسكان سريعو النمو ، مما أوجد حاجات ماسة الى الخدمات والتجهيزات والاراضي للسكن . يضاف الى ذلك أن ميل الخلفاء الى نقل مقامهم والاجهزة الادارية للحكومة بصورة دورية قد سبب انتقال أصحاب الدواوين معهم . ومن الطريف أن نلاحظ ما حدث لاملاك الوزير الربيع بن يونس حين ترك أملاكه على الشاطىء الايمن واتخذ مقامه على الشاطىء الثاني لما نقل المهدي قصر

---

(٦) انظر د. س. جواتين « ظهور البورجوازية في الشرق الادنى » ، مجلة تاريخ العالم ٣ (١٩٥٨) ٥٨٣ — ٦٠٤ وخاصة ص ٣٩٨ فما بعدها .

(٧) حديث شفهي مع ا. يودوفيتش من جامعة كورنيل ، وهو يعد كتابا كبيرا عن القانون التجاري (وقد نشر هذا الكتاب بالانكليزية) (المترجم) .

الخلافة الى الرصافة ، فعندما انتقل الى الرصافة جعلت اقطاعاته في منطقة الكرخ أسواقا كان يجني منها طبعا مقداراً غير قليل من الدخل [٨] • فمن المعقول الافتراض أن هذا العمل قد سار على غراره بقية موظفي الحكومة الذين انتقلوا الى الجانب الشرقي ، اذ لابد أنهم استطاعوا أن يبنوا لهم دورا في الاقسام الجديدة الجميلة من الجانب الشرقي ، في حين أنهم احتفظوا في الوقت نفسه بمشاريع مالية جذابة في المحلات القديمة وخاصة في الكرخ •

يضاف الى ذلك أن من الغريب أن عدة اقطاعات في الارباض أطلق عليها اسم السوق ، وأحيانا « السويقة » بصيغة التصغير • فكلمة « السوق » واضحة المعنى ، أما « السويقة » ، فهي سوق صغيرة للطعام والسلع الضرورية الاخرى التي تحتاج اليها المناطق التي تقع على مسافة من المراكز التجارية الرئيسة ، أي المناطق السكنية • ولما كانت هذه التعابير واضحة المعنى[٩] ، فالاماكن التي خصّصوها في الارباض لايمكن أن تكون أراضي سكنية • ومن المحتمل أن هذه الاسواق كانت قد أعطيت في الاصل اقطاعات ، غير أن المرء يتساءل : أكان تكرر ذكر « السوق » و « السويقة » دليلا على أن المقطعين المتعددين الذين أخذوا أراضي سكنية واسعة قبل أن يحوّل التوسع العظيم للمدينة المنطقة السكنية الى أملاك تجارية ، وذلك للحصول على مصدر اضافي للدخل بعد أن أصبحت الاراضي عزيزة جدا ؟

احتفظ ياقوت بأنموذج لاستغلال للاراضي من هذا النوع ، وهو العباسية وهي الجزيرة التي يحيط بها الصراتان [١٠] ، فان العباس بن محمد استطاع بعد تحايل أن يجعل المنصور يقطعه هذه الارض الفضاء التي كانت أرضا يضرب فيها اللبن لبناء المدينة المدورة• وقد حصل العباس على حق أخذ

---

(٨) البلدان ص ٢٥٢ .
(٩) كذلك ص ٢٥٩ ــ عن كلام يشبهه عن سامراء .
(١٠) معجم البلدان ٤/٣٠٠ ــ ١ .

الضريبة عن أملاكه ، وكان يرسل ما يجنيه من ذلك الى مصر لاستعماله في مشاريع اقتصادية أخرى .

هل كانت هذه الاعمال مبتدعات يمكن أن تنسب الى ما يسمى «الثورة العباسية» ، أو كانت مجرد استمرار لسياسات كانت قد تثبتت في الازمنة الاموية ؟ وهل كانت هذه الاعمال محدودة بالعاصمة الكبرى، أو كانت تتكرر أيضا في مدن الاقاليم الصغرى ؟



التطور المعماري لجامع المنصور

ان العاصمة التي بناها المنصور في بغداد كان يقع في وسطها قصر الخليفة والمسجد الجامع . وهذه الابنية شيدت على غرار دور الامارة الاموية في الكوفة وواسط ، فكانت تتكون من منطقة سكنية تبلغ مساحتها مربعا ضلعه ٤٠٠ ذراع ، وهي تتصل بمسجد جامع يشبهه في الشكل ، ولكنه يبلغ ربعه في الحجم[١] . وقد بحث الخطيب التاريخ التالي للجامع في مقدمته الخططية «لتاريخ بغداد» حيث ذكر أن بناء الجامع مرَّ بأربعة أدوار من التطور :

١ـ البناء الاول للمنصور (حوالي سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م)[٢] .

٢ـ أعاد الرشيد بناء الجامع ووسَّعه (١٩٢هـ/٨٠٨ ـ ١٩٣هـ/٨٠٨ـ ٨٠٩م)[٣] .

٣ـ زيدت في المصلّى دار القطّان (حوالي سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣ـ٨٧٤م أو ٢٦١/٨٧٤ ـ ٨٧٥)[٤] .

٤ـ بنى المعتضد صحنا ثانيا (٢٨٠هـ/٨٩٣ ـ ٨٩٤م) مع اضافة المسقطات المسماة «البدرية»[٥] .

** هذا الفصل يكون الملحق (ج) من ترتيب المؤلف في الطبعة الانكليزية (المترجم) .

(١) انظر شكل (١) المقدمة ص ٣٢ .

(٢) الخطيب ١٠٧/١ .

(٣) كذلك ١٠٧/١ ـ ٨ .

(٤) كذلك ١٠٨/١ .

(٥) كذلك .

ولم تجر بعد حفريات في منطقة « المدينـة المـدورة » ، لذلك حاول هرزفيلد[٦] وكريسويل[٧] أن يتتبعا التطور المعماري للمسـجد الجامع تبعا للادوار المتتابعة التي لاحظها الخطيب • غير أن الأدلـة الأدبية تتيـح مجـالا لتقديرات نظرية غير التي ذكرها هرزفيلد وكريسويل التي تبدو أكثر انسجاما مع معاني النص العربي• فالملاحظات التالية هي اذن محاولة أقدّم فيها آراء تختلف عن آرائهم عن جامع المدينة المدورة الذي لم يبق شكله ثابتا ،بل حدثت فيه تبدلات •

كان جامع المنصور يقع في وسط الرقعة التي كانت للخليفة شخصيا ، ولكنه مع ذلك بُني لخدمة جميع سكان المنطقة المحيطة بالمدينة المدورة[٨] ، غير أن نمو أرباض المدينة المتزايد أدى الى ضرورة اقامة مساجد جوامع في أماكن أخرى ، أي في الكرخ الواقعة في القسم الجنوبي الغربي، وفي معسكر المهدي بالرصافة في الجانب الشرقي[١٠] • وفي زمن الرشيد واجهت الخليفة أيضا مشكلة ضيق مساحة صحن الجامع المركزي ، ولتخفيف الازدحام نقض البناء الذي كان قائما ، وأعاد البناء بالاجر والجص[١١] • وهذا البناء الذي كان يذكر فيما بعد باسم (الصحن العتيق) بدىء به في سنة ١٩٢هـ/٨٠٨م ، وتم في السنة التالية ١٩٣هـ/٨٠٨ ــ ٨٠٩م •

لم تذكر أبعاد الصحن العتيق ، ولكن لما كانت الاشارات صريحة الى أن المسجد وسع بناؤه ، فمن الواضح أن البناء الجديد زاد على المئتي ذراع مربع

---

(٦) رحلة آثارية ١٣٥/٢ فما بعدها .
(٧) العمارة الاسلامية الاولى ٣٢/٢ فما بعدها .
(٨) انظر قسم ٢ب .
(٩) الخطيب ٧٥/١ ، ٨٠ ، ٩٢ ــ ٩٣ ، اليعقوبي : البلدان ٢٤٩ .
(١٠) الخطيب ٨٠/١ ، ١٠٩ ، الحاشية ، ٩ ليسترانج : الخارطة ٣ .
(١١) عن البناء الاول بالطين واللبن (أنظر الخطيب ١٠٧/١) .

الاصلية ، لذلك ينبغي أن تعدل مخططات هرزفيلد وكريسويل (٢٠٠×٢٠٠ ذراع)[١٢] ، ذلك لانها فيما يظهر قائمة على وصف المسجد الجامع الاصلي الذي بناه المنصور ، وليس البناء الذي أتمه حفيده الرشيد في المئة الثانية(٩م) والذي يمكن أن تقدم عنه عدة مخططات تخمينية •

توسيع في الطـول

لعل أبسط طريقة لتوسيع المسجد الجامع هو الاحتفاظ ببنائه الاصلي ، وهدم الحائط الذي يقابل باب خراسان[١٣] ، وبذلك تتوسع ساحة الصلاة في الطول • غير أن النص صريح في كلامه أن البناء (هدم) ، فهو يشير الى أن الحيطان رفعت ثم أعيـد بناؤها من الاســس • ومن الممكن طبعا أن تبنى الحيطان الجديدة ، لغرض اقتصادي ، على الاسس القديمـة مباشرة • وفي هذه الحالة يكون التوسيع قد اتبع الخطوط المقترحة سابقا • غير أنه لايوجد مسوّغ اقتصادي يلزم الاحتفاظ بالاسس القديمة التي مضى عليها خمسون سنة ، ومن الصعب أن نعتقد أن الخليفة الذي له حرية في الاتفاق ، وهو ممن أجمع الناس على عده أوج العظمة العباسية ، كان من الضروري أن يقتصد في الاتفاق على بناء مثل هذا البناء الكبير • فاذا كان بناء المسـجد الجامع حادثا مهما في تاريخ المدينة ، فان اقامة جامع خليفي لم يكن أقـل من حدث عظيم يخلـّد في هذه الحالة بنقش على الجدار (خارج المسجد ، مما يلي باب خراسان) ، يكتب فيه : « أمر ببنائه الخليفة ، ويسمى البناء والنجار ويذكر تاريخ ذلك » • فالارجح أن الرشيد أراد اقامة بناء جديد كليا يمكن أن ترى فيه الاجيال المقبلة عظمة خلافته ، وأن بناءه بالآجر والجص بدل مواد البناء القديمة التي كانت أهش وأقل دواما تميل الى اسناد هذا الرأي • ولما كان من

---

(١٢) أنظر الشكل ١٠ ، ١١ .

(١٣) اذا افترض أن الجامع يقع على الحائط الشمالي من القصر ، انظر ادناه .

٣٢٠

المحتمل وضع أسس جديدة ، حتى لو استعملت الاسس القديمة ، كان لابد من الاسس الجديدة ايضا ، وذلك لتتيح المجال لتوسيع المساحة ، وهناك أيضا امكانية تبدل تناظر الاساس للقصر والجامع ، أي المربع ، أيضا ، وذلك لاعطاء البناء مظهرا جديدا مميزا .

ان أية زيادة للرشيد في مساحة الجامع هي نظريا محدودة بالبناء الذي بناه الخليفة المعتضد فيما بعد، اذ أنه في سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣ـ٨٩٤م هدم الجدار الأمامي الذي كان أيضا الجدار الخلفي للقصر ، كما أنه وسع المساحة باضافة صحن ثان له بأبعاد المسجد الأول ، وقد أخذ من بناء القصر . فاذا استطاع المرء أن يفترض أن صحن المعتضد امتد الى الحائط الامامي القصر (وهو يبلغ ٤٠٠ ذراع من الجدار الى الجدار) فمن الممكن الاستنتاج بأن الرشيد ضاعف حجم جامع المنصور بمد قسم ثان له بقدر أبعاده على طول المحور الاصلي[١٤] غير أن النتيجة النهائية هي أن يكون جامع طويل جدا (٨٠٠ ذراع) وضيق (٢٠٠ ذراع) ، مع تنافر لا ينسجم مع الاحساس الدقيق للنسب . والا فأن أية محاولة لحفظ التوازن في التناظر لابد أن تحدد مساحة التوسيع ، لان بناءي المعتضد والرشيد ينبغي أن يكونا متساويي الأبعاد تقريبا . لذلك يبدو واضحا أن أية زيادة في الطول وحده هي من الناحية النظرية أقل من حل مثالي لمشكلة توسيع مساحة المصلي .

توسيع في العرض

يذكر الخطيب أن جامع المنصور زيد من جوانبه ، وهذا يعطي انطباعا أن التجديد شمل توسيعا في عرض المساحة الاصلية[١٥] ، فان الخليفة باضافة

---

(١٤) انظر الشكل ١٢ ، ان هرزفيلد وكرويسويل يفترضان أن صحني الجامعين متساويا الابعاد ، فالمساحة الكلية لجامع الرشيد وجامع المعتضد مختلفتان بعض الشيء ، ولعل الخطيب يرغب في القول أن قسمي الجامع كانا متساويين في المساحة .

(١٥) الخطيب ١/١٠٨ .

١٠٠×٢٠٠ ذراع على جوانب المساحة الاصلية ، يتمكن من مضاعفة الابعاد القائمة ، وذلك بايجاد بناء مستطيل ٢٠٠×٤٠٠ ذراع[١٦] ، فتصبح نسبة الطول الى العرض هي ١ : ٢ للجامع ، و ٣ : ٢ لكل البناء . وبعد زيادة صحن المعتضد ، كان الشكل الاساسي للجامع لابد أن يتبدل ، فيصبح مربعا (٤٠٠×٤٠٠ ذراعا) ، وأن مساحة المصلي تضاعفت الان في مناسبتين دون أن يظهر توفيق للتناظر التقليدي في العمارة الاسلامية من هذه الحقبة ، مع خلق بناء ذي مظهر جديد ومتميز في الوقت نفسه .

ومع أن من الممكن نظريا اعادة بناء يكون بناءا مستطيلا (٢٠٠×٤٠٠ ذراع) لكن ذلك يواجه بعض الاعتراضات أيضا ، اذ كانت المساجد الكبيرة في العصر العباسي الاول تبني بشكل مستطيلات أو مربعات . غير أنه لاتوجد اشارة الى بناء صمم منذ البداية ليكون جامعا ويزيد عرضه على طوله (٢ : ١). وقد يمكن أن يقال أنه لما كان بناء الرشيد هو اعادة بناء قديم ، فانه كان يستطيع أن يتمتع بشيء من الحرية في وضع البناء ، وبذلك يتفسر الشكل الخاص . غير أن هذا الرأي غير مقنع لانه كما ذكر من قبل قد أعيد بناؤه كليا وأعيد تصميمه لاعتبارات وظيفية ، وطبعا لرغبة الخليفة في تخليد عظمة حكمه . ولما كان تشييد مثل هذا البناء العظيم هو بالتأكيد ثمرة تخطيط وتنفيذ كامل ، فان جامعا أبعاده (٢٠٠×٤٠٠) لا يبدو مقبولا . لذلك يصبح من الصعب الذفاع عن توسيع بالعرض فقط ، ذلك أنه اذا كان المربع الاصلي (٢٠٠×٢٠٠ ذراع) فمثل هذا البناء الجديد سينتج دائما مستطيلا يزيد عرضه على طوله بنسبة مباشرة لمساحة التوسيع .

ان هذه الآراء يدعمها دليل اضافي من نص الخطيب[١٧] ، فهو يقول : « ثم زاد المعتضد بالله الصحن الاول ، وهو قصر المنصور ، ووصله بالجامع،

---

(١٦) أنظر الشكل ١٣ .

(١٧) الخطيب ١٠٨/١ .

وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقا ، ومنها الى الصحن ثلاثة عشر ، والى الاروقة أربعة » ، ولم يذكر عدد الطاقات الافقية في المصلي، غير أن كريسويل يتابع هرزفيلد ويقترح خمسة ، مستندا الى المقارنة بجامع ابن طولون والجامع الكبير في الكوفة ، ويمكن أن يضيف المرء الى هذه الامثلة جامع أبي دلف[19] ، والجامع في الرافقة[20] ، وكذلك القصر والجامع في بناء الحجاج بن يوسف، في واسط الذي كان يشبه البناء الاصلي في بغداد[21] ، ويستطيع المرء أن يستنتج من هذه الملاحظة العامة أن نسبة ١٧/٥ كانت فيما يظهر شائعة في الجوامع المربعة والمستطيلة في هذه المنطقة[22] .

ولما كانت الطاقات في كل من هذه المساجد الجوامع متساوية العرض عموما ، فان الاروقة الجانبية مفتوحة على الساحة العمودية من الصحن بـ ٢٣٪ تقريبا (٤ : ١٧) . واذا أدخل المرء الرواق الاخير المواجه لجدار المحراب ، فان المصلى المغطى للجامع المربع يقطع الى الساحة الافقية للصحن بـ ٤١٪ تقريبا (٧ : ١٧) . أما الجامع المستطيل فبأمكانه تقديم مساحة أوسع للصحن ، ولكن في حالة واحدة ، وهي اذا كان المصلي يقع على طول جدار المحراب الذي يزيد طوله على الجدران الجانبية للبناء ، وبذلك يلغى فكرة جامع ٢٠٠×٤٠٠ ذراع ، ثم لاحظ أيضا تطبيق نسبة ١٧/٥ على جامع له هذه الابعاد[23] ، فان السبعة عشر طاقا تحتاج الى ستة عشر عمودا . فيكون في كل رواق جانبي ثمانية أعمدة ، ذلك لان طول الجامع المقترح يبلغ نصف

---

(١٨) كريسويل ص ٣٢ .
(١٩) المصدر السابق ص ٢٨٠ شكل ٢٢٣ .
(٢٠) المصدر السابق ص ٤٦ الشكل ٣٣ ، ويظهر المخطط ثلاثة طاقات فقط ، غير أن الفسحة تظهر بوضوح المجال لخمسة .
(٢١) أنظر التعليق (١) .
(٢٢) لاحظ أن ابن طولون جاء من سامراء .
(٢٣) أنظر الشكل ١٣ .

عرضه (٢٠٠×٤٠٠) ، كذلك الطاقات الخمسة للمصلي ،فانها يلزمها خمسة أعمدة زائدا عمودين اضافيين الى رواق الجدار البعيد ، وذلك يتناظر مع الاورقة الجانبية ، فالمساحة الافقية للصحن تنقص الى٥ر١٢٪ فقط ، ومن الواضح أن هذا رقم صعب جدا •

« التوسيع في العرض والطول »

لذلك يصبح من الواضح جدا أن أحسن وسيلة يوسع فيها الرشيد الجامع ، هي أن يوسع في كل من عرضه وطوله ، وهذا يجعله اما مربعا واما مستطيلا مع نسبة مقبولة ــ هي ٢ : ١ أو ٣/٢، ولما كانت الاحتمالات النظرية محدودة بحجم القصر الملاصق (٤٠٠×٤٠٠) ، فأن أكثر المستطيلات طولا يكون ٣٧٥/٢٥٠ ذراعا ، أي توسيع ٢٥ ذراعا من كل جانب ، و ١٧٥ ذراعا في الطول ، فيحدث نسبة ٣ : ٢ [(٢٤)]• ومن الطبيعي أن عدد المربعات المقبولة كبير جدا ، فاذا أراد المرء الوصول الى اختيار معقول ، فعليه أن يضع نصب عينيه عاملين : ــ

١ــ لما كانت المدينة المدورة مازالت وحدة مكتفية اكتفاء ذاتيا ، فربما رغب الرشيد في ابقاء التناظر الاساسي لبناء القصر والجامع (مربع بجانب مربع أصغر) ، وفي الوقت نفسه يوفر أكبر زيادة في مساحة المصلي •

٢ــ ان السبعة عشر طاقا التي فتحت لتربط الصحن القديم ببناء المعتضد كان عليها أن تفتح حائطا ملاصقا ربما كان سمكه خمسة أذرع ، وكان لابد من توفير أقصى عرض للمدخل ، ولكن مع فسحة كافية بين كل فتحة ، وذلك لتوفر قوة كافية للتقويس •

ان البناء المستطيل (٣٧٥×٢٥٠) يوفر أكبر مساحة للمصلي ، غير أنه يبدل التناظر الاساسي لبناء القصر والجامع ، كما أنه يقتضي بعد اضافة

---

(٢٤) انظر الشكل ١٤ •

صحن المعتضد أن تزاد نسبة الطول الى العرض الى ٣ : ١ (٧٥٠×٢٥٠) • يضاف الى ذلك أن كل قوس مع الجوانب الساندة عرضه أربعة عشر ذراعا فقط (٢٥٠ ــ ١٠ للجدران الأخيرة ــ ١٧ للاقواس) فاذا قدرنا ثماني أذرع لفتحة القوس وست للمسند ، فسيبدو أنه لا ينقص كثيرا للممر اذا أدخلنا الجوانب الساندة في الحساب • غير أن بناءا مربعا مكونا على فرض ٣٠٠× ٣٠٠ ذراع لا يحفظ التناظر الاساسي لكل البناء ، بل ربما يسمح لعرض أنسب (١٠ أذرع) ومسند جانبي (٧ أذرع) • ان المسجد المستطيل محتمل ، غير أن البناء المربع يبدو آنذلك يقدم بديلا أقرب الى القبول ، بالرغم من أن هذه المناقشة يصعب القول بأنها مقنعة •

دار القطان والبدرية

ولكن ماذا عن دار القطّان والمسقطات المعروفة بـ (البدرية)[٢٥] ؟ يقول الخطيب ان الدار المعروفة بالقطّان كانت قديما ديوانا للمنصور ، ثم أضيفت الي الصحن العتيق (الذي هو الجامع) ، وجعلت مصلى للناس ، وذلك في سنة ستين واحدى وستين ومئتين •

وقد حاول هرزفيلد أن يقرن دار القطّان بالبدرية، غير أنه لم يفصّل في المناقشة • وهو يرى أن دار القطّان كانت قسما ممتدا من الجدار الجنوبي للجامع الذي يصله بالجدار الجنوبي للقصر ، وهو لذلك يفترض أن الجدار الذي بين دار القطّان والجامع العتيق فتح ، وأن المنبر والمحراب والمقصورة نقلت اليه لتنسجم مع اتجاه البناء • غير أن هذا يتاقض نص الخطيب الذي يبدو أنه يدل على أنها نقلت الى الجامع الجديد • يضاف الى ذلك أن كتابة الرشيد التي تخلد بناء الصحن القديمة كانت مرئية على الجدار الخارجي المقابل باب خراسان ، أي الجدار الشمالي • ولهذه الاسباب أميل الى الموافقة

---

(٢٥) الخطيب ١/١٠٨ انظر ايضا الشكل ٢ ، ١١ •

على تعليلات كريسويل[٢٦] من أن المسـجد كان يقع على الجدار الشـمالي للقصر ، وأن الخليفة كان يدخل من قصره الى مكان المقصـورة ، كما كانت العادة آنذاك ، فلما أضيف صحن المعتضد الى الصـحن القائم نقل المنبر والمحراب والمقصورة أيضا الى القسم الجديد ، وعلى هذا أضيفت دار القطّان الى الجامع من الجانب الشمالي للقصر • غير أنه لا توجد اشارة الى كيفية ربط البنايتين[٢٧] لأن الخطيب ذكر أن المعتضـد أمر بزيادة الجامع الثـاني بسبب « ضيق المسجد الجامع » ، وأن الناس يضطرهم الضيق الى أن يصـلوا في المواضع التي لا تجوز في مثلها الصلاة ، فأنه كان يعني على ما يرى كريسويل دار القطّان ، واذا تابع المرء كريسويل ظهر له واضحا أن دار القطّان لم تصبح جزءا من الجامع نفسه ، لانها بالمعنى الدقيق خصصت لتكون مصلى ، في حين لم يكن من المستحب أداء صـلاة الجمعة فيها • وأنا أميـل الى الاعتقاد بأن البناءين ربما ربطا بممر يسمح للناس بالمرور من المسجد الجامع الى محل ثانوي آخر للصلاة ، وليس من المسـتحيل أن الازدحام قد ازداد ازديادا لم يعـد الصحن الاوسط الكبير يكفيهم ، كما هو الحال في بيت المقدس •

أما أبعاد دار القطّان فلم تذكر أيضا ، غير أنه يمكن الافتراض أن البناء كان أصغر من الجامع الذي كانت مرتبطة بـه • ومن المحتمل أن دار القطّان كانت تقع في مكان قريب جدا من الجامع في الساحة المركزية ، فان اليعقوبي في وصفه للمدينة المدورة[٢٨] كما كانت في عهد المنصور يذكر أن الساحة المركزية لم يكن فيها ما عدا القصر والجامع الا بناءان : أحدهما ملاصق لباب الشام ، وكان يقيم فيه صاحب الحرس • والثاني لم يذكر موقعه ، ولكنه يقول انه كان صفّة كبيرة قائمة على أعمـدة من الآجر والجص • وكانت في هذه

---

(٢٦) كريسويل ص ٣٣ •
(٢٧) كذلك ص ٣٣ ، ٣٤ •
(٢٨) اليعقوبي ، البلدان ص ٢٤٠ •

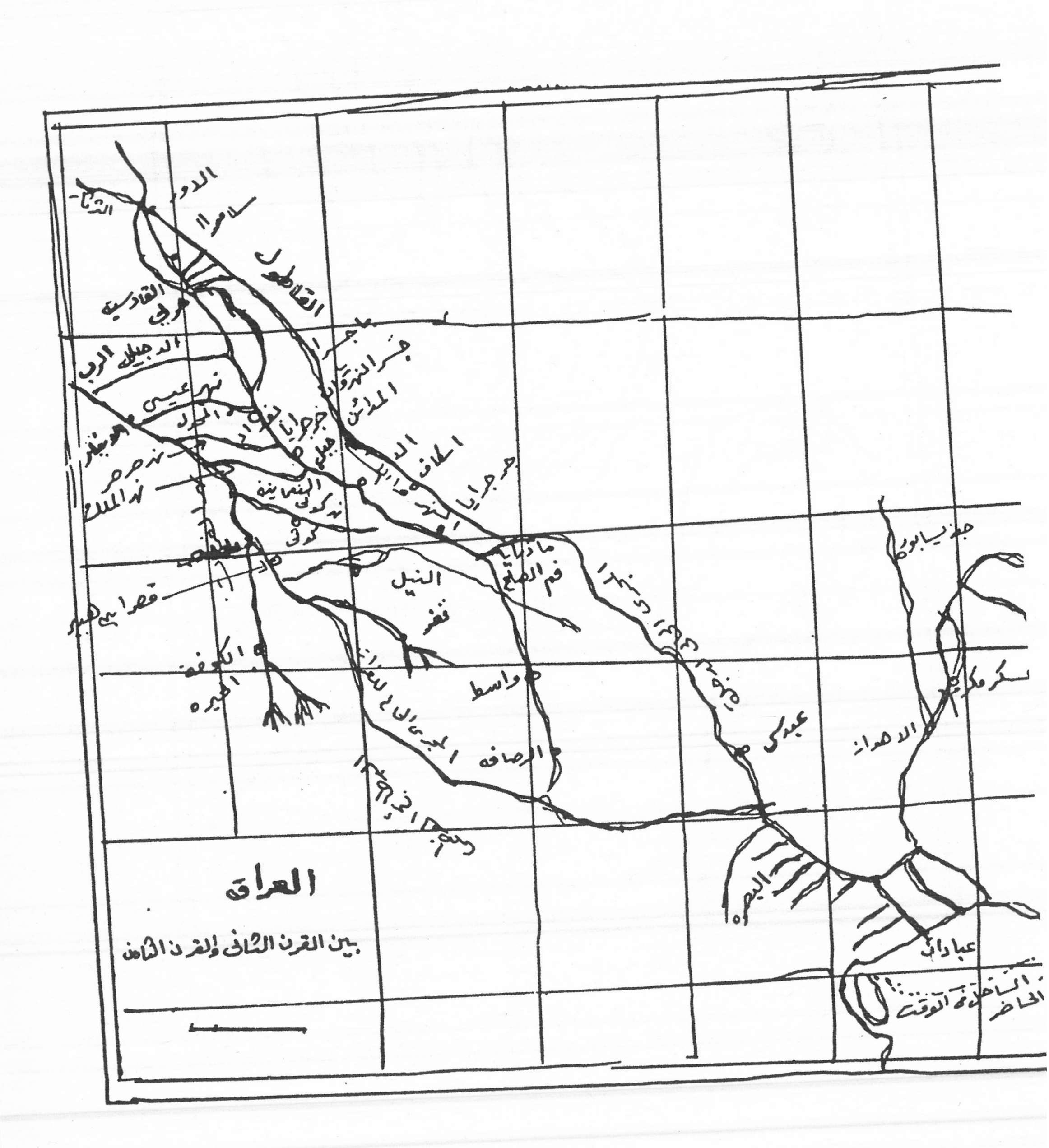
الصُفّة دار لصاحب الشرطة ، والمفروض غرف لرجاله أيضا • ولعله أريد بالبناء أن يكون للرجال عند قيامهم بواجباتهم • أما بقيــة الافراد فكانوا بلا ريب يقيمون في الدروب التي خصصت للشرطة والحرس ، وكانت تقع في المنطقة السكنية بالقرب من باب البصرة• فصُفّة الشرطة كانت لذلك ، كدار القطّان، بناءا حكوميا ، والاكثر هو أن اليعقوبي الذي كتب في النصـف الثاني من المئة الثالثة (٩م) يذكر أن الصُفّة كانت تستعمل في زمنه مصلى(٢٩) ، وذلك قد يدل على أنها كانت هي نفســها دار القطّان التي يــذكرها الخطيب ، وأن تركيب الصُفة (التي تحيط بالساحة) تكون موقعاً مثالياً لجعلها مصلي •

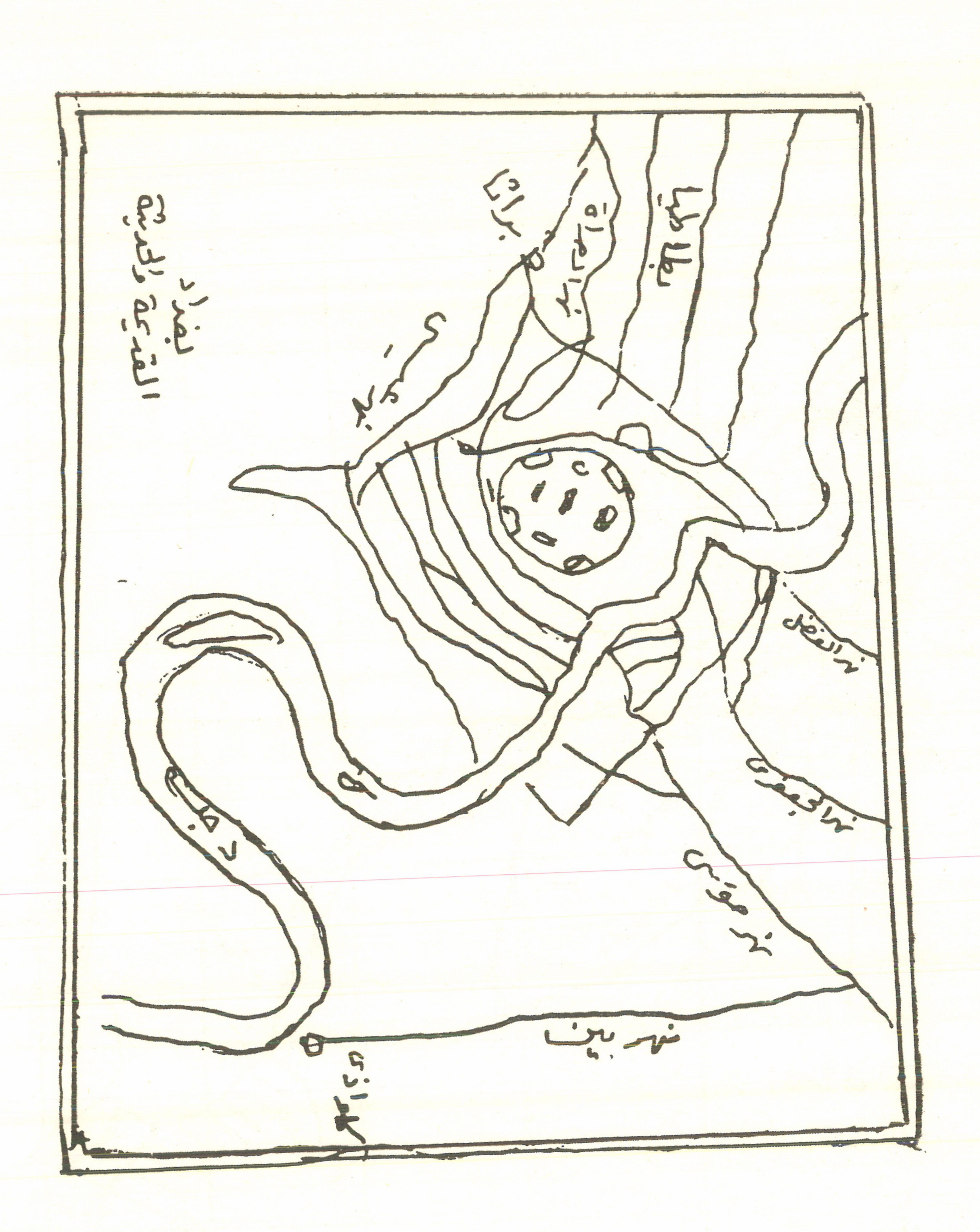
أما البداية وهي المُسَقّطات التي أضافها بدر حاجب المعتضد فاني لم أجد معنى لكلمة «مسقطات» ** •ومهما كانت هذهالمسقطات، فمن الواضح أنها كانت تلفت النظر وتكفي لان تسمى باسم حاجب الخليفة ، ولديّ انطباع بأنها كانت نوعا من الزخارف أكثر من كونها مجموعة غرف •

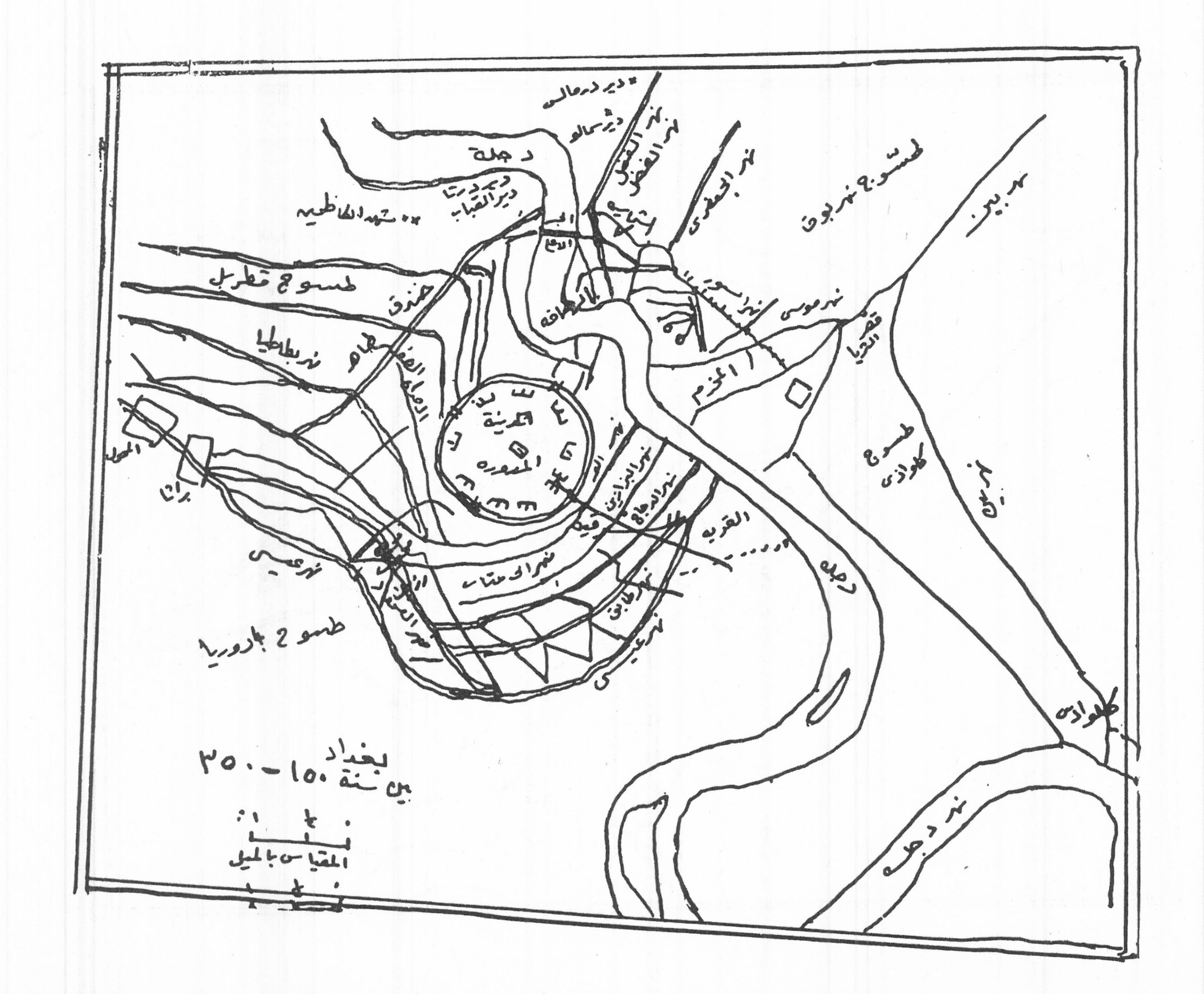
** يذكر الطبرى ان القطان صاحب مفلح كان عاملا بالموصل على الخراج ، فانصرف اليها ، فقتل في الطريق (١٩٠٧/٣) ولعله كان في بغداد من عمال الخراج ويقول الخطيب «وجه المعتصم بمن يحزر مجلس عاصم بن علي في رحبة النخل التي من جامع الرصافة ، وكان عاصم يجلس على سطح المسقطات وينتشر الناس في الرحبة وما حولها وما بينها ، فيعظم المجمع جدا .. فحزر المجلس مائة الف وعشرين الف » (٢٤٨/١٢) ، وقد نقل ابن الجوزي هذا النص في حوادث سـنة ٢١٧ هـ (المنتظـم مخطوطـة ايا صوفيا) ويذكر ابن منظور ان (مسقطا الطائر جناحه (لسان العرب ١٩٢/٩) ونص الخطيب يوحى ابن المسقطات مرتفعه ومشرفه ، فلعلهـا ما نسميه اليوم « الطارمة » (المترجم) .

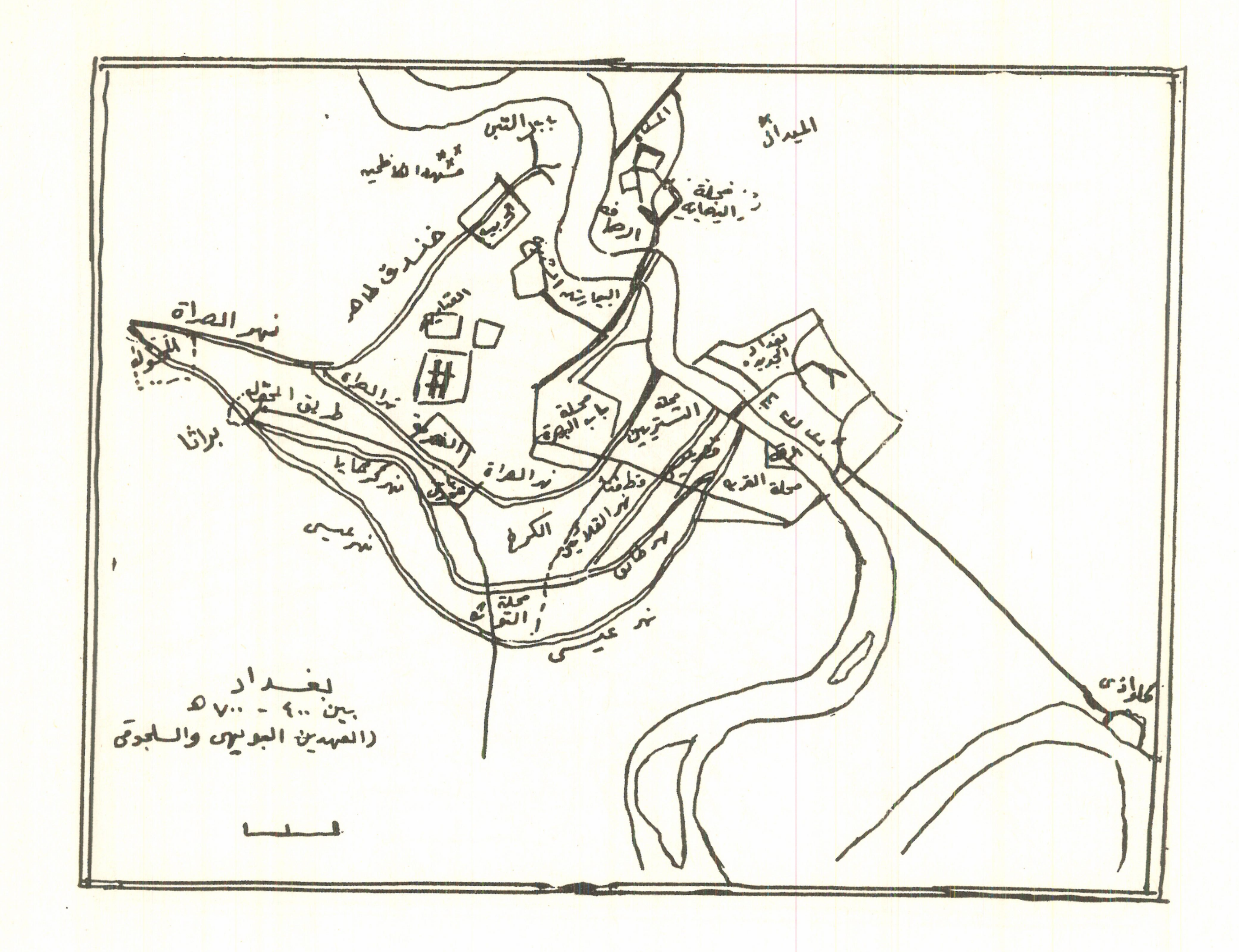
(٢٩) اليعقوبي : البلدان ص ٢٤ .

الخرائط واللوحات

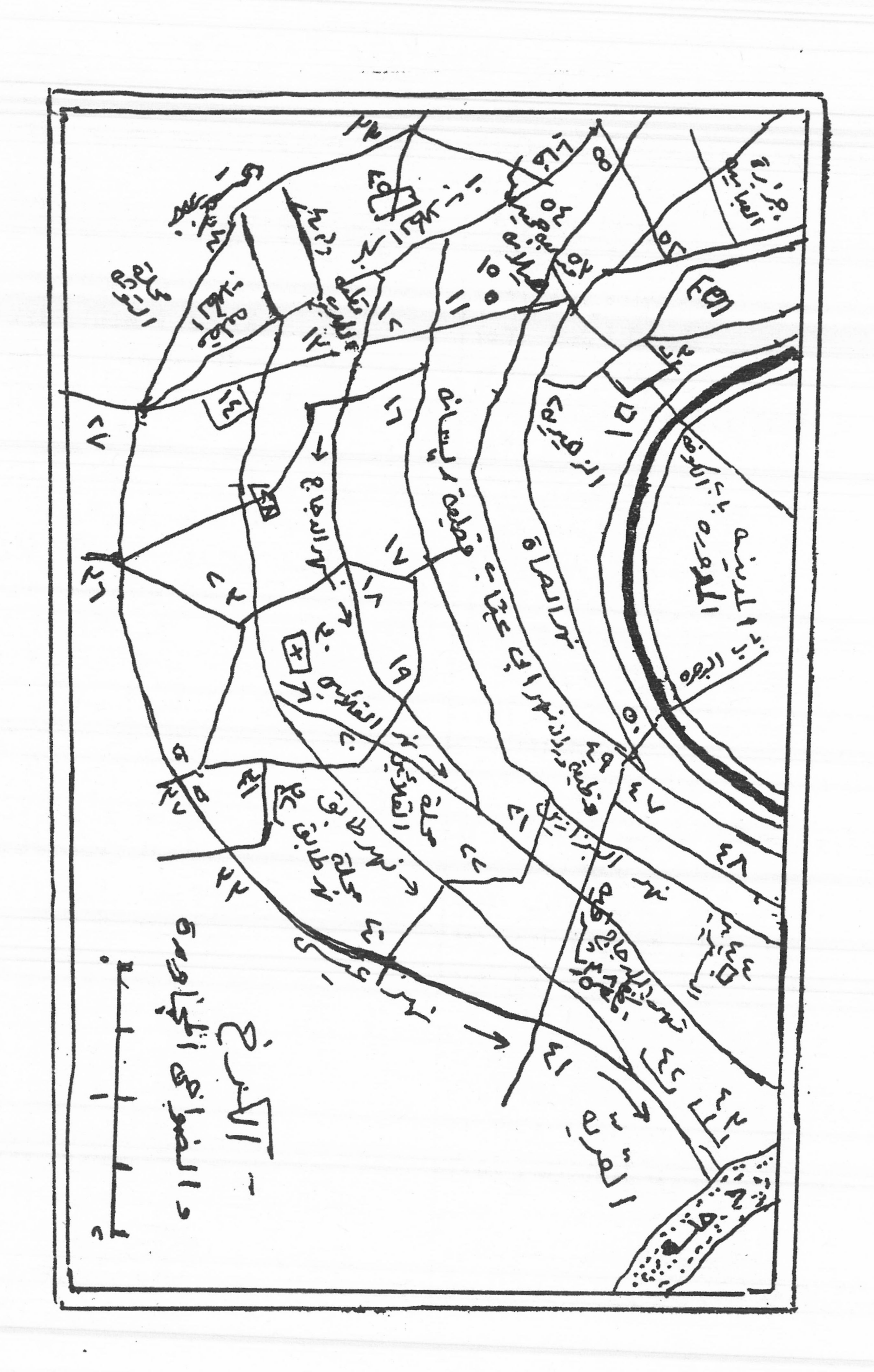

العراق
بين القرن الثاني والقرن الثامن
سامرا
القادسية
المدائن
النيل
واسط
الكوفة
الحيرة
الرصافة
الاهواز
عسكر مكرم
عبادان


بغداد
القديمة والحديثة
بطاطيا
براثا
نهر عيسى
نهر الفضل
نهر الجعفري
نهر موسى
نهر بين
كلواذى
دجلة


بغداد
بين سنة ١٥٠ – ٣٥٠
المقياس بالميل
طسوج قطربل
نهر بطاطيا
طسوج بادوريا
نهر عيسى
المدينة المدورة
دجلة
نهر دجلة
نهر الفضل
نهر الجعفري
طسوج نهر بوق
نهر بين
نهر موسى
طسوج كلواذى
كلواذى
القرية

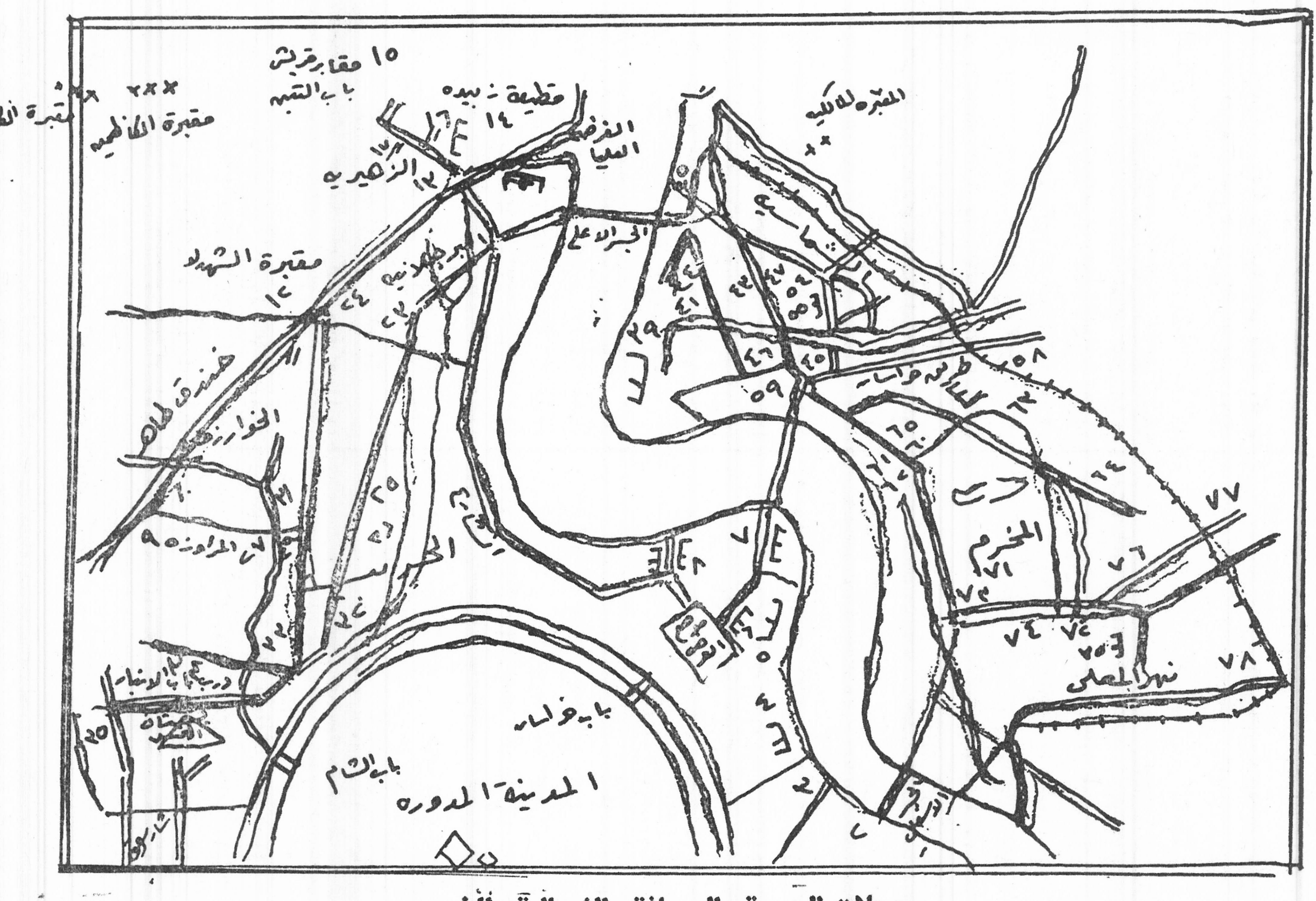


بغداد
بين ٤٠٠ - ٧٠٠ هـ
(العهدين البويهي والسلجوقي)
نهر الصراة
نهر الصراة
براثا
طريق الحج
نهر كرخايا
نهر عيسى
نهر عيسى
الكرخ
نهر القلائين
نهر طابق
محلة التوثة
محلة باب البصرة
محلة القرية
خندق طاهر
الحربية
باب التبن
الرصافة
محلة
الميدان
كلواذى



دليل الخارطة رقم (٤)

(١) مسجد المسيب ذو المنارة الطويلة
(٢) سويقة عبدالواحد
(٣) اقطاع الفراشين وديوان الصدقات والاصطبلات وخان النجائب
(٤) القنطرة العتيقة
(٥) سويقة ابى الورد
(٦) مسجد ابن رغبان ومسجد الانباريين
(٧) قنطرة البيمارستان والبيمارستان العتيق
(٨) الدرابات ورحى ابى القاسم
(٩) محلة الواسطيين
(١٠) الخفقة
(١١) باب الكرخ
(١٢) باب النحاسين
(١٣) سويقة غالب
(١٤) رحبة سويد
(١٥) طريق الصباغين ودار كعب
(١٦) سوق البزازين
(١٧) سوق الجزارين
(١٨) سوق الدجاج
(٢٠) الحفارين
(٢١) أصحاب القصب
(٢٢) القيارين
(٢٣) سوق الطعام
(٢٤) دوارة الحمار
(٢٥) الزياتين
(٢٦) قبر الجنيد والسرى السقطى
(٢٧) سوق الثلاثاء
(٢٨) مربعة صالح
(٢٩) باعة السويق
(٣٠) قطيعة النصارى ودير العذارى
(٣١) درب الآجر
(٣٢) دار القطن
(٣٣) قنطرة الزياتين
(٣٤) قنطرة الأشنان
(٣٥) قنطرة الشوك
(٣٦) قنطرة الرمان
(٣٧) قنطرة المفيض والارحاء
(٣٨) باب الارحاء
(٣٩) قنطرة البستان
(٤٠) قنطرة المعبدي
(٤١) قنطرة بني زريق
(٤٢) مشرعة الآس ودار البطيخ
(٤٣) قصر عيسى ومسجد ابن المطلب ومدفن الخليفة المستضيء
(٤٤) مشهد على المعروف بمشهد المنطقة
(٤٥) جامع الشرقية
(٤٦) مشهد معروف الكرخي ومقبرة باب الدير
(٤٧) طاق الحراني
٤٧-٤١ طريق باب البصرة
٤٧-٤٨ طريق الجسر الاسفل المعروف بدرب الشعير
(٤٩) دار وضاح ومسجده
(٥٠) القنطرة الجديدة وسوق الوراقين
(٥١) دار عبدالوهاب وسويقته
(٥٢) رحى البطريق
(٥٣) قصر وقطيعة عيسى
(٥٤) باب المحول ومسجده
(٥٥) قطيعة الروميين وقطيعة الفراشين

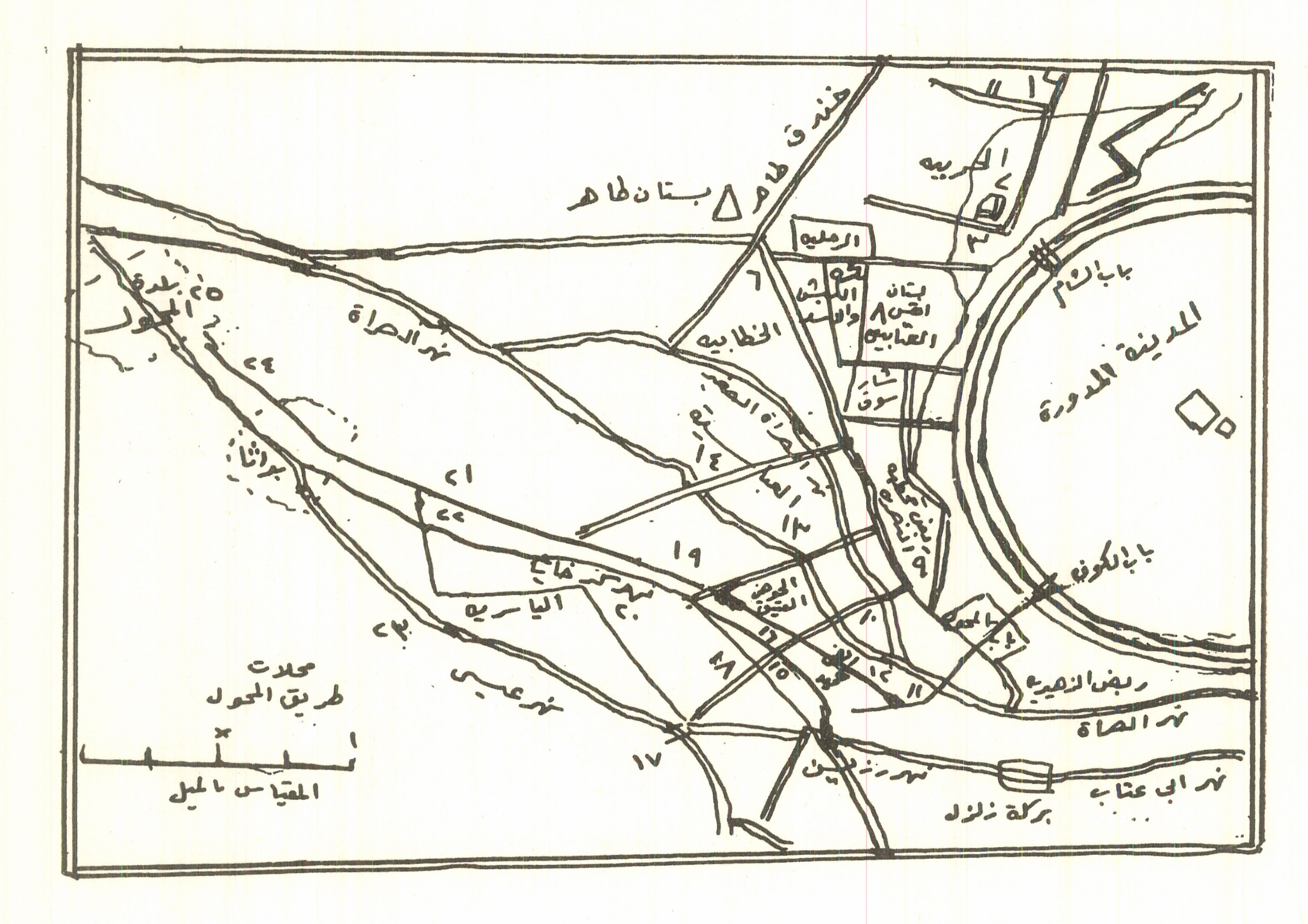


محلات الحربية والرصافة والشمالية والمخرم

دليل الخارطة رقم (٥)

(١) دار حميد بن عبدالحميد
(٢) باب الشعير
(٣) الدير القديم عند قرن الصراة ب
(٤) قصر زبيدة المعروف بالقرار
(٥) قصر الخلد (ثم صار بمكانة البيمارستان العضدي)
(٦) اصطبلات الخليفة
(٧) دار صناعة الجسر ، ومجلس الشرطة
(٨) قصر سليمان وقصر صالح ابنى ابي جعفر المنصور في درب سليمان
(٩) باب الحديد وقنطرته المؤدية الى شارع دجيل
(١٠) عبارة الكرخ
(١١) باب حرب وقنطرة حرب المؤدية الى طريق باب حرب
(١٢) قبر الامام أحمد بن حنبل
(١٣) باب قطربل وقنطرة رحى أم جعفر
(١٤) قصر زبيدة ام جعفر ومسجدها
(١٥) باب التبن
(١٦) باب القطيعة
(١٧) الباب الصغير
(١٨) دار عمارة
(١٩) الحريم الطاهري
(٢٠) دار الرقيق وقطيعة الغلمان
(٢١) دار جعفر بن عثمان في درب سوار
(٢٢) دار ابن ابي عون
(٢٣) قنطرة التبانين
(٢٤) جامع الحربية
(٢٥) مربعة ابي العباس
(٢٦) مربعة شبيب
(٢٧) قنطرة ابي الجون
(٢٨) دار سعيد الخطيب
(٢٩) كتاب اليتامى
(٣٠) دكان الابناء
(٣١) مربعة الفرس وربض رشيد وزهير وعثمان بن نهيك
(٣٢) طاقات العكى والفطريف وسويد
(٣٣) سجن باب الشام
(٣٤) شارع قصر هانيء
(٣٥) مسجد البخارية
(٣٦) مشهد الكاظمين ؛ قبر زبيده وقبر الخليفة الامين وقبور بني بويه
(٣٧) قبر عبدالله بن احمد بن حنبل
(٣٨) قصر المهدي فى الرصافة
(٣٩) جامع الرصافة
(٤٠) مشهد ابى حنيفة ومقبرة الخيزران
(٤١) مدافن الخلفاء
(٤٢) دار ام حبيب ودار الفضل في شارع الميدان
(٤٣) محلة الخضيرية ومسجدها ، وسويقة خضير
(٤٤) دار رباح والمشرعة
(٤٥) سوق يحيى وطريق الجسر
(٤٦) دار فرج
(٤٧) الدور وقصر جعفر البرمكي
(٤٨) سويقة جعفر وطريق نهر المهدي
(٤٩) سويقة خالد وقصر الطين
(٥٠) باب الشماسية وقصر مؤنس
(٥١) ربض الثلاثة ابواب وقبر النذور

(٥٢) باب البردان
(٥٣) قنطرة البردان ودار ابي نصر
(٥٤) دار الحطم
(٥٥) اقطاع البرامكة وقصورهم
(٥٦) دار الروم وبيع النساطرة واليعاقبة في محلة النصارى ودار الجاثليق
(٥٧) سويقة نصر والمسجد وباب الحديد
(٥٨) باب خراسان في الجانب الشرقي
(٥٩) باب الطاق ودار خزيمة ودار عبدالله ودار اسماء
(٦٠) شارع عمرو الرومي
(٦١) البستان ازاهر عند فوهة نهر موسى ودار ابن مقلة
(٦٢) الشارع الاعظم
(٦٣) قصر المعتصم
(٦٤) الدرب الطويل
(٦٥) دار ابن الفرات وشارع الكرم المعرش
(٦٦) سوق العطش
(٦٧) دار الحرشي ومربعته وسويقته
(٦٨) قنطرة الانصار
(٦٩) حوض الانصار وهيلانة وداوود
(٧٠) دار ابن الخصيب في شارع سعد الوصيف
(٧١) سويقة الحجاج
(٧٢) باب المقير
(٧٣) باب المخرم وقنطرة العباس
(٧٤) سوق التبن
(٧٥) دار البانوجة
(٧٦) باب عمار ودار عمار
(٧٧) باب سوق الدواب
(٧٨) باب ابرز
(٧٩) باب سوق الثلاثاء
(٨٠) قصر الفردوس وبركته

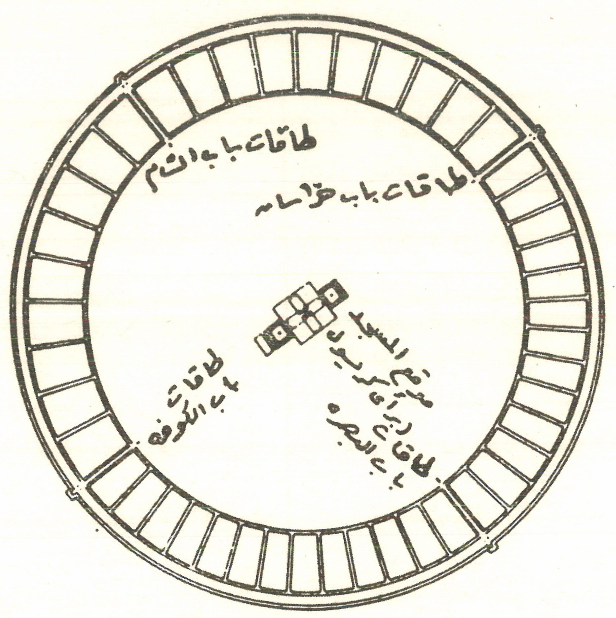


خندق طاهر
بستان طاهر
الحربية
الرملية
بستان القس ٨ والعتابيين
الخطابية
باب الشام
المدينة المدورة
باب الكوفة
ربض الزهير
نهر الصراة
نهر عيسى
الياسرية
براثا
نهر رزين
نهر ابي عتاب
بركة زلزل
محلات
طريق المحول
المقياس بالميل

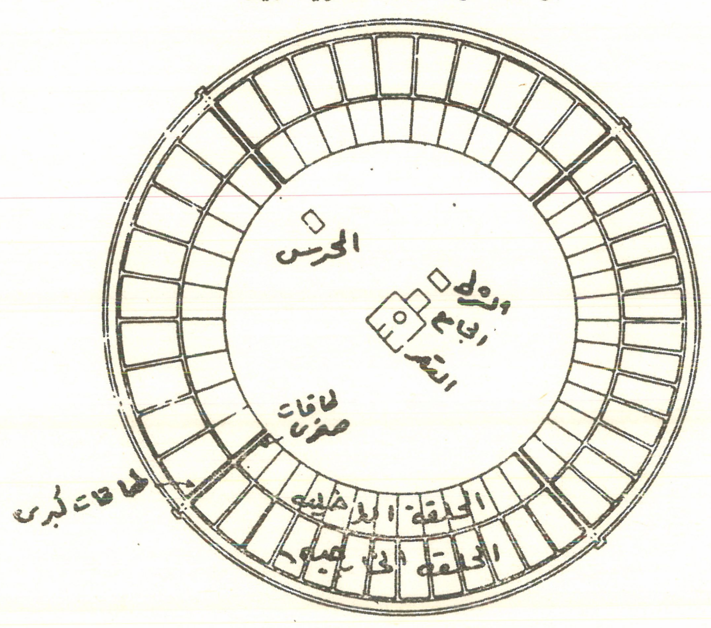
دليل الخارطة رقم (٦)

(١) قصر سعيد بن الخطيب وكتاب اليتامى
(٢) سجن باب الشام
(٣) قصر هانىء ودربه
(٤) مسجد البخارية
(٥) قبر ابراهيم الحربي
(٦) طريق الانبار وجسر الانبار
(٧) باب البستان
(٨) دار القز ودرب غامش
(٩) قصر عبدالوهاب وسويقة عبدالوهاب
(١٠) رحى البطريق وقنطرة الارحاء
(١١) قصر عيسى واقطاعه
(١٢) باب المحول ومسجده
(١٣) قنطرة الصينيات
(١٤) قنطرة العباس
(١٥) قنطرة الروميين
(١٦) دار الفراشين
(١٧) قنطرة الرومية
(١٨) قصر كعبويه
(١٩) قطيعة الفرس
(٢٠) قنطرة الصخر
(٢١) باب الكناسة ومحلة الكناسين
(٢٢) باب ابى قبيعة وقنطرة اليهودي
(٢٣) قنطرة الياسرية ، والياسرية ومحلتها
(٢٤) الدباغين
(٢٥) قصر المعتصم والمحول

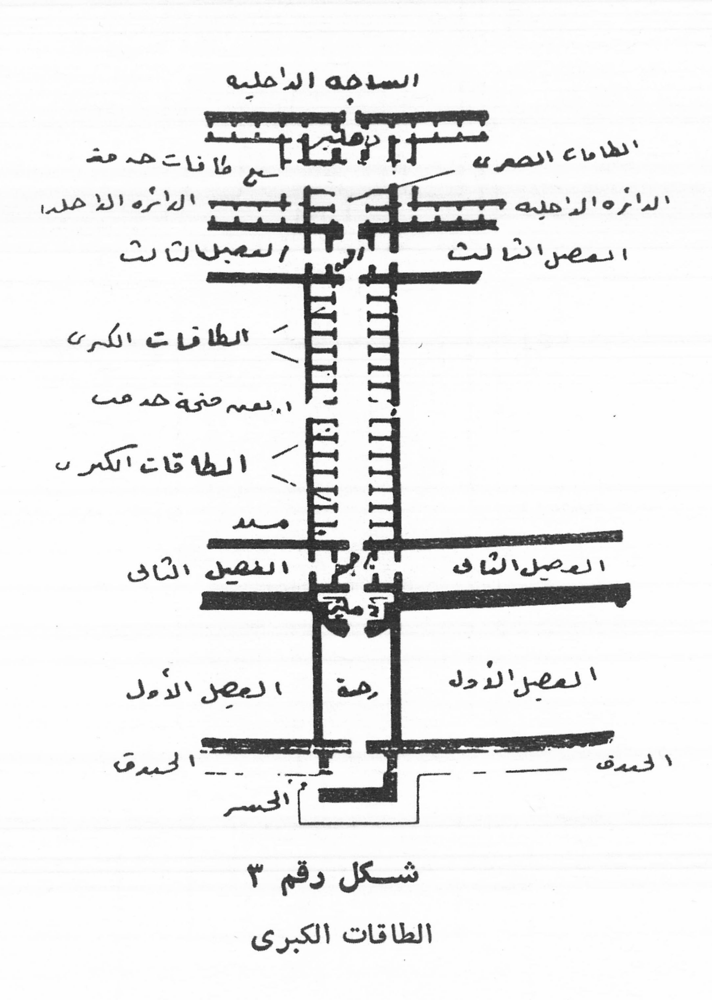
اللوحات



شكل (١) المدينة المدورة
برآى هرز فيلد وكريسويل

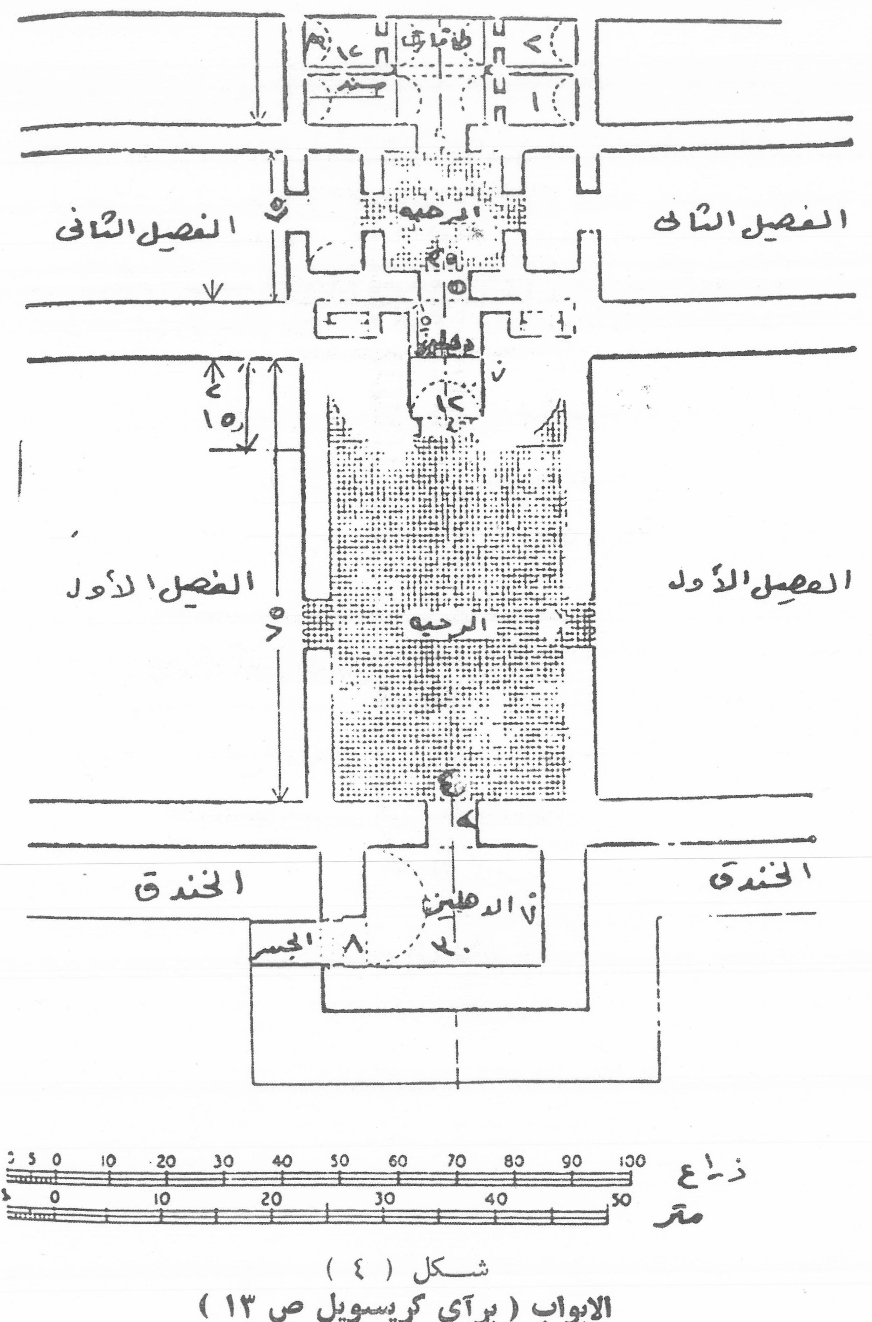


شكل (٢) المدينة المدورة



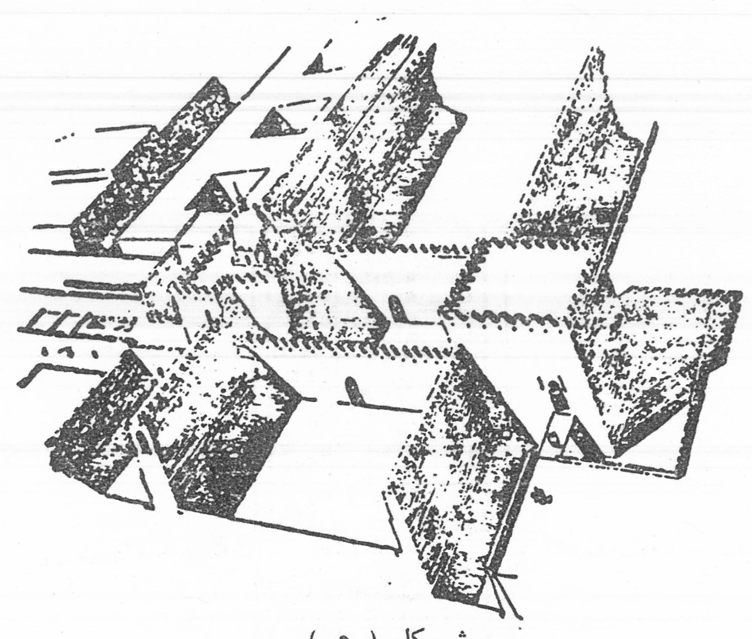
شكل رقم ٣

الطاقات الكبرى



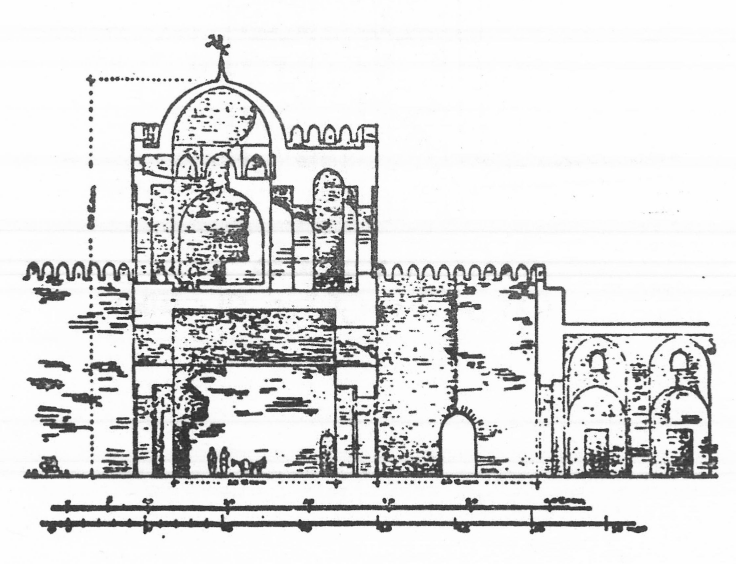
شكل (٤)

الابواب (برآي كريسويل ص ١٣)



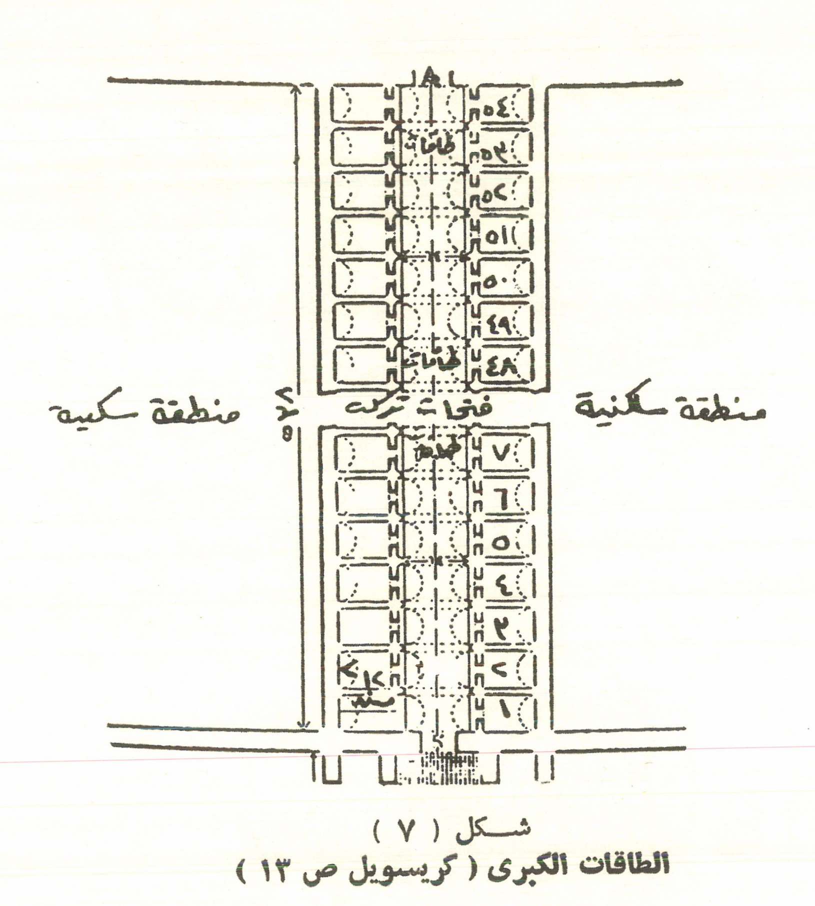
شكل (٥)

تصميم الابواب (براي هرزفيلد ص ١٢٧)



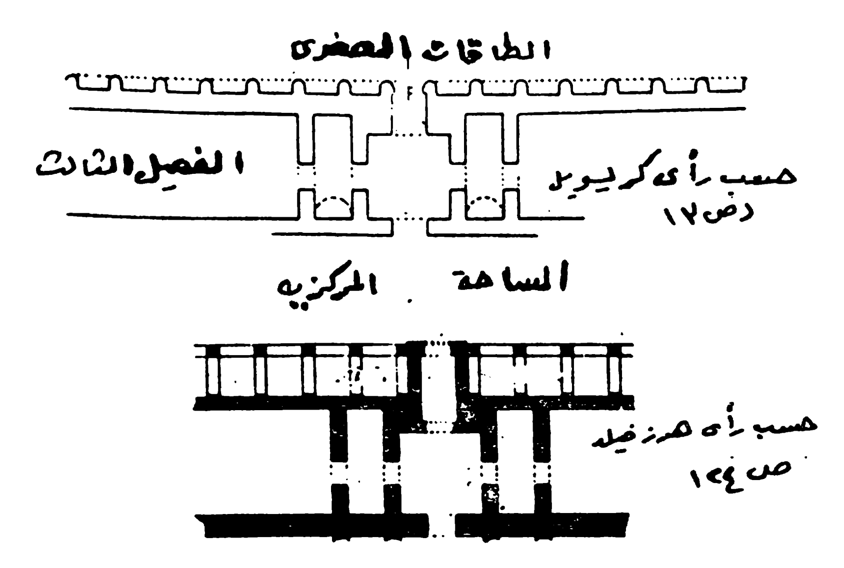
شكل (٦)

تصميم الباب الداخلي (براي هرزفيلد ص ١٢٦)

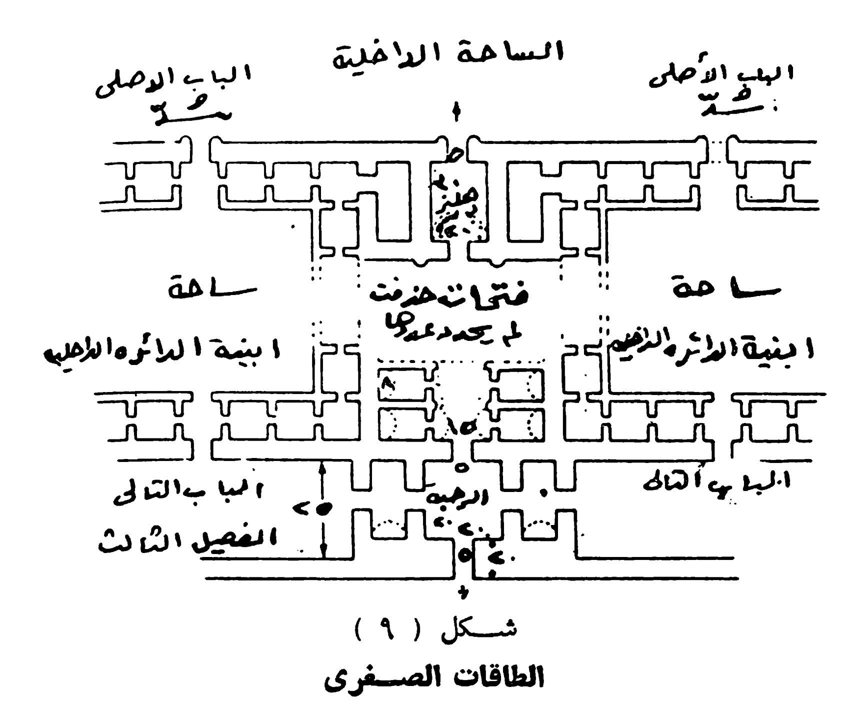


شـكل (٧)

الطاقات الكبرى (كريسويل ص ١٣)

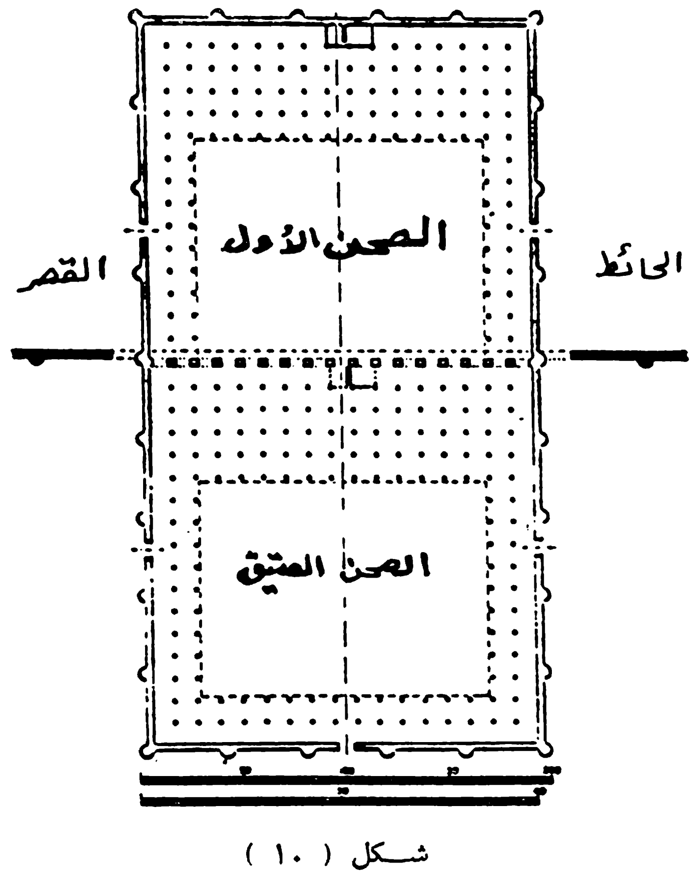


شكل (٨)
الطاقات الصغرى والحلقة الداخلية



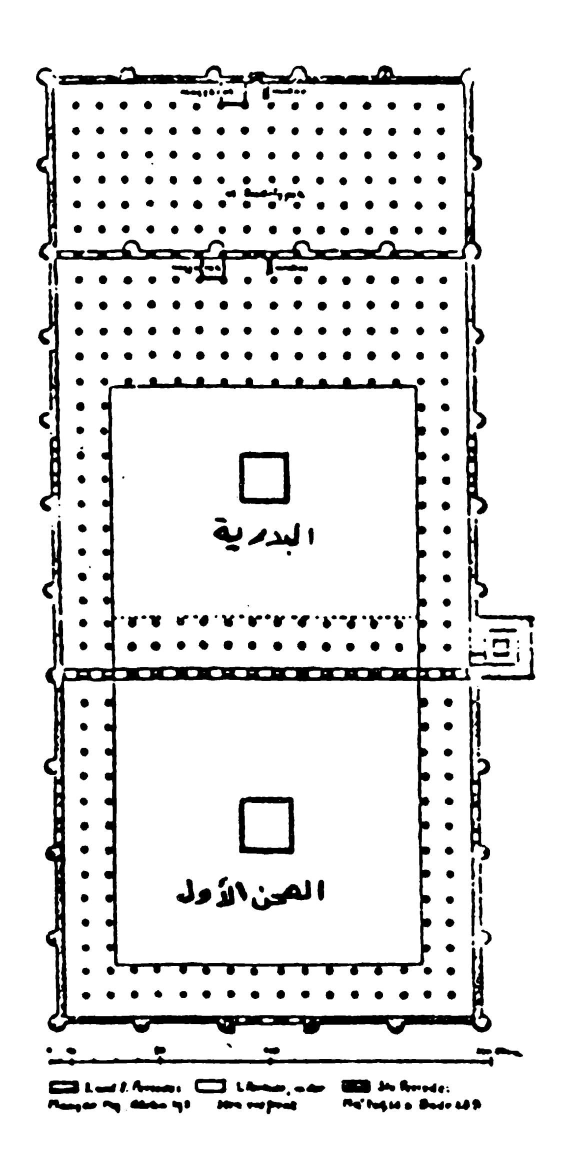
شكل (٩)

الطاقات الصغرى

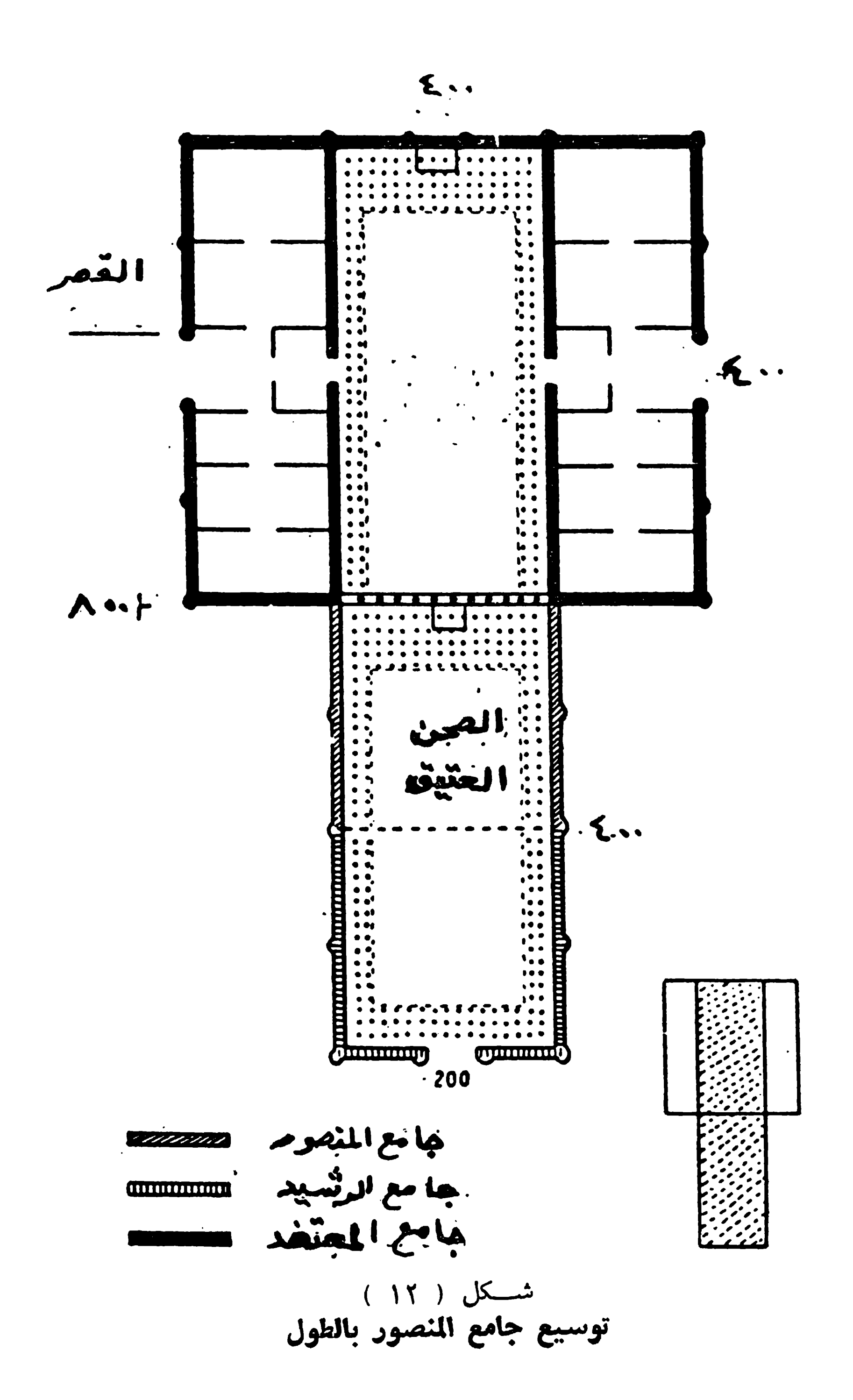


شكل (١٠)

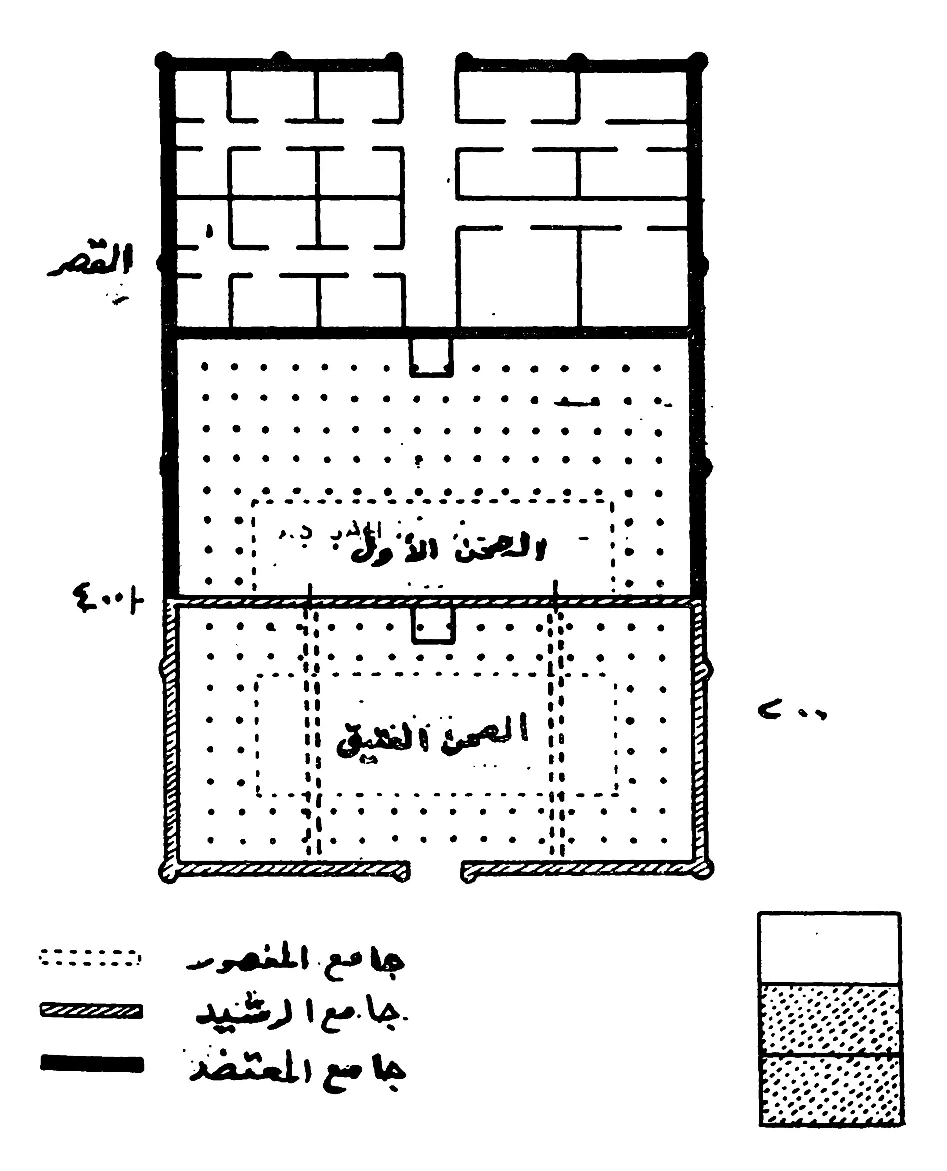
جامع المنصور (كريسويل ص ٣٤)



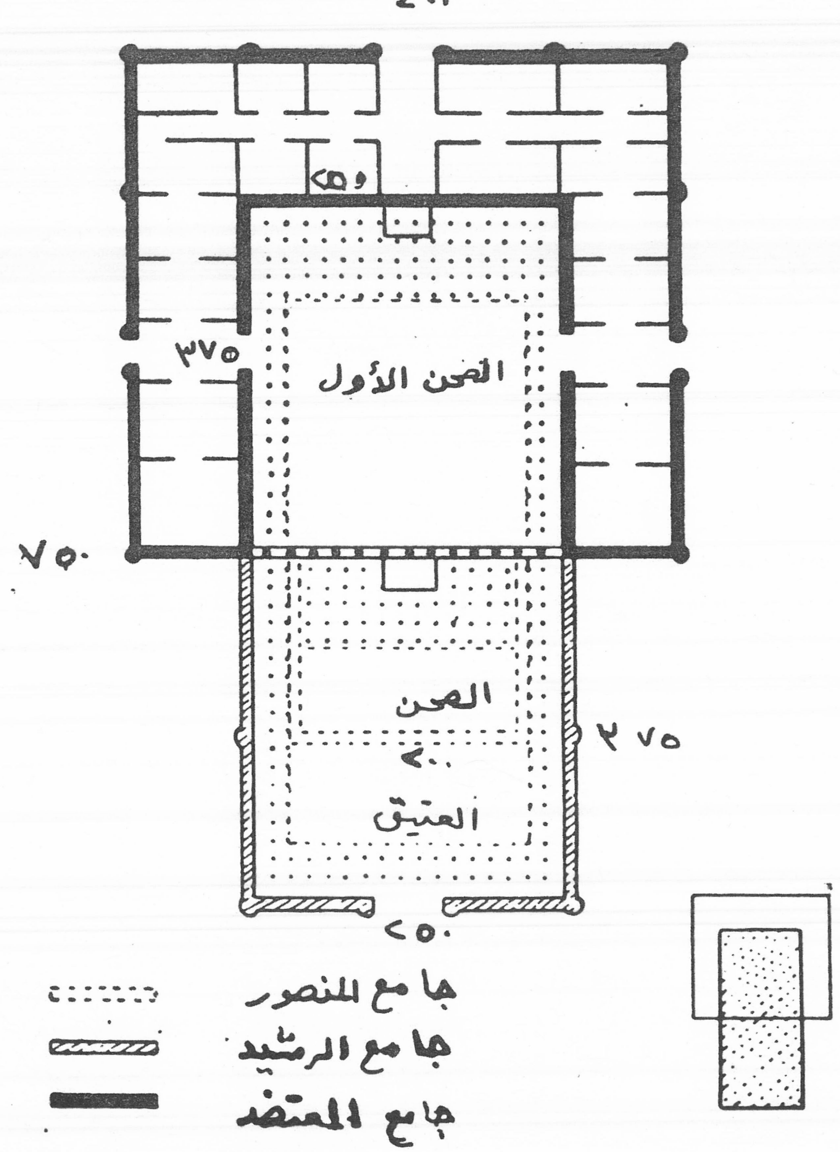
شكل (١١)
جامع المنصور (هرزفيلد ص ١٣٧)



شكل (١٢)
توسيع جامع المنصور بالطول



شكل (١٣)
توسيع جامع المنصور بالعرض



شكل (١٤)
اعادة تصميم جامع المنصور بالعرض والطول (مربع)

المصطلحات والمراجع والفهارس

قائمة بالخلفاء والأمراء

١ـ الجدول الاول : الخلفاء العباسيون منذ بداية تأسيس الدولة العباسية الى وفاة الخطيب (إستنادا الى دائرة المعارف الاسلامية . الطبعة الثانية ٢١ص)

سنة		سنة	
١٣٢	السفّاح	٢٥٥	المُهْتَدِي
١٣٦	المنصور	٢٥٦	المُعْتَمِد
١٥٨	المَهْدِي	٢٧٩	المُعْتَضِد
١٦٩	الهادي	٢٨٩	المُكْتَفِي
١٧٠	الرشيد	٢٩٥	المُقْتَدِر
١٩٣	الأمين	٣٢٠	القاهر
١٩٨	المأمون	٣٢٢	الراضي
٢١٨	المعتصم	٣٢٩	المُتّقِي
٢٢٧	الواثق	٣٣٣	المُسْتَكْفِي
٢٣٢	المتوكّل	٣٣٤	المُطيع
٢٤٧	المُنْتَصِر	٣٦٣	الطّائع
٢٤٨	المُسْتَعِين	٣٨١	القادر
٢٥٢	المُعْتَزّ	٤٢٢	القائم

الجدول الثاني : الأمراء البويهيون في بغداد

٣٣٤	مُعِزّ الدّولة	٣٧٩	بهاء الدّولة
٣٥٦	عِزّ الدّولة (بختيار)	٤٠٣	سُلْطان الدّولة
٣٦٧	عَضُدُ الدّولة	٤١٢	مُشَرّف الدولة
٣٧٢	صَمصام الدّولة	٤١٦	جَلال الدولة
٣٧٦	شَرَف الدّولة	٤٣٥	أبو كاليجار
		٤٤٠	المَلِك الرّحيم

ــــــــ

** هذه كانت ملحق (و) بترتيب المؤلف فى الطبعة الانكليزية (المترجم)

التعابير العربية المتعلقة بالخطط وما يقابلها بالانكليزية

Arabic	English
آجُرّ	Burnt brick
أروقة	Gallery of a mosque
باب	Gate
بيت	House, dwelling
جِسْر	Panteon bridge
جِصّ	Gypsum
خان	Caravasarai
دار	Residence, palace
دَرْب	Street
دِهْليز	Corridor
دَيْر	Monastry
دَيوان	Government bureau
رَبَض	Estate, suburb
رَحْبَة	Court
رُسْتاق	District
رَهْص	Burnt brick
رِواق	Gallery of a mosquc
سِكّة	Side street
سُوق	Market
سُوَيْقة	Diminitive of above
شارع	Street, quarter
صاروج	Quicklime
صَحْن	Court
ضَيعْة	Domain
طاق	Arch, Archway
طاقات	Archway, arcades
طريق	Road. highway
طَسُّوج	District
فَرْسَخ	League, farsang
فُرْضَة	Harbour
فَصِّيل	Intervalinm
قُبّة	Cupola
قَصْر	Palace
قَطِيعة	Fief
قَنْطَرَة	Masonary bridge
قبر	Grave, burial place
كِلْس	Lime
كُورة	District
لَبِن	Mudbrick
مَجْلِس	Audiance room
مُرَبَّعة	Square
مَشْرَعة	Wharf
مشهد	Shrine
مَقْبَرة	Grave, burial place
منارة	Tower, mineret
نهر	Canal, river
نُورَة	Tar
ولاية	Distict

المراجع العربيــة

ابن الاثير ، علي بن محمد : الكامل في التاريخ . طبعة ك. ج. تورنبرج ، ١٢ مجلداً . ليدن ١٨٥١ ــ ١٨٧٦ .

اللباب في تهذيب الانساب ، ٣ أجزاء . القاهرة ١٣٥٧/١٩٣٨ .

ابن تغري بردي، يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . طبعة ت. ج. جونبول و ب. ف. ماثيس . ج١ ، ليدن ١٨٥٥ ــ ٦١ .

ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي : مناقب بغداد ، طبعة محمد بهجة الاثري . بغداد ١٩٢٣ . ترجم بعضه جورج مقدسي ونشره في مجلة ٦ (١٩٥٩) ١٨٥ ــ ٩٥ .

المنتظم في تاريخ الملوك والامم . طبعة كرنكو ، مجلد ٥ ــ ١٠ ، حيدر اباد ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩ .

ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي : المسالك والممالك . طبعة م. ج. دي غويه ليدن ١٨٩٧ (المكتبة الجغرافية العربية) .

ابن خرداذبه ، عبيدالله بن عبدالله : المسالك والممالك. طبعة وترجمة م.ج. دى غويه ليدن ١٨٨٩ (المكتبة الجغرافية العربية ٦) .

ابن خلكان . أحمد بن محمد : وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان . القاهرة ١٨٨١ . ترجمة م. ج. دي سلان ، ٤ مجلدات . باريس ــ لندن ١٨٤٣ ــ ١٨٧١ .

ابن رسته : أحمد بن عمر : الأعلاق النفسية . طبعة م. ج. دي غويه ، ليدن ١٨٩٢ (المكتبة الجغرافية العربية) .

ترجمه الى الفرنسية جاستون فييت . القاهرة ١٩٥٥ .

ابن الزبير : الرشيدي • الذخائر والتحف • طبعة صلاحالدين المنجد • بيروت ١٩٥٩ •

ابن أبي أصيبعة : أحمد بن القاسم • عيون الانباء في طبقات الاطباء • طبعة أ• موللر القاهرة ــ كوبنهاجن ١٨٨٢ ــ ٨٤ •

ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا • الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية • طبعه ديرنبرغ • باريس ١٨٩٥ •
ترجمه اس• ي• ج• وتنج الى الانكليزية • لندن ١٩٤٧ •
وترجمه أ• عمار الى الفرنسية • باريس ١٩١٠ •

ابن طيفور : احمد بن ابي طاهر • كتاب بغداد • طبعه وترجمه هـ• كيللرت جزءان • ليبزج ١٩٠٨ •

ابن العبري : أبــو الفرج يوحنا غريغوريوس • التاريخ (بالسريانية) طبعه وترجمه أ• و• بدج• جزءان • اكسفورد ١٩٣٢ •
طبعه وترجمه • أ• بوكوك • اكسفورد ١٦٦٣ •

ابن قتيبة : عبدالله بن مسلم • كتاب المعارف • طبعه ف• وستنفلد• جوتنجن ١٨٥٠ •

ابن كثير : اسماعيل بن عمر : البداية والنهاية ، ١٤ جزءاً • القاهرة ١٩٣٢ ــ ١٩٤٠ •

ابن مسكويه : تجارب الامم • طبعه مارجليوث • القاهرة ١٩١٢ •

ابن النديم : محمد بن اسحاق : كتاب الفهرست • طبعه ج• فلوجل • جزءان ليبزج ١٨٧١ ــ ٢ •

أبو الفدا : التاريخ ، طبعه ج• ريسكه ، خمسة اجزاء• كوبنهاجن ١٧٨٩ــ٩٤

الاصطخري : ابراهيم بن محمد• كتاب المسالك والممالك • طبعه م• ج• دي غويه • ليدن ١٨٧٠ (المكتبة العربية الجغرافية ١) •

الاصفهاني : حمزة بن الحسن • تاريخ سنى ملوك الأرض والانبياء • طبعه وترجمه ج• م• ى• جوتولد ، جزءان • ليبزج ١٨٤٤ ، ١٨٤٨ •

الاصفهاني : ابو الفرج على بن الحسين • كتاب الاغاني ، ٢٠ جزءاً • القاهرة ١٢٨٩/١٨٦٨ الجزء ٢١ طبعه ر• برونو ليدن ١٨٨٨ •

الياس النصيبي : التاريخ، طبعه ف• بيثجن في مجموعةابحاث من معرفة الشرق م ٨ ل ١٨٥٤ •

أوتيخوس • سعيد بن البطريق • التاريخ ، طبعه ل• شيخو • بيروت ـــ باريس ١٩٠٦ ـــ ٩ •

البلاذري • احمد بن يحيى • كتاب فتوح البلدان، طبعة م•أ• دي غويه• ليدن ١٨٩٧ وترجمـه ف• خ• حتى ، و ف• ك• مورجوتن نيويورك ١٩٢٤ •

التنوخي • أبو علي المحسن بن علي • نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ج١ طبعه وترجمه د• س• مارجليوث (لندن ١٩٢١) ج٢ النص نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشـق م ١٢ (١٩٣٢) ، م ١٣ (١٩٣٣ ـــ ١٩٣٥) ، م ١٧ (١٩٤٢) وترجمتـه نشرت في مجلـة Islamic culture م٥ (١٩٣١) ص ١٦٩ـــ ٩٣ ، ٣٥٩ ـــ ٨١ م٦ (١٩٣٢) ٤٧ ـــ ٦٦ ، ١٨٤ ـــ ٢٠٥ ، ٣٧٠ ـــ ٩٦ الجزء الثالث نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م٩ (١٩٣٠) وترجمته نشرت في Islamic Culture (١٩٢٩) ٤٩٠ ـــ ٥٢٢ ؛ م ٤ (١٩٣٠) ١ ـــ ٢٦ ، ٢٢٣ ـــ ٢٨ ، ٥٣١ ـــ ٥٧ •

الحميدي : محمد بن فتوح • جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس • القاهرة ١٩٥٢ •

الخطيب البغدادي : أحمـد بن علي ابن ثابت • تاريخ بغـداد ، ١٤ جزءاً • القاهرة ١٩٣١ •

الخوارزمي : محمد بن موسى • صورة الارض، طبعه هـ• ف• مزيك، لايبزج ١٩٢٦ •

الدينوري : أحمد بن داوود • كتاب الاخبار الطوال • طبعه ف• جويرجاس ليدن ١٨٨٨ طبع فهارسه كراتشوفسكي ١٩١٢ •

الذهبي : محمد بن احمد • كتاب تذكرة الحفاظ ، ٥ اجزاء، حيدر اباد ١٩١٥– ١٦ •

السخاوي : محمد بن أحمد • الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التواريخ • ترجمه ف• روزنثال ملحقاً بكتاب « علم التاريخ عند المسلمين » ، ليدن ١٩٥٢

السمعاني : عبدالكريم بن محمد • كتاب الانساب • طبعه د• س• مار جليوث لندن ١٩١٢•

سوسة : أحمد • أطلس بغداد • بغداد ١٩٥٢ •

سهراب : عجائب الاقاليم السبعة ، طبعه هـ• ف• مزيك ، ليبزج ١٩٣٠ ونشر بعضه وترجمه ونسبه الى ابن سـيرابيون ، ليسترانج في مجلـة الجمعية الملكية الاسيوية ليدن ١٨٩٥ •

الشابشتي : علي بن احمد • كتاب الديارات • نشره كوركيس عواد • بغداد ١٩٥١ • ترجمه سخاو • برلين ١٩١٩ •

الصابي : هلال بن المحسن • كتاب الوزراء • طبعه هـ• ف• اميدروز ، بيروت ١٩٠٤ •

رسوم دار الخلافة • طبعه ميخائيل عواد • القاهرة ١٩٦٣ •

الصولى : محمد بن يحيى : أخبار الراضي والمتقي ، طبعه هيورث • دن• لندن

١٩٣٥ ترجمه م. كانارد ، الجزائر ١٩٤٦ ، ١٩٥٠ .
اشعار اولاد الخلفاء طبعه هيورث دن القاهرة ١٩٣٤ .

الطبري : محمد بن جرير : كتاب اخبار الرسل والملوك. طبعه م.ج. ديغويه وآخرون ١٣ جزء ليدن ١٨٧٩ — ١٩٠١ .

عريب بن سعيد القرطبي : صلة تاريخ الطبري . طبعه م. ج. دى غويه . ليدن ١٨٩٧ .

قدامة بن جعفر : كتاب الخراج . طبعه وترجمه م. ج. دى غويه . ليدن ١٨٨٩ (المكتبة الجغرافية العربية ٦) .

القزويني : حمدالله المستوفي . نزهة القلوب (بالفارسية) طبعه ليسترانج . لندن ١٩١٥ ، ثم ترجمه الى الانكليزية . لندن ١٩١٩

القفطي : علي بن يوسف . تاريخ الحكماء . طبعه ج. ليبرت. ليبزج ١٩٠٣.

المسعودي : علي بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجواهر . طبعه وترجمه ك. باربيه دى مينارد و بافيه دى كورتيل ٩ أجزاء . باريس ١٨٦١ — ٧٧ .

كتاب التنبيه والاشراف . طبعة م. ج. دى غويه . ليدن ١٨٩٤ (المكتبة الجغرافية العربية ٨) وترجمه كاراد دى فو الى الفرنسية باريس ١٨٩٦ .

المقدسي : محمد بن أحمد . كتاب أحسن التقاسيم في معرفةالاقاليم. طبعه م. ج. دى غويه ليدن ١٨٧٧ (المكتبة الجغرافية العربية ٣) وترجمه

وكيع : محمد بن خلف . أخبار القضاة ، ٣ أجزاء . القاهرة ١٩٤٧ — ٥٠ .

الهمداني : محمد بن عبدالملك . تكملة تاريخ الطبري . طبعه أ. ج. كنعان في

مجلة المشرق (١٩٥٥) ص ٢١ ــ ٤٢ ؛ ١٤٩ ــ ٧٣ (١٩٥٧) ص ١٨٥ ــ ٢١٦ •

ياقوت : يعقوب بن عبدالله • ارشاد الاريب الى معرفة الاديب (معجم الادباء) طبعه د• س• مار جليوث • لندن ١٩٠٧ ــ ١٩٣١ •

اليعقوبي • احمد بن ابي يعقوب : التاريخ • طبعه م• ث• هوتسما • ليدن ١٨٨٣ •

كتاب البلدان • طبعه م• ج• دى غويه • ليدن ١٨٩٢ (المكتبة الجغرافية العربية ٧) وترجمه جاستون فييت • القاهرة ١٩٣٧ •



المصـــادر باللغات الاجنبيـــة

« أضفنا الاشارات الى ما ترجم منها الى العربية »

مي Amar, E. Prolégomènes à l'étude des historiens arabes par as-Safadi. JA (1911 — 12).

Arabica.

Ars Islamica.

Ars Orientalis.

Ben Cheneb, M. Abù Dolàma, Poète bouffon de la cour des premiers Califes abbasides. Algiers, 1922.

Brockelmann, C. Geschichte der Arabischen Literatur. 2 vols. Weimar, 1898—1902; Supplement. 3 vols. Leiden, 1937—41; second edition. 2 vols. Leiden, 1943—49.

تمت نشر ترجمة الثلث الاول منه الى العربية .

Bulletin of the School of Oriental and African Studies.

Byzantion.

Canard, M. Histoire de la dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie. Vol. 1. Paris, 1953.

Cattenoz, H. G. Table de Concordance des Eres Chrétienne et Hégirienne. 2nd ed. Rabat, 1959.

Christensen, A. L'Iran sous les Sassanides. Paris, 1936.

ترجمه الدكتور يحيى الخشاب الى العربية .

Creswell, K. A. C. Early Muslim Architecture. 2 vols. Oxford, 1940.

Dennett, D. C. Conversion and Poll Tax in Early Islam. Harvard Hist Monograph Series XXII. Cambridge, Mass, 1950.

ترجمه الدكتور فهيم جادالله الى العربية .

Donaldson, D. M. The Shi'ite Religion. Mashad, 1933.

ترجمه الاستاذ عبدالمطلب الامين الى العربية .

Dozy, R. Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes. Amsterdam, 1895.

ترجمه الدكتور اكرم فاضل الى العربية .

——. Supplément aux dictionnaires Arabes. 2nd ed. Leiden—Paris, 1927.

ترجم الدكتور سليم النعيمي قرابة نصفه الى العربية .

Dussaud, R. Les Arabes en Syrie Avant l'Islam. Paris, 1907.

Encyclopedia of Islam.

ترجمه الدكتور فؤاد حسنين الى العربية .

Fraenkel, S. Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen. Leiden, 1886.

Frye, R. N. The History of Bukhara. Cambridge, 1954.

Geographische Zeitschrift.

Grohmann, A. Einführung und Chrestomathie zur arabischen Papyruskunde. Vol. 1. Prague, 1954—.

Heer, F. J. Die historischen und geographischen Quellen in Jàqût's geographischen Wörterbuch. Strassburg, 1898.

Herzfeld, E., and F. Sarre. Archäologische Reise im Euphrat und Tigris Gebiet. Vol. 2. Berlin, 1921.

Hinz, W. Arabische Masse und Gewichte. Leiden, 1955.

ترجمه د. كامل العسلي الى العربية .

Der Islam.

Islamic Culture.

Journal Asiatique.

Journal of the American Oriental Society.

Journal of the Royal Asiatic Society.

Journal of World History.

Kramers, J. H. Analecta Orientalia. Vol. 1. Leiden, 1954.

Kritzeck, J., and R. Bayly Winder. The World of Islam. Studies in Honor of Philip K. Hitti. New York, 1959.

La Voix, H. Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale, I. Paris, 1887.

LeStrange, G. Baghdad during the Abbasid Caliphate. London, 1900.

ترجمه الاستاذ بشير فرنسيس الى العربية .

——. Lands of the Eastern Caliphate. Cambridge, 1905.

ترجمه الاستاذ كوركيس عواد الى العربية .

Lokkegaard, F. Islamic Taxation in the Classic Period, Copenhagen, 1950.

L'Orange, H. P. Studies in the Iconography of Cosmic Kingship in the Ancient World. Cambridge, 1953.

Makdisi, G. Ibn'Aqil et la resurgence de l'Islam traditionaliste au X le siècle. Damascus, 1963.

Margoliouth, D. S. Lecturs on Arabic Historians. Calcutta, 1930.

ترجمه الدكتور حسين نصار الى العربية .

Massignon, L. Mission en Mésopotamie (1907—19008). Vol. 2. Cairo, 1912 (MIF AO 2).

——. Opera Minora, ed. Y. Moubarac. 3 vols. Beirut, 1963.

Miquel, A. La Géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du 1 le siècle. Paris, 1967.

Muslim World.

Noeldeke, T. Sketches from Eastern History, trans. J. S. Black. London, 1892.

Reitemeyer, E. Die Städtegründungen der Araber im Islam. Munich, 1912.

Revue des Etudes Islamiques.

Ritter, H. Orientalia (Istanbule Mitteilungen I). Istanbul, 1933.

Rivista degli Studi Orientali.

Rosenthal, F. A History of Muslim Historiography. Leiden, 1952.

ترجمه الدكتور صالح احمد العلي الى العربية .

Salmon, G. L'Introduction topographique à l'histoire de Baghdadh. Paris, 1904.

Sourdel, D. Le Vizirat 'Abbàside. 2 vols. Damascus, 1959—60.

Streck, M. Die alte Landschaft Babylonien. Leiden, 1900.

Sumer.

Syria.

Vo. Vloten, G. Recherches sur la Domination Arabe. Amsterdam, 1894.
ترجمه الدكتور حسن ابراهيم حسن الى العربية .
Wellhausen, J. The Arab Kingdom and its Fall, trans. M. G. Weir. Calcutta, 1927.
ترجمه كل من الاستاذ يوسف العش ، والدكتور محمد عبدالهادي ابو ريده الى العربية .
Wensinck, A. J. Concordance et indices de la tradition musulmane. Leiden, 1936.
Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes.
Zambaur, E. de. Manuel de généalogie et chronologie pour l'histoire de l'Islam. Hanover, 1927.
ترجمه الدكتور زكي محمد حسن والدكتورة سيدة الكاشف الى العربية .
Zeitschrift der Deutschen Morganländischen Gesellschaft.

فهرس اسماء الاعلام

ـ ن ـ

ـ و ـ

ـ هـ ـ

ـ ي ـ

فهرس أسماء الأماكن

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ط ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

الخــرائط

فهرس الألواح والتصاوير

قائمة المحتويــات

(٢) التعليقات على ماكتبه الخطيب عن بغداد

(٣) كتاب تاريخ بغداد ومصادره

القسم الثالث : نمو خططي لمدينة دولية

دراسات وملاحق

الملاحــق





طبع هذا الكتاب على نفقة وزارة الثقافة

لمشروع بغداد
عاصمة الثقافة العربية
٢٠١٣

المجمع العلمي العراقي